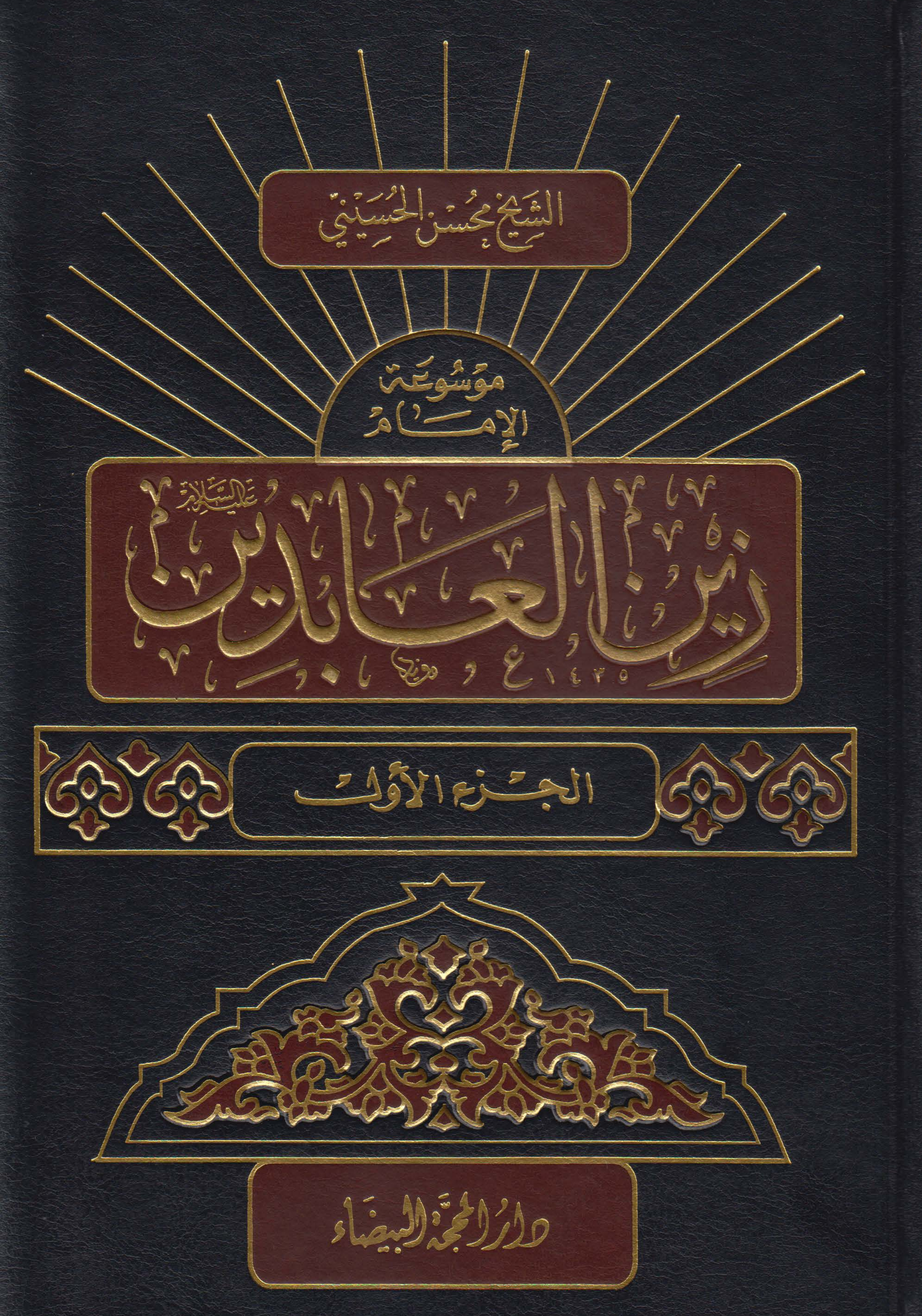


الشيخ محسن الحسيني
موسوعة
الإمام
زين العابدين عليه السلام
١٤٣٥
الجزء الأول
دار المحجة البيضاء


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع ايمان أبي طالب في كفة ميزان وايمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح ايمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com


موسوعة الإمام
زين العابدين عليه السلام
١٤٣٥

الشيخ محسن الحسيني

موسوعة الإمام



الجزء الأول

دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

هوية الكتاب

* الكتاب: موسوعة الإمام زين العابدين عليه السلام.
* المؤلف: الشيخ محسن الحسني.
* الطبعة: الأولى، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م. (ج١: ٤٦٨ صفحة).
* الناشر: دار المحجة البيضاء.



الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١

تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail: almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com



كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتابة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ليس بالأمر السهل، فهم قمم سامقة لا ترقى اليهم أقلامنا مهما أوتيت من الأدب والفصاحة والبلاغة. إنهم أئمة المؤمنين، وسادة المتقين، وكبراء الصديقين، وأمراء الصالحين، وقادة المحسنين، وأعلام المهتدين، وأنوار العارفين، وورثة الأنبياء، وصفوة الأوصياء، وشموس الأتقياء، وبدور الخلفاء، وعباد الرحمن، وشركاء القران، ومنهج الإيمان، ومعادن الحقائق، وشفعاء الخلائق.

ولكنهم أئمتنا وهداتنا، ونحن المأمومون لهم، فلا بد أن نتعرف -بقدر ما نستطيع- على جوانب من حياتهم، لنقتدي بها، ونسير على ضوئها. لذلك كان من الطبيعي أن يقتحم العلماء والمفكرون هذا الميدان، رغم المسافة الكبيرة التي تفصل بينهم وبين هذه القمم السامقة والذُرى الشامخة. وكان لا بد من دراسة تاريخهم وأسلوب حياتهم وأخلاقياتهم وتعاملهم مع الناس ومواجهتهم للسلطات السياسية في عهودهم، وأيضاً التدبر في كلماتهم وأحاديثهم لاستلهام خريطة طريق للحياة السعيدة، واستنباط الرؤى والمناهج السليمة التي يمكننا الرقي عبرها في الحياة الدنيا، والتنعّم بالخلود في جنان الله في الآخرة.

والجدير ذكره أنّ أئمة الهدى عليهم أفضل الصلاة والسلام لم يكونوا نسخة واحدة متكررة حتى يقول قائل: كان يكفينا إمام واحد نقتدي به، فلماذا الأئمة إثنا عشر؟

صحيح أنّ الأئمة عليهم السلام هم أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله، وصحيح أنهم كانوا على خط واحد ينتهي الى رسالة جدهم الرسول الأعظم وإلى القران الكريم، ولكنهم لم يكونوا نسخاً متكررة عن صورة واحدة في تفاصيل المسيرة الحياتية. إنّ كل إمام من

الأئمة الإثني عشر عليهم أفضل الصلاة والسلام أدى دوراً مختلفاً في تبليغ الرسالة الإسلامية وتطبيق جوانب منها حسب الظروف السياسية والإجتماعية التي كان يعيشها كل إمام، فكلهم قدوات وأنوار، إلا أنّ كل واحد منهم اضاء لنا جانباً خاصاً من الحياة أكثر من الجوانب الأخرى، حتى اكتملت كل صور وجوانب تطبيق الرسالة الاسلامية، لتستلهم الأجيال المتعاقبة من بعدهم مناهج الحياة الرسالية بكل تفاصيلها وجوانبها المختلفة.

والإمام السجاد عليه السلام - الذي تحاول هذه الموسوعة تسليط الضوء على جوانب من حياته المباركة - أدى دوراً مهماً يختلف جذرياً عن دور الأئمة من قبله، وعن الذين جاؤوا من بعده. فقد واصل الإمام عليه السلام مسيرة الإعلام المستمر لما بعد النهضة الحسينية، واستثمار النتائج التربوية الثورية لهذا الحدث العظيم، رغم وجود السلطات الأموية الجائرة، كما أنه لم يقم بتحرك علني مضاد للسلطات الغاصبة، إلا أنه سلك طريق التأييد غير المباشر للحركات المناهضة (كحركة المختار الثقفي) وأعدّ العناصر الرسالية المهيّأة لقيادة المعارضة الشيعية الرسالية ضد مغتصبي الخلافة، مثل إبنه (زيد بن علي) عليهما السلام الذي قاد التحرك الرسالي لسنوات وحتى استشهاده، وترك وراءه حركة رسالية متجذرة في الأمة إستمرت الى جانب سائر الأئمة الأطهار حتى عصر الغيبة، بل وبعدها الى يومنا الحاضر.

وهكذا نجد أن الإمام السجاد عليه السلام، لم يكن همه مجرد البكاء على أبيه الحسين الشهيد عليه السلام وتلاوة الأدعية فقط، رغم أنّ هذين الأمرين كان لهما الدور الكبير في جعل جذوة الروح الرسالية والإيمان والتقوى متّقدة في النفوس، وفي تذكير الناس بمظلومية الحسين ومبادئه وأهدافه الرسالية الكبرى التي ضحّى بنفسه وأهل بيته وأصحابه من أجلها، إنما كان الإمام السجاد عليه السلام - إضافة الى ذلك - يربي القيادات المستقبلية، ويمهّد الأرضية لنشوء ونمو الحركات الرسالية المعارضة للظلم والإنحراف والفساد.

وربما لهذا السبب نذر سماحة العلامة المجاهد الشيخ محسن الحسيني (جاسم

الاسدي) رحمة الله عليه، الكتابة عن حياة الإمام السجاد عليه السلام[1]، فلقد عاش ظروفا مشابهة لظروف أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام، حيث بدأ المؤلف الراحل حياته السياسية والإجتماعية في الستينات - وفي ربيع عمره - بالعمل الرسالي المناهض للظلم والطغيان في العراق من خلال الهيئات التربوية التي كانت تهدف إعداد الشباب الرسالي المؤمن وتربيته لقيادة المجتمع، وزرع روح النهضة الرسالية في الأمة. وبسبب تسلّط أجهزة القمع والإضطهاد في العراق ومطاردة المؤمنين والناشطين الرساليين، كانت الضرورة تقتضي سرية التحرك والعمل لتفادي ملاحقة السلطات الغاشمة. ورغم أنّ سماحة المؤلف رحمه الله كانت أمامه فرص العمل في وظيفة جيدة في الدوائر الحكومية والتعليمية، إلا أنه فضّل طريق النشاط الرسالي مهما كلفه ذلك من ثمن باهض، اقتداءً بأصحاب وحواريي أئمة الهدى عليهم السلام.

من هنا فقد حمل الشيخ الحسيني رحمه الله همّ العمل الرسالي، حيث تفرّغ له منذ بداية شبابه، الأمر الذي فرض عليه الهجرة القسرية من العراق للنجاة من بطش الحكومات الطاغية، ولاغتنام فرص العمل الرسالي وتوجيه الخلايا النشطة وإسنادها من الخارج.

وطوال أربعة عقود من الزمن قضاها سماحة المؤلف في المهاجر المختلفة في منطقة الشرق الأوسط، وبالاخص بلدان المنطقة الخليجية، لم يترك أية فرصة إلا واغتنمها من أجل إسناد الشباب الرساليين الناشطين داخل العراق، ولكنه، الى جانب ذلك، لم يغفل -كسائر العاملين الرساليين الذين لا يعترفون بالحدود الجغرافية التي تمزق الامة الى جزر مقطّعة- لم يغفل عن الاهتمام بتربية الشباب الرسالي في المهاجر ايضاً في هذا البلد او ذاك، وأخص بالذكر الكويت وعُمان وايران، حيث قضى سنوات طوالا من هجرته في هذه البلاد الثلاث. كما اشتغل -اضافة الى ذلك- بالخطابة وإمامة الجماعة والدراسة والتدريس الحوزوي والكتابة والتأليف والإدارة والإعلام.

وبعد سقوط الطاغية الذليل صدام، بادر بالعودة الى أرض الوطن مفضِّلا مواصلة

---

(١) يروي أبناء الشيخ الحسيني رحمة الله عليه أنه كان في عصر عاشوراء من عام ١٤١٥هـ مع ابنائه في الحرم الرضوي بمشهد المشرفة عند ما فجر الارهابيون قنبلة بين صفوف الزوار، فنذر لله في حينه ان لو خرج هو وابناؤه من الحرم بسلام ان يكتب كتابا عن حياة الامام السجاد عليه السلام، وهذه الموسوعة جاءت وفاءً لذلك النذر.

دوره النهضوي الى جانب زملاء العمل الرسالي داخل البلد رغم كل المخاطر الأمنية التي كانت تترتب على مثل هذا القرار، فلقد كان عشق العمل الرسالي والعطاء لأبناء شعبه أكبر من كل المخاوف والمشاكل والأخطار.

إلاّ أنه ومع الاسف فإنّ القدر لم يمهله، حيث اصيب بنوبة قلبية (في يوم الجمعة الاول من رجب الاصب عام ١٤٢٤هـ) بعد اجتماع مع رفاق الدرب لمناقشة قضايا العمل ورسم الأهداف المستقبلية، فتوقف ذلك القلب النابض بالحيوية والعطاء والعمل، ليرحل الشيخ الحسيني الى بارئه بمشيئة الله تعالى.

وقد خلّف سماحة الشيخ الراحل رحمة الله عليه مجموعة من الكتابات في المجالات المختلفة، ومن بينها (موسوعة الامام زين العابدين عليه السلام) التي نقدمها للقارئ الكريم. ورغم أن الموسوعة كانت لا تزال تفتقر للّمسات الاخيرة من المؤلف ولم تكن قد اكتملت بعد، إلا أنّ أبناءه الكرام حفظهم الله إرتأوا إخراجه الى النور لتعميم الفائدة، وليكون أجره وثوابه درجاتٍ رفيعة في جنان الخلد للمؤلف الراحل سماحة العلامة الشيخ محسن الحسيني بإذن الله تعالى.

الناشر

المقدمة

الامام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام هو الامام الرابع من أئمة أهل بيت النبوة وقد عاش أصعب فترة سياسية عرفتها الامة بصورة عامة واتباع أهل البيت بصفة خاصة وذلك للأسباب التالية:

١- ديكتاتورية الحكم الاموي

إن الحكم الإسلامي تحول إلى حكم وراثي عندما مارس ذلك معاوية بن ابي سفيان في تعيين إبنه يزيد خلفاً له. وبعد يزيد جاء معاوية بن يزيد ولكنه تنازل عن الحكم وتنحى عنه، فجاء مروان بن الحكم ومارس نفس سياسة معاوية بن أبي سفيان في الوراثة وجاء عبد الملك بن مروان للسلطة وبالطريقة نفسها، وهذه الممارسة صادرت رأي الأمة السياسي وأبعدت كل فرصة للمداولة والتصحيح لأي إنحراف صغيراً كان أو كبيراً متوسلة بالدكتاتورية المطلقة، وهكذا أصبح الحكم إستبداديا وتحولت الخلافة الالهية إلى ملك وراثي.

٢- القضاء على الامام عليه السلام

ان الحكام الذين جاؤوا كانوا لا يملكون أي واقع إسلامي، ولم يُعرف عنهم ذلك، ولكن على العكس قد عُرف عنهم من البطش والانحراف الخلقي بكافة أشكاله من خمر وغناء وإتباع رغبات حيوانية ما لايعرف عند غيرهم، وسادت اجواء الظلم من الاعتقال والقتل من دون اعتبار للشخص وانتمائه الديني أو العائلي، فقد اهينت شخصيات ورموز أمام أعين الملأ من دون ان يتحرك أي ضمير، منهم الامام زين العابدين عليه السلام هو وعائلته -بنو هاشم- كانوا مستهدفين من قبل الحكام الامويين خاصة الامام عليه السلام

حيث كان من ابرز رموز بني هاشم.

أما الاحداث السياسية التي كانت تعصف بالمنطقة فلم تكن بعيدة عنهم، وكان المطلوب منهم إما الرأي والموقف وإما المشاركة في الحدث.

٣- الدور العلوي في الأمة

لقد أدت أحداث المدينة المنورة إلى خلع يزيد بن معاوية والتي شارك بنو هاشم فيها، إضافة إلى رفض كل من عبد الله بن العباس ومحمد بن الحنفية والقبول بعبد الله بن الزبير. وفي العراق كانت ثورة المختار بن أبي عبيدة الثقفي تحت راية الخط العلوي، وحتى بعد ذلك ثورة أهل العراق بقيادة الاشعث التي مارس أصحاب الامام زين العابدين وبنو هاشم دوراً موثرا كبيرا فيها.

إن هذا الموج من الاحداث السياسية ما كادت تسمح للامام عليه السلام ان يخرج منها سالماً لولا فضل درايته السياسية وحنكته ومعرفته لبواطن الامور، وعندما نقول سالما ليس يعني أن الامام كان بعيداً عنها، فهو في وسط الاحداث ويتفاعل معها ولكن بطريقته الذكية، فمثلا في أحداث المدينة المنورة(الحَرة) آوى الامام عيال بني امية فلم يعمل ثوار المدينة للامام شيئاً، وعند انكسار الجيش الاموي وتغلب بن الزبير عن الحجاز حينئذٍ آوى وحمى الامام عيال بني أمية لمنع تعرض انصار ابن الزبير لهم.

كما ان الامام لم يكن جالسا في بيته دون أن يؤدي دوره ورسالته، بل على العكس من ذلك حيث كان الامام في خضم كل تلك الاحداث يتعاطى ويتعامل ضمن خطة واستراتيجية فائقتين بما في ذلك حضوره في الاوساط وتربية اصحابه حتى عُبِّر عنه عليه السلام بالمعلم الثاني لاتباع اهل البيت عليهم السلام [1].

وبعد ذلك اصبحوا امة لها امتدادها وفاعليتها، وهذا دليل على ان الامام كان يمارس دوره السياسي العملي على الرغم من صعوبة الاحداث.

ان خروج الامام سالماً من رياح السياسة وعواصفها المدمرة وخاصة تآمر الحجاج بن يوسف الثقفي عليه -كما سنبين- يدل على ان الامام عليه السلام كان يملك حنكة المناروة

(١) اعيان الشيعة، للسيد محسن العاملي، ج١، ص٦٢٩-٦٥٠ (سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام).

ووعي حضاري عميق فاق الآخرين.

والدور السياسي الذي أداه الامام عليه السلام كان دوراً مسدَّداً من قبل الله سبحانه وكان يتمتع بحنكة سياسية، حيث ترك بصماته واضحة على كل الاحداث من دون ان يمسه سوء، بالرغم من أن أصحاب القوى السياسية في المدينة المنورة كانوا يتربصون به الدوائر في كل حين.

ان فترة التعددية السياسية في الأمة بعد يزيد رفعت رايات في موسم الحج وفي عرفة ومنى بالذات تعبر عن اتجاهات سياسية وكانت هي:

١ - راية محمد بن الحنفية.

وهي راية لاتباع اهل البيت.

٢ - راية عبد الله بن الزبير.

وهي راية آل الزبير.

٣- راية آل مروان.

وهي تمثل خط بني امية.

٤ - راية نجدة بن عامر الحروي.

وهي تمثل خط الخوارج[1].

وكل راية كانت تعبر عن قوة سياسية، الاولى بقيادة محمد بن الحنفية وهي لأتباع اهل البيت عليهم السلام، ومحمد بن الحنفية بايع الامام زين العابدين عليه السلام وأقر بامامته-كما سنبين- وعليه فان حضور الامام كان واضحاً فيها من خلال راية عمه محمد بن الحنفية. والتحليل السياسي يذهب بنا الى القول انه كان تدبيراً من الامام عليه السلام في دفعه عمه إلى زعامة حركة المختار.

وعليه فان الامام كان له تدبير سياسي، لكن الوضع العام في تلك الفترة كان يتطلب ان لايكون الامام في واجهة الاحداث.

(١) تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، ج٢، ص٢٦٣، طبعة دار صادر - بيروت.

ان الامام زين العابدين عليه السلام أدى دور الامامة الالهية في الارض، وهو دور ليست كل معالمه واضحة للبشر حتى تخضع للبحث والتحليل ويتحدث عنها من لايعرف واقعيتها. لذلك نحن نسعى إلى محاولة لفهم وتمحيص الحركة الظاهرية للامام عليه السلام، وكل الذي بين ايدينا من حركة الامام تدل وبشكل واضح على انه ادى دوراً أكبر بكثير من الدور السياسي حيث انه عليه السلام أسس الثقافة الشيعية بكافة أبعادها الروحية والسياسية والفكرية والاجتماعية والعائلية.

فالصحيفة السجادية ورسالة الحقوق تدلان على المنهجية الواضحة لحركة الامام في بناء الامة.

وتاتي الصحيفة السجادية -زبور آل محمد صلى الله عليه وآله- بعد الحركة الثقافية التي قام بها الامام امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقد عُبّر عنه انه عليه السلام المؤسس الثاني للثقافة الشيعية[١].

وهذا بلاشك اكبر واهم بكثير من الحركة السياسية، لان هذه الحركة تشكل القاعدة التي يرتكز عليها العمل السياسي من تهيئة الارضية الصالحة، وإعداد العنصر الذي يمارس الدور السياسي، ولتبقى هذه الحالة مستمرة تخرّج الاجيال على مر الدهور، في الوقت الذي يتعرض العمل السياسي للفشل او النجاح. ويكون التساؤل عن دور الامام السياسي صحيحاً إن لم يؤدِّي احدٌ من مدرسة الامام هذا الدور، وقد خرّج الامام من مدرسته الرسالية جيلا قاد الحركة الثقافية والعلمية والفقهية للأُمة من أمثال سعيد ين جبير والقاسم بن محمد بن أبي بكر وأبي حمزة الثمالي و...

ولما لم يتصدَّ الامام عليه السلام الى الدور السياسي العلني، وتألق في الدور الثقافي العبادي وبنى صرح مدرسة روحية عظيمة في الامة، فقد عُرف عليه السلام وشاع خبره وأُخذ عنه هذا الجانب وغلبت سمعة هذا التحرك على غيره.

ولكن-كما بينا- لايعني انه عليه السلام كان بعيداً عن الساحة ولا رأي له في الاحداث السياسية.

---

(١) اعيان الشيعة، سيرة الامام زين العابدين، للسيد محسن امين العاملي، ج١، ص٦٢٩. و: موسوعة المصطفى والعترة، الحاج حسين الشاكري، ج١٠، ص٢٤٩.

وقد سعى الامام عليه السلام في ايجاد ارضية اجتماعية وقاعدة جماهيرية واسعة حيث كانت تثور لأجله الجماهير اذا ما تعرض لسوء.

وقد وسع الامام هذه القاعدة الجماهيرية على الرغم من كل عناصر الضغط الحكومي والانتماءات الاخرى التي كانت تمسك بزمام القدرة في وقتها من آل امية وآل الزبير و.. وهذا يدل على انه عليه السلام كان يعمل وفق تدبير الهي دقيق أوصله إلى هذه الحالة.

ومع كل ذلك فانه عليه السلام أصبح الرمز المتقدم في العبادة والزهد والتواضع والعلم وكافة المزايا النبيلة الاخرى حتى عُرِف بزين العابدين ولم يضاهِهِ احد في هذه المزايا، واعترف الجميع حكاماً وولاةً وعلماء وفقهاء انه افضلهم وأحسنهم والمتقدم عليهم في كافة الشؤون والمسائل.

وقد عبروا عن ذلك في مواقف عديدة سواءً عبد الملك بن مروان والزهري وابن المسيب ومسرف بن عقبة ويزيد بن معاوية. وهؤلاء اعداء الامام، والفضل ما شهدت به الأعداء.

ان حياة الامام عليه السلام على الرغم من ان الدارسين لها يكررون ذكر المفردات تلو المفردات الا انهم لم يتوقفوا عندها ويشبعوها بحثا او دراسه او يربطوا الاحداث بعضها ببعض ليعرفوا سبب هذا التحرك او علة عدم القيام بتحرك معين.

ولذلك يشير البعض الى جوانب معينة من حياة الامام عليه السلام دون ان يتعب نفسه قليلا في ان يقرأ ويستقرئ الاحداث وعلى ضوء ذلك يقف متحيراً امام سلوك الامام.. وخاصة الحالة السياسية والاجتماعية والدعاء.

ونقول إن طرح فكرة او ابداء رأي معين بحاجة الى استقراء كامل لمساحة حياة الامام عليه السلام وكذلك العوامل السياسية والاجتماعية المحيطة بالامام عليه السلام.

واعتقد ان حياة الامام زين العابدين عليه السلام او باقي الائمة بحاجة الى دراسة عميقة ومستفيضة من كافة الوجوه، وعلى ضوء ذلك نعرف انهم (عليهم الصلاة والسلام) كيف تمكنوا من شق طريقهم في الامة واثروا العطاء فبانوا في السماء والارض عظماء.

كما ان مفردات حياة الائمة عليهم السلام لم تصل الينا منها الا شذرات. ومعظمها مجهول

لدينا وهذا سبب الارباك في عملية ترتيب وتوضيح الرؤية.

وعلى سبيل المثال: ما هو موقف الامام زين العابدين عليه السلام من زواج اخته فاطمة بنت الامام الحسين من عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، هل كان قابلاً بهذه الزيجة ام رافضاً لها ام عنده ملاحظات عليها؟ أو موقفه من زواج سكينة عليها السلام، أو رده لتلك الاشارات التي وضعت في حياتها. ان هذا لم ينقله التاريخ.

وسبب هذا المجهول هو عملية تزوير وتشويه مفروضة من قبل حكام السوء الذين تسلطوا على رقاب الامة اثناء حياة الأئمة للمساحات السياسية والعلمية والاجتماعية.

ان الحكام مارسوا ادواراً خبيثة مزدوجة لانهم يملكون وسائل القوة المادية وبيدهم خيوط الدعاية والمال.

وهذه الوسائل مجتمعة قادره على قلب المعادله رأساً على عقب، ونظرة الى ما مارسه عثمان بن عفان مع أقربائه، الحكم بن العاص وابنه مروان بن الحكم وكيف جرت الامور حيث أن رسول الله صلى الله عليه وآله سماه الوزغ وأبعده من المدينة ورفض كل من ابي بكر وعمر بن الخطاب العفو عنه لأنه كان مخالفاً لأمر أصدره رسول الله فيعفو عثمان عنه وعن أمثاله ويجلبهم الى المدينة ويمكّنهم من رقاب الناس ويصبح مروان صاحب الامر والنهي في بيت عثمان بن عفان[1]. وبعد ذلك يصبح خليفة المسلمين.

او ما فعله معاوية بن أبي سفيان في عشرين سنة من الحكم، من ذلك:

١- شتم امير المؤمنين علي بن ابي طالب على مائة وعشرين الف منبر في طول البلاد الاسلامية وعرضها[2].

٢- وضع أحاديث كاذبة ضد امير المؤمنين عليه السلام حتى ان مفكراً اسلامياً مثل سيد قطب يكتب في تفسيره أنه آية ﴿**لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى**﴾ أنها نزلت في علي بن ابي طالب[3].

---

(١) راجع كتاب العدالة الاجتماعية في الاسلام، للسيد قطب.
(٢) راجع كتاب شرح النهج، لابن أبي الحديد، ج١١، ص٤٤.
(٣) في ظلال القرآن، ج٢، ص٦٦٥.

٣- تلميع صورة الآخرين أمثال عثمان بن عفان ومعاوية نفسه عبر احاديث كاذبة حتى ذهب البعض الى تفسير الآية الكريمة ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ بأنها نزلت بحق رسول الله ﷺ من أجل تبرأة عثمان بن عفان الذي أطبق المفسرون على أن الآية نزلت بحقه[١].

او ان معاوية بن أبي سفيان كان كاتب الوحي وهو لم يكتب آية واحدة من القرآن وإنما كان يكتب لرسول الله ﷺ الرسائل بل قسماً من الرسائل[٢].

وانه -اي معاوية- خال المؤمنين، في حين لم يكتبوا عن محمد بن أبي بكر انه خال المؤمنين وهو أخو عائشة بنت أبي بكر، وهي تأتي في الشهرة بعد خديجة بنت خويلد في أنها زوجة رسول الله ﷺ وقليل ما يتعرض المؤرخون الى ذكر أم حبيب بنت أبي سفيان أنها زوجة رسول الله ﷺ على الرغم من أنها لم تكن على وفاق مع أبيها[٣].

ونسوا أن معاوية بن أبي سفيان هو إبن آكلة الأكباد، وهو وأبوه قادة الاحزاب، وان الخلافة محرمة على آل امية، وان معاوية واسع البلعوم يأكل ما يجد ويطلب ما لا يجد[٤].

وهكذا سار بنو امية في نفس المنهج وبعدهم بنو العباس الذين أثاروا ضد الإمام الحسن عليه السلام شائعات (بأنه مزواج مطلاق) للنيل من الامام الحسن عليه السلام لان أحفاده محمد وابراهيم ثاروا ضد الحكام العباسيين، او انهم تحدثوا عن عبد الله بن الزبير وحركته وعبادته بإزاء حركة الامام الحسين عليه السلام وعبادة الامام زين العابدين عليه السلام في حين تتبع المؤرخون حياة أولئك المروجين للاشاعات فتحدثوا حتى عن غرف النوم وأسرّتها وما يجري فيها بين الزوج وزوجته. وذكر صاحب الاغاني الغريب من هذه الحوارات والقصص ومن غناء ورقص وتبعه آخرون في نفس المنهج ولكنهم لم يتتبعوا ذكر قصص واحاديث وحركة اهل البيت عليهم السلام السياسية والعلمية.

كما هي حال اليوم حيث وسائل الاعلام المرئية منها والصوتية والمقروءة منها

---

(١) المصدر.
(٢) راجع تأريخ علي ومناوؤه، لنوري جعفر.
(٣) راجع كتاب سيرة المصطفي، للسيد هاشم معروف الحسني.
(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد، ج٤، ص٥٤ و ص١٠٨.

والمسموعة لايخلو برنامجٌ منها من خبر هذه الغانية وتلك الراقصة وقصص حبها ومغامراتها العاطفية واخراج الافلام عن حياتهم، بينما لاتسمع ولاتقرأ عن حياة عالم وفقيه ومرجع الا عند التعرض لذكر وفاته أو مرضه.

فكتبة التاريخ هم من نفس وسط السلطة وعشاق الاضواء، لذلك فانهم لايسعون للكتابة الا من أجل هذه الاضواء المشتعلة بزيت اكباد الناس ومهجهم.

وبالتالي انه تاريخ بحاجة إلى الكثير من التمحيص والغربلة والتدقيق، أي تحري الدقة في ذكر الحقائق وعدم التسرع في ذكر الاخبار التي تحتمل الصدق والكذب.

من ذلك نعرف ان الجناية على أئمة اهل البيت كانت مؤامرة سياسية حالت دون وصول علوم ومفردات حياة الأئمة للناس.

والذي وصل إلينا هو الذي علينا أن ندرسه ونحلل مفرداته وهي محاولة للاقتراب من الصواب والله تعالى هو المسدد.

الفصل الاول

الولادة، الاسرة، الاولادة

* ولادة الامام عليه السلام
* بواعث روحية ولطف الهي
* وفاة السيدة شهربانو
* ولادة الامام والعودة الى الاصالة
* الوليد السعيد
* القاب الامام عليه السلام
* اسم الامام عليه السلام
* اولاد الامام عليه السلام
* وقفة تأمل
* بقية اولاد الإمام عليه السلام
* زيد بن علي والامامة
* زيد بن علي وحركته الرسالية
* حركة زيد في الامة
* اولاد زيد بن علي

ولادة الامام عليه السلام

دار نقاش واسع حول ولادة الامام زين العابدين عليه السلام وكذلك حول والدة الامام عليه السلام ومربيته التي كان يناديها الامام بـ(امي) وسنتعرض لأهم الافكار.

أولاً: والدة الامام زين العابدين عليه السلام

التوجه العام عند المؤرخين والمعروف في وسط الامة ان والدة الامام عليه السلام هي من فارس، بينما تتحدث أخبار اخرى عن غير ذلك، ولكن لم يعتمد عليها ولم يؤخذ بها. لقد تحدث الامام زين العابدين عليه السلام نفسه عن ذلك وقال: (أنا ابن الخيرتين)[1]. وهذا القول مستند على حديث شريف قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لله تعالى من عباده خيرتان، فخيرته من العرب قريش ومن العجم فارس[2].

وقد اشار ابو الاسود الدؤلي الى انتماء (شهربانو) الى فارس بقوله:

وان غـلامـاً بين كسرى وهاشم لأكـرم من نيطت عليه التمائم[3]

وهناك خلاف حاد حول اسمها، وقد اختلف الرواة حول ذلك واشهر ألقابها(شاه زنان) اي ملكة النساء[4].

ولم يتفق المؤرخون على تحديد تأريخ دخول السيدة والدة الامام زين العابدين عليه السلام الى المدينة المنورة وطريق اقترانها بالامام الحسين عليه السلام. ويرجع سبب هذا

(١) مناقب آل ابي طالب، ابن شهر آشوب، ج٣، ص٣٠٤.
(٢) وفيات الاعيان، ج٢، ص٤٢٩.
(٣) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٤.
(٤) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١-١١.

الاختلاف إلى مدة فتح فارس الذي امتد من خلافة عمر بن الخطاب الى خلافة الامام علي بن أبي طالب عليه السلام[١].

وفي عصر كل خليفة كانت تحصل فتوحات إضافية أو تصفية جيوب عاصية على الفتح.

وفي كل مرة كانت تحصل عملية أسر وجلب للنساء إلى عاصمة الدولة الاسلامية ويجري حديث حولهن ومنهجية ذهابهن إلى محل استقرارهن في بيوت المسلمين.

وبلاد فارس واسعة وليس فيها مركزية وانما هي تضم مجموعة من الولايات وفيها الكثير من الأمراء، وكل ما تمّ أسر أمراء مع عوائلهم يطلق على الأسيرات اسم الاميرات اللواتي يجب أن يُتعامل معهن باحترام وكرامة.

وقد ذكر المؤرخون حادثةً أَسَرَ فيها المسلمون مجموعة من الاميرات وهن في الطريق إلى حفل.

يذكر الطبري في تاريخه ان المسلمين اسرجوا في جوف الليل يريدون الغارة على الحيرة واميرهم بكير بن عبد الله الليثي وكان فيهم الشاعر الشماخ القيس في ثلاثين معروفين بالنجدة والبأس فساروا حتى جازوا السيلحين وقطعوا جسرها يريدون الحيرة فسمعوا جلبة وأزفلة فأحجموا عن الاقدام واقاموا كميناً حتى يتبينوا فما زالوا كذلك حتى جازوا بهم فاذا خيول تقدم تلك الغوغاء فتركوها فنفذت الطريق. واذا اخت مرد بن آزابه مرزبان الحيرة تُزف إلى صاحب الصفين وكان من اشراف العجم، فسار معها من يبلغها مخافة ما هو دون الذي لقوا، فلما انقطعت الخيل عن الزواف المسلمون كمين في النخل وجازت بهم الاثقال، حمل بكير على شيرزاد بن آزادبه وأخذوا الأثقال وإبنة آزاد به في ثلاثين امرأة من الدهاقين ومائة من التوابع[٢].

فيقال لهن مجازاً بنات كسرى لأنهن من نفس القومية ومن الطبقات العليا للمجتمع الفارسي.

---

(١) الامام زين العابدين عليه السلام، للشيخ القرشي.
(٢) تاريخ الطبري، ج ٣، ص١٣.

ونقرأ في التاريخ روايات مختلفة حول وقوع أسر بنات كسرى وزواجهن:

الرواية الأولى: أنه كان في عهد عمر بن الخطاب.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما قدمت ابنة يزدجرد ابن شهريار آخر ملوك الفرس وخاتمهم على عمر، وأدخلت المدينة استشرفت لها عذاري المدينة، واشرق المجلس لضوء وجهها، ورأت عمر فقالت: آه بيروز باد هرمز. فغضب عمر وقال: شتمتني هذه العلجة. وهمَّ بها، فقال له علي عليه السلام: ليس لك إنكار على ما لاتعلمه، فأمر ان يُنادى عليها، فقال امير المؤمنين عليه السلام: لا يجوز بيع بنات الملوك وإن كن كافرات، ولكن اعرض عليها ان تختار رجلاً من المسلمين حتى تتزوج منه وتحسب صداقها من عطائه من بيت المال يقوم مقام الثمن.

فقال عمر: أفعل، وعرض عليها ان تختار فجاءت فوضعت يدها على منكب الامام الحسين عليه السلام فقال الامام علي عليه السلام: (جه نام داري اي كنيزك) يعني ما اسمك ياصبية؟ قالت: (جهان شاه) فقال: بل شهربانويه قالت تلك اختي قال: (راست كفتي) اي صدقتِ[1].

نجد في الرواية ما يلي:

أولاً: أن المتحدثة واحدة والمعروف انهن لم يكنَّ أقل من اثنتين.

ثانياً: أن عمر إستشاط غضبا عليها ظناً منه أنها شتمته. وهمَّ بها (اي: اراد أن يضربها) وكان عليه أن يسأل: ماذا قالت. وليس له أن يقوم وامام جميع الصحابة بالاعتداء على اسيرة.

ثالثاً: أن جواب الامام امير المؤمنين عليه السلام لعمر ليس له علاقة بفعل عمر بن الخطاب لان عمر اراد أن يضربها فالمفروض ان الامام يمنعه من الضرب لا ان يطلب من عمر بن الخطاب أن يخيِّرها في من تريد من الرجال زوجاً لها.

وعليه فإن متن الرواية فيه تأمل.

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٠.

رابعاً: ويضاف اليه أن عُمْر الامام زين العابدين عليه السلام في كربلاء كان ثلاثة وعشرين عاماً وهو لايناسب أن تكون الزيجة بين الامام الحسين عليه السلام والسيدة والدته في زمن عمر بن الخطاب، إلاّ اللهم ان نقول ان الزيجة قد حصلت في زمن عمر بن الخطاب ولكنها لم تحمل من الامام الحسين عليه السلام، الا بعد عشرين عاما وهذا بعيد.

خامساً: ان يزدجرد نفسه قُتِل في عام ثلاثين للهجرة بعد سلسلة من المعارك انهزم فيها الجيش الفارسي امام الجيش الاسلامي ولم يُهزم يزدجزد في المعركة الاولى حتى تأسر عائلته، والعام ثلاثون للهجرة يوافق السنة السادسة من خلافة عثمان.

وهذا يعني ان عائلة يزدجرد لم يصبها أسر في خلافة عمر بن الخطاب.

الرواية الثانية: ان الأسر والزواج كانا في زمن عثمان بن عفان.

عن سهل بن القاسم النوشجاني، قال لي الرضا عليه السلام بخراسان: إن بيننا وبينكم نسب، قلت: وما هو ايها الامير؟ قال: إن عبد الله بن عامر بن كزبر لما افتتح خراسان اصاب ابنتين ليزدجرد بن شهريار ملك الاعاجم، فبعث بهما الى عثمان بن عفان فوهب إحداهما للحسن عليه السلام والاخرى للحسين عليه السلام، فما تتا عندهما نُفساوَيْن[١].

وما يؤخذ على الرواية السابقة تضاف اليه مآخذ اخرى وهي:

أولاً: لم يذكر المؤرخون أن الامام الحسن عليه السلام له نسل بقي او توفي من ام فارسية كما لم يذكر ان له زوجة من بنات يزدجرد[٢].

ثانياً: ان روابط القربى والمودة بين بني امية وبني هاشم لم تكن على ما يرام، بل العكس حيث سيطر مروان على مقاليد الامور في زمن عثمان بن عفان وهو المعروف بحقده على آل الرسالة، بل ان العلاقات تأزمت وتطورت الامور الى ما هو اسوأ بسبب عدة احداث جرت ادت الى مواقف صعبة اوجدت سوراً بينهما، خصوصاً انه قرّب بني امية وتعامل مع الصحابة بشدة ابتداء من قضية عبد الله بن مسعود الذي كسرت

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٨.

(٢) راجع: بحار الأنوار، ج٤٤ (حياة الامام الحسن عليه السلام)، ص١٦٣-١٧٣. منتهى الامال ج٢. حياة الامام الحسن، للقرشي.

اضلاعه، وضرب عمار بن ياسر حتى غشي عليه وأصابه الفتق، وشرد وطُرد ابوذر الغفاري، وكل هؤلاء من خُلّص اصحاب الامام علي بن أبي طالب عليه السلام. بالإضافة الى موقف الامام علي عليه السلام من الوليد بن عقبة أخي عثمان بن عفان من امه الذي جلده الامام بعد اثبات الشهود عليه وحاول عثمان بن عفان دفع ذلك واسقاط الحد عنه[1].

عن أبي الضحى قال: كان ناس من اهل الكوفة يتطلبون عثرة الوليد بن عقبة، منهم ابو زينب الازدي، وابو مورع، فجاء يوماً ولم يحضر الوليد الصلاة فسألا عنه فتلطفا حتى علما أنه يشرب، فاقتحما الدار فوجداه يقيء، فاحتملاه وهو سكران حتى وضعاه على سريره واخذا خاتمه من يده فأفاق فافتقد خاتمه، فسأل عنه أهله فقالوا: لاندري وقد رأينا رجلين دخلا عليك فاحتملاك فوضعاك على سريرك. فقال: صفوهما لي. فقالوا: احدهما آدم (أي: أسمر) طويل، حسن الوجه، والاخر عريض مربوع عليه خميصة. فقال: هذا ابو زينب وهذا ابو مورع، قال: ولقى ابو زينب وصاحبه عبد الله بن حبش الاسدي وعلقمة بن يزيد البكري وغيرهما فأخبروهم فقالوا: اشخصوا الى امير المؤمنين فأعلموه. وقال بعضهم: انه لا يقبل قولكم في اخيه. فشخصوا اليه فقالوا: انا جئناك في امر ونحن مخرجوه اليك من اعناقنا، وقد قيل انك لاتقبله، قال: وما هو؟ قالوا: رأينا الوليد وهو سكران من خمر شربها وهذا خاتمه اخذناه من يده وهو لايعقل. فأرسل عثمان الى علي عليه السلام فأخبره فقال: ارى ان تشخصه فإذا شهدوا عليه بمحضر منه تمت عليه الحجة، فكتب عثمان إلى الوليد فقدم عليه فشهد عليه ابو زينب وابو مورع وجندب الازدي وسعدبن مالك الاشعري، فقال عثمان لعلي عليه السلام: قم يا ابا الحسن فأجلده. فقال علي عليه السلام للحسن ابنه: قم فاضربه، فقال الحسن: مالك ولهذا يكفيك غيرك. فقال علي عليه السلام لعبد الله بن جعفر قم فاضربه. فضربه بمخصرة فيها سير له رأسان فلما بلغ اربعين قال: حسبك[2].

ولم يُعرف عن عثمان بن عفان زهده بالنساء الجميلات وهو الذي ارسل على (نائلة بنت الفرافصة) وهي نصرانية واسلمت وأُرسِلت اليه من الشام لا لشيء سوى أنها جميلة. والرواية كما نقلها صاحب الاغاني:

(١) نهج البلاغة، لابن ابي الحديد، ج٤، ص١٩٤.
(٢) شرح نهج البلاغة، إبن أبي الحديد، ج١٧، ص٢٣١.

عن خالد بن سعد عن ابيه قال: تزوج سعيد بن العاص وهو على الكوفة هند بنت الفرافصة، ابن الاحوص بن عمر بن ثعلبة فبلغ ذلك عثمان فكتب اليه: اما بعد فانه قد بلغني انك تزوجت امرأة من كلب فاكتب الي بنسبها وجمالها. فكتب اليه: اما بعد فان نسبها أنها بنت الفرافصة بن الاحوص وجمالها أنها بيضاء مريدة. فكتب اليه: إن كانت لها اخت فزوجنيها. فبعث سعيد إلى الفرافصه يخطب احدى بناته على عثمان فأمر الفرافصة ابنته ضبا فزوجها اياه وكانت ضب مسلمة وكان الفرافصة نصرانياً فلما ارادوا حملها اليه قال لها ابوها: يا بنية انك تقدمين على نساء من نساء قريش هنّ اقدر على الطيب منك فاحفظي عني خصلتين تكحلي وتطيبي بالماء حتى يكون ريحك ريح شن اصابه مطر فلما حملت كرهت الغربة وحزنت لفراق اهلها. فلما قدمت على عثمان قعد على سريره ووضع لها سريرا حياله فجلست عليه فوضع عثمان مبدأ الصلع فقال يا بنت الفرافصة لا يهلونك ماترين من صلعي فإن وراءه ما تحبين، فسكتت فقال: إما أن تقومي الي واما ان اقوم اليك: فقالت: اما ما ذكرت من الصلع فإني من نساء أحب بعولتهن من السادة الصلع، واما قولك إما أن تقومي الي وإما أن اقوم اليك فوالله ما تجشمت من جنبات السماوة ابعد مما بيني وبينك بل اقوم اليك. فقامت فجلست الى جنبه فمسح رأسها ودعا لها بالبركة فقال لها: اطرحي عنك رداءَكِ، فطرحته ثم قال لها: اطرحي عنك خمارك فطرحته، ثم قال لها: انزعي درعك فنزعته، ثم قال: حلي ازرارك، فقالت: ذاك اليك، فحلّ ازرارها فكانت من أحظى نسائه عنده(١).

وعلى فرض أن عثمان اراد تزويج الأختين للحسن والحسين عليهما السلام فهل يُسمح لعثمان بن عفان بذلك، والامور هي بيد مروان بن الحكم الحاقد على آل الرسالة؟

ومن ثم لو حدث ذلك فهل يغيب عن مروان بن الحكم هذا الفضل على بني هاشم وبالذات الامام الحسن عليه السلام عندما خطب مروان بن الحكم بنت عبد الله بن جعفر الطيار ليزيد بن معاوية قبل توليه السلطة ورفض الامام الحسين عليه السلام ذلك.

عن مناقب ابن شهر آشوب، عن عبد الملك بن عمير والحكم والعباس، قالوا: خطب الحسن عليه السلام عائشه بنت عثمان فقال مروان: ازوجها عبد الله بن الزبير. فلما

---

(١) الاغاني، أبو الفرج الاصفهاني، ج١٥، ص٧٠.

قُبِض الحسن عليه السلام ومضت ايام وفاته كتب معاويه الى مروان وهو عامله على الحجاز يأمره إن يخطب ام كلثوم بنت عبد الله بن جعفر، فأخبره بذلك فقال عبد الله: ان امرها ليس الي انما هو الى سيدنا الحسين عليه السلام وهو خالها، فأخبر الحسين بذلك فقال: استخير، الله تعالى، اللهم وفق لهذه الجارية رضاك من آل محمد، فلما اجتمع الناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله اقبل مروان حتى جلس إلى الحسين عليه السلام وعنده من الجلة وقال: ان امير المؤمنين امرني ان اخطب ام كلثوم بنت عبد الله بن جعفر لابنه يزيد، وان اجعل مهرها حكم ابيها بالغاً ما بلغ، مع صلاح ما بين هذين الحيين مع قضاء دَيْن ابيها، واعلم ان من يغبطكم بيزيد اكثر ممن يغبطه بكم، والعجب كيف يستمهر يزيد وهو كفو مَنْ لا كفو له، وبوجهه يُستسقى الغمام فرد خيراً يا ابا عبد الله.

فقال الحسين عليه السلام:

الحمد لله الذي اختارنا لنفسه وارتضانا لدينه واصطفانا على خلقه، ثم قال: يا مروان قد قلت فسمعنا، اما قولك مهرها حكم ابيها بالغاً ما بلغ، لو أردنا ذلك ما عدونا سنة رسول الله صلى الله عليه وآله في بناته ونسائه واهل بيته، وهو اثنتا عشرة اوقية يكون اربعمائة وثمانين درهما.

واما قولك: مع قضاء دين ابيها، فمتى كانت نساؤنا يقين عنا ديوننا، واما صلح ما بين هذين الحيين، فإنا قوم عاديناكم في الله فلن نكن نصالحكم في الدنيا فلعمري لقد اعيا النسب فكيف بالسبب.

واما قولك: العجب ليزيد كيف يستمهر، فقد استمهر من هو خير من يزيد ومن أبي يزيد ومن جد يزيد.

واما قولك: ان يزيد كفو من لا كفو له، فمن كان كفؤه اليوم ما زادته امارته في الكفاءة.

واما قولك: من يغبطنا به اكثر ممن يغبطه بنا فانما يغبطنا به اهل الجهل، ويغبطه بنا اهل العقل، ثم قال: فاشهدوا أني قد زوجت ام كلثوم بنت عبد الله بن جعفر من ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر على اربعمائة وثمانين درهماً وقد نحلتها ضيعتي بالمدينة او قال ارضي بالعقيق، وإن غلتها في السنة ثمانية الاف ففيها غنى ان شاء الله.

قال فتغير وجه مروان وقال: عذراً يا بني هاشم تأبون الا العداوة، فذكره الحسين عليه السلام خطبة أخيه الحسن عائشه وفعله ثم قال عليه السلام: فأين موضع العذر يا مروان[1].

فمن المؤكد كان مروان يتحدث عن ذلك ويتطرق إلى ذكرها باعتباره صاحب فضل في قضية زواج شهربانو مع الامام الحسين عليه السلام.

لذلك ان الرواية لايمكن الاعتماد عليها.

الرواية الثالثة: ان الزيجة بين الامام الحسين عليه السلام والسيدة (شهربانو) كانت في زمن الامام امير المؤمنين عليه السلام حيث كان (حريث بن جابر) واليه على جانب من المشرق فأرسل اليه بإبنتي يزدجرد فأعطى امير المؤمنين عليه السلام واحدة الى الامام الحسين عليه السلام والاخرى الى محمد بن أبي بكر، فكان الامام زين العابدين عليه السلام منها وكان قاسم بن محمد بن بكر من اختها.

وهذا التوزيع من الامام يتناسب مع الذوق الاجتماعي لان محمد بن أبي بكر هو ربيب الامام علي، فوالدته (اسماء بنت عميس) التي تزوجها الامام عليه السلام بعد أبي بكر.

كما ان سن الامام زين العابدين عليه السلام يتناسب مع وقت هذه الزيجة حيث ان ولادته كانت في العام الثامن والثلاثين للهجرة.

وقد عرف عن الامام زين العابدين عليه السلام والقاسم بن محمد بن أبي بكر انهما ابنا خالة.

ونقل حوار بين السيدة والدة الامام زين العابدين والامام امير المؤمنين عليه السلام يدل على ان الزواج كان في خلافة الامام امير المؤمنين عليه السلام حين سأل امير المؤمنين عليه السلام شاه زنان بنت كسرى حين جيء بها قال لها: (اختاري من شئتِ من المسلمين).

فأجابته: اريد رأساً لارأس عليه. والظاهر أنها قصدت الامام علي عليه السلام اي أني اريدك.

---

(١) اعلام النساء المؤمنات، محمد الحسون ص١٧٩. بحار الأنوار،ج٤٤، ص٢٠٧، عن: مناقب ان شهر آشوب، ج٤، ص٣٨-٤١.

فأجابها الامام علي عليه السلام: «إن علياً شيخ كبير»[١].

ويدل الحوار على ان مجيئها وزواجها كان في عصر الامام امير المؤمنين عليه السلام.

وكذلك نقل حوار بين الامام امير المؤمنين عليه السلام و(شهربانو) حول ابيها فقال الامام لها: ما حفظت عن ابيك بعد وقعة الفيل؟ قالت: حفظت عنه انه كان يقول: اذا غلب الله امرا ذلت المطامع دونه، واذا انقضت المدة كان الحتف في الحيلة.

فقال عليه السلام: ما احسن ما قال ابوك، تذل الامور للمقادير حتى يكون الحتف في التدبير[٢].

بواعث روحية ولطف الهي

ومن يدقق النظر في حادثة زواج السيدة (شهربانو) من الامام الحسين عليه السلام -كما تروي هي- يلاحظ ان الزواج لم يخل من الطاف الهية كانت تدفع باتجاه هذا الزواج. وقد اختارت الحسين عليه السلام لأنها رأت فاطمة عليها السلام في الرؤيا واسلمت قبل ان يأخذها عسكر المسلمين، ولها قصة ترويها كالتالي:

رأيت في النوم قبل ورود عسكر المسلمين كأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل دارنا وقعد مع الحسين عليه السلام وخطبني له وزوجني منه، فلما اصبحت كان ذلك يؤثر في قلبي وما كان لي خاطر غير هذا، فلما كان في الليلة الثانية رأيت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد اتتني وعرضت عليّ الإسلام فأسلمت ثم قالت: ان الغلبة تكون للمسلمين، وبأنك تصلين عن قرب الى ابني الحسين عليه السلام سالمة لايصيبك بسوء احد قالت: وكان من الحال أني خرجت الى المدينة ما مسّ يدي انسان[٣].

ولذلك صدرت كلمات من الامام امير المؤمنين عليه السلام الى الامام الحسين عليه السلام بشأن السيدة (شهربانو) يوصيه بها خيراً، ليس باعتبار أنها زوجته او أنها تشملها قاعدة (ارحموا عزيز قوم ذل) بل لأنها وعاء الامامة وام الاوصياء الاطهار عليهم السلام.

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٢، و: حياة الامام زين العابدين عليه السلام، للقرشي، ص٢٣.
(٢) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١١.
(٣) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١١.

فقد قال: احتفظ بها واحسن اليها، فستلد لك خير اهل الارض في زمانه بعدك، وهي أم الاوصياء الذرية الطيبة. فولدت علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام[١].

· إنّ المرأة التي تجمع هكذا انتماء عائلي لائقة لان تكون زوجة للامام الحسين عليه السلام وتعيش اجواء الرسالة ومحيط الامامة وقد جمعت اخلاق الزعامة وروحية الرسالة في الفضل وسمو العقل ووفرة الخير.

وفاة السيدة شهربانو

وقد أجمع المؤرخون انها توفيت على فراش النفاس[٢] حيث أصابتها حمى النفاس وفشلت كل الجهود لعلاجها فلبت نداء ربها.

وقد رأيت بناءً على أحد الجبال بالقرب من مدينة (ري) حيث مرقد حضرة السيد عبد العظيم الحسني، وقد وضع شباك على حائط الجبل والناس ترتاده، يعتقدون ان السيدة شهربانو بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام جاءت إلى هنا واختفت في هذا المكان، وهذا لاصحة له لأنها توفيت عند النفاس كما أسلفنا.

ولادة الامام والعودة الى الأصالة

ثارت في وجه الإمام زين العابدين عليه السلام موجة من الشك في الانجاب من الموالي او ما يُصطلح عليه بأمهات الاولاد من قبل المجتمع القرشي لاعتقادهم عدم لياقة ذلك، خاصة من قبل رموز قريش وأسيادهم وبالذات بني هاشم، لذلك فإنهم يتوقفون حول الاشخاص الذين امهاتهم امهات اولاد، ويعيبون عليهم وينتقصونهم في ذاتهم وفي نسبهم. وسنتحدث عن ذلك في فصل الامام والعبيد، وعنصرية بني امية. وبكلمة اخرى إن الامام زين العابدين عليه السلام غيّر المعادلة وأرجع الناس إلى فطرتهم الاسلامية في عدم التمييز بين الناس والتعامل بمكيالين وترتيب اثر سلبي على هذا لأن امه غير عربية، وفلان مقدَّم لان أمه عربية. وقد انتجت عملية التغيير في التعامل مع العبيد في تلك الفترة الزمنية تغييراً إجتماعياً حتى نشأ في المدينة جيلٌ جديد، حيث ينقل الطبري:

---

(١) المصدر.

(٢) راجع: بحار الأنوار، ج٤٦، ص٨، الحديث ١٩.

«كان اهل المدينة يكرهون اتخاذ امهات الاولاد حتى نشأ فيهم علي بن الحسين عليه السلام والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله، ففاقوا اهل المدينة فقهاً وورعاً فرغب الناس في السراري»[١].

الوليد السعيد

وينقل عن عزيز سيد الأهل عن ولادة الامام زين العابدين عليه السلام قوله:

«انه كان ولدا حنيفاً صغيراً»[٢].

وقد عرف عن الإمام زين العابدين عليه السلام انه كان نحيف الجسم رقيقاً يميل الى القصر اسمر وكان كلما تقدم به السن ازداد ضعفاً وذبولاً وذلك لكثرة عبادته[٣].

والناظر الى جسمه عليه السلام كان يرى في وجهه ميزة ايمانية هي بهاء الوجه ونور الايمان وآثار السجود (الثفنات) وفي طلعته سبحات ايمانية.

وتوجهه الروحي منحه القاباً عُرِف بها في وسط الامة وظلت ملازمة له حتى غدت إسماً له وهي:

ألقاب الامام

١- السجاد

لُقِّب الامام زين العابدين عليه السلام بالسجاد لكثرة سجوده لله سبحانه في كل منعطفات حياته، وقد عبّر ولده الامام الباقر عليه السلام عن هذا اللقب وسببه قال:

ان أبي علي بن الحسين ما ذكر نعمة الله عزّ وجل عليه إلاّ سجد، ولا قرأ آية من كتاب الله عزّ وجل فيها سجود إلاّ سجد، ولادفع الله عزّ وجل عنه سوءاً يخشاه او كيد كائد الا سجد، ولا فرغ من صلاة مفروضة الا سجد، ولا وُفِّقَ لإصلاحٍ بين اثنين إلاّ

(١) وفيات الاعيان، ج ٣، ص٢٦٨.

(٢) حياة الامام زين العابدين عليه السلام، باقر القرشي، ص٤٣.

(٣) المصدر.

سجد، وكان اثر السجود في جميع مواضع سجوده. فسمي السجاد لذلك[١].

وقد نقل المؤرخون عن الامام زين العابدين عليه السلام نماذج من هذه السمة، فقد سجد طويلا لله تعالى حتى كانت له ثفنات ولُقِّب بها. وسنتحدث عنها في فصل عبادة الامام.

٢- ذو الثفنات

وبرزت هذه السيماء عند الامام عليه السلام جداً حتى ميَّزته عن غيره وكانت واضحة في وجهه، وكان عليه السلام يأخذ منها في كل سنة مرتين لكثافتها، وأنها كانت تشبه ثفنات البعير وقد عبّر الامام الباقر عليه السلام عن ذلك بقوله:

«كان لأبي في موضع سجوده آثار ناتئة، وكان يقطعها في السنة مرتين، وفي كل مرة خمس ثفنات فسمي ذا الثفنات لذلك»[٢].

وفي الرواية: «أنه جمع الثفنات في كيس واوصى أن تدفن معه»[٣].

٣- ابن الخيرتين

وهذا لقب يشير الى نسب الامام حيث انه عليه السلام ينتمي من جهة الاب إلى قريش ومن جهة الام الى فارس، وخير البيوت في قريش بني هاشم وخير البيوت في فارس هي كسرى حيث موضع الزعامة في كلا القوميتين.

وكلمة (الخيرتان) وردت في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: لله تعالى من عباده خيرتان، فخيرته من العرب هاشم ومن العجم فارس[٤].

فكان عليه السلام يقول: «انا ابن الخيرتين».

والظاهر ان الامام عليه السلام كان يتحدث عن هذا في اجواء توجيه السلبيات اليه من المفتخرين

---

(١) عيون اخبار الرضا، ج٣، ص٥٦. بحار الأنوار، ج٤٦، ص٦، الحديث ١٠. علل الشرائع، ص٨٨.

(٢) علل الشرائع، ص٨٨. بحار الأنوار، ج٤٦، ص٦، الحديث ١٢.

(٣) الامام زين العابدين عليه السلام، باقر القرشي، ص٤٠.

(٤) وفيات الاعيان، ج٢، ص٤٢٩.

بانتمائهم القومي واعتزازهم بآبائهم، وهذا الجو كان سائدا في العصر الاموي، وقد عيب على الامام عليه السلام لزواجه من الاماء. وسنبحث هذا في فصل الامام والعبيد، في الجزء الثاني.

وفي هذه الاجواء كان يرد الامام عليه السلام عليهم أنه مع الذي يرمونه به من التعامل والزواج من العبيد فانه في النسب ابن الخيرتين.

والا فان الامام عليه السلام كان بعيداً عن أجواء التفاخر بالقوميات وهو الذي ردّ على عبد الملك بن مروان حول ذلك واستدل بالقرآن وسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله عندما كتب اليه عبد الملك يعاتبه على زواجه من الإماء.

وهذا اي التفاخر بالنسب كان محل اثارة في المجتمع القرشي يثيره بنو امية وقد تحدث عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: أنا أفصح من نطق بالضاد، بيد أني من قريش[1].

وكذلك تحدث عنها امير المؤمنين عليه السلام، وسنتعرض لها في فصل الحركة الثقافية في عصر الامام عليه السلام.

٤- زين العابدين

لُقب الامام بهذا اللقب لما عُرِف عنه من العبادة من صوم وصلاة ودعاء، ولم ينل غيره هذا اللقب، وقد اختلف المؤرخون في من اطلق هذا اللقب على الامام عليه السلام.

ألف: هناك من يقول: ان رسول الله صلى الله عليه وآله نعته بهذا اللقب، ونقله الرواة اليه والى اصحابه فافتخر الامام بهذا واعتز به وتعامل الناس معه بهذا اللقب.

عن عمران بن سليم قال: كان الزهري اذا حدَّث عن علي بن الحسين عليه السلام قال: حدثني زين العابدين عليه السلام علي بن الحسين، فقال له سفيان بن عيينة:

لِمَ تقول له زين العابدين عليه السلام؟ قال: لأني سمعت سعيد بن المسيّب يحدّث عن إبن عباس أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: اذا كان يوم القيامة ينادي مناد اين زين العابدين عليه السلام؟ فكأني انظر الى ولدي علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يخطر بين الصفوف[2].

---

(١) نور البراهين، السيد نعمة الله الجزائري، ج١، ص١٢٠.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٦ ص٢، الحديث ١، علل الشرائع، ص٨٧.

وقيل: كان سبب لقبه بزين العابدين أنه كان ليلة في محرابه قائماً في تهجده فتمثل له الشيطان في صورة ثعبان ليشغله عن عبادته، فلم يلتفت اليه، فجاء الى ابهام رجله فالتقمها، فلم يلتفت اليه فآلمه فلم يقطع صلاته، فلما فرغ منها وقد كشف الله له فعلم انه شيطان فسبه ولطمه وقال: إخسأ يا ملعون، فذهب وقام الى اتمام ورده، فسمع صوتاً ولا يرى قائله وهو يقول: انت زين العابدين ثلاثاً فظهرت هذه الكلمة واشتهرت لقباً له عليه السلام [1].

باء: قال ابو عمر الزاهد في كتاب اليواقيت في اللغة: قالت الشيعة إنما سُـمّي علي بن الحسين سيد العابدين لان الزهري رأى في منامه كأن يده مخضوبة غمسة، قال: فعبّرها، فقيل: إنك تُبتلى بدم خطأ، قال: وكان عاملا لبني امية فعاقب رجلا فمات في العقوبة، فخرج هاربا وتوحش ودخل إلى غار وطال شعره. قال: وحج علي بن الحسين عليه السلام، فقيل: له هل لك في الزهري؟

قال: ان لي فيه - قال ابو العباس: هكذا كان كلام العرب ان لي فيه لايقال غيره- قال فدخل عليه فقال له: إني اخاف عليك من قنوطك ما لا اخاف عليك من ذنبك فابعث بديةٍ مُسلَّمه الى اهله، واخرج الى اهلك ومعالم دينك. قال فقال: فرجتَ عني يا سيدي والله عزّ وجل وتبارك وتعالى اعلم حيث يجعل رسالته، وكان الزهري بعد ذلك يقول:

ينادي مناد في القيامة ليقم سيد العابدين في زمانه. فيقوم علي بن الحسين عليه السلام [2].

وزين العابدين وسيد العابدين يشيران الى معنى واحد.

والذي يظهر من هذه المنابع في التسمية بهما تلتقي مع اختيار رسول الله للاسم الذي يتطابق مع واقع سيرة الامام زين العابدين عليه السلام وسلوكه اليومي في العبادة.

فالرواية الاولى تتحدث عن تنبؤ رسول الله صلى الله عليه وآله بهذا السلوك فمنحه هذا الاسم، والحوادث التي وقعت في زمانه عليه السلام هي مصداق تنبؤ رسول الله صلى الله عليه وآله وتأكيد لسلوكه العبادي.

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٥، الحديث ٦، و: كشف الغمة، ج٢، ص٢٦٠.

(٢) كشف الغمة في معرفة الائمة، ج٢، ص٢٦٠. بحار الأنوار، ج٤٦، ص٧، الحديث ١٧.

٥- البَكّاء

وقد عرف عليه السلام بهذا اللقب لكثرة بكائه. وقد كان يبكي بدافعين:

ألف: الخوف من الله سبحانه وتعالى، وقد عرف عنه عليه السلام كثرة بكائه في السجود، وهناك مفردات واحداث سنتطرق اليها في الحديث عن عبادته عليه السلام.

باء: بكاؤه على ابيه واهل بيته عليهم السلام وقد نُقل عن هذا البكاء كثيراً حتى كان البعض يتحدث معه حول ذلك ولكنه عليه السلام كان يبين عمق مأساة الامام الحسين عليه السلام واهل بيته. وسنتحدث عن ذلك في الحديث عن الامام وثورة ابيه.

والدافعان يلتقيان في واقع واحد وهو الله سبحانه.

فالاول هو عبادة الله والتضرع اليه والثاني هو الحزن على اولياء الله تعالى، وقد عُدّ الامام عليه السلام من البكّائين الذين عُرفوا في التاريخ الديني: آدم ونوح ويعقوب وفاطمة الزهراء وعلي بن الحسين عليه السلام.

عن ابن معروف، عن محمد بن سهيل البحراني، رفعه الى أبي عبد الله عليه السلام قال:

البكاؤون خمسة: آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمد، وعلي بن الحسين عليه السلام. فأما آدم: فبكى على الجنة حتى صار في خديه أمثال الاودية.

واما يعقوب: فبكى على يوسف حتى ذهب بصره، وحتى قيل له: ﴿**تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنْ الْهَالِكِينَ**﴾[1] واما يوسف: فبكى على يعقوب حتى تأذّى به اهل السجن فقالوا: إما أن تبكي بالنهار وتسكت بالليل، واما ان تبكي بالليل وتسكت بالنهار، فصالحهم على واحد منهما.

واما فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله: فبكت على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى تأذّى بها اهل المدينة، وقالوا لها: قد آذيتنا بكثرة بكائك، فكانت تخرج الى مقابر الشهداء فتبكي حتى تنفس عن حزنها ثم تنصرف.

واما علي بن الحسين عليه السلام: فبكى على الحسين عشرين سنة، او أربعين سنة، وما

---

(١) يوسف، ٨٥.

وُضع بين يديه طعام إلاّ بكى، حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله إني أخاف عليك ان تكون من الهالكين، ﴿**قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[١] إني لم اذكر مصرع بني فاطمة إلّا خنقتني لذلك عَبرة[٢].

اسم الامام

لا يختلف اثنان في أن الاسم الامام عليه السلام هو علي، وان هذا الاسم سماه به رسول الله صلى الله عليه وآله قبل ان يولد، والروايات التي تحدثت عن لقبه بزين العابدين عليه السلام تصدرها إسم الامام عليه السلام بلفظ علي، وقد دار نقاش عند المؤرخين حول الامام عليه السلام هل هو الاكبر سناً من بين أولاد الحسين عليه السلام أم الذي استشهد في كربلاء مع ابيه عليه السلام، لأن الذي استشهد في كربلاء عُرِف بـ(علي الاكبر) وعليه فيكون الامام زين العابدين عليه السلام هو (علي الاصغر)[٣].

والذي أرى ان الامام زين العابدين عليه السلام هو الولد الاكبر من الامام الحسين عليه السلام وذلك للأسباب التالية:

١ – ان الامام زين العابدين عليه السلام كان في كربلاء متزوجاً وله ولد هو الامام محمد الباقر عليه السلام وله من العمر ثلاث سنوات. لانه ولد عام ثمان وثلاثون للهجرة.

٢–لم يذكر المؤرخون ان لعلي الاكبر (الشهيد في كربلاء) ذرية ولانسل مع كثرة من تتبع مفردات حياة اهل بيت الامام الحسين عليه السلام.

٣– ومن المستبعد في سيرة اهل البيت ان يبقوا اولادهم من دون زواج بعد بلوغهم سنّ الزواج، ولذلك فان علي الاكبر إذا كان بالفعل هو الاكبر من الامام زين العابدين عليه السلام فأين عقبه؟

---

(١) يوسف، ٨٦.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٠٩، الحديث ٢، و: الخصال للصدوق، ص١٣١. و: امالي الشيخ الصدوق، ص١٣١، أبواب الخمسة.

(٣) راجع: بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٢٩–٣٣٢. والارشاد، ص٢٣٦. والمناقب، ج٤، ص٤٨و٧٧. وكشف الغُمّة، ج٢، ص٢١٤.

واذا احتمل عدم الانجاب وهو ممكن فالسؤال هو: من هي زوجته، وما هو مصيرها بعد استشهاد زوجها علي الاكبر؟.

وكل ذلك لم يذكره المؤرخون.

وحتى في كربلاء وبعد استشهاده لم يتطرق المؤرخون الى خروج امرأة تبكي عليه غير عمته العقيلة زينب وامه ليلى.

والاحتمال الاقوى ان الامام الحسين عليه السلام (كان له ولد آخر استشهد في كربلاء كان اسمه عليّ أيضاً، وللتمييز بينهما قيل لأحدهما: علي الاكبر وللآخر: علي الأصغر، والله اعلم).

وقيل للإمام زين العابدين عليه السلام: واعجباً لأبيك، سمّى علياً وعليّاً؟ فقال عليه السلام: إنّ أبي أحبَّ أباه فسمّى باسمه مراراً[1].

ان جواب الامام زين العابدين عليه السلام: «إنّ أبي أحبّ أباه» جواب فيه عمق وهدفية، وهذا العمق ينطلق من وحدة المسيرة بين الابن والاب والتصاقهما في اهداف واحدة ومسؤولية مشتركة.

هذا الاسم يدل على تاريخ وسيرة ومواقف وأحداث، ويحمل دلالات بالنسبة إلى الامام الحسين عليه السلام، كما انه يحمل دلالات الى مبغضي اهل البيت عليهم السلام.

فعندما يقول الامام انه لو كان للامام الحسين عليه السلام (الف ولد) لسماهم عليا هو اصرار على درب علي.

انه كان يحب اباه لان أباه كان كتلة حق وعدل وزهد وعبادة وسيرة حسنة، فهو لايذكر أباه إلاّ تذكر الخير كله، ولايتذكر الخير الا وتذكر أباه، فهذا الاب كيف لا يُحب ولا يُمشى على سيرته؟.

أنه يحبه ويحب اعماله التي كانت شوكة في عيون بني امية وآل مروان وآل زياد.

وهدفيّة الامام من قول: أحبّ أباه، أو قوله: لو أنّ له الف ابن لسماهم باسم (علي)

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٢٩، الحديث ٢، و: المناقب، ج٤، ص١٧٣و١٧٤.

هو زرع واحة خير في صحراء البغض لعلي ولاسم علي، فكان التركيز على اسم علي هو لإحياء ذكر علي بن أبي طالب عليه السلام وسيرته العطرة وبعد كل ذلك البغض والنسيان والتجاوز والتعليل، الذي كان ضد علي بن أبي طالب عليه السلام.

واعتقد أن حب الاعمال وهدفية بقاء اسم علي في اذهان الناس كان وراء اختيار الامام الحسين عليه السلام للتركيز على اسم ابيه، خاصة بعد تلك الحملة الشعواء التي شنها معاوية بن أبي سفيان ضد الامام امير المؤمنين عليه السلام لطمس اسمه وشخصيته وسيرته.

اولاد الامام زين العابدين عليه السلام

اختلف المؤرخون في نسل الامام عليه السلام، فقال بعضهم: إن الامام كان له ذكور وليس له اناث[١]، بينما قال آخرون بأنه كان له ذكور وإناث.

اما الرأي الاول فبعيد عن الواقع، لأن المؤرخين ذكروا اسماء بناته ووقائع عنهن كما سنبين ذلك، فهو رأي بعيد عن الواقع، اما البنات فهن:

١- خديجة بنت الامام زين العابدين عليه السلام التي زوّجها الامام زين العابدين عليه السلام لابن عمه عمر[٢].

وقد ذكر صاحب المناقب القصة هكذا[٣].

«يروى ان عمر بن علي بن أبي طالب خاصم علي بن الحسين عليه السلام الى عبد الملك بن مروان في صدقات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وامير المؤمنين عليه السلام فقال: يا امير المؤمنين انا ابن المصدِّق وهذا ابن ابن فأنا أولى بها منه، فتمثل عبد الملك بقول ابن أبي الحقيق:

لا تجعل الباطل حقاً ولا … تلطّ دون الحق بالباطلِ

ثم قال: قم يا علي بن الحسين فقد وليتكها، فقاما، فلما خرجا تناوله عمر وآذاه فسكت عليه السلام ولم يرد شيئاً، فلما كان بعد ذلك دخل محمد بن عمر بن علي ابن الحسين عليه السلام فسلم عليه واكب عليه يقبله فقال علي: يا ابن عم لاتمنعني قطيعة ابيك أن اصل رحمك فقد زوجتك ابنتي خديجة ابنة علي[٤].

(١) كشف الغمة في معرفة الائمة، ج٣، ص٣١١.
(٢) منتهى الآمال، للشيخ عباس القمي، ج٢، ص٦٥.
(٣) المناقب، لابن شهر آشوب، ج٣، ص٣١١. وبحار الأنوار، ج٤٦، ص١٦٣.
(٤) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١١٣، عن: المناقب، ج٣، ص٣٠٨.

٢- علية بنت الامام زين العابدين عليه السلام وكان يقال لها ام علي وكانت عالمة جمعت كتاباً ينقل زرارة عنه.

وقد ذكروا للامام عليه السلام بنات اخرى هن فاطمة، ام كلثوم، مليكة، ام الحسن، وام البنين[1].

فيكون بذلك عدد بنات الامام زين العابدين عليه السلام سبع بنات كلهن لامهات اولاد.

اما أولاد الامام عليه السلام الذكور فقد اختلفوا في اعدادهم، فمنهم من قال انهم احد عشر ذكراً وذكروا اسماءَهم وهم:

١- محمد الباقر عليه السلام
٢- عبد الله الابهر
٣- زيد
٤- عمر
٥- الحسن
٦- الحسين
٧- الحسين الأصغر
٨- عبد الرحمن
٩- سليمان
١٠- علي
١١- محمد الاصغر[2]

وقد ذكر آخر نفس العدد لكن باختلاف الاسماء وهم:

١- الامام الباقر عليه السلام
٢- الحسن
٣- الحسين الاكبر
٤- عبد الله
٥- عمر
٦- زيد
٧- علي
٨- حسين الاصغر
٩- سليمان
١٠- القاسم
١١- عبيد الله[3]

(١) المناقب لابن شهر آشوب، ج٣، ص٣١١. وبحار الأنوار، ج٤٦، ص١٦٣.
(٢) المصدر.
(٣) طبقات بن سعد، ج٥، ص٢١١.

وذُكِر ان ابناءَه اثنا عشر هم:

١ - الامام الباقر عليه السلام ٢- عبد الله

٣- زيد ٤- عمر

٥-حسين الاصغر ٦- عبد الرحمن

٧- سليمان ٨- الحسن

٩- الحسين ١٠- عبيد الله

١١- محمد الاصغر ١٢- علي[١]

وذكر آخر ان اولاد الامام عليه السلام ثمانية هم:

١ - الامام محمد الباقر عليه السلام ٢- زيد

٣- عبد الله ٤- عبيد الله

٥- الحسن ٦- الحسين

٧- علي ٨- عمر[٢]

والذين عقب منهم الامام وكان ذِكْرٌ لاولادهم واحفادهم:

١ - الامام محمد الباقر عليه السلام ٢- زيد بن علي

٣- عبد الله الاٰبهر ٤- عمر بن علي الحسين الاشرف

٥- علي بن علي بن الحسين ٦- حسين الاصغر

وإليك بعض التفصيل عنهم:

١- الامام محمد الباقر عليه السلام

هو الامام الخامس للشيعة الامامية وسنتحدث عنه في دراسة مفصلة.

٢- الحسين بن علي عليه السلام

وكان الحسين بن الامام زين العابدين عليه السلام فاضلاً ورعاً، روى كثيرا عن أبيه

---

(١) المناقب، لابن شهر آشوب، ج٣، ص٣١١.

(٢) كشف الغمة، ج٢، ص٢٧٤.

الامام زين العابدين عليه السلام، وعمته فاطمة بنت الامام الحسين، وأخيه أبي جعفر، وعن غيرهم، وكتب عنه الحديث، وكان أشبه الناس بأبيه في الزهد والتعبد[1].

وكان كثير التوسل بالله تعالى حتى عرف عنه ذلك وشاع خبره في اوساط الأمة وكان من اصحاب السجاد والباقر والصادق عليهم السلام [2].

روى احمد بن عيسى قال حدثنا أبي قال: «كنت أرى الحسين بن علي بن الحسين عليهم السلام يدعو، فكنت أقول: لايضع يده حتى يُستجاب له في الخلق جميعاً».

وقال سعيد صاحب الحسن بن صالح: «لم أر أحداً أخوف من الحسن بن صالح حتى قدمت المدينة فرأيت الحسين بن علي بن الحسين عليه السلام، فلم أر أشد خوفاً منه كأنما أُدخل النار ثم أُخرج منها لشدة خوفه»[3].

وقد روي عن الحسين بن علي بن الحسين عليهم السلام أنه قال: «كان ابراهيم بن هشام المخزومي والياً على المدينة وكان يجمعنا يوم الجمعة قريباً من المنبر ثم يقع في علي عليه السلام ويشتمه.

قال: فحضرت يوماً وقد امتلأ ذلك المكان فلصقت بالمنبر فأغفيت فرأيت القبر قد انفرج وخرج منه رجل عليه ثياب بيض فقال لي: (يا أبا عبد الله ألا يحزنك ما يقول هذا؟ قلت: بلى والله. قال: افتح عينيك فانظر ما يصنع الله به؟

فاذا هو قد ذكر عليا فرمي به من فوق المنبر فمات لعنه الله[4].

وقد توفي سنة مائة وسبع وخمسون وهو ابن اربع وستون سنة ودفن في البقيع»[5].

ولما كان الحديث عن الحسين بن علي بن الحسين عليهم السلام فإن الذين تحدثوا عنه يقصدون الحسين الأصغر حيث الاكبر ليس له عقب، وكان له اولاد منهم علي بن الحسين

---

(١) الارشاد للشيخ المفيد، ص٢٨٥-٢٨٧. بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٦٧.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٦١.

(٣) المصدر، ص١٦٧.

(٤) الارشاد، للشيخ المفيد، ص٢٦٩. و: بحار الانوار، ج٤٦، ص١٦٧ - ١٦٨.

(٥) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٦١، الهامش رقم (١).

الأصغر بن علي زين العابدين عليه السلام، فكان يعد من رجالات بني هاشم ونقل عن اخلاقه انه اذا سمع صوت سائل وهو على مائدة الطعام قام اليه واعطاه طعامه، واذا سمع صوت سائل آخر وقد احضر له مائدة ثانية قام وتصدق بها، فلذا كانت زوجته تضع جاريه على الباب كي تعطي السائلين شيئاً حتى لايعرف صوتهم ويمضون كي يتم على طعامه[1].

٣- عمر بن الامام زين العابدين

عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام هو أخو زيد الشهيد بن الامام زين العابدين عليه السلام لأمه وكان اسن منه[2].

وكان فاضلاً جليلاً وولي صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصدقات امير المؤمنين عليه السلام وكان ورعاً سخياً[3].

ويقال له عمر الاشرف تمييزاً له عن عمر الاطرف بن الامام علي عليه السلام عم الامام زين العابدين عليه السلام.

ولقب بالاشرف لانه نال شرف النسل من الامام علي عليه السلام وفاطمة الزهراء لأنه من نسل زين العابدين بن الامام الحسين بن علي بن أبي طالب وأمه فاطمة الزهراء عليها السلام.

وقال السيد الخوئي رحمه الله:

وهو أشرف من الاطرف بحسبه وفضله وورعه ايضاً[4].

وكان من اصحاب الامام الباقر والصادق عليهما السلام[5].

وقد عرف بالسخاء والكرم.

روى الحسين بن زيد الشهيد قال: «رأيت عمي عمر بن علي بن الحسين عليه السلام يشترط على من ابتاع صدقات علي عليه السلام ان يثلم في الحائط كذا وكذا ثلمة، ولايمنع من

(١) منتهى الامال، ج٢، ص١٠٣.
(٢) معجم رجال الحديث، للسيد الخوئي، ج١٣، ص٤٠٧.
(٣) الارشاد للشيخ المفيد، باب امامة الباقر عليه السلام.
(٤) معجم رجال الحديث، للسيد الخوئي، ج١٤، ص٤٠٧.
(٥) المصدر.

دخله أن يأكل منه»[١].

وذكر الشيخ عباس القمي ان نسب السيدين المرتضى والرضي من أمهما فاطمة بن الحسين ينتهي إلى عمر الاشرف بن الامام زين العابدين عليه السلام[٢].

وقد ذكر ابو الفرج الاصفهاني لحفيد عمر الاشرف محمد بن القاسم بن علي بن عمر الاشرف قصة تدل على عظمة الرجل ومقدار التزامه بالدين وورعه وتقواه:

قال ابراهيم بن عبد الله العطار وكان مع أبي جعفر محمد بن القاسم في الطالقان: فلم نلبث الا يسيراً حتى استجاب له اربعون الفاً واخذنا عليهم البيعة وكنا انزلناه في رستاق من رساتيق مرو وأهله شيعة كلهم، فأحلّوه في قلعة لايبلغها الطير في جبل حريز، فلما اجتمع أمره وعدهم لليلة بعينها، فاجتمعوا اليه ونزل من القلعة اليهم، فبينا نحن عنده اذ سمع بكاء رجل واستغاثته، فقال لي: يا ابراهيم قم فانظر ما هذا البكاء، فأتيت الموضع فوقفت فيه فاستقربت البكاء حتى انتهيت الى رجل حائك قد أخذ منه رجل من اصحابنا ممن بايعنا لبدا وهو متعلق به.

فقلت: ما هذا وما شأنك؟ فقال: أخذ صاحبكم هذا لبدي، فقلت: أردد عليه لبده فقد سمع ابو جعفر بكاءه، فقال لي الرجل: انّما خرجنا معكم لنكسب وننتفع ونأخذ ما نحتاج اليه، فلم أزل ارفق به حتى اخذت منه اللبد ورددته الى صاحبه ورجعت الى محمد بن القاسم فأخبرته بخبره واني قد انتزعت منه اللبد ورددته الى صاحبه.

فقال: يا ابراهيم أبمثل هذا يُنصر دين الله؟ ثم قال لنا: فرقوا الناس عني حتى أرى رأيي فخرجنا إلى الناس فقلنا لهم: ان صورة الامر قد أوجبت ان تتفرقوا في هذا الوقت فتفرقوا ورحل محمد بن القاسم من وقته الى الطالقان وبينها وبين مرو اربعين فرسخاً فنزلها وتفرقنا ندعو الناس فاجتمع عليه عالم.

وبلغ خبره عبد الله بن طاهر فوجّه اليه رجلاً يقال له الحسين بن نوح وكان صاحب شرطته فلقيناه وقاتلناه فهزمناه هزيمة قبيحة، ولما اتصل خبره بعبد الله قامت

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٦٧.
(٢) منتهي الآمال، للشيخ عباس القمي، ج٢، ص٧١.

قيامته، فأمده بجيش اخر ضخم فسار اليه متمهلاً ونازله وكمن لنا كمناء في عدة مواضع فلما التقينا قاتلنا، ساعة ثم انهزم متطارداً لنا فاتبعه اصحابنا، فلما تفرقنا في طلبه خرجت الكمناء على اصحابنا من كل وجه فانهزمنا وافلت محمد بن القاسم الى (نسا) مستتراً[١].

٤- علي بن علي بن الحسين

وكان علي بن زين العابدين عليه السلام أصغر اولاد الامام وأمه أم ولد، وكان ذا شرف وفضل وكان يُكنّى ابا الحسين[٢].

وكان له ولد اسمه حسن الافطس، يقال له رمح آل أبي طالب لطوله هو ولطول الرمح الذي كان يحمله معه في المعارك.

وقد شارك في الثورة التي قادها محمد بن عبد الله ذي النفس الزكية وبيده راية بيضاء، وأبلى بلاءً حسناً ولم يخرج مع ذي النفس الزكية أشجع منه ولا أجرأ.

وعند فشل الثورة اختفى حسن الافطس خوفاً من إعتقال المنصور له.

وعند زيارة الامام الصادق عليه السلام العراق واللقاء بأبي جعفر المنصور قال له الامام الصادق: «اتريد عليه السلام أن تحسن الى رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال المنصور: بلى يا أبا عبد الله.

قال الامام الصادق: فاترك ابن عمك الحسن بن علي بن الحسين فتركه»[٣].

وللحسن الافطس ولد اسمه علي الحوري تزوج إحدى زوجات الخليفة محمد المهدي العباسي بعد وفاته. فعظم هذا الأمر عن الخليفة موسى الهادي العباسي وأمره ان يطلقها فامتنع علي الحوري وقال: لم يكن المهدي رسول الله صلى الله عليه وآله حتى نُحرَم نساءَه بعده، ولم يكن أشرف مني، فغضب موسى الهادي من هذا الكلام وامر بضربه فضرب حتى أُغمي عليه[٤].

---

(١) مقاتل الطالبيين، ابو الفرج الاصفهاني، ص٢٨٥.
(٢) عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب، ص٣٣٩.
(٣) انظر: أعيان الشيعة، ج٥، ص٢٠٥.
(٤) منتهى الآمال، للشيخ القمي، ج٢، ص١١٦.

٥- عبد اللّه الباهر

وقد لُقّب بالباهر لجماله فاذا حضر مجلساً واستقر به المكان، كان مميزاً بجماله، وينبهر الحضور به، لذلك سمي بالباهر.

وقالوا عنه: «انه معروف بالابهر لجماله والبهاء وما جلس مجلساً الاّ بَهَرَ جماله وحسنه من حضر»[1].

وقال عنه الشيخ المفيد رحمه الله: وكان عبد الله بن علي بن الحسين يلي صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله وصدقات امير المؤمنين عليه السلام[2].

وقفة تأمل

١- عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان فيما اوصى به إليّ علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: يا بُنيَّ، إذا أنا متُّ فلا يلي غسلي غيرك، فإنّ الإمام لا يغسّله إلا إمام بعده. واعلم ان عبد الله اخاك سيدعو الناس الى نفسه، فامنعه فان أبى فإنّ عمره قصير.

وقال الباقر عليه السلام: فلما مضى أبي ادّعى عبد الله الامامة فلم انازعه، فلم يلبث الا شهوراً يسيرة حتى قضى نحبه[3].

٢- وروي أنّ وليد بن صبيح قال: كنا عند أبي عبد الله في ليلة إذ طرق الباب طارق فقال للجارية: انظري من هذا؟ فخرجت ثم دخلت فقالت: هذا عمك عبد الله بن علي. فقال: أدخليه، وقال لنا: ادخلوا البيت. فدخلنا بيتاً فسمعنا منه حساً، ظننا أن الداخل بعض نسائه، فلما دخل اقبل على أبي عبد الله فلم يدع شيئاً من القبيح الا قاله في أبي عبد الله، ثم خرج وخرجنا، فأقبل يحدثنا من الموضع الذي قطع كلامه، فقال بعضنا: لقد استقبلك هذا بشيء ما ظننا أنّ أحداً يستقبل به احداً، حتى لقد هم بعضنا ان يخرج اليه فيوقع به، فقال: مه لاتدخلوا فيما بيننا.

فلما مضى من الليل ما مضى، طرق الباب طارق، فقال للجارية: انظري من هذا؟

---

(١) المصدر، ص٦٦.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٥٦، الهامش رقم (١).

(٣) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٦٦، نقلا عن الخرائج والجرائح، ص١٩٥.

فخرجت ثم عادت فقالت: هذا عمك عبد الله بن علي. قال لنا: عودوا الى مواضعكم، ثم أذِن له فدخل بشهيق ونحيب وبكاء وهو يقول: يا ابن أخي إغفر لي غفر الله لك، إصفح عني صفح الله عنك، فقال: غفر الله لك يا عم، ما الذي احوجك إلى هذا؟ قال: إني لما اويت الى فراشي اتاني رجلان أسودان فشدا وثاقي ثم قال أحدهما للآخر إنطلق به إلى النار، فانطلق بي فمررت برسول الله فقلت: يا رسول الله لا أعود، فامره فخلّى عني، واني لأجد ألم الوثاق. فقال ابو عبد الله عليه السلام: اوصِ. قال: بم اوصي، ما لي مال، وان لي عيالاً كثيراً، وعليّ دين؟. فقال ابو عبد الله عليه السلام: دَيْنك علي وعيالك الى عيالي. فأوصى، فما خرجنا من المدينة حتى مات، فضم ابوعبد الله عليه السلام عياله اليه، وقضى دينه، وزوج إبنه إبنته[1].

٣- قيل لابي جعفر الباقر عليه السلام: اي اخوانك احبُّ اليك؟

فقال: اما عبد الله فهو يدي التي بها احمل، واما عمر فهو عيني التي بها أرى، واما زيد فهو لساني الذي انطق به، واما الحسين فهو الحليم[2].

والملاحظات على هذه الروايات هي:

١- تضارب وقت الوفاة ففي الرواية الاولى انه توفي في زمان الامام الباقر، وفي الرواية الثانية انه توفي في زمان الامام الصادق عليه السلام.

٢- في الرواية الأولى انه ادّعى الامامة، وفي الثانية انه نال من الامام الصادق واعتدى عليه بالكلام، ولم يرد ذكر الامامة.

٣- في الرواية الاولى لم يرد ذكر نَدَم عبد الله الباهر وانه قد تراجع عن ادعائه، وفي الثانية بعد رؤياه رسول الله صلى الله عليه وآله وانه يؤنبه ويوبخه تاب ورجع عن سلوكه واعتذر للامام الصادق عليه السلام.

٤- ان ولداً للامام زين العابدين عليه السلام عاش مع ابيه واخيه وعرف الامامة وأنها بالوصية وان الامام السجاد عليه السلام كان يكشف ان الامام بعده هو ابنه محمد الباقر عليه السلام، وان صح انه بقي إلى عهد الإمام الصادق، فالامام الباقر كان يوضح ان الامام بعده هو ابنه جعفر الصادق عليه السلام، فمن المستبعد أن يكون قد ادعى الامامة.

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٨٤-١٨٥

(٢) منتهى الآمال، للشيخ عباس القمي، ج٢، ص٧٠.

نعم يمكن أن تكون هناك هفوات من اولاد الائمة تجاه الامام المعصوم بدوافع عدة. ولكنهم يرجعون بعد ذلك، وان الرواية الثالثة التي تحدث فيها الامام الباقر عليه السلام واضحة الدلالة على نزاهة عبد الله الباهر حيث يصف الإمام اخاه عبد الله (بانه يده التي يحمل بها). ووصفه الشيخ المفيد بأنه كان فاضلاً فقيهاً. لذلك فمن المستبعد أن يكون ما قيل عن عبد الله الباهر صحيحاً، وعليه فان حملة التشويه ضد الائمة وابنائهم التي اخذت طريقها في العصر الاموي والعباسي قد شملت عبد الله الباهر ايضاً.

وقد شهد له الشيخ المفيد بأنه: «كان فاضلاً فقيهاً، روى عن آبائه عن رسول الله اخباراً كثيرة، وحدَّث الناس عنه وحملوا عنه الاثار»[1].

وكان لحفيده موقفٌ تتجلى فيه كلمة الحق عند سلطان جائر، وكان ذلك مع هارون الرشيد: «دخل العباس بن محمد بن عبد الله الباهر على هارون الرشيد وجرت بينهما مشاجرة لفظية.

قال هارون له: يا ابن الفاعلة؟

فقال العباس له: الفاعلة أمك، فقد كانت جارية يتردد عليها النخاسون.

فغضب هارون غضباً شديداً وأمره ان يدنو منه، فلما دنا منه ضربه هارون بدبوس من حديد فقتله»[2].

٦- زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام

هو زيد الشهيد في الكوفة وطليعة الشهداء وابو الثوار ومعلم الجهاد والآخذ بثأر جده الامام الحسين عليه السلام.

وقد تعرض زيد الى تشويه أموي عباسي كغيره من الثوار بسبب تصديه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كما ظلمه المتقاعدون الذين لايستسيغون التحرك ضد الظلم والانحراف، والذين

---

(١) الارشاد، للشيخ المفيد، ص ٢٦٧. بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٥٦، الهامش رقم (١).

(٢) عيون اخبار الرضا، ج١، ص٢٤٩.

يفضّلون التثاقل الى الارض فيلصقون كلمة من هنا بكلمة من هناك وحرفاً من هنا بحرف من هناك ليصوغوا نظرية تسقيط الثوار.

فزيد الشهيد اسماه رسول الله صلى الله عليه وآله زيداً: عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عن آبائه عليهم السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله للحسين: «يا حسين يخرج من صلبك رجل يقال له زيد يتخطى هو واصحابه يوم القيامة رقاب الناس غراً محجلين يدخلون الجنة بلا حساب»(١).

وعن حذيفة بن اليمان قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وآله الى زيد بن حارثة فقال: «المقتول في الله، والمصلوب في امتي، والمظلوم من أهل بيتي سَمِيٌّ هذا، واشار بيده الى زيد بن حارثة فقال: ادن مني يا زيد، زادك اسمك عندي حباً، فأنت سَمِيُّ الحبيب من أهل بيتي»(٢).

وقد أكد هذا الاسم الامام زين العابدين عليه السلام وسمى ولده زيداً عندما بُشِّر انه وُلد له مولود.

قال ابن قولويه: روى بعض اصحابنا: «كنت عند علي بن الحسين عليه السلام فكان اذا صلى الفجر لم يتكلم حتى تطلع الشمس، فجاؤوه يوم وُلِد فيه زيد فبشّروه به بعد صلاة الفجر قال: فالتفت الى اصحابه وقال: اي شيء ترون ان أُسمّي هذا المولود؟

قال: فقال كلّ رجل منهم سمّه كذا، سمّه كذا، فقال: يا غلام عليّ بالمصحف: قال فجاؤوا بالمصحف فوضعه على حجره، ثم فتحه فنظر أوّل حرف في الورقة واذا فيه:

﴿وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(٣).

قال: ثم طبقه ثم فتحه، فاذا في اول الورقة: ﴿إِنَّ اللهَّ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهَّ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهَّ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(٤).

---

(١) المصدر.
(٢) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٩٢.
(٣) النساء، ٩٥.
(٤)- التوبة، ١١١.

ثم قال: هو والله زيد، هو والله زيد، فسمّي زيداً[١].

وقد مدحه الامام الباقر عليه السلام، فعن أبي الجارود قال: إني لجالس عند أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام إذ أقبل زيد بن علي، فلما نظر اليه ابو جعفر عليه السلام وهو مقبل قال: «هذا سيد من اهل بيته، والطالب بأوتارهم، لقد انجبت أم ولدتك يا زيد»[٢].

ومدحه الامام الصادق عليه السلام حين قال: «رحم الله عمي زيداً انه دعا إلى الرضا من آل محمد، ولو ظفر لوفى بما دعا اليه، وقد استشارني في خروجه، فقلت له: يا عم ان رضيت ان تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك»[٣].

وقد جرى حديث بين الامام الرضا عليه السلام والمأمون بعد خروج زيد بن الامام الكاظم عليه السلام وإحراق دور بني العباس حيث القي القبض عليه وجيء به الى المأمون في خراسان وعفى عنه المأمون كرامة للامام الرضا عليه السلام لانه اخوه.

فقال المأمون للامام الرضا: يا أبا الحسن لئن خرج أخوك وفعل ما فعل لقد خرج قبله زيد بن علي فَقُتِل، ولولا مكانك مني لقتلته فليس ما أتاه بصغير.

فقال الامام الرضا: يا امير المؤمنين لاتقس أخي زيداً الى زيد بن علي عليه السلام، فانه كان من علماء آل محمد، غضب لله عزّ وجل فجاهد أعداءه حتى قُتل في سبيله[٤].

وقد عُرف عن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام العلم والورع والتقوى والعبادة حتى شاع ذلك بين الناس واصبح يشار اليه بهذه الصفات الالهية الكريمة.

قال الشيخ المفيد: «كان زيد بن علي بن الحسين عليه السلام عين اخوته بعد أبي جعفر عليه السلام وافضلهم، وكان عابداً فقيهاً سخياً شجاعاً، وظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويطلب بثارات الحسين عليه السلام»[٥].

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٩١-١٩٢.
(٢) امالي الشيخ الصدوق، ص٣٣٥.
(٣) عيون اخبار الرضا، ج١، ص٢٤٨.
(٤) المصدر.
(٥) الارشاد، للشيخ المفيد، ج٢، ص١٧١.

قال يحيى بن زيد بن علي عليه السلام يصف اباه زيداً ومنهجيّة حياته: «انه كان يصلي في نهاره ما شاء الله، فاذا جن الليل عليه، نام نومة خفيفة، ثم يقوم فيصلي في جوف الليل ماشاء الله. ثم يقوم قائماً على قدمية يدعو الله تبارك وتعالى ويتضرع له ويبكي بدموع جارية حتى يطلع الفجر، فاذا طلع الفجر، سجد سجدة ثم يقوم يصلي الغداة اذا وضح الفجر، فاذا فرغ من صلاته قعد للتعقيب الى أن يتعالى النهار، ثم يقوم في حاجته ساعة، فاذا قرب الزوال قعد في مصلاه فسبَّح الله ومجّده الى وقت الصلاة، فاذا حان وقت الصلاة قام فصلى الاولى وجلس هنيئة وصلى العصر وقعد في تعقيبه ساعة، ثم سجد سجدةً فاذا غابت الشمس صلى العشاء والعتمة، قلت: كان يصوم دهره؟ قال: لا ولكنه كان يصوم في السنة ثلاثة اشهر ويصوم في الشهر ثلاثة ايام. قلت: وكان يفتي الناس في معالم دينهم؟ قال: ما أذكر ذلك عنه، ثم أخرج اليّ صحيفة كاملة فيها أدعية علي بن الحسين عليه السلام»[1].

عن أبي الجارود زياد بن المنذر قال: قدمت المدينة فجعلت كلما سألت عن زيد بن علي قيل لي: ذاك حليف القرآن.. ذاك اسطوانة المسجد من كثرة صلاته»[2].

روى هشيم قال: «سألت خالد بن صفوان عن زيد بن علي وكان يحدثنا عنه فقلت اين لقيته؟ قال: بالرصافة. فقلت: اي رجل كان؟ قال: كان كما علمت يبكي من خشية الله حتى تختلط دموعه بمخاطه»[3].

عن خصيب الوابشي قال: «كنت اذا رأيت زيد بن علي رأيت أسارير النور في وجهه»[4].

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٢٠٠.
(٢) اعيان الشيعة، ج٧، ص١٠٧.
(٣) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٨٦.
(٤) مقاتل الطالبيين، ص١٢٧.

زيد بن علي والامامة

على الرغم من تقدم زيد بن علي على كثير من الكفاءات والقدرات العلمية والعبادية والرئاسية حتى عرف أنه كان اوجه اولاد الامام زين العابدين بعد اخيه الامام الباقر عليه السلام ولكنه كان يعرف حدوده، وأن الامامة نص من الله وليس لها علاقة بالتصدي والمزية، ولذلك فان زيداً لم يَدَّعِ الامامة الربانية، كما رفض ان يُقال له إنك الامام من قبل الله.

عن محمد بن مسلم قال: دخلت على زيد بن علي عليه السلام فقلت: ان قوماً يزعمون انك صاحب هذا الامر.

قال: لا ولكني من العترة.

قلت: فمن يلي هذا الامر بعدكم؟

قال: سبعة من الخلفاء والمهدي منهم.

قال ابن مسلم: ثم دخلت على الباقر محمد بن علي عليه السلام فأخبرته بذلك. فقال: صدق اخي زيد. صدق اخي زيد. سيلي هذا الامر بعدي سبعة من الاوصياء والمهدي منهم[1].

ان هذه الثقافة والاعتقاد بالأئمة لم تكن مخفية او هي حالة تكتيكة او مناورة يستخدمها زيد بن علي، بل نجد ان يحيى بن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام يسير بنفس المنهجية والاعتقاد ويدافع عن ابيه اذا ما قيل له انه كان اماماً.

عن المتوكل بن هارون قال: لقيت يحيى بن زيد بعد قتل أبيه وهو متوجه الى

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٢٠٠.

خراسان، فما رأيت مثله رجلاً في عقله وفضله، فسألته عن أبيه فقال: إنه قُتِل وصُلِب بالكناسة. ثم بكى وبكيت حتى غشي عليه، فلما سكن قلت له: يا ابن رسول الله وما الذي أخرجه الى قتال هذا الطاغي وقد علم من اهل الكوفة ما علم؟ فقال: نعم لقد سألته عن ذلك، فقال: سمعت أبي عليه السلام يحدّث عن ابيه الحسين بن علي عليه السلام قال: وضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده على صلبي، فقال: يا حسين يخرج من صلبك رجل يقال له زيد يُقتل شهيداً، فاذا كان يوم القيامة يتخطى هو واصحابه رقاب الناس ويدخل الجنة، فاحببت ان اكون كما وصفني رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: رحم الله أبي زيدا كان والله احد المتعبدين، قائماً ليله، صائما نهاره، يجاهد في سبيل الله عزّ وجل حق جهاده.

فقلت: يابن رسول الله هكذا يكون الامام بهذه الصفة؟ فقال: يا عبد الله ان أبي لم يكن بامام، ولكن من سادات الكرام، وزهادهم، وكان من المجاهدين في سبيل الله. قلت: يا ابن رسول الله أما إنّ اباك قد ادعى الامامه، وخرج مجاهداً في سبيل الله، وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله فيمن ادعى الامامة كاذباً. فقال: مه يا عبد الله ان أبي عليه السلام كان اعقل من أن يدّعي ما ليس له بحق وانما قال: ادعوكم الى الرضا من آل محمد، أعني بذلك عمي جعفر. قلت: فهو اليوم صاحب الامر؟

قال: نعم هو أفقه بني هاشم[1].

ان زيد بن علي عليه السلام كان يعتقد بإمامة الائمة عليهم السلام الذين عاصرهم الامام الباقر عليه السلام او الامام الصادق عليه السلام. ففي الرواية السابقة يعترف زيد بالامام الباقر، ويثني الامام الباقر على حديث زيد بن علي، عن عمرو بن خالد قال: قال زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام: في كل زمان رجل منا اهل البيت يحتج الله به على خلقه، وحجة زماننا ابن اخي جعفر بن محمد لايضل من تبعه ولايهتدي من خالفه[2].

وفي حديث يحيى بن زيد يتبيّن بوضوح اعتقاد زيد بامامة الامام الصادق عليه السلام.

بل ان زيد بن علي عليه السلام كان ممن يعرف الامامة والائمة عليهم السلام بأسمائهم وبذلك فهو من المقربين الى الائمة عليهم السلام.

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٩٩.
(٢) امالي الشيخ الصدوق، ص٥٤٢.

عن يحيى بن زيد قال سألت أبي زيد بن علي عليه السلام عن الائمة عليهم السلام فقال: الائمة اثنا عشر، اربعة من الماضين وثمانية من الباقين. قلت: فسمهم يا أبه.

قال: اما الماضين فعلي بن أبي طالب والحسن والحسين وعلي بن الحسين.

ومن الباقين أخي الباقر، وبعده جعفر الصادق ابنه، وبعده موسى ابنه، وبعده علي ابنه، وبعده محمد ابنه، وبعده محمد ابنه، وبعده علي ابنه، وبعده الحسن ابنه، وبعده المهدي ابنه.

فقلت له: الست منهم؟ قال: لا ولكني من العترة.

قلت: ومن اين عرفت أساميهم؟

قال: عهد معهود عهده الينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [١].

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٩٨، الحديث ٧٢.

زيد بن علي وحركته الرسالية

بشر رسول الله ﷺ بخروج زيد بن علي عليه السلام، وكذلك الامام الحسين عليه السلام، والامام زين العابدين عليه السلام، وكل ذلك كان يتم عبر الحديث ان زيد سيُقتل ويُصلب ويُحرق وانه سيدخل الجنة ويتخطى رقاب الناس.

وزيد بن علي عليه السلام لم يكن بعيداً عن هذه الاجواء والاحاديث التي كانت تتحدث عن قتله وصلبه في (الكناسة) فقد كان هو يعلمها ويعرفها حيث سمعها.

وفي حوار بينه وبين ابنه يحيى قال زيد لابنه أريد أن اكون كذلك.

قال يحيى بن زيد أنّ أباه قال له: سمعت أبي عليه السلام يحدث عن أبيه الحسين بن علي عليه السلام قال: وضع رسول الله يده على صلبي فقال: يا حسين يخرج من صلبك رجل يقال له زيد يُقتل شهيداً، فاذا كان يوم القيامة يتخطى هو واصحابه رقاب الناس ويدخل الجنة، فأحببت ان اكون كما وصفني رسول الله ﷺ.

وزيدبن علي عليه السلام وهو في هذا الموقع والمعرفة لمقام الائمة عليهم السلام لم يكن يخرج على طاغية زمانه من دون أن يضعهم في صورة عمله ونيته في الثورة على حاكم عصره. وليس حدث الثورة بالحدث الصغير او الذي يمكن اخفاؤه وستره، فان مثل زيد في مكانته وله من الانصار والاتباع من القراء والعباد ما ذكره المؤرخون مفصلا[1].

لذلك فان زيداً وضع الامام الباقر والامام الصادق في صورة الاحداث واخبرهم بنيته في الخروج على طاغية عصره هشام بن عبد الملك.

عن الحسن بن راشد قال: ذكرت زيد بن علي فتنقّصتُه عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام،

(١) راجع: مقاتل الطالبيين، زيد بن علي، ص٨٦ فما بعدها.

فقال: لا تفعل، رحم الله عمي، أتى أبي فقال: اني اريد الخروج على هذا الطاغية. فقال: لاتفعل، فاني اخاف ان تكون المقتول المصلوب على ظهر الكوفة[١].

وعن أبي الجارود. قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام جالسا إذ أقبل زيد بن علي، فلما نظر اليه ابو جعفر عليه السلام قال: هذا سيد اهل بيتي وطالب بأوتارهم[٢].

وعن زيد بن علي عن معمر قال: كنت جالساً عند الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فجاء زيد بن علي بن الحسين عليه السلام فأخذ بعضادتي الباب فقال له الصادق عليه السلام: يا عم اعيذك بالله أن تكون المصلوب بالكناسة[٣].

وبعد استشهاد زيد بن علي عليه السلام اثيرت حوله شبهات، وهي حالة طبيعية لكل ثائر لم ينتصر، حيث تكثر عليه علامات الاستفهام والتشكيك، ولو كان منتصراً لتغيرت المعادلة ولأصبح زيد فاتحاً.

وقد وقف الامام الصادق عليه السلام ومن جاء بعده من الأئمة امام هذا التشكيك ومثيري الشبهات.

قال فضيل: دخلت على الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فقلت في نفسي: لا أخبرنه بقتل زيد بن علي فيجزع عليه. فلما دخلت قال لي: يا فضيل ما فعل عمي زيد؟ قال: فخنقتني العبرة، فقال لي: قتلوه؟ قلت: اي والله قتلوه، قال: فصلبوه؟ قلت اي والله صلبوه، فاقبل يبكي ودموعه تنحدر على ديباجتي خدّه كأنها الجمان، ثم قال: يا فضيل شهدتَ مع عمي قتال اهل الشام؟ قلت: نعم، قال: فكم قتلت منهم؟ قلت: ستة، قال: فلعلك شاك في دمائهم؟ فقلت: لو كنتُ شاكاً ما قتلتهم. قال: فسمعته وهو يقول: أشركني الله في تلك الدماء، مضى والله زيد عمي وأصحابه شهداء، مثل ما مضى عليه علي بن أبي طالب واصحابه[٤].

وقال حمزة بن حمران: دخلت الى الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فقال لي: يا حمزة

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٨٥.
(٢) رجال الكشي، ص٢١٧.
(٣) امالي الشيخ الصدوق، ص٩٤.
(٤) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٧١.

من اين اقبلت؟ قلت: من الكوفة. قال: فبكى عليه السلام حتى بلت دموعه لحيته، فقلت له: يا ابن رسول الله اكثرت البكاء؟

فقال: ذكرتُ عمي زيدا عليه السلام وما صُنع به فبكيت، فقلت له: وما الذي ذكرتَ منه؟ فقال: ذكرتُ مقتله وقد أصاب جبينه سهم فجاء ابنه يحيى فانكب عليه، وقال له: ابشر يا أبتاه فانك ترد على رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم[١].

وبالتأمل في الروايات السابقة وغيرها كثير نجد:

١- ان الامام الصادق اعتبر زيداً واحداً من اهل بيته، وتصدى للسؤال عنه من كل قادم من الكوفة وهو يكرر عبارة عمي.

٢- عند سماعه نبأ استشهاده اجهش بالبكاء والحزن عليه حتى ان عيال الامام (النساء) بكين على زيد بن علي تفاعلاً مع بكاء الامام الصادق عليه السلام.

عن علي بن محمد بن الزبير، عن علي بن فضّال، عن العباس بن عامر، عن احمد بن رزق، عن مهزم بن أبي بردة الاسدي قال: دخلت المدينة حدثان صلب زيد. قال: فدخلت على ابي عبد الله عليه السلام فساعة رآني قال: يا مهزم ما فعل زيد؟ قال، قلت: صُلِب. قال: أين؟ قلت: في كناسة بني أسد. قال: أنت رأيته مصلوباً في كناسة بني أسد؟ قلت: نعم. قال فبكى حتى بكت النساء خلف الستور. ثم قال: أما والله لقد بقي لهم عنده طلبة ما اخذوها منه بعد. قال: فجعلت افكر وأقول: أي شيء طلبتهم بعد القتل والصلب؟ قال فودعته وانصرفت حتى انتهيت الى الكناسة فاذا أنا بجماعة، فأشرفت عليهم فاذا زيد قد انزلوه من خشبته، يريدون ان يحرقوه قال قلت: هذه الطلبة التي قالها لي[٢].

٣- ترحم على عمه زيد بن علي ولعن قاتليه واعتبرهم من الظلمة الذين تعدوا على حرمة زيد بن علي عليه السلام فقال: فلعن الله قاتله وخاذله، والى الله جل اسمه أشكو ما نزل بنا اهل بيت نبيّه بعد موته[٣].

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٧٢.
(٢) المصدر، ص٢٠١.
(٣) بحار الأنوار، ج ٤٦، ص١٧٢.

٤- اعتبر الامام الصادق حركة زيد بن علي حركة ايجابية وهي امتداد للأخذ بثأر الحسين عليه السلام ودعوة الى الرضا من آل محمد، وكان الامام الصادق عليه السلام هو الرضا في وقت زيد بن علي، ومن المشهور قول الامام جعفر بن محمد عليهما السلام: رحم الله عمّي زيداً لو ظفر لوفى، انما دعا إلى الرضا من آل محمد وأنا الرضى[١].

٥- تمنّى الامام الصادق عليه السلام ان يشركه الله تعالى بثواب عمه زيد والشهداء الذين سقطوا معه في هذا الطريق.

عن الفضيل عن الامام الصادق عليه السلام قال فسمعته وهو يقول: اشركني الله في تلك الدماء، مضى والله عمّي وأصحابه شهداء، مثل ما مضى عليه علي بن أبي طالب وأصحابه[٢].

٦- اعتبر الامام الصادق عليه السلام الشهداء الذين قاتلوا بين يدي عمه زيد بن علي هم امتداد للشهداء الذين سقطوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والامام امير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام.

عن عبد الله بن سيابة عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال عندما بلغه نبأ إستشهاد زيد: إنا لله وإنا إليه راجعون، عند الله أحتسب عمي انه كان نعم العم. ان عمي كان رجلاً لدنيانا وآخرتنا، مضى والله عمي شهيداً كشهداء استشهدوا مع رسول الله وعلي والحسن والحسين عليهم السلام[٣].

٧- وقف الامام الصادق امام كل من حاول النيل من عمه زيد بن علي او حركته او احد ممن ساند حركته.

عن أبي عمير، عن عبد الله ابن سنان قال، قال عليه السلام: ليس بينكم وبين من خالفكم الا المطمر. قلت: وأي شيء المطمر؟ قال: الذي تسمونه الترّ، فمن خالفكم وجازه فابرؤا منه وان كان علوياً فاطمياً[٤].

---

(١) المصدر، ص١٩٩.
(٢) المصدر، ص١٧١.
(٣) المصدر، ص١٧٥.
(٤) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٧٩، الحديث ٣٨.

وروي عن الحسن بن راشد قال: ذكرت زيد بن علي فتنقصته عند أبي عبد الله فقال: لاتفعل، رحم الله عمي، أتى أبي فقال: اني اريد الخروج على هذا الطاغيه فقال: لاتفعل، فاني أخاف أن تكون المقتول المصلوب على ظهر الكوفة، أما علمتَ يا زيد لايخرج أحد من ولد فاطمة على أحد من السلاطين قبل خروج السفياني الا قُتِل. ثم قال: ألا يا حسن ان فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار، وفيهم نزلت: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾[١]. فان الظالم لنفسه الذي لايعرف الامام، والمقتصد العارفَ بحق الامام، والسابق بالخيرات هو الامام. ثم قال: يا حسن انّا اهل البيت لايخرج أحدنا من الدنيا حتى يقر لكل ذي فضل بفضله[٢].

وعن أبي الصباح، عن سدير، قال الامام الصادق عليه السلام: أرأيت لو أن الله تعالى ابتلى زيداً فخرج منا سيفان آخران بأي شيء تَعرِف أيَّ السيوف سيف الحق؟ والله ما هو كما قال، ولئن خرج ليقتلن، قال: فرجعت فانتهيت الى القادسية فاستقبلني الخبر بقتله رحمه الله[٣].

٨- امر الامام الصادق عليه السلام بتوزيع اعانات نقدية على عوائل من اشتركوا في ثورة عمه زيد بن علي.

عن ابن هاشم، عن ابن أبي عمير، عن ابن سيابة، قال: دفع الي أبو عبد الله الصادق جعفر بن محمد عليه السلام الف دينار وأمرني ان أقسمها في عيال من اصيب مع زيد بن علي عليه السلام فقسمتها فأصاب عبد الله بن الزبير أخا فضيل الرسّان أربعة دنانير[٤].

(١) فاطر، ٣٢.
(٢) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٨٥، الحديث ٥١.
(٣) المصدر، ص١٩٥.
(٤) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٧٠.

حركة زيد في الأمة

كان زيد بن علي عليه السلام أول ثائر بعد جده الامام الحسين عليه السلام، وعند قيامه بالتحرك ضد الطاغية هشام بن عبد الملك فان أوساط القراء وأهل العلم والتقوى والتدين في الكوفة انضموا اليه وآزروه[1].

كما أن أئمة المذاهب الاسلامية من أمثال محمد بن النُعمان أبي حنيفة وابن مالك كانوا من المؤيدين لحركته والداعين لنصرته والباذلين المال لاسناد ثورته[2].

وفي الواقع ان حركة زيد كانت تمثل ضمير الامة وفطرتها النقية لأنها كانت تحمل تطلعات المظلومين، كما كانت محل تعظيم وتقدير الوسط العلمي والديني.

وإن رجلاً امتلك هذه المواصفات وحضي بهذا التوفيق الالهي حيث بشَّر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وكان من المعتقدين بإمامة أئمة زمانه الامام الباقر والامام الصادق عليهما السلام.

والأئمة عليهم السلام يثنون عليه ويعلنون الحزن على استشهاده، هذا فضلاً عن ان أئمة المذاهب الاسلامية وعلماء وقراء عصره وقفوا بجانبه في خروجه ضد الطاغية هشام بن عبد الملك.

إنّ رجلاً كزيد هل يبقى مجالٌ للشك فيه والتوقف في الثناء عليه، والمولى المجلسي بعد ان يذكر أحاديث الثناء عليه يقول:

«ثم اعلم إنّ الاخبار اختلفت وتعارضت في احوال زيد واخباره كما عرفت، لكن الاخبار الدالة على جلالة زيد ومدحه، وعدم كونه مدعياً لغير الحق اكثر.

---

(١) راجع كتاب مقاتل الطالبيين، ص٨٦، تحت عنوان زيد بن علي.

(٢) المصدر.

وقد حكم اكثر الاصحاب بعلو شأنه، فالمناسب حسن الظن به وعدم التعرض لامثاله من اولاد المعصومين عليهم السلام الا مَنْ ثبت مِنْ قبل الائمة عليهم السلام الحكم بكفرهم ولزوم التبري منهم»[1].

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٢٠٥.

أولاد زيد بن علي عليه السلام

وكان لزيد اربعة اولاد ولم يكن له بنت، وهم[١]:

١- الحسين بن زيد

وكان يلقب بذي الدمعة وذي العبرة لكثرة بكائه.

فقد نقل عن يحيى بن الحسين بن زيد قال: قالت امي ما أكثر بكاؤك؟

فقال: وهل ترك السهمان والنار سروراً يمنعني من البكاء!

يعني بالسهمين اللذَيْن قُتِل بهما أبوه زيد وأخوه يحيى، ولُقِّب بذي الدمعة لكثرة بكائه في آناء الليل وفي صلاة الليل خوفاً من الله تعالى[٢].

وكان عمره لما قُتِل أبوه سبع سنين. فأخذه الامام الصادق عليه السلام الى بيته ورباه وعلمه العلوم والاداب والسنن وزوجه بنت عمه.

وكان سيداً عابداً زاهداً، وروى عن الامام الصادق وموسى بن جعفر عليهما السلام.

وكان شيخ أهله وكريم قومه ومن رجال بني هاشم حيث البيان والعلم والزهد والفضل والاحاطة بالانساب وايام الناس.

وكان اشترك مع محمد وابراهيم إبني عبد الله بن الحسين بن الامام الحسين ثم توارى.

وقد تزوج المهدي العباسي إبنته[٣].

---

(١) مقاتل الطالبيين، ص٢٥٧.

(٢) منتهى الآمال، للشيخ عباس القمي، ج٢، ص٨٥.

(٣) المصدر.

وتوفي عام مائة وخمس وثلاثون للهجرة وقيل سنة مائة واحدى واربعون.

٢- يحيى بن زيد

وكان يحيى بن زيد مع أبيه في المعركة وبعد استشهاد ابيه تولى دفنه وسار إلى نينوى والمدائن حتى وصل إلى الري، ثم وصل الى بلخ، ونزل على العريش بن عبد الرحمن الشيباني.

وبعد هلاك هشام بن عبد الملك ومجيء الوليد بن يزيد للحكم أمر باعتقال العريش بن عبد الرحمن، وضرب ستمائة سوط وقيل له والله لتزهقنّ نفسك او تأتي يحيي بن زيد.

فقال العريش بن عبد الرحمن الشيباني: والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها فاصنع ما أنت صانع.

فوثب ابنه قريش بن العريش فقال لعقيل بن معقل الليثي الذي تولى اعتقال وتعذيب أباه: لاتقتل أبي وانا آتيك بيحيى، فوجه معه جماعه فدلهم عليه وهو في بيت في جوفه بيت فأخذوه.

فحبس وقيد وجعل في سلسلة وكتب يوسف بن عمر الى الوليد فأمر الوليد بإطلاق سراحه وسراح اصحابه وان يأمنه.

فاطلق سراحه وأعطى له ألفي درهم ونعلين وحذره من الفتنة وأمره بالتوجه الى الشام حيث الوليد بن يزيد. ولما أُطلق يحيى بن زيد وفك حديده صار جماعة من مياسر الشيعة الى الحدّاد ففك قيده من رجله فسألوه ان يبيعهم اياه وتنافسوا فيه وتزايدوا حتى بلغ عشرين الف درهم فخاف الحدّاد أن يشيع خبره فيؤخذ منه المال.

فقال لهم اجمعوا ثمنه بينكم، فرضوا بذلك واعطوه المال، فقطعه قطعة قطعة، وقسمه بينهم فاخذوا منه فصوصاً للخواتيم يتبركون بها.

واستعد يحيى للخروج وقد جمع سبعين فارسا وارسل نصر بن يسار وعمر بن زرارة ومعه زهاء عشرة آلاف فقاتلهم يحيى فهزمهم وقتل عمرو بن زرارة وامتلك عسكره وما فيه واعاد نصر بن يسار الكرة واتبع يحيى بن زيد الذي وصل الى الجوزجان حيث ارسل سام بن

احوز في ثمانية آلاف فارس من اهل الشام وغيرهم واقتتلوا ثلاثة ايام ولياليها فقتل اصحاب يحيى كلهم وأتت نشابة في جبهته فاستشهد منها وحز رأسه وصُلِب على باب مدينة الجوزجان، فلم يزل مصلوباً حتى نهاية الحكم الاموي وظهور أبي مسلم الخراساني الذي أنزل يحيى وغسله وكفنه وحنطه وصلى عليه ثم دفنه ثم تتبع قتلة يحيى فلم يترك أحداً الا قتله.

واقام العزاء عليه مدة اسبوع في خراسان ونواحيها، وفي تلك السنة التي قُتِل فيها يحيى كان يسمى كل مولود يولد بخراسان باسمه (يحيى).

وكانت شهادته سنة مائة وخمس وعشرون للهجرة، والدته ريطة بنت أبي هاشم بن محمد بن الحنيفة.[١]

وكان يحيى بن زيد ممن يعتقد بامامة الامام جعفر الصادق عليه السلام.

وكان يحيى يحمل معه الصحيفة السجادية، واوصى بها أن تُدفع الى محمد وابراهيم إبني عبد الله بن الحسن ابن الامام الحسن.

وقد سلم الامام الصادق عليه السلام هذه الامانة الى محمد وابراهيم وقال لهما:

هذا ميراث ابن عمكما يحيى عن ابيه قد خصكما به دون اخوته ونحن مشترطون عليكما فيه شرطاً. فقالا: رحمك الله فقولك المقبول.

فقال: لاتخرجا بهذه الصحيفة من المدينة.

قالا: ولم ذاك؟

قال: إن ابن عمكما خاف عليها امراً اخافه انا عليكما.

قالا: انما خاف عليها حين علم انه يُقتل.

فقال ابو عبد الله عليه السلام: وانتما فلا تأمنا، فوالله اني لأعلم انكما ستخرجان كما خرج وستُقتلان كما قُتِل. فقاما وهما يقولان:

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[٢].

---

(١) مقاتل الطالبيين، شهادة يحيى بن زيد، ص١٠٣.
(٢) منتهى الآمال، للشيخ القمي، ج٢، ص٨٥.

٣- عيسى بن زيد

ولد عام مائة وتسعة في دير الانصار حيث كان ابوه زيد قد اشخص الى هشام بن عبد الملك وكانت ام عيسى معه فضربها المخاض في الطريق فنزل ديرٍ للنصارى فولدت تلك الليلة (عيسى) سماه باسم المسيح.

اشترك عيسى بن زيد مع محمد ذي النفس الزكية في حركته ضد المنصور وكان على ميمنته او مسؤول شرطته. وعند استشهاد محمد ذي النفس الزكية إلتحق بحركة ابراهيم ذي النفس الزكية بالبصرة وشهد الحرب معه وكان حامل رايته ووصيّه.

ولما قتل ابراهيم بباخمرى، انصرف عيسى الى الكوفة وفي طريقه الى الكوفة عرضت له لبوة معها اشبالها فجعلت تحمل على الناس فأخذ عيسى سيفه وترسه ثم نزل اليها فقتلها، فقال له مولى له: أيتمت أشبالها يا سيدي، فضحك وقال: نعم أنا ميتم الأشبال، فكان أصحابه بعد ذلك اذا ذكروه كنوا عنه قالوا: قال مؤتم الأشبال كذا، وفعل مؤتم الأشبال كذا، فيخفى أمره.

إختفى ايام المنصور والمهدي والهادي، وفي أيام الهادي مات بالكوفة سنة مائة وتسع وستون وله ستون سنة. قالوا: وكان عيسى افضل من بقي من اهله ديناً وعلماً وورعاً وزهداً وتقشفاً وأشدّهم بصيرة في أمره ومذهبه مع علم كثير ورواية للحديث وطلباً له وكان شاعراً[١].

وقد اختفى في حي الكوفة طيلة حياته وأخفى نسبه عن الناس حتى مات.

وفي ايام اختفائه قال يحيى بن الحسين بن زيد أنه سأل أباه قائلاً: يا أبه اني اشتهي ان أرى عمي عيسى بن زيد فإنه يقبح بمثلي أن لا يلقى مثله من أشياخه، فدافعني عن ذلك مدة وقال: ان هذا امر يثقل عليه، واخشى ان ينتقل عن منزله كراهية لقائك اياه فتزعجه، فلم ازل أداريه وألطف به حتى طابت نفسه لي بذلك فجهزني الى الكوفة وقال لي: اذا صرت اليها فاسأل عن دور بني حي، فاذا دُللت عليها فاقصدها في السكة الفلانية، وسترى في وسط السكة داراً لها باب صفته كذا وكذا فاعرفه واجلس بعيداً منها في اول السكة، فانه سيقبل عليك عند المغرب كهل طويل، مسنون الوجه، قد اثر السجود

(١) نفس المصدر، السابق، ص٩٢.

في جبهته، عليه جبة صوف يستسقي الماء على جمل، وقد انصرف يسوق الجمل لايضع قدماً ولايرفعها الا ذكر الله -عزّ وجل- ودموعه تنحدر، فقم وسلم عليه وعانقه، فانه سيذعر منك كما يذعر الوحش، فعرفه نفسك وانتسب له، فانه يسكن اليك ويحدثك طويلاً، ويسألك عنا جميعاً ويخبرك بشأنه ولايضجر بجلوسك معه، ولاتطل عليه وودعه فانه سوف يستعفيك من العودة اليه فافعل ما يامرك به من ذلك، فانك ان عدت اليه توارى عنك واستوحش منك وانتقل عن موضعه، وعليه في ذلك مشقة.

فقلت افعل كما امرتني. ثم جهزني الى الكوفة وودعته وخرجت، فلما وردت الكوفة قصدت سكة بني حي بعد العصر، فجلست خارجها بعد أن تعرفت الباب الذي نعته لي، فلما غربت الشمس إذا أنا به قد أقبل يسوق الجمل وهو كما وصف لي أبي لايرفع قدماً ولايضعها الا حرك شفتيه بذكر الله ودموعه ترقرق في عينيه وتذرف احياناً، فقمت فعانقته فذعر مني كما يذعر الوحش من الانس، فقلت: يا عم أنا يحيى بن الحسين بن زيد بن أخيك، فضمني اليه وبكا حتى قلت قد جاءت نفسه، ثم اناخ جمله وجلس معي فجعل يسألني عن اهله رجلاً رجلاً، وامرأة امرأة، وصبياً صبياً، وانا اشرح له اخبارهم وهو يبكي، ثم قال: يا بني انا استسقي على الجمل الماء، فأصرف ما اكتسب - يعني من أجرة الجمل- الى صاحبه واتقوت باقيه، وربما عاقني عائق من استسقاء الماء فاخرج الى البرية، يعني بظهر الكوفة فالتقط ما يرمي الناس به من البقول فأتقوته.

وقد تزوجت الى هذا الرجل ابنته، وهو لايعلم مَنْ انا الى وقتي هذا فولدت مني بنتاً، فنشأت وبلغت، وهي ايضا لاتعرفني ولاتدري من أنا، فقالت لي امها: زوج ابنتك يابن فلان السقاء لرجل من جيراننا يسقي الماء، فانه ايسر منا وقد خطبها، والحت علي فلم اقدر على اخبارها بان ذلك غير جائز، ولا هو بكُفء لها فيشيع خبري، فجعلت تلح عليّ فلم ازل استكفي الله امرها حتى ماتت بعد ايام فما اجدني آسى على شيء من الدنيا أساي على أنها ماتت ولم تعلم بموضعها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال: ثم اقسم عليّ أنْ أنصرف ولا اعود اليه وودعني. فلما كان بعد ذلك صرت الى الموضع الذي انتظرته فيه لأراه فلم أره، وكان آخر عهدي به[١].

---

(١) مقاتل الطالبين، لأبي الفرج، ص٢٧٠-٢٧١.

«وكان عيسى افضل من بقي من اهله علماً وورعاً وزهداً وتقشفاً واشدهم بصيرة في امره ومذهبه مع علم كثير وقد روى عن أبيه وعن جعفربن محمد»[١].

٤- محمد بن زيد

وهو أصغر أولاد زيد وكان في غاية الفضل ونهاية النبل. وقد نقل صاحب عمدة الطالب القصة التالية التي تدل على غاية النبل والسمو ورفعة الشأن:

طلب المنصور محمد بن هاشم وجدَّ في طلبه حتى اذا حج في بعض السنين احس ان محمد بن هشام في المسجد الحرام فامر الربيع بغلق الابواب الا باباً واحدة وان لايخرج منه الا من عرفه فأحس (محمد بن هشام) بالشر وتحيَّر فيما يعمل وبدى على سلوكه الإرباك فلمحه محمد بن زيد وهو لايعرفه.

فقال له: اراك متحيراً فمن انت؟

قال محمد بن هشام: ولي الامان؟ فأمّنَه محمد بن زيد فعرَّفه محمد بن هشام بنفسه.

وقال محمد بن هشام: من أنت؟

فقال: أنا محمد بن زيد.

فاسقط في يد محمد بن هشام، وقال: عندالله احتسب نفسي اذن.

فقال له محمد بن زيد: لا بأس عليك، فانك لست بقاتل زيد، ولا في قتلك درك بثأره.

والآن خلاصك اولى لي باسلامك، ولكن تعذرني في مكروه أتناولك به، وقبيح أخاطبك به، يكون فيه خلاصك؟

قال: أنت وذاك.

فطرح بردائه على رأسه ووجهه وأقبل يجرّه، فلمّا اقبل على الربيع لطمه لطمات وقال: يا أبا الفضل ان هذا الخبيث جمّال من اهل الكوفة أكراني جماله ذهاباً واياباً وقد

---

(١) منتهى الامال، للشيخ القمي، ص٩٢.

هرب منّي.

فضم اليه حارسين، فمضيا معه فلما بعد من المسجد قال له: يا خبيث تؤدّي اليّ حقيّ؟ قال: نعم يابن رسول الله، فقال للحارسين: انطلقا. فقبّل محمد بن هشام رأسه وقال: بأبي انت وامي (الله أعلم حيث يجعل رسالته) ثم اخرج له جوهراً له قدر فدفعه اليه، وقال: تشرفني بقبول هذا.

فقال: إنّا اهل البيت لانقبل على المعروف ثمناً وقد تركت لك اعظم من هذا، دم زيد بن علي، انصرف راشداً ووار شخصك حتى يرجع هذا الرجل فانه مجدٌّ في طلبك[1].

(١) عمدة الطالب، ابن عنبة، ص٢٩٩.

الفصل الثاني

إمامة زين العابدين عليه السلام

* خيار التصدي الصعب
* الاطلاع على الغيبيات
* الامام وهيبة الامامة
* وقفة حول امامة محمد بن الحنفية
* مفردات النص على امامة الامام عليه السلام
* الرؤية السياسية عند الامام زين العابدين عليه السلام
* الامام زين العابدين وحفاظه على وحدة الصف الاسلامي
* موقع الامام في الامة
* الموقع الجماهيري والرمزية

خيار التصدي الصعب

تعرضت حياة الامام زين العابدين عليه السلام الى مواقف صعبة قلّما تعرض لها امام آخر خصوصاً أيام امامته، فكانت محنة الامام بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام حتى وصول موكب أهل البيت عليهم السلام الى المدينة واضحة وجلية، حيث الهجمة الشرسة على آل الرسول صلى الله عليه وآله وما يتطلب ذلك من تفويت الفرص على الحقد الاموي والزيادي وعدم تمكينهم من الوصول إلى اهدافهم في تصفية البقية الباقية من نسل الامامة.

وهذا يتطلب ان يكون هناك شخصٌ غير الامام زين العابدين عليه السلام يقف لمواجهة الاحداث والتصدي لها ويقوم بادارة الامور.

وقد برزت العقيلة زينب عليها السلام الى تولي هذا الدور ومارسته بكل جدارة.

فكانت هي المتصدية في الحديث ورد الكلام على الآخرين وملاذ موكب أهل البيت عليهم السلام. وفي هذا الحيز المتاح حديث حول آلية هذه الادارة وتبعاتها إذ إن الامام عليه السلام كان هو الميسِّر للسيدة زينب عليها السلام في معضلات الاحداث، فكانت تتحرك بعد استشارة الامام عليه السلام فكان هو المدير الفعلي للأحداث ولكن بواجهة السيدة زينب عليها السلام.

فأحداث كربلاء والكوفة والشام والمدينة والمنورة كانت تطلب موقفاً شجاعاً صلباً ساخناً يقطع الطريق على طغاة آل امية.

وكان الوضع بحاجة إلى ابراز موقف يبين الحقيقة والواقع للناس الذين كانوا لايعرفون بعد خلفيات طرفي المعركة وتفاصيل أحداث كربلاء وواقعة ما جرى في كربلاء ومَنْ هم طرفا المعركة.

فمن هو الحسين بن علي بن أبي طالب، وما هي جذوره ومنطلقاته؟ ويزيد بن

معاوية وعبيد الله بن زياد، من هم؟ وما هي بواعث الامام وأهل بيته في هذه المعركة؟ فهل هم خوارج شقوا عصا الطاعة على يزيد ام هناك قضية أخرى هي انحراف يزيد عن الشريعة وان الذي قادة المعركة هو حفيد صاحب الرسالة وابن علي بن أبي طالب عليه السلام وابن فاطمة الزهراء عليها السلام.

ما جرى في كربلاء يجب أن يُصرح به ويُنشر على رؤوس الاشهاد بكل تفاصيله ومفرداته حتى لا يُتصور أنها معركة حدثت وانتهت ويجب أن يسدل عليها الستار.

وان يكون هذا الحديث في حضور الطغاة وعلى مرآى ومسمع منهم.

وان يكون بطريقة صلبة وقوية من دون أي خضوع أو اظهار انكسار وضعف حتى لايظن الطغاة انهم سلبوا ارادة اهل البيت عليهم السلام وكسروا شوكتهم وصادروا موقفهم.

بل ان الموقف بحاجة إلى من يرد الصاع صاعين ويلقم الطرف الاخر حجراً وبكل جرأة وثقة بالنفس، وطبيعي ان هذه الطريقة تعرِّض صاحبها الى خطر التصفية الجسدية، خاصة اذا عرفنا ان العدو الطاغي يبحث عن ذريعة لتصفية اهل البيت عليهم السلام، فشعارهم بكربلاء كان: لاتبقوا لأهل هذا البيت باقية[1].

وما عرف عن الامام زين العابدين عليه السلام في معركة كربلاء من المرض والوعكة الصحية كان لتفادي عملية التصفية الجسدية له.

لان كربلاء شهدت تصفية جسدية حتى للطفل الرضيع فكيف بالشاب الذي يملأ العين في هيكله.

وفي الكوفة جرى حوار هادئ بين الامام زين العابدين عليه السلام وعبيد الله بن زياد عندما نظر الطاغية الى الامام وكان يعتقد ان الكل قد صُفيّ فكيف بقى هذا حياً.

سأل عبيد الله بن زياد الامام السجاد عليه السلام فقال: من أنت؟ فقال الامام زين العابدين عليه السلام: أنا علي بن الحسين، فقال ابن زياد: اليس قتل الله علي بن الحسين.

(١) الارشاد، للشيخ المفيد، ص٢٣١.

فقال الامام عليه السلام: كان لي اخ يسمى علياً قتله الناس.

فقال ابن زياد: بل الله قتله.

فقال الامام عليه السلام: الله يتوفى الانفس حين موتها.

فغضب ابن زياد وقال: وبك جرأة وفيك بقية للرد عليّ، اذهبوا واضربوا عنقه.

فتعلقت به عمته زينب وقالت: يابن زياد حسبك من دمائنا واعتنقته وقالت: لا والله لا افارقه فان كنت عازماً على قتله فاقتلني معه.

فنظر إبن زياد اليها ثم قال: عجباً للرحم، اني لاظنها ودت اني قتلتها معه، ثم قال: دعو الغلام، انطلق مع نسائك. وبهذه الطريقة انجت العقيلة زينب الامام من التصفية الجسدية.

ومراجعة سريعة الى خطب العقيلة زينب عليها السلام في الكوفة والشام بما افصحت عن كلمات قوية وجريئة وشجاعة لو كان المتكلم بها رجل لقتله عبيد الله بن زياد في الكوفة او يزيد بن معاوية في الشام.

فنجدها في الكوفة تتعامل مع عبيد الله بن زياد تعامل الابطال، فحينما سأل عنها قيل له هذه زينب بنت امير المؤمنين عليه السلام.

فقال بن زياد: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب احدوثتكم.

فقالت عليها السلام: الحمد لله الذي اكرمنا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله وطهّرنا من الرجس تطهيراً، انما يُفتضح الفاسق ويُكذَّب الفاجر وهو غيرنا.

قال بن زياد: كيف رأيتِ فعل الله بأهل بيتك؟

فقالت السيدة زينب عليها السلام: ما رأيت إلاّ جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتال فبرزوا الى مضاجعهم وسيجمع الله بينك بينهم فتحاج وتخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذٍ ثكلتك امك يابن مرجانة.

فغضب ابن زياد واستشاط من كلامها وقد سمع كلامها كل من حضر المجلس فقال عمر وبن حريث: إنها امرأة وهل توآخذ المرأة، بشيء من منطقها أو تلام على خطئها؟ فالتفت اليها ابن زياد وقال: لقد شفى الله قلبي من طاغيتك والعصاة المردة من

أهل بيتك.

فقالت السيدة زينب: لعمري لقد قتلتَ كهلي، وأبدتَ اهلي، وقطعتَ فرعي، واجتثثتَ اصلي، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت[١].

خطبة السيدة زينب في الشام

وعندما نتأمل في كلمات السيدة زينب النادبة ليزيد وهي تقول:

«أظننت يا يزيد حيث اخذت علينا اقطار الارض وضيقت علينا آفاق السماء، فأصبحنا نُساق اليك سوقاً في الاقطار وانت علينا ذو اقتدار، أنّ بنا على الله هوانا وأنّ بك عليه كرامة وامتناناً، وأن ذلك لعظم خطرك وجلالة قدرك حين رأيت الدنيا لك مستوسقة، والامور لديك متسقة، وحين صفا لك ملكنا وخلص لك سلطاننا؟ فمهلاً مهلاً، لاتطش جهلاً، انسيت قول الله عزّ وجل: ﴿**وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾[٢].

أمِنَ العدل يابن الطلقاء تخديرك حرائرك وامائك وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبايا قد هُتِكت ستورهن وابديت وجوههن، تحدوا بهن الاعداء من بلد الى بلد، عتواً منك على الله وجحوداً لرسول الله، ودفعاً لما جاء به من عندالله، ولا غرو منك ولا عجب من فعلك، وأنّى ترتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الشهداء، ونبت لحمه بدماء السعداء، ونصب الحرب لسيد الانبياء، وجمع الاحزاب، وشهر الحراب.. ثم قالت في جانب آخر من الخطبة: وفعلتَ فعلتك التي فعلت وما فريت الا جلدك، وما جزرت الا لحمك... فوالله الذي شرفنا بالوحي والكتاب، والنبوة والانتخاب، لاتدرك امدنا، ولاتبلغ غايتنا، ولاتمحو ذكرنا، ولايرحض عنك عارنا.

وهل رأيك الا فند، وأيامك الا عدد، وجمعك الا بدد، يوم ينادي المنادي الا لعن الله الظالمين[٣].

(١) الارشاد، للشيخ المفيد، ص٢٤٤.
(٢) آل عمران، ١٧٨.
(٣) الاحتجاج، للطبرسي، ص٣٠٨-٣١٠

حوار ساخن مع يزيد

وفي حوار آخر ساخن مع يزيد بن معاوية وشامي أراد أخذ إحدى بنات أهل بيت النبوة.

قال الشامي: يا امير المؤمنين هب لي هذه الجارية (يعني فاطمة بنت الحسين عليه السلام).

فقالت زينب للشامي: كذبت ولؤمت، والله ما ذاك لك ولا له.

فغضب يزيد ثم قال: ان ذلك لي ولو شئت أن أفعل لفعلت.

قالت زينب: كلا والله ما جعل الله ذلك لك إلاّ ان تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا.

فقال يزيد: انما خرج من الدين ابوك واخوك.

قالت زينب: بدين الله ودين أبي ودين اخي إهتديتَ أنت إن كنتَ مسلماً.

قال يزيد: كذبتِ يا عدوة الله.

فقالت زينب: انت امير تشتم ظلماً وتقهر بسلطانك.

فكأنه استحى فسكت[1].

ان هذه الجرأة وبهذه الكلمات اللاهبة التي واجهت بها السيدة زينب طاغية الشام والكوفة لو كانت من رجل، حتى لو كان الامام عليه السلام، لقتلوه.

إن هذه الكلمات إحتضنت مفاهيم عَرَّت الطغاة من ايمانهم، وحذرت الانحراف والبغض والكفر. ونجد أن الامام زين العابدين عليه السلام خطب في الكوفة والشام ولكن خطبه اخذت منهجاً آخر، واتبع منهجية تختلف عن منهجية السيدة زينب عليها السلام، نختار منها مقطعاً.

كلمات الامام في الكوفة

عن خطاب الامام زين العابدين عليه السلام في الكوفة مخاطباً اهلها قال حذيم بن شريك الاسدي: وخرج الامام زين العابدين عليه السلام الى الناس وأشار اليهم أن اسكتوا

---

(١) المصدر، ص ٣٠٠.

فسكتوا وهو قائم، فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال:

ايها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا علي بن الحسين، المذبوح بشط الفرات من غير دخل ولاتراث، انا ابن من انتهك حريمه، وسلب نعيمه، وانتهب ماله، وسُبي عياله، انا ابن من قُتل صبراً، فكفى بذلك فخراً[1].

وفي الشام تحدث الامام عليه السلام بنفس المنهجية المعرِّفة بنفسه وبأهل بيته من دون التطرق إلى الطغاة.

قال يزيد: يا علي الحمد لله الذي قتل اباك.

فقال علي عليه السلام: قتل أبي الناس.

قال يزيد: الحمد لله الذي قتله فكفانيه.

قال الامام زين العابدين عليه السلام: على من قتل أبي لعنة الله، أفتراني لعنت الله عزّ وجل.

قال يزيد: يا علي اصعد المنبر فأعلم الناس حال الفتنة، وما رزق الله امير المؤمنين من الظفر.

فقال علي بن الحسين عليه السلام: ما أعرفني بما تريد.

فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال:

أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرِّفه بنفسي: أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن المروة والصفا، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن من لا يخفى، أنا ابن من علا فاستعلى، فجاز سدرة المنتهى، فكان من ربه قاب قوسين أو أدنى.

فجهش اهل الشام بالبكاء حتى خشي يزيد أن يرحل من مقعده فقال للمؤذن: أذّن. فلما قال المؤذن: الله أكبر، الله أكبر.

جلس علي بن الحسين على المنبر. فقال المؤذن: أشهد أن لا اله الا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله.

(١) الاحتجاج، للطبرسي، ج٢، ص٣٢.

بكى علي بن الحسين عليه السلام ثم التفت الى يزيد فقال: يا يزيد هذا جدي أم جدك؟ قال يزيد: بل جدك[1].

إن منهجية الامام عليه السلام في التحدث عملت على تجنب اثارة الطغاة وتفجير الموقف بما يثير غضبهم، ولكن العقيلة زينب إنتهجت في طريقة حديثها الهجوم على الطغاة واستعمال مفرداتها من كلمات تلهب ظهورهم وتتعرض لهم ولتأريخهم بكل شجاعة.

وهذه المنهجية تدلل على أن المتصدية لمواكب اهل البيت عليهم السلام هي السيدة زينب، وبذلك تتفادى مس الامام بسوء أو أي خطر آخر على حياته عليه السلام. وهذا تدبير الهي حكيم، بأدوات بشرية من اجل الحفاظ على الائمة عليهم السلام وتكميل دورهم الالهي في الارض.

وبعد وصول موكب اهل البيت عليهم السلام الى المدينة المنورة هاج الناس بشكل ملفت للنظر، حيث المدينة المنورة موطن اهل البيت وبني هاشم وفيها رموزهم من محمد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن العباس والكل جلس للعزاء باستشهاد الامام الحسين واهل بيته عليهم السلام.

وكان هياج الناس وابداء انفعالاتهم العاطفية لمواساة أهل بيت النبوة على ما جرى لسبط الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

هذه العوامل الجماهيرية جعلت السلطة الاموية تكشّر انيابها اكثر وتشدد انفعالاتها الغاضبة على آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم باعتبارهم نواة وباعث وسبب هذا الهياج الجماهيري الغاضب على السلطة.

وفي هذا الجو المشحون بالغضب على السلطة الاموية ظهرت أمارات الخطر على حياة الامام زين العابدين عليه السلام، ولكي لاتتعرض حياته الى سوء عن عمد أو غير عمد من آل امية واعوانهم فقد استمر تقسيم الدور بين الامام زين العابدين عليه السلام والسيدة زينب بنت امير المؤمنين عليها السلام، حيث ان الامام زين العابدين تراجع عن الواجهة الامامية، ولم يباشر الاحتكاك المباشر بالناس، وانعزل عنهم حتى لايُعرف له دور قيادي ويقال انه المحرك للعواطف الجماهيرية، لأن وجود الامام عليه السلام وهو يستقبل الناس

(١) الإحتجاج، للطبرسي، ج٢، ص٣٩.

ويتحدث معهم كان بحد ذاته يحسب عامل اثارة وحركة ضد السلطة.

وكشف الامام عن حالة الابتعاد واتخذ خطوة اكثر للابتعاد الظاهري عن الناس والانعزال كليا حيث خرج الى الصحراء ونصب بيتا من الشعر سكن فيه.

ومن خيمته كان يخرج لزيارة قبر جده امير المؤمنين عليه السلام وأبيه الحسين عليه السلام[1].

ويتم ذهاب الامام زين العابدين عليه السلام من الخيمة خارج المدينة المنورة إلى العراق للزيارة.

ويفترض أن هذه الفترة التي قضاها الامام في الانعزال خارج المدينة المنورة ليست قصيرة.

فإذا كان الامام قد زار العراق مرة واحدة فهي تعني اكثر من شهر واذا كان اكثر من مرة وحسب مفهوم الرواية، فنعرف أن الفترة طويلة.

وفعلاً فان هذا الدور قد مارسه الامام زين العابدين عليه السلام، لكن هذا لايعني ان الامام عليه السلام ترك الامور وانعزل عن الناس على ان الامر لايعنيه، فهذا لم يُعرف عن اهل بيت الرسالة، وانما استمرت السيدة زينب في تحمل اعباء التصدي، وان تكون هي باب الامام زين العابدين. فقامت العقيلة زينب بدورين أساسيين:

أولاً: الإستمرار في تبيان مظلومية اهل البيت عليهم السلام وشرح آلية ما جرى على آل الرسالة في كربلاء من مفردات المصائب، وتبيان هذه الامور للنساء الزائرات والمعزيات والمشاركات في المصاب وهن لسن بالعدد القليل لان الرجال الذين قتلوا في كربلاء لهم من النساء والمعارف والاقرباء العدد الكثير وهذا بحد ذاته يقلب المدينة رأسا على عقب ولايدع في المدينة بيتا إلاّ وفيه ناعية لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

بل ان العقيلة زينب عليها السلام كان لها مجلس خاص لتفسير القرآن الكريم تحضره النساء[2].

وهذه المجالس تحولت الى مواقع للمعارضة وتنشيط الحركة فيها، وتفعيل مادتها،

(١) فرحة الغري، لابن طاووس، ص٤٣.
(٢) اعلام النساء المؤمنات، ص٣٨١.

وصنع الاحداث، وهذا حق طبيعي لأي انسان يقتل اهله من اولاد واخوة وابناء عم وبتلك الطريقة الفجيعة.

الاّ اللهم تصديق المثل القائل: ما عشت اراك الدهر عجباً.

وهو ما حدث في بلد كالعراق (في عهد الطاغية) حيث يُعدم الابن أمام اهله، ويُطلب منهم الفرح لقتل ابنهم، فكيف يمكن ان يكون هذا الا في اوج الطغيان، وكيف اذا كان هذا الشهيد هو اعز الناس؟

فما بالك اذا كان هذا الشهيد هو الحسين بن علي بن فاطمة الزهراء حفيد رسول الله ﷺ، بل ان الرجال الشهداء هم قضية، والمسؤولية الدينية التي مضوا من اجلها لابد ان تستمر وتتفاعل في الامة حيث هي حبل ممدود لم يتوقف عند استشهاد الامام الحسين عليه السلام، بل كانت هذه الشهادة هي الوقود من اجل الاستمرار، وكان على العقيلة زينب أن تستمر في اداء هذا الدور وتحمل مسؤولية توعية الناس. ولو أنها اكتفت في بيان فضائل اهل البيت عليهم السلام من دون أن تتعرض للحالة السلبية عند الطغاة الذين مارسوا الظلم ضد اهل البيت عليهم السلام لكان ذلك كافيا في أن تتحرك الناس ضد آل امية.

نعم ان السيدة زينب عليها السلام قادت المعارضة ضد آل امية فكرياً وسياسياً وادت دورها بكل شجاعة وثقة بالنفس.

أما ما هي الفترة الزمنية التي قضتها السيدة زينب وهي تؤدي هذا الدور؟ الذي اعتقد أنها لم تتوقف عن اداء رسالتها طوال حياتها لان الظروف لم تتغير في الاتجاه الايجابي حتى يتوقف التحرك الرسالي عندها، حيث استمر بنو امية في اداء دورهم العدواني ضد الامة وطلائعها وهم اهل البيت عليهم السلام.

اما عدم تعرض مسلم بن عقبة قائد الجيش الاموي حين دخل المدينة عام اربع وستون للهجرة الى السيدة زينب بسوء، فهذا يرجع الى:

١- ربما لم تكن حية الى ذلك الزمان حيث يذهب البعض أنها توفيت بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام بعام واحد، وهذا يعني أنها لم تدرك التحرك العسكري[1].

---

(١) اعلام النساء المؤمنات، محمد حسون، ص٣٩٤، نقلا عن اخبار الزينبيات، ص١٢٢.

٢- ان التاريخ لم ينقل ذكراً لعبد الله بن جعفر الطيار في تلك الاحداث، فإما ان يكون قد غادر المدينة الى بعض الضياع او الى مكة ليكون بعيداً عن الاحداث العسكرية وكانت زوجته العقيلة زينب معه لان محمد بن الحنفية وعبد الله بن العباس كانوا في مكة في احداث الحرة او أنها كانت مع عيال الامام زين العابدين عليه السلام الذين اخرجهم الى خارج المدينة (ينبع)(١).

ولكن المؤرخين يذكرون اسماء ابناء عبد الله بن جعفر الطيار فيمن خرجوا في واقعة الحرة واستشهد منهم اثنان. وهناك رأي يقول: إن عبد الله بن جعفر كان في الشام حينها، والظاهر ان السيدة زينب كانت معه(٢).

٣- ان (مسلم) مسرف بن عقبة تعامل مع اهل الامام زين العابدين عليه السلام بالايجاب بناءً على وصية من يزيد(٣).

٤- ان تحركها في الحديث السياسي عبر نشر فضائل آل البيت عليهم السلام وبيان آلام كربلاء دفع الطغاة الامويين الى ابعادها عن المدينة وترحيلها الى بلد آخر، وبذلك فإنها لم تكن في المدينة المنورة في أحداث الحَرة(٤).

وعليه فان عدم معاملة مسرف بن عقبة سلبياً مع السيدة العقيلة زينب لايؤخذ دليلاً على عدم تحركها في المدينة المنورة ايجابياً في نشر فضائل آل البيت او سلبياً ضد آل امية(٥).

إذن، فليس هناك امر سلبي في رواية العبدي التي يقول فيها:

ان زينب بنت علي عليها السلام رأت بعد وصولها الى المدينة على العمل للثورة وعلى تعبئة النفوس لها وتأليب الناس على حكم يزيد حتى لقد خاف عمرو بن سعيد الاشرق والى يزيد على المدينة انتقاض الامر فكتب الى يزيد عن نشاطها كتابا قال فيه حسب ما نقله

(١) راجع موقف الامام زين العابدين في ثورة المدينة.
(٢) راجع فصل بني هاشم (واقعة الحرة).
(٣) راجع فصل موقف الامام زين العابدين عليه السلام من ثورة المدينة.
(٤) راجع الحياة السياسية للامام السجاد عليه السلام، ص ٩٨-٩٩.
(٥) ثورة الحسين، للقرشي، ص٢٦٩.

النسّابة العبدي:

ان وجودها بين اهل المدينة مهيج للخواطر، وأنها فصيحة عاقلة لبيبة، وقد عزمت هي ومن معها الى القيام للأخذ بثأر الحسين فأتاه كتاب يزيد بأن يفرق بينها وبين الناس[(١)].

ثانياً: أدت العقيلة زينب سلام الله عليها دور الوسيط بين شيعة اهل البيت عليهم السلام وبين الامام عليه السلام حيث كان أتباع اهل البيت اذا حصلت لهم بعض الاشكالات والاسئلة ويريدون جواباً لها فإن السيدة زينب عليها السلام اما هي تتصدى للجواب او تأخذ الجواب من الامام عليه السلام وترده اليهم. وعلى الرغم من أنّ أتباع اهل البيت في عصر استشهاد الامام الحسين عليه السلام كانوا قلة حيث يتردد العدد بين الثلاث والخمس أنفار، والباقون ابتعدوا خوفاً من طغيان بني امية، ولكن هؤلاء كانوا اعمدة الامة ومرتكزاتها الفكرية والثقافية والفقهية فهم:

سعيد بن المسيب، سعيد بن جبير، محمد بن جبير، يحيى بن ام الطويل، ابو خالد الكابلي.

وكل واحد من هؤلاء امة في رجل من حيث الشهرة والعلمية والتأثير على الناس. فكانت السيدة زينب عليها السلام تؤدي دور المرجع في بيان المسائل واتيان الجواب في تحديد الموقف السياسي أو المسألة الشرعية.

والظروف السياسية القاتلة من حيث الارهاب والفتك لم تسمح لان يُعلن هذا الترتيب والآلية في تحرك اهل البيت وترتيب الوضع مع شيعتهم، حيث ان الائمة عليهم السلام عاشوا اوضاعاً سلبية وخافوا من الطغاة، ولكن الوسطاء بينهم وبين الامة عُرفوا، وتحدث عنهم الرواة وذكروا اسماءَهم وكانت بينهم وبين الأمة مراسلات ولكن التاريخ لم يتحدث عن ذلك، مع ان السيدة العقيلة زينب عليها السلام قد ادت دورا مهما في هذا المجال.

نعم تحدثت خديجة وحكيمة بنتا محمد بن علي الرضا عليه السلام وتحملتا هذه المسؤولية بوصية من الامام عليه السلام.

(١) المصدر.

عن احمد بن ابراهيم قال: دخلت على خديجة بنت محمد بن علي الرضا عليه السلام سنة اثنتين وستين ومئتين فكلمتها من وراء حجاب وسألتها عن دينها، فسمَّت لي من تأتم بهم.

قالت: فلان ابن الحسن فسمَّته. فقلت لها: فاين الولد.

قالت: مستور. فقلت: الى من تفزع الشيعة.

قالت: الى الجدة ام أبي محمد عليه السلام. فقلت: أقتدي بمن وصيته الى امرأة؟

فقالت: اقتد بالحسين بن علي عليه السلام، اوصى الى اخته زينب بنت علي في الظاهر وكان ما يخرج من علي بن الحسين عليه السلام من علم ينسب الى زينب ستراً على علي بن الحسين عليه السلام[1].

ولكن السيدة زينب عليها السلام غنية عن التعريف في المقام والعلم والفقاهة.

فكانت سلام الله عليها اذا دخلت على الامام الحسين عليه السلام يقوم احتراماً لها.

فقد دخلت عليه ذات مرة وكان يقرأ القرآن فوضع القرآن على الأرض وقام لها إجلالا[2].

والامام زين العابدين عليه السلام يخاطب عمته زينب بقوله: «وانتِ بحمد الله عالمة غير معلمة فاهمة غير مفهمة»[3].

فالمرأة التي تملك هذه الموصفات قادرة على تحمل هذه المسؤولية وكفوءَة لتأدية هذا الدور. وان المرأة التي تؤدي هذا الدور العظيم وتتحمل هذه المصائب بصبر واناة وحكمة وسداد وتصل بالامانة الى موقعها. إنها امرأة غير عادية، وتحمل بين اضلاعها نفحات ربانية، وأشعة هداية محمدية تثبت خطاها على الصراط المستقيم، وتحول دون وقوعها في الخطأ.

ومن الاحداث قلّ ما وصل الينا. ان الصور كانت واضحة امامها وان ما يجري في

(١) كتاب الغيبة، للشيخ الطوسي، ص١٣٨.
(٢) الاحتجاج، للطبرسي، ص٢٠٥.
٣(٣)- الاحتجاج، ج٢، ص٣١.

كربلاء كانت ملامحه بيّنة امامها، فنجدها تتحدث مع الامام زين العابدين عليه السلام بذلك.

فذات مرة رأت الامام زين العابدين عليه السلام جزع وهلع، قالت له: مالي اراك تجود بنفسك يا بقية جدي وابي واخوتي؟

فقال عليه السلام: وكيف لا اجزع واهلع وقد رأيت سيدي واخوتي وعمومتي وولد عمي مصرعين بدمائهم، مرملين بالعراء مسلبين، لايكفنون ولايوارون ولايعرج عليهم أحد، ولايقربهم بشر كأنهم أهل بيت من الديلم والخزر.

فقالت عليها السلام: لا يجزعنّك ما ترى فوالله ان ذلك لعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله الى جدك وابيك وعمك. ولقد اخذ الله ميثاق اناس من هذه الامة لاتعرفهم فراعنة هذه الامة وهم معروفون في اهل السموات، انهم يجمعون هذه الاعضاء المتفرقة وهذه الجسوم المضرّجه فيوارونها وينصبون بهذا الطف علماً لقبر ابيك سيد الشهداء، لايدرس اثره ولايعفى رسمه على مرور الليالي والايام، وليجتهدن ائمة الكفر واشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد إلاّ ظهوراً وامره إلاّ علواً[1].

وهذا حديث امرأة على قدر كبير من المعرفة للأسرار وعلم البلايا والمنايا، وهذه المعرفة مكَّنتها من الصبر ومواصلة المشوار والصبر على جسام الاحداث، ولولا هذه المعرفة لما تمكنت من المقاومة والصبر، لأنها رزايا لا يتحملها الانسان العادي، وقد اطلعت السيدة زينب على ذلك من ابيها الامام امير المؤمنين عليه السلام ومن الامام الحسن والحسين عليهما السلام.

وهي التي تربت في هذه الاجواء واخذت من مدرستهم، كما اخذ الكثير من اصحاب الائمة عليهم السلام علم البلايا والمنايا من امثال رشيد الهجري، وميثم التمار، وسعيد بن جبير.

وان قول السيدة زينب للامام زين العابدين عليه السلام ذلك، لايعني أنها مطلعة على هذه الاحداث والامام عليه السلام غير مطلع عليها، لان الامام تقلد موقع الامامة بعد استشهاد ابيه يوم العاشر من المحرم.

---

(١) كامل الزيارات، ص٢٦٣.

ولكن عظم المصيبة جعلت الامام يبكي ويندب اباه وعمه واخوته واهل بيته وبالطريقة التي هو وصفها.

وهذا لايتعارض مع علمه بالاحداث التي جرت وستجري بل انه يبكي اباه واخوته، وان التصدي الظاهري للسيدة زينب عليها السلام في ادارة الركب هو عمل تفرضه الحالة التي هم فيها ومن اجل ابعاد اعين الطغاة عنه عليه السلام وهذا لايقلل من شأنه وتحمل مسؤولية الامامة.

الاطلاع على الغيبيات

مثلما ان النصوص دلت على امامة الامام زين العابدين عليه السلام فان واقع الامام رسم نفس الصورة وأكد النصوص، وذلك من خلال مجموعة مفردات اعجازية مارسها الامام عليه السلام امام افراد الامة مما فتح خطاً خاصاً مع الامام عليه السلام.

والاعجاز الذي مارسه الامام جاء من اجل:

١- لكي يظهره للناس أنه مرتبط بالحق والقوة المطلقة التي تدير الكون وتهيمن عليه وتتصرف بما فيه مصلحة الحياة عامة، وانه قادر على التصرف بالاشياء ليصدق مسيرته المقدسة ودوره كأمام مخول من قبل الله سبحانه. وقد مارس الامام عليه السلام هذه الحالة مع عمه محمد بن الحنفية في قضية نطق الحجر الاسود[1].

وقد تصرف الانبياء والائمة في هذه الصلاحية التي منحها الله سبحانه لهم والقصص التي تُنقل في هذا المجال كثيرة ومتعددة، ودونتها كتب الاعتقاد والسيرة.

٢- الاعجاز يمارسه الائمة عليهم السلام ليقطع الشك الذي يدخل في قلوب الناس، وحتى اولئك الذين يقربون من الائمة عليهم السلام حين تأخذهم حالات بشرية في العجز عن تفسير بعض الظواهر عند الائمة ليزيل الشك في صدق امامة الأئمة عليهم السلام وفي هذه اللحظات ترى تدخل الحالة الاعجازية التي يمتلكها الائمة عليهم السلام لقطع الشك باليقين.

وقد مارس الامام زين العابدين عليه السلام قدرته الاعجازية -باذن الله تعالى- مع أبي خالد الكابلي.

إن أبا خالد الكابلي قال: كنت اقول بامامة محمد بن الحنفية فلقيني يحيى بن ام

---

(١) نقلنا الواقعة في فصل الامام زين العابدين ومحمد بن الحنفية.

الطويل ودعاني الى الدخول على علي بن الحسين فامتنعت، فقال لي: ما ضرك ان تقضي حقي وتلقاه مرة واحدة؟ فصرت معه ورأيته جالساً في بيت مفروش بالمعصفر ملبس الحيطان وعليه ثياب مصبغة. ولما اردت النهوض قال لي عليه السلام: صر الينا من الغد. فخرجت من عنده وقلت ليحيى: ادخلتني على رجل يلبس المصبغات. وعزمت على عدم الرجوع اليه، ولكني فكرت في عدم البأس من المصير اليه. وفي الغد اتيت الدار فلم ار احداً فهممت بالرجوع واذا به يصيح: ادخل، ثلاث مرات، فظننت انه يريد غيري، فصاح: ادخل يا كنكر. فأخذني العجب من معرفته باسم سمتني به امي ولم يعرفه غيرها، فدخلت عليه فوجدته جالساً على حصير بردي في بيت مطين وعليه كرابيس. فقال عليه السلام: يا أبا خالد اني قريب عهد بعرس وما رأيته بالامس من فعل الزوجة ولم احب خلافها.

ثم قال: ان شئت اريتك الجنة التي هي مسكني؟ قلت: نعم. فمسح عيني فرأيت كأني في الجنة انظر الى قصورها، وبقيت مدة انظر الى ذلك، ثم مسح على عيني فاذا انا بين يديه.

ثم ان ابا خالد طلب من محمد بن الحنفية - وكان يخدمه سبع سنين - ان يريه الدرع والمغفر اللذين هما لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال انهما عند علي بن الحسين عليه السلام، فصار اليه من الغد فرأى الباب مفتوحا، فتعجب لان ابواب الائمة مغلقة، ولما قرع الباب ناداه زين العابدين: ادخل يا ابا خالد، وبعد ان استقر به المجلس ابتدأه الامام بقوله: انا حجج الله وخزان وحيه فينا النبوة والامامة ومختلف الملائكة، وبنا يفتح الله وبنا يختم. فحمد الله ابو خالد على ما انعم عليه من الهداية الى طريق الحق وقال: اشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وان علي بن الحسين حجة الله على خلقه[١].

٣- ويستعمل الامام الاعجاز في ساحات ليظهر القدرة الالهية وصلاحية التصرف في الحياة امام المعاندين والطغاة برغم انفهم على انه الامام الحق ويفضح اطروحتهم، ويجردهم من القدسية، ويدعهم حكاما عادين اغتصبوا الحكم بالقوة ويمارسونه بالسطوة لا غير، فلا كفاءة ولا مؤهلات ولا تاريخا نظيفا، ولا ممارسة مسددة.

(١) الامام زين العابدين، للمقرم، ص٥٩.

وقد مارس الامام عليه السلام هذه الصلاحية والقدرة مع عبد الملك بن مروان عندما اعتقل جلاوزة عبد الملك الامام وارادوا تسييره الى الشام حيث عبد الملك بن مروان[١].

٤- وقد يمارس الامام هذه الصلاحية عندما تتشابك الامور عند الناس وتتصدى مجموعة من العلماء والفقهاء الى دور الافضلية والاحقية العلمية او الادعاء انهم والامام بمنزلة سواء، فيتصرف الامام عليه السلام بطريقة اعجازية ليفهم الطرف الاخر انه متقدم عليه وانه دون الامام في كل شيء بل انه صفر أمام الامام عليه السلام.

وتجربة الامام زين العابدين عليه السلام مع عبد الله بن عمر بن الخطاب خير شاهد على ذلك[٢].

٥- وقد يمارس الامام عليه السلام الحالة الاعجازية لنصرة اعوانه وشيعته ومؤيديه عندما يتعرضون الى محن امام الاعداء وتكون الحالة حالة تحدٍ واضح بين اتباع الائمة وبين المخالفين لهم، فيشتكون الى الامام عن هذه الحالة أو ان الامام يعلم عن واقع هذه الحالة فيبادر هو وبالطريقة الاعجازية لدعم اتباعه وحل مشكلتهم.

وقد مارس الامام زين العابدين عليه السلام هذه الحالة الاعجازية مع اصحابه، ومن تلك المفردات:

١- قصة حبابة الوالبية

روى جابر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام ان حبابة الوالبية دخلت على علي بن الحسين باكية، فسألها عن بكائها قالت: جعلني الله فداك، ان اهل الكوفة يقولون لو كان علي بن الحسين إمام حق كما تزعمين لاذهب هذا الذي بوجهك من الوضح. فاستدناها ودعا الله بما لم تفصحه ثم مسح بيده المباركة على وجهها ثلاث مرات فاذهب الله ببركة دعائه ما كان بوجهها من الوضح[٣].

---

(١) نقلنا القصة كاملة في فصل الامام وهيبة الامامة وحكام عصره.

(٢) نقلنا هذه الممارسة الاعجازية للامام زين العابدين عليه السلام مع عبد الله بن عمر بن الخطاب في فصل: الامام وعلماء عصره.

(٣) الامام زين العابدين، للمقرم ص٥٥.

٢- الامام وقضاء حوائج اصحابه

روى الزهري ان بعض اصحاب علي بن الحسين شكا اليه ديناً يبلغ خمسائة دينار وقد عجز عن وفائه، فأخذ عليه السلام يبكي، فسأله الرجل عن بكائه قال: وهل البكاء الا للمحن الكبار واي محنة اكبر من أن يرى الانسان اخاه المؤمن في حاجة لايتمكن على قضائها وفي فاقة لايطيق دفعها؟ فقال من حضر من اهل الخلاف: عجباً لهولاء بينما يدعون ان السماء والارض وكل شيء في طاعتهم وان الله تعالى لايردهم عما يريدون ثم يعترفون بالعجز عن إعانة خواصهم. فكبر على الرجل طعنهم في امام الحق أكثر مما انتابه من الحاجة، فدخل على زين العابدين عليه السلام وعرفه بطعن فلان وفلان وان قولهم في امامته اشد مما هو فيه من المحنة، فطمأنه الامام بالفرج ثم دعا بفطوره فجيء له بقرصين وقال للرجل خذهما فليس عندنا غيرهما وسيكشف الله تعالى بهما كربتك ويعطيك خيراً ببركتهما، فأخذهما الرجل ولايدري ما غناؤهما في قضاء دينه وستر عياله. فمر بسمّاك بارت عليه سمكته فابتاع السمكة بقرص واخذ بالقرص الثاني بعض الملح وجاء بها الى اهله.

فلما شق بطن السمكة وجد في جوفها لؤلؤتين وبينا هو يفكر فيما انعم الله به عليه واذا بصاحب السمكة والملح يطرقان عليه الباب ويقولون انا جهدنا في اكل القرصين فلم تعمل فيهما اسناننا وما نظنك الا وقد تناهيت في سوء الحال وقد سوغناك السمكة والملح والقرصين، وبعد انصرافهما اتاه رسول علي بن الحسين عليه السلام يقول: ان الله تعالى قد فرج كربتك فاردد الينا طعامنا فانه لايقوى عليه غيرنا، وباع الرجل اللؤلؤتين بمال كثير قضى منه دينه وحسنت حاله[1].

٦- والامام عليه السلام مارس انواعاً متعددة من الحالة الاعجازية مع افراد الامة والمقربين اليه للدلالة على امامته ولتكمل مشوار النص على امامته عليه السلام.

ونذكر مجموعة من هذه المفردات:

١- ما يرويه سلمان الفارسي والبراء بن عازب عن ام سليم وكانت قارئة للتوراة

---

(١) المصدر. ص٥٦.

والانجيل والكتب الالهية، وعرفت منها اوصياء الانبياء، وارادت معرفة وصي النبي محمد ﷺ فجاءَت اليه وقالت: يا رسول الله ما من نبي يموت الا وله خليفتان خليفة يموت قبله وخليفة يبقى بعده، وكان خليفة موسى في حياته اخوه هارون، فقُبِض قبل موسى، وكان وصيه بعده شمعون بن حمون الصفا ابن عمة مريم عليها السلام، وقد نظرتُ في الكتب الأولى فما وجدت لك الا وصياً واحداً في حياتك وبعد وفاتك فبين بنفسي انت يارسول الله من وصيك؟

فقال لها رسول الله: ان لي وصياً واحداً في حياتي وبعد وفاتي. وسَأَلَتْهُ عنه فارشدها اليه من طريق المعجز الذي لايقوى عليه الا من كان امره من الله تعالى، وامرها ان تأتيه بحصاة، فرفعت له حصاة من الارض ففركها بيده حتى صارت كسحيق ثم عجنها فاذا هي ياقوتة حمراء وختمها بخاتمه حتى بدا النقش فيها للناظرين وأمرها بالاحتفاظ بها وان من يفعل مثل هذا فهو وصيه، ثم جاء ﷺ بمعجزة أخرى وهي قيامه على قدميه ورفعه يده اليمنى حتى وصلت السقف، ومد اليسرى فوصلت الارض من دون انحناء وعرّفها بان وصيه مستغن بنفسه في جميع الحالات كاستغنائه بنفسه ﷺ.

وخرجت ام سليم من عنده حاملة بشرى الأبد لما اودع الله في قلبها من نور الايمان الذي لاتحجبه الشبهات، فرأت سلمان الفارسي خصيص الاوصياء وقارئ الكتب المقدسة ملازماً لامير المؤمنين عليه السلام دون غيره من اسرة النبي ﷺ وهو المعني بقول الرسول ﷺ: «وصيي مستغن بنفسه في جميع الحالات».

وقصدته متسائلة عن قيامه بالوصية وتطلب منه الدليل عليها.

فأمرها عليه السلام أن ترفع اليه حصاة من الارض فأتته بها ففركها بيده حتى صارت كسحيق الدقيق وعجنها فكانت ياقوته حمراء وختمها بخاتمه حتى بدا النقش للناظرين، وجاء بالمعجز الثاني كما فعل رسول الله ﷺ وقال لها من فعل مثل فعله فهو الوصي بعده، فخرجت شاكرة لله، بما افاض عليها من آلائه مستزيدة من النعماء بمعرفة الوصي الاخر، واذا بابي محمد الحسن السبط عليه السلام في الطريق والنور الالهي يعلوه، وهيبة الامامة تحف به فاستفزها ألق الحق إلى سؤاله عن قيامه بالوصية وهي اذ ذاك متعجبة من سؤالها اياه لاستصغارها سنه مع أنها إطلعت على صفة الاوصياء الاثني عشر في الكتب الالهية

التي درستها من قبل وهو في جملتهم والمقدم فيهم بعد ابيه، فعرّفها ابو محمد بأنه القائم بالامامة بعد امير المؤمنين عليه السلام، وإذا بها تطلب منه الحجة عليها، فأمرها ان تأتيه بحصاة من الارض فجاءته بها وفركها بيده حتى صارت كسحيق الدقيق وعجنها فاذا هي ياقوتة حمراء وختمها حتى بدا النقش، ومد يده اليمنى وهو قائم فجازت سطوح المدينة وارسل اليسرى فوصلت الارض من غير انحناء، وعرّفها بأن الوصي من بعده من يفعل مثله. فخرجت من عنده مفكرة في ملاقاة الوصي من بعده فمرت على رحبة المسجد واذا بسيد الشهداء على كسر الرحبة فلم تثبته معرفة لصغر سنه وان قرأت في الكتب السالفة شمائله وصفاته فقالت له: من أنت يا سيدي؟

قال عليه السلام: انا طلبتك يا ام سليم، انا وصي الاوصياء وابو التسعة الائمة الهادية، انا وصي اخي الحسن واخي وصي ابيه علي وعلي وصي جدي رسول الله صلى الله عليه وآله. فسألته العلامة فأمرها ان تأتيه بحصاة واذ رفعت له الحصاة فركها بيده حتى صارت كالدقيق وعجنها فكانت ياقوتة حمراء وختمها بخاتمه ودفعها اليها تنظر ما فيها، فنظرت الى الخاتم فاذا فيه رسول الله وعلي والحسن والحسين وتسعة ائمة اوصياء من ولد الحسين قد تواطأت أسماؤهم الا اثنين أحدهما جعفر والآخر موسى وهكذا قرأت في الانجيل.

فازداد عجبها مما جاء به من الدلائل التي لم يأت بها من كان قبله، ومع ذلك طلبت منه العلامة الاخرى فتبسم وقام على قدميه ومد يده اليمنى الى السماء فاذا هي كعود فيه نار يخرق الهواء حتى غابت عن عينها فادهشها المعجز البديع حتى سقطت مغشية عليها واذا به (صلوات الله عليه) يضرب بطاقة من آس على منخرها فأفاقت من تلك الرائحة الذكية التي لم تذهب عنها مدة من الزمن وبقيت الطاقة عندها على نضارتها وطراوتها ورائحتها وأوصت أهلها بأن يضعوها في كفنها ثم سألته من الوصي بعده فقال من يفعل مثل ما فعل جده وابوه واخوه.

الى هنا ينقطع حديث سلمان الفارسي والبراء بن عازب ولكن زر بن حبيش يحدث بتمام الحديث عن جماعة من التابعين منهم مينا مولى عبد الرحمن ابن عوف وسعيد بن جبير مولى بني أسد عن ام سليم قالت: جئت الى علي بن الحسين عليه السلام وهو في منزله قائم يصلي وكان يطيل في صلاته ولايتحوّز، ويصلي في اليوم والليلة الف ركعة، فجلست

تنتظره حتى طال بها المقام فهمّت بالانصراف وجاءت منها التفاتة الى خاتم في اصبعه عليه فص حبشي فاذا مكتوب فيه «مكانك يا ام سليم آتيك بما جئت له» ثم اسرع في صلاته وبعد ان فرغ منها امرها بأن تأتيه بحصاة من الارض فجاءت بها ففركها حتى صارت كالدقيق وعجنها فاذا هي ياقوتة حمراء وختمها فثبت النقش وفيه اعيان القوم الذين رأتهم يوم اجتماعها بالحسين فسألته عن الوصي بعده. قال: هو من يفعل مثل هذا ولا تدركين من بعدي من يفعل مثلي. فأذهلها هذا البرهان عن طلب المعجز الآخر فخرجت من البيت، فناداها عليه السلام: ارجعي يا ام سليم. فرجعت اليه فرأته واقفاً في وسط داره ثم مشى معها الى البيت وهو مبتسم، فمد يده اليمنى حتى غابت عن عينها وعادت تحمل كيساً فيه دنانير وقُرطٌ من ذهب وحق فيه فصوص لها من جزع اعطاها كله لها، فأخذته وعادت الى منزلها عارفة بهم وبما آتاهم المولى عز شأنه من فضل عظيم وبارز على عامة العباد[1].

٢- حدث عبد الله بن سليمان ان غانم بن ام غانم دخل المدينة ومعه امه يسأل عن رجل من بني هاشم اسمه علي، فادخلوه على علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب. فقال له: ان معي حصاة طبع عليها امير المؤمنين والحسنان عليهم السلام وسمعت أنه يختم عليها رجل اسمه علي فنهره علي بن عبد الله بن عباس وكذبه ووبخه ومن حضر من الهاشميين وضربوه واخذوا الحصاة منه، فخرج من عندهم آيساً من معرفة الامام، غير ان سيد الشهداء اتاه في المنام ومعه الحصاة مرشداً الى امام الحق زين العابدين عليه السلام فانه بقيته وعنده دليل الامامة، فانتبه فرحاً بهذه السعادة الخالدة وعند الصباح قصد سيد الساجدين عليه السلام فختم له على الحصاة كما فعل جده وعمه وابوه وقال له ان في امرك لعبرة فلا تخبر به احدا، فأنشأ غانم بن ام غانم:

أتيت علياً ابتغي الحق عنده	وعند علي عبرة لا احاول
فشد وثاقي ثم قال لي اصطبر	كأني مخبول عراني خابل
فقلت لحاك الله والله لم أكن	لأكذب في قولي الذي انا قائل
وخلى سبيلي بعد ضنك فاصبحت	مخلاته نفسي وسربي سابل

(١) الامام زين العابدين، للمقرم، ص٤٩.

وقلت وخير القول ما كان صادقاً ولا يستوي في الدين حق وباطل
ولايستوي من كان بالحق عالماً كآخر يُمسي وهو للحق جاهل
وانت الامام الحق يعرف فضله وان قصرت عنه النهى والفضائل
وانت وصي الاوصياء محمد ابوك ومن نيطت اليه الوسائل

٣- ما روي عن الباقر عليه السلام قال خرج أبي علي بن الحسين حاجاً فلما بلغ وادٍ بين مكة والمدينة واذا لص يقول: انزل ودع جميع ما عندك. فقال له أبي: اني اقاسمك ما عندي واحلّه لك فلم يقبل. فقال عليه السلام: اين ربك؟ قال: انه نائم. فلم يشعر الرجل الا وأسدين اخذ احدهما برأسه والآخر برجله. فقال عليه السلام له: زعمت ان ربك نائم[1].

٤- انه عليه السلام قال: موت الفجأة تخفيف للمؤمن وأسف على الكافر وان المؤمن ليعرف غاسله وحامله، فان كان له عند ربه خير ناشد حملته أن يعجلوا به، وان كان غير ذلك ناشدهم ان يقصروا به.

فقال له ضمرة بن سمرة: ان كان كما تقول قفز من السرير وضحك وأضحك، فقال زين العابدين عليه السلام: اللهم ان ضمرة ضحك واضحك لحديث ابن رسول الله فخذه أخذة أسف. ثم قام عليه السلام فما اسرع ان اتاه مولى له يقول لقد مات ضمرة فجأة، وسمعته يقول: الويل لضمرة بن سمرة، تخلى مني كل حميم وحللت بدار الجحيم، وبها مبيتي والمقيل فقال عليه السلام: الله اكبر هذا اجر من ضحك وأضحك من حديث رسول الله[2].

٣- الامام عليه السلام والاخبار عن المغيبات

ولتوكيد عظمة الامام وابراز مكنونها امام الملأ واشعال ومضات في مستقبل الامة والكشف عن بعض مفرداتها نجد ان الامام عليه السلام كان يرسم بعض ملامح آفاق المستقبل وما تصل اليه الامور فكان يقول للناس بعض المغيبات التي كان يراها ضرورة.

وحديث الامام عليه السلام بالمغيبات والكشف عن بعض الامور الغامضة ما هو الا

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٦٢.
(٢) نفس المصدر السابق، ص٦٢، عن: بحار الانوار، ج٤٦، ص٢٧، الحديث ١٤.

عملية التحدث بها ينفع الناس، ان الامام يملك هذه القدرة حيث ان الناس يميلون الى ان يمارس المتصدون ما يثبت قدرتهم على الامتياز عن غيرهم في مجريات الحياة والامتياز لابد ان يكون نوعيا بحيث يعجز الآخرون من الاتيان بمثله.

وهذه سجية البشر على طول التاريخ ومسيرة الحياة، حتى اولئك الذين يملكون ثقافة ووعياً يميزهم عن الناس ينتظرون من الرمز -فضلا عن الامام- ان يملك مؤهلات فوق موهلاتهم، فتجد ان العلماء عندما يقفون عاجزين عن حل المعضلات العلمية يهرعون ان الائمة وعندما يسمعون ما يفيض به الامام يبادر العلماء الى القول: اشهد انك ولي الله (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ)[1].

وقد تحدثنا عن بعض الامثلة في فصل الامام والعلماء.

من هذا المنطق نجد ان الامام زين العابدين عليه السلام قد ابدى من هذه المفردات الاعجازية ما يبرهن على موقع الامامة عند الامام عليه السلام وقدرته على الاتيان بالمعجزة من خلال الافصاح عن المغيبات.

ومن تلك الامثلة هي:

١- إخباره عن شهادة زيد

روى ابو حمزة الثمالي قال: كنت ازور علي بن الحسين في كل سنة مرة وقت الحج، فأتيته سنة وكان على فخذه صبي فقام عنه، واصطدم بعتبة الباب فخرج منه دم، فوثب اليه الامام وجعل ينشف دمه، وهو يقول له: إني اعيذك ان تكون المصلوب بالكناسة.

وبادر ابو حمزة قائلا:

-: بأبي انت وامي أي كناسة؟

-: كناسة الكوفة.

-: جعلت فداك ايكون ذلك؟

-: اي والذي بعث محمداً، ان عشتَ بعدي لترين هذا الغلام في ناحية الكوفة

(١) الانعام، ١٢٤.

مقتولاً مدفوناً، منبوشاً، مصلوباً بالكناسة، فيحرق ويذرى في البر.

وبهر ابو حمزة وراح يسأل عن اسم هذا الغلام قائلا:

-: جعلت فداك ما اسم هذا الغلام؟

-: زيد.

وتحقق كل ما اخبر به الامام، فلم تمض حفنة من السنين حتى ثار زيد الشهيد الذي هو من ألمع الثائرين الاحرار، فقد ثار في وجه الطغيان الاموي مطالباً بتحقيق العدالة الاسلامية وتحقيق حقوق الانسان فأجهزت عليه القوى الظالمة فأردته قتيلاً وانبرى بعض انصاره فدفنه، الا ان الحكومة الاموية اخرجته من قبره، وصلبته في كناسة الكوفة وبقي اربع سنين مصلوباً على الجذع وهو ينير للناس طريق الحرية والشرف والكرامة، ثم انزلوه بعد ذلك واحرقوه وذروا قسماً من رماده في ماء الفرات ليشربه الناس حسبما يقوله الامويون.

لقد تحقق جميع ما اخبر به الامام في شأن ولده العظيم، ومن المؤكد ان ذلك من علائم الامامة ودلائلها[١].

٢- إخباره عن حكومة عمر بن عبد العزيز

من الملاحم التي اخبر عنها الامام عليه السلام انه اخبر عن عمر بن عبد العزيز وانه سيلي امور المسلمين ولايلبث الا يسيراً حتى يموت، وتحقق ذلك فقد ولي عمر الخلافة وبقي زمنا يسيراً ووافاه الاجل المحتوم[٢].

٣- إخباره عن حكومة العباسيين

واخبر عليه السلام عن حكومة العباسيين، وقد استشف من وراء الغيب ان حكمهم يقوم على الظلم والجور وعلى الفساد، وسيُخرِجون المسلمين عن دينهم، وستثور عليهم كوكبة من العلويين مطالبين بتحقيق العدل والحق بين الناس، وانهم سينالون الشهادة

---

(١) حياة الامام زين العابدين، باقر القرشي، ص١٢٠.

(٢) نفس المصدر السابق، ص١٢١.

على ايدي اولئك الطغاة، وهذا نص حديث عنه:

روى الامام ابو جعفر عن ابيه قال: أما إن في صلبه - اي صلب ابن عباس - وديعة ذرية لنار جهنم، وسيُخرِجون اقواما من دين الله افواجا، وستصبغ الارض من فراخ آل محمد ﷺ تنهض تلك الفراخ في غير وقت وتطلب غير مدرك ويرابط الذين آمنوا ويصبرون حتى يحكم الله.

لقد ثارت كوكبة من العلويين المجاهدين على طغاة بني العباس، فقد رفع علم الثورة محمد وابراهيم على المنصور الدوانيقي الذي هو اعتى ملك في تاريخ هذا الشرق، وكذلك ثار الحسين بن علي صاحب واقعة فخ على الهادي العباسي، وثار غير هؤلاء من أبناء الرسول ﷺ وقد رفعوا راية الحرية والكرامة مطالبين بحقوق المظلومين والمضطهدين، وقد سقوا بدمائهم الزكية شجرة الاسلام التي جهد العباسيون الاقزام على قلعها.

هذه بعض الملاحم التي اخبر الامام زين العابدين عليه السلام عن وقوعها وقد تحققت كما أخبر[1].

وقد أخبر الامام عليه السلام عن موته قبل ان يموت:

عن أبي الحسن صلوات الله عليه قال: لما حضر علي بن الحسين عليه السلام الوفاة اغمي عليه ثلاث مرات، فقال في المرة الأخيرة: الحمد لله الذي صدقنا وعده، وأورثنا الارض، نتبوّء من الجنة حيث نشاء، فنعم اجر العاملين. ثم مات صلوات الله عليه[2].

والامام عليه السلام وهو في هذه الحالة قد اخبر اولاده انه سيُقبَض في هذه الليلة حيث موعده مع آبائه الطاهرين.

وقد روى الامام الباقر عن ابيه علي بن الحسين عليه السلام انه أُتِي في الليلة التي قُبِض فيها بشراب، فقيل له: اشرب. فقال: هذه الليلة وُعِدْتُ ان أُقبَض فيها[3].

(١) نفس المصدر السابق ص١٢١.
(٢) تفسير علي بن ابراهيم القمي، ص٥٨٢، و: بحار الانوار، ج٤٦، ص١٤٧، الحديث١.
(٣) بحار الانوار، ج٤٦، ص١٤٩، الحديث٧.

الامام وهيبة الامامة

أذا أجرينا مراجعة سريعة للاعمال الصالحة، نجد أنّ قسماً منها تورث نور الوجه وبهاءَه، من امثال صلاة الليل وقراءة القرآن والابتعاد عن معاصي الله سبحانه، ويتحقق بالضبط أنه من اراد عزاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان، فليخرج من ذل معصية الله الى عز طاعته.

عظيمة معادلة الله وواقعية تعليماته سبحانه، فان طاعة الله تربط الانسان مباشرة بسلطان الله وعزته، وتحفظه عن المعصية وتحرس الانسان من ادران الاحزان وتحول دون وصول الظالمين اليه.

انها عدالة السماء التي تحكم الارض وتُنشئ العلاقة الحياتية بين سكان المعمورة.

﴿إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾[1].

﴿كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

وللنصر معانٍ أرقاها النصر الحضاري الذي منحه الله سبحانه لأوليائه، وجعله نموذجاً يتحدى، وسجّله في كتبه المرسلة يتلوه الناس آناء الليل واطراف النهار.

فنقرأ نصر نوح عليه السلام.

ونتصفح انتصارات ابراهيم عليه السلام.

وندرس نجاة موسى وهارون عليهما السلام.

---

(١) محمد، ٧.

(٢) الروم، ٤٧.

وعروج عيسى عليه السلام.

ونتعلم هجرة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتأسيس دولته.

انه نور الله الذي لا يُطفأ ولو كره المشركون. نعم ولو كره الكافرون وعلى رغم انوفهم.

إنها الكلمات النورانية التي اطلقت نوحاً بسفينته وطافت به الارض بين امواج عاتية كأنها الجبال واقرته على الجودي.

إنها حروف الايمان التي تمترس بها ابراهيم الخليل وهو وسط ألسنة النار التي تطال الطير وهو في كبد السماء وخرج منها سالماً.

إنها مقاطع من كلمات السر التي انجت يوسف من الجب ومكّنته من السلطة وليكون عزيز مصر.

إنها اشعاع الاسم الذي جاء ببلقيس وعرشها من اليمن الى فلسطين قبل ان يرتد طرف سليمان.

إنها الإشراقة التي انجت موسى من المحن والغرق واعمت فرعون من أن يصيب موسى بأذى.

إنها السد الذي جعله محمداً بينه وبين طغاة قريش واعمى ابصارهم وخرج من البيت مهاجراً من دون أن يلمحوه.

إنها الارادة الالهية (كن) التي نسجت خيوط العنكبوت على باب غار ثور وحالت دون وصول الكفار الى رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

إنها السكينة الالهية التي انزلها الله سبحانه على قلب نبيه وجعله لايهاب الا الله سبحانه رغم عظم الخطوب.

إنها.. إنها.

إنها كلمة الله التي يتسلح بها المؤمنون عند المواجهة مع الطغاة، وسلاحهم الذي ينازلون به اعداءَهم، وسرهم الذين ينتصرون به.

ونحن الان امام نور الله سبحانه، امام طغاة يريدون أن يجربوا ادوات طغيانهم للقضاء على هذا النور.

إنها تجربة الامام زين العابدين عليه السلام، وبهاء وجهه، ونور الله الذي اودعه فيه.

التجربة الاولى: مع مسرف بن عقبة

كانت التجربة الاولى مع الطاغية مسرف بن عقبة الذي عينه يزيد على رأس الجيش لاحتلال المدينة المنورة واباحتها ومبايعة الناس على انهم عبيد ليزيد بن معاوية.

وعبروا عن هذا الجيش المتوجه للمدينة المنورة أن قائده مسرف بن عقبة لايريد غير علي بن الحسين عليه السلام لاتمام مافاتهم في كربلاء من تصفية البيت العلوي.

نعم، إن الله متمم نوره على رغم كل مؤامرات الطغاة وارادتهم.

كان مسرف بن عقبة يسبّ الامام وينال منه ومن سلفه وآبائه ويتوعده، ولما حضر الامام عنده تغير موقفه حيث اكرمه وتعامل معه بلطف وتركه يذهب بعد أن طمأنه.

فسأله اصحابه، اي اصحاب مسرف بن عقبة، عن التغير الذي حصل في موقفه، وقالوا له: رأيناك تسب هذا الغلام وسلفه، فلما أُتي به اليك رفعت منزلته؟

فقال مسرف بن عقبة: ما كان ذلك لرأي مني، ولكن قد مُلئ قلبي منه رعباً[١].

والذي ملأ قلب هذا الطاغية رعباً، وجعله يخاف الامام زين العابدين عليه السلام، اجاب عنه الامام عليه السلام، حيث قال بأنه دعا بهذا الدعاء:

اللهم رب السموات السبع وما اظللن، والارضين السبع وما أقللن، ورب العرش العظيم، رب محمد وآله الطاهرين، اعوذ بك من شره، وادرأ بك في نحره، اسألك ان تؤتيني خيره وتكفيني شره[٢].

هذه هي مواقع اهل الايمان وكلمات السر التي بين الله وعباده التي تنجيهم من الطغاة.

---

(١) مروج الذهب، ج٣، ص١٨.
(٢) جهاد الامام السجاد، السيد محمد رضا الجلالي، ص٧١، عن: مروج الذهب، ج٣، ص٨.

وبالفعل نجا الامام من هذا الطاغية بفضل هذه الأسرار التي أودعها الله سبحانه في قلوب عباده المؤمنين.

التجربة الثانية: مع الطاغية عبد الملك

تعرض عبد الملك بن مروان الى الامام علي بن الحسين عليه السلام بسوء المعاملة تارة، وباللفظ السيء أخرى. وجرت مراسلات بينهما في نفس الاتجاه.

وذلك يرجع الى ما كان ينقل عن الامام الى عبد الملك، حيث العيون المنتشرة لعبد الملك والتي كانت تراقب الامام لحظة لحظة.

وبممارساته الخبيثة كشف عبد الملك عن كلاحة وجهه وواقعيته السيئة وخبث سريرته اتجاه اهل البيت وامتداداتهم وعموم الأئمة.

فقد خطب بعد القضاء على حركة ابن الزبير في مكة المكرمة، وفي فناء بيت الله الحرام، قال فيها: لايأمرني احد بتقوى الله بعد مقامي هذا الا ضربت عنقه[١].

ومرة اخرى تعبِّر نفسه السيئة عن واقعها من خلال الحوار التالي:

قالت له ام الدرداء: بلغني انك شربت الطلى -الخمر- بعد العبادة والنسك.

قال لها عبد الملك: اي والله والدماء شربتها[٢].

إنه يعيش بداخل مجتمع اسلامي، وهو خليفة عليهم، ويحكم فيهم باسم الله والقرآن والرسالة، ثم انه لايقبل أن يأمره أحد بتقوى الله والرسالة. ومن هنا لا اعتقد ان هذه الاهانة موجهة لعامة الناس بقدر ما هي موجهة الى الطبقة المثقفة من علماء وفقهاء ووجهاء وزعماء.

ثم انه يشرب الخمر لأنسه والدماء للتشفي من اعدائه، فهذا هو عبد الملك بن مروان.

وفي إحدى المرات قرر عبد الملك ان يصفي حسابه مع الامام زين العابدين عليه السلام،

---

(١) تاريخ الخلفاء، للسيوطي، ص٢١٩.

(٢) حياة الامام زين العابدين، للقرشي، ص٦٠٨.

وان يعرّضه للاهانة والاعتقال والايذاء، فأمر باعتقال الامام وحمله الى دمشق.

وطريقة الاعتقال الاموي قائمة على ربط المعتقل بالحديد الممتد بين الرقبة واليدين والرجلين. ويضاف اليه المسافة بين المدينة ودمشق، والسير على الجمال.

ويجري كل ذلك أمام اعين الناس في المدينة المنورة وباقي الناس في منازل طريق هذه الرحلة الشاقة.

قال الزهري: شهدت علي بن الحسين عليه السلام يوم حمله عبد الملك بن مروان من المدينة الى الشام، فاثقله حديداً ووكَّل به حُفّاظاً في عدّة وجمع، فاستأذنتهم في التسليم عليه والتوديع له، فأذنوا فدخلت عليه وهو في قبة، والقيود في رجليه، والغل في يديه فبكيت، وقلت له: وددت اني مكانك وانت سالم.

فقال: يا زهري أوتظن ان هذا مما ترى علي وفي عنقي يكربني؟

اما لو شئتُ ما كان، فانه وان بلغ بك وبامثالك لَيذكِّرني عذاب الله، ثم اخرج يديه من الغل ورجليه من القيد. ثم قال: يا زهري لاجزتُ معهم على ذا منزلتين من المدينة.

قال الزهري: فما لبثنا الا اربع ليال حتى قدم الموكلون به يطلبونه بالمدينة فما وجدوه.

فكنت في من سألهم عنه.

فقال لي بعضهم: انّا نراه متبوعاً، انه لنازل ونحن حوله لاننام نرصده، إذ أصبحنا فما وجدنا بين محمله الا الحديد.

قال الزهري: فقدمت بعد ذلك على عبد الملك، فسألني عن علي بن الحسين فاخبرته. فقال لي عبد الملك انه قد جاء في يوم فقده الاعوان فدخل علي فقال (اي الامام عليه السلام): ما انا وأنت؟

فقلت: أقم عندي.

فقال: لا أحب.

ثم خرج..

فوالله لقد امتلأ ثوبي منه خيفة[١].

الامام عليه السلام سار بنفس واحد حيث انه رجل اعتقل واوذي ونقل من المدينة إلى الشام ظلماً وعدواناً فكان من الطبيعي ان يتحدث مع الطاغية بهذا النفس ولهجة (ما انا وأنت) وبعد الجواب خرج من عند عبد الملك.

ولكن طريقة رد عبد الملك قد انعطف مائة وثمانين درجة حيث بواعث اعتقال الامام وبطريقة مثقلة بالحديد والحرس والمراقبة وجلبه الى الشام وبعد ذلك يقول للامام: أقم عندي.

فجواب عبد الملك ليس من اسلوب حكمه وطريقة عمله في اعتقال الامام وجلبه من المدينة الى الشام. إنها تختلف كثيراً عما كان مبيتاً.

إن جواب عبد الملك يدل على أن قلبه امتلأ رعباً وخيفة من الامام عليه السلام، وأن هذه الخيفة من هذا الطاغية ليس لها تفسير الا تلك الكلمات الايمانية النورانية التي هي سر بين الله وعباده المؤمنين يستعملونها وقت الحاجة والمحنة.

١- إنها نفس الكلمات التي نزعت الحديد من جسم الامام.
٢- اعمت عيون الحرس من الاحساس والنظر الى الامام عليه السلام.
٣- طوت الارض واوصلت الامام الى الشام بنفس اليوم.
٤- إنها التي ادخلت الرعب في نفس عبد الملك وملأت ثوبه خوفاً من الامام. إنها كلمات تحل بها معضلات المشاكل، إنها كلمات الله المودعة عند عباده المخلصين.

التجربة الثالثة: الامام والحجر الاسود

تهدمت الكعبة الشريفة على أيدي الجيش الشامي بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي الذي حاصر عبد الله بن الزبير حيث استعملوا المنجنيق في هدمها وحرقها.

وطبيعي ان تاخذ الناس ما تجد من انقاض واحجار متناثرة، وبالفعل أخذت الناس ما تناثر من انقاض الكعبة من تراب واحجار. وعندما اراد الحجاج اعادة بناء

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٢٣، الحديث ١٥. و: المناقب، ابن شهر آشوب، ج٣، ص٢٧٥.

الكعبة وجد الناس قد اخذوا المواد الاساسية.

وقد خرجت عليهم حية فمنعت الناس البناء حتى انهزموا[١].

ووصل الخبر للحجاج الثقفي فرقى المنبر وقال:

أيها الناس انشد الله عبداً عنده علم مما ابتلينا به لما اخبرنا.

فقام اليه شيخ كبير وقال: ان يكن عند احد علم فعند رجل رأيته جاء الى الكعبة وأخذ مقدارها ومضى.

فسأله الحجاج الثقفي عنه.

فقال: هو علي بن الحسين عليه السلام.

قال الحجاج الثقفي: انه معدن ذلك.

وارسل الى زين العابدين عليه السلام واخبره بما كان من منع الله إياه البناء.

فقال السجاد عليه السلام: يا حجاج عمدت الى بناء ابراهيم واسماعيل وألقيته في الطريق وانتهبه الناس كأنك ترى أنه تراث لك. اصعد المنبر وأمر الناس برد ما اخذوه من التراب. ففعل الحجاج ولم يبق عند احد منه شيئا فلما اجتمع التراب جاء علي بن الحسين عليه السلام وعين لهم الاساس وامرهم ان يحفروا فتغيبت عنهم الحية، ولما انتهوا الى موضع القواعد امرهم عليه السلام بالتنحي، ودنا منها وغطاها بثوبه وبكى، ثم طرح عليها التراب بيده المقدسة، وامر الفعلة ان يبنوا فوقها، فلما ارتفعت الحيطان امر بالتراب فالقي في جوفه. ثم انه عليه السلام اخذ الحجر بنفسه ووضعه محله[٢].

وفي الرواية (اخذ مقدارها) اي طاف حول مساحة معينة من الارض، وهذا دليل على انه كان يعرف، اسس الكعبة وقواعدها في الارض.

والظاهر ان الحجاج الثقفي جاء بعد ان ساهم من يعرفهم الحجاج من علماء واهل

---

(١) الامام زين العابدين، للمقرم، ص٣٢١. نقلا عن: مناقب آل ابي طالب، ج٣، ص٢٨٢ (بتصرف وتغيير).

(٢) نفس المصدرين.

خير ففشلوا مما اضطر الى الطلب من الناس ان يدلوه على رجل له القدرة على انجاز هذا العمل المقدس.

وهناك رأي يقول ان الحجر الاسود ما كان يستقر في مكانه كلما حاول العلماء وضعه في مكانه. وعندما عجزوا عن وضعه ليستقر في محله جاء الامام فوضعه في مكانه فاستقر. يقول أصحاب هذا الرأي:

ولما هدم الحجاج الكعبة المشرفة واراد عمارتها كان العلماء والقضاة يضعون الحجر الاسود في مكانه فلا يستقر فاقبل الامام زين العابدين عليه السلام وقد احيط بهالة من التعظيم فاخذ الحجر فوضعه في مكانه فاستقر وعلت اصوات الناس بالتكبير[1].

فكان الامام زين العابدين عليه السلام هو القادر على تعيين قواعد البناء ويستقر الحجر بين انامله الشريفة.

وقبول الحجاج بالامام ان يؤدي هذا الدور بكلمة (انه معدن ذلك) واعطاء هذا الامتياز للامام عليه السلام لينتشر في الآفاق ينقلها الرواة ويتحدث بها الناس عبر الاجيال ومن الحجاج الثقفي المعروف بالحقد على آل محمد صلى الله عليه وآله؟

ان هذا القبول هو عرض روحي تدحرج على فم الحجاج الثقفي املته الظروف والدوافع الحرجة التي عاشها الحجاج من اجل التعجيل في بناء الكعبة الشريفة.

وكلمة السر الالهي التي كانت تتجلى في شخصية المؤمنين والصالحين، وعلى رأسهم الأئمة الاطهار عليهم السلام، ترجمة للهيبة في شخصيتهم، والنور في وجههم، والنموذجية في سلوكهم هي التي رسمت لفظ (انه معدن ذلك) على لسان الحجاج الثقفي وانطقته بهذه الكلمة.

---

(١) حياة الامام زين العابدين، لباقر شريف القرشي، ص٦١٣.

وقفة حول امامة محمد بن الحنفية

بعد ان استقر الامام زين العابدين عليه السلام في المدينة المنورة وتجاوز على مشكلة العدوان والظلم من قبل ابن زياد في الكوفة ويزيد بن معاوية في الشام ظهر للامام عليه السلام تحدٍ جديد حول امامة الامام عليه السلام مع عمه محمد بن الحنفية. وبالضبط لم يذكر المؤرخون متى بدأ الحديث من قبل محمد بن الحنفية حول الامامة مع الامام زين العابدين عليه السلام، إلاّ انهم ذكروا عبارة بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام، ورجوع الامام زين العابدين عليه السلام الى المدينة المنورة.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما قتل الحسين عليه السلام ارسل محمد بن الحنفية الى الامام علي بن الحسين زين العابدين، فخلا به عليه السلام فقال له: يا ابن أخي قد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان جعل الوصية والامامة من بعده إلى امير المؤمنين عليه السلام، ثم إلى الحسن، ثم الى الحسين عليه السلام، وقد قُتِل ابوك رضي الله عنه وصلى على روحه ولم يوصِ، وانا عمك وصنو أبيك وولادتي من علي عليه السلام، وأنا في سني وقدمتي أحق بها منك في حداثتك، فلا تنازعني الوصية والامامة ولا تخالفني.

فقال له الامام زين العابدين عليه السلام: يا عم اتق الله ولاتدّعِ ما ليس لك بحق، اني اعظك ان تكون من الجاهلين، يا عم إن أبي صلوات الله عليه اوصى إليّ قبل أن يتوجَّه الى العراق وعهد إليّ في ذلك قبل ان يستشهد بساعة، وهذا سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله عندي، فلاتعرَّض لهذا، فإني اخاف عليك نقص العمر وتشتت الحال، وان الله عزّ وجل جعل الوصية والامامة في عقب الحسين عليه السلام، فإذا أردت ان تعلم ذلك فانطلق بنا الى الحجر الاسود حتى نتحاكم اليه ونسأله عن ذلك.

قال ابو جعفر عليه السلام: وكان الكلام بينهما بمكة فانطلقا حتى اتيا الحجر الاسود،

فقال علي بن الحسين عليه السلام لمحمد بن الحنفية: ابدأ انت يا عماه فابتهل الى الله عزّ وجل وسله ان ينطق لك الحجر الاسود ثم سل.

فابتهل محمد بن الحنفية في الدعاء وسأل الله عزّ وجل ثم دعا الحجر الاسود فلم يجبه.

فقال الامام زين العابدين عليه السلام: يا عم لو كنتَ وصياً واماماً لاجابك.

قال له محمد: فادع الله انت يا ابن أخي وسله، فدعا الله الامام زين العابدين عليه السلام بما اراد، ثم قال: أسألك بالذي جعل فيك ميثاق الأنبياء وميثاق الاوصياء وميثاق الناس اجمعين لما اخبرتنا بلسان عربي مبين: مَنْ الوصي والامام بعد الحسين عليه السلام.

فتحرك الحجر حتى كاد أن يزول عن موضعة ثم انطقه الله عزّ وجل بلسان عربي فقال: اللهم ان الوصية والامامة بعد الحسين بن علي الى علي بن الحسين بن أبي طالب وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فانصرف محمد بن الحنفية وهو يتولى علي بن الحسين[1] عليه السلام .

إن المؤرخين لم يتطرقوا الى تاريخ الاحتكام بين الامام زين العابدين عليه السلام مع عمه محمد بن الحنفية الى الحجر الاسود سوى انهم ذكروا ان الحديث جرى حول الامامة في مكة المكرمة حيث اقترح الامام زين العابدين عليه السلام على عمه محمد بن الحنفية الاحتكام الى الحجر الاسود فقبل محمد بن الحنفية بالاقتراح. فهل ان الحديث جرى اساساً في مكة المكرمة وحسمه الامام زين العابدين عليه السلام في نفس الوقت حين اقترح الإحتكام الى الحجر الاسود وقبل محمد بن الحنفية بحكم الحجر الاسود ان الامامة هي لعلي بن الحسين عليه السلام؟

من الصعب قبول هذا الفرض، لان قبول محمد بن الحنفية بإمامة الامام زين العابدين عليه السلام جرى بعده قبول من كان يعتقد بإمامة محمد بن الحنفية بإمامة زين العابدين عليه السلام، وهذا يدل على ان حديث إمامة محمد بن الحنفية قد اخذ شوطاً حتى اعتقد به البعض.

---

(١) الكافي، ج١، ص٣٢٨. وبحار الأنوار، ج٤٦، ص١١١-١١٢.

فحوار مكة -إذن- ليس هو بداية الحديث حول الامامة لمحمد الحنفية، والا فمن اين اصبح لمحمد بن الحنفية من يعتقد بإمامتة ورجعوا بعد ذلك للامام زين العابدين عليه السلام؟

واذا كان حوار واحتكام مكة لم يكن هو الاول فمتى كان بدأ الحديث حول امامة محمد بن الحنفية وما هي المسافة الزمنية بين بدأ الحديث وبين قبول محمد بن الحنفية بإمامة الامام زين العابدين عليه السلام؟

وهذا ايضاً لم يتطرق اليه المؤرخون، ولكن من المؤكد ان حديث امامة محمد بن الحنفية إنتهى من قبل محمد بن الحنفية قبل إنطلاق حركة المختار بن أبي عبيدة الثقفي وذلك لان الامام زين العابدين عليه السلام أناب عمه محمد بن الحنفية لإدارة العمل مع حركة المختار بن أبي عبيدة الثقفي، كما سنبين في ثورة المختار بن أبي عبيدة الثقفي في الكوفة.

وعندما يكون استشهاد الامام الحسين عليه السلام عام (٦١ هجرية) وبدء حركة المختار بن أبي عبيدة الثقفي هو عام (٦٧ هجرية) ففي هذه الفترة كان اللغط حول إمامة محمد بن الحنفية.

محمد بن الحنفية وادعاء الامامة

هناك عدة فروض لتفسير إدّعاء محمد بن الحنفية للإمامة، وهي بلاشك مثلما كان عند الناس اول تحد ظاهر للامام زين العابدين عليه السلام في امامته.

كما ان الامام زين العابدين عليه السلام هو اول معصوم واجه هكذا تحدٍ امام الناس حول امامته. فلم يتعرض الامام امير المؤمنين عليه السلام الى تحد حول امامته وانه افضل صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الرغم من إبعاده من القيادة السياسية.

كما ان الامام الحسن والامام الحسين عليهما السلام لم يتعرضا الى تحد أو نزاع او منافسة حول امامتهما عليهما السلام.

نعم تعرّضا الى منغّصات كثيرة سياسياً واجتماعياً، وجرّعوهما ويلات الحياة ودفعوهما عن مواقعهما التي نصبهما الله تعالى بها وهي الخلافة في الارض.

ولكن الامام زين العابدين عليه السلام واجه تحد في امامته وتحد في ابعاده عن السلطة

السياسية. والتحدي الظاهري كان من قبل عمه محمد بن الحنفية. والظاهر ان محمد بن الحنفية تصدى للامامة ورأى في نفسه الكفاية والقدرة في النسب والعلم والوجاهة في الامة للاسباب التالية:

أولاً: تمكنه من أن يتقلد هذا الموضوع كما قال هو في النص السابق.

لذلك تصدى الى الامامة واشاع خبرها للامة ووجد من يقبل هذا التصدي من قبل محمد بن الحنفية.

ثانياً: ان الجماهير عند ما رأت انعزال الامام وابتعاده عن الساحة فزعت الى محمد بن الحنفية حيث هو الوجه المعروف من بني هاشم، وعند ما جاء الوقت المناسب اعلن ان الامام زين العابدين هو الإمام، حيث الظروف السياسية الصعبة كان فيها تخوف حقيقي حسب الظاهر على حياة الامام زين العابدين عليه السلام، لذلك طُرِحت امامة محمد بن الحنفية على الناس حتى تمر العاصفة وتعود الامور إلى حالتها الطبيعية.

والآن نناقش الافتراضات وتداخلاتها:

أولاً: ادعاء محمد بن الحنفية الامامة لنفسه.

عندما نقف أمام شخصية محمد بن الحنفية ونتحرك في تضاريس حياته التربوية والجهادية والسياسية نجده انساناً عظيماً في كافة جوانب حياته.

فقد عاش حياةً ملؤها الايمان والجهاد والعمل الصالح، ولازم اباه امير المؤمنين عليه السلام في حروبه واستقام بها، ونقل المؤرخون مواقفه البطولية في صفين، ومفردات ذلك معروفة مسجّلة في كتب التأريخ.

كما انه استقام مع اخوته الامام الحسن والامام الحسين عليهما السلام ولم ينقل التاريخ انه تصرف بما يحسب عليه اساءة أو عدم معرفة بمقامهما.

عن الامام الباقر عليه السلام: «ما تكلم الحسين عليه السلام بين يدي الحسن عليه السلام إعظاماً له، ولاتكلم محمد بن الحنفية بين يدي الحسين عليه السلام اعظاماً له»[1].

(١) مناقب بن شهر آشوب، ج٣، ص١٦٩.

إنّ زواج الامام علي عليه السلام من أمّ محمد بن الحنفية بطريقة معد لها بترتيب مقدس، كما ان رسول الله صلى الله عليه وآله بشّر بولادته وسمح ان تكون كنيته كنية رسول الله صلى الله عليه وآله (ابو القاسم).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام:

يا علي سيولد لك بعدي غلام قد نحلته اسمي وكنيتي ولاتحل لأحد من أمتي بعده[1].

وهو رابع اربعة من المحامدة الذين بايعوه.

قال امير المؤمنين عليه السلام: إن المحامدة تأبى أن يعصى الله عزّ وجل[2] وهم:

محمد بن جعفر الطيار

محمد بن ابي بكر

محمد بن ابي حذيفة

محمد بن الحنفية

وقد اوصى الامام امير المؤمنين عليه السلام الامام الحسن والامام الحسين عليهما السلام به خيراً حيث قال في وصيته للامام الحسن عليه السلام:

«اوصيك بأخيك محمد خيراً فإنه شقيقك وابن ابيك وقد تعلم حبي له..»[3].

والامام الحسن عليه السلام احضر محمد بن الحنفية حين الوفاة:

«لما حضرت الامام الحسن عليه السلام الوفاة قال: يا قنبر انظر هل ترى وراء بابك مؤمناً من غير آل محمد صلى الله عليه وآله؟ فقال: الله ورسوله وابن رسوله اعلم. قال: امض فادع لي محمد بن علي. قال فأتيته، فلما دخلت عليه، قال: هل حدث إلا خير؟ قلت: اجب أبا محمد، فتعجل عن شسع نعله فلم يسوه فخرج معي يعدو فلما وقف بين يديه فسلم فقال

---

(١) سفينة بحار الانوار، ، ج١، ص٣٧٤.
(٢) وفيات الاعيان، ج٤، ص١٧٠.
(٣) الامالي، الشيخ المفيد، ص٢٢٢.

له الحسن عليه السلام: اجلس فليس يغيب مثلك عن سماع كلام يحيى به الاموات ويموت به الاحياء، كونوا اوعية العلم ومصابيح الدجى، الى ان قال: يا محمد الا اخبرك بما سمعت من أبيك فيك؟ قال: بلى، قال: سمعت أباك يقول يوم البصرة: من أحب أن يبرني في الدنيا والآخرة فليبر محمداً..»[١].

والامام الحسين عليه السلام واصل مراسلاته مع أخيه محمد عند خروجه الى العراق وجعله عيناً له لما يجري في الحجاز.

وكان محمد على درجة كبيرة من التقوى والعلم والفقاهة، وقد تحدث عنه رجال الحديث بالنزاهة وامتدحوه. حيث كان محمد بن الحنفية كثير العلم والورع، وكان شديد القوة[٢].

انه -اي محمد بن الحنفية- كان يرى تقديم زين العابدين عليه السلام فرضاً وديناً، ولا يتحرك حركة إلاّ بما يهواه، ولا ينطق إلاّ عن رضاه، ويأتمر له إئتمار الرعية للوالي، ويفضله تفضيل السيد على الخادم[٣].

ان محمد بن الحنفية فعل ذلك -اي المنازعة والتحاكم الى الحجر- ازاحة لشكوك الناس في ذلك.

قال السيد الخوئي قدس سره بعد ذكر حديث التحكيم إلى الحجر الاسود[٤]:

اقول: الرواية صحيحة السند، ودالة على ايمانه وقوله بإمامة علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام [٥].

كما انه تطرق الى علم البلايا والمنايا وتحدث عن ذلك:

١- روي انه مرّ زيد بن علي على محمد بن الحنفية، فرقَّ له واجلسه، وقال: اعيذك

(١) الكافي، للشيخ الكليني، ج١، ص٣٠١.
(٢) وفيات الاعيان، ج٤، ص١٧٠.
(٣) ذوب النضار في شرح الثار، ابن نما الحلي، ص٥١.
(٤) سفينة بحار الانوار، للشيخ عباس القمي، ج١، ص٢٣٢.
(٥) معجم رجال الحديث، للسيد الخوئي، ج١٧، ص٥٦.

بالله يا ابن اخي ان تكون زيداً المصلوب بالعراق[1].

٢- نقل ابن ابي الحديد في شرحه: انه سأل ابا جعفر النقيب: ان بني امية من اي طريق عرفت ان الامر سينقل عنها ويصير الى بني هاشم واول من يلي منهم يكون اسمه عبد الله وجوابه ان اصل هذا كله من محمد بن الحنفية ثم ابنه ابو هاشم عبد الله.

قال فقلت لابي جعفر:

افكان محمد بن الحنفية مخصوصاً من امير المؤمنين عليه السلام بعلم يستأثر به على أخويه الحسن والحسين عليهما السلام؟.

قال: لا ولكنهما كتما واذاع[2].

والذي يملك هذه المكانة الرفيعة والمنزلة المقدسة لا يمكن القبول بالحديث عنه انه نازع امر الامامة مع الامام علي بن الحسين عليه السلام.

فمن الواضح ان هذا العلم هو من ابيه امير المؤمنين عليه السلام واخويه الحسن والحسين عليهما السلام، وهذا العلم لايُعطى إلاّ لمؤمن امتحن الله قلبه بالايمان، ولايستقر هذا العلم في قلب من يبحث عن الزعامة ويتحرك للجاه. والذين عندهم هذا العلم كلهم ساروا في هذا الطريق حتى الشهادة او الموت.

وعليه فإن محمد بن الحنفيه بعيد عن هذه المنافسة والمنازعة، ومن يملك هذا الواقع الايماني يصعب انسلاخه منه دفعة واحدة والكفر بأصل من اصول الدين بعد التوحيد والرسالة وهو الامامة وأن يدعيها لنفسه. خاصة وانه ممن عرف اجواء الامامة وطريق انتقالها ومنهجية وصولها الى الائمة عليهم السلام، وان الروايات التي تحدث عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أن الأئمة (اثني عشر) وعددهم وذكر اسماءَهم واحداً بعدالآخر وأنهم من صلب الامام الحسين عليه السلام.

لايمكن ان نقول انهالم تصل اليه او انه لم يسمعها وهو يعيش اجواءً مملؤة بهذا التوجه وتتحدث حول هذا الموضوع.

١(١)- مقاتل الطالبيين، ابو الفرج الاصفهاني، ص٨٨.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٢، ص١٠٢.

وعليه فإن ادعاء محمد بن الحنفية الامامة لنفسه، أو قبوله ادعاء الناس بأنه هو الامام امر لم يصح ولم يذكره احد من علمائنا كما بيّنا.

ثانياً: عزلة الامام زين العابدين عليه السلام تركت فراغاً لأن يتوجه الناس إلى محمد بن الحنفية. والناس هي التي اختارت محمد بن الحنفية وليس هو.

وعندما نتدبر في هذا التوجه نجد:

١- ان الخواص من اتباع اهل البيت عليهم السلام كانوا على معرفة بواقع الظروف والمشاكل التي تمر بها الامامة، لذلك ثبتوا وبقوا على اعتقادهم بإمامة الامام زين العابدين عليه السلام. من امثال: سعيد بن جبير، كميل بن زياد، وسليمان بن صرد الخزاعي، والذين وبايعوا الامام فيما بعد ولكن عموم الناس اثرت فيهم الاجواء العامة فتوجهوا الى غير الامام زين العابدين عليه السلام.

٢- ان الامام عليه السلام كان صغير السن حيث كان في العشرين من عمره.

٣- نتيجة للاجواء السياسية الملبدة بالاحداث فقد اختار الامام الابتعاد عن الساحة وأن لايكون في مواجهة الاحداث.

وطبيعة الجماهير انها تتعامل مع من تراه امامها ولاتكلف نفسها في البحث عن الافضل والاكفأ والاقدر. والامام زين العابدين عليه السلام لم يكن وسط الجماهير في اول امره.

٤- ان هناك محاولات قديمة كانت من اهل النفاق تتحرك لعزل محمد بن الحنفية عن اهل البيت عليهم السلام. فقد كانوا يتحدثون معه طويلاً ان أباك يفضل الحسن والحسين عليك، وانه يدفع بك الى المعارك في الوقت الذي يحتفظ بالحسن والحسين ولايدعهما يشاركان في الحروب.

وكان الامام امير المؤمنين عليه السلام يبين له واقع الامر.

قيل لمحمد بن الحنفية: كيف كان ابوك يقحمك المهالك ويولجك المضايق دون اخويك الحسن والحسين عليهما السلام؟

قال: لانهما كانا عينيه وكنت يديه، فكان يقي عينيه بيديه[1].

لذلك فليس من المستبعد ان تكون هذه الشريحة هي وراء هذا الدفع للناس لطرح محمد بن الحنفية ان يكون هو الامام، وبالتالي تقع عملية الاصطدام بينه وبين ابناء اخوته وبالذات ولد الامام الحسين عليه السلام كالامام زين العابدين عليه السلام المتصدي للامامة.

وفي المقابل ان محمد بن الحنفية كان وجيهاً عالماً فقيهاً كبير السن في بني هاشم ويعيش وسط الجماهير.

ان هذه العوامل مجتمعة افرزت ان الناس قد توجهوا صوب محمد بن الحنفية وادعوا الامامة له. ولكن هل قبل محمد بن الحنفية هذا الطرح وتعامل معه وتبناه ومارسه وترجم مفرداته في يومياته وحياته؟

ان هذا لم يثبت ولم ينقله المؤرخون كما سنتحدث عن ذلك في رجوع اتباع محمد بن الحنفية.

ثالثاً: ان بروز ظاهرة امامة محمد بن الحنفية على سطح الاحداث في وقت كان الامام زين العابدين عليه السلام يعيش حالة العزلة عن الناس تفرز وبشكل طبيعي لغطاً اجتماعياً في الامة وخاصة بين ابناء التيار الواحد.

واذا عرفنا ان اتباع اهل البيت عليهم السلام خرجوا من مأساة استشهاد الامام الحسين عليه السلام وهم قلة ويقع بينهم هذا اللون من اللغط، فهذا وبلا اشكال يشكل حالة ضعف لهم في الظاهر، والناظر يقول انهم مشغولون بأنفسهم، وهذه الحالة ترتفع الى عدم اعطاء الاهتمام بهم لانهم لايشكلون قوة فاعلة.

وهذا الجو ساعد الامام زين العابدين عليه السلام على ان يخرج من هذه الازمة من دون ان يتعرض له احد. لذلك فإن اختيار الناس لمحمد بن الحنفية اماماً لهم جعل الامام زين العابدين عليه السلام في زاوية بعيدة عن المناوئين والمتربصين بالامام عليه السلام.

وهذا الدور يلتقي مع نفس المنهج الذي سارت عليه السيدة زينب في حماية الامام زين العابدين عليه السلام من التعرض له بسوء.

---

(١) وفيات الاعيان، ج ٤، ص١٧٢.

ساعة الحسم

عندما انقشعت غيوم التآمر الساخنة، وحصل نوعٌ من الاستقرار، والظاهر ان ذلك كان بعد احداث ثورة المدينة المنورة -الحرة- وقبل ثورة المختار، وأصبحت الظروف مهيّأة لان تعود الامامة الى واقعها الطبيعي، كان على محمد بن الحنفية ان يضع حداً للغط الاجتماعي في انه هو الامام ام لا، وعليه أن يقول إن الامام هو زين العابدين عليه السلام، وكان يجب ان تكون عملية الاعلان بطريقة جماهيرية وامام مرآى من الناس وفي اقدس مكان وهو البيت الحرام.

وبالفعل قام محمد بن الحنفية بإعلان امامة الامام زين العابدين عليه السلام على احسن وجه، كما هو في الرواية التي بيناها في اول البحث.

وبقي محمد بن الحنفية في واجهة الاحداث حيث ان الامام زين العابدين عليه السلام انابه في ادارة التحرك السياسي والعسكري للمختار بن أبي عبيدة الثقفي. كما سنتحدث عن ذلك في فصل ثورة المختار وغيره.

فنجد أن الامام زين العابدين عليه السلام يتحدث مع مروان بن الحكم حول سبّ امير المؤمنين عليه السلام بطريقة، ومحمد بن الحنفية يتحدث مع عبد الله بن الزبير بطريقة اخرى.

والذي ترتب على هذا الاعلان ان محمد بن الحنفية كان يظهر احترامه للامام زين العابدين عليه السلام بطريقة ملفتة للنظر وتدل على احترام عقائدي ديني محفوف بالتبجيل والتقديس.

وهذا الاحترام لفت نظر من كان يعتقد بإمامة محمد بن الحنفية فتحدثوا معه حول هذه الظاهرة فقال لهم وبلا تردد: انه امامي، فغيّروا اعتقادكم به والتزموا بإمامة الامام زين العابدين عليه السلام.

عن أبي بحير عالم الاهواز، وكان يقول بإمامة ابن الحنفية، قال: حججت فلقيت امامي وكنت يوماً عنده فمرّ به غلام شاب فسلم عليه، فقام فتلقاه وقبّل ما بين عينيه وخاطبه بالسيادة.

ومضى الغلام، وعاد محمد إلى مكانه، فقلت له: عندالله احتسب عناي فقال:

وكيف ذاك؟ قلت لأنا نعتقد انك الامام المفترض الطاعة تقوم تتلقى هذا الغلام، وتقول له: يا سيدي؟

فقال: نعم، هو والله امامي، فقلت: ومن هذا؟ قال: علي بن اخي الحسين عليه السلام، اعلم اني نازعته الامامة ونازعني، فقال لي: اترضى بالحجر الاسود[1]. كما ذكرنا تفصيل الرواية سابقاً.

وعن ابي بصير انه قال: سمعت ابا جعفر الباقر عليه السلام يقول كان ابو خالد الكابلي يخدم محمد بن الحنفية دهراً ولا يشك انه الامام حتى اتاه يوماً فقال له: جعلت فداك ان لي حرمة ومودة فأسألك بحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وامير المؤمنين عليه السلام إلاّ اخبرتني انت الامام الذي فرض الله طاعته على خلقه؟ قال: يا ابا خالد لقد حلّفتني بالعظيم، الامام علي بن أخي عليه السلام، عَلَيَّ وعليك وعلى كل مسلم.

فلما سمع ابو خالد قول ابن الحنفية جاء إلى عليّ بن الحسين فأستأذن ودخل فقال له: مرحباً يا كنكر، ما كنتَ لنا بزائر، ما بدا لك فينا؟ فخّر ابو خالد ساجداً شكراً لما سمع من زين العابدين عليه السلام، وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى عرفت امامي، قال: وكيف عرفت امامك يا اباخالد؟ قال: لأنك دعوتني باسمي الذي لايعرفه سوى امي، وكنت في عمياء من امري ولقد خدمت محمد بن الحنفية عمراً لا أشك انه امام حتى اقسمت عليه فأرشدني اليك فقال: هو الامام عَلَيَّ وعليك وعلى كل مسلم، ثم انصرف وقد قال بإمامة زين العابدين عليه السلام[2].

وليس صحيحاً ما ذهب اليه البعض من ان الامام الحسين عليه السلام قد اوصى الى أخيه محمد بن الحنفية حتى يكبر الامام السجاد عليه السلام فيستلم الامامة منه.

ان هذا التوجه بعيد عن فهم الامامة والترتيب الالهي لها في الامة. لان هذا الموقع الالهي لايتأثر جوهرياً بالأجواء المحيطة به. بل بالعكس يتمركز اكثر لاثبات قدرته وارتباطه الالهي، فالسن ليس له أي دخل في تحمل اعباء الرسالة.

---

(١) ائمتنا، علي محمد علي دخيل، الجزء الثاني، ص١٦١.
(٢) نفس المصدر، ج٢، ص٢٦٢.

والقرآن الكريم نقل لنا صوراً عن ذلك في قصة النبي عيسى (عليه وعلى نبينا وآله السلام) حيث تحدث وهو في المهد. قال الله تعالى: ﴿**وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ**﴾[1].

ان من الائمة عليهم السلام من كان عمره اصغر من عمر الامام السجاد عليه السلام وتحمّل اعباء الامامة، فالامام الجواد تسلّم امر الامامة وعمره الشريف (ثمان سنوات)[2].

ولكن ليس الكل قبل بهذا التغيير في الاعتقاد من قبل محمد بن الحنفية بإمامة الامام زين العابدين عليه السلام، فقد اخذت امامة محمد بن الحنفية طريقها في الامة وقد كان يعتقد بها كثيرون ومن كبار شعراء اهل البيت، منهم:

١ - السيد الحميري: يذكر السيد الخوئي قدس سره في معجم رجال الحديث في ترجمة الحميري: هو اسماعيل ابن محمد المعروف (بالسيد الحميري) (وهو يومئذ يقول بمحمد بن الحنفية)[3].

ويروي صاحب منتهى الآمال ان السيد الحميري قال:

دخلت على الصادق جعفر بن محمد صلى الله عليه وآله وقلت: يا ابن رسول الله بلغني انك تقول فيَّ انه ليس على شيءٍ، وانا قد افنيت عمري في محبتكم وهجرت الناس فيكم في كيت وكيت، فقال: الستَ القائل في محمد بن الحنفية:

حتى متى؟ والى متى؟ وكم المدى	يا ابن الوصي وانت حيّ ترزق
تثوي برضوى لا تزال ولاترى	وبنا اليك من الصبابة اولقُ

وان محمد بن الحنفية قام بشعب رضوى، اسد عن يمينه ونمر عن شماله يؤتى برزقه غدوة وعشية؟ (اي انه لايزال حيّاً يرزق كما هي عقيدة التابعين له وهم الكيسانية) ويحك إن رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّاً والحسن والحسين عليهم السلام كانوا خيراً منه وقد ذاقوا الموت.

---

(١) آل عمران، ٤٦.

(٢) راجع: بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢، الحديث٥.

(٣) معجم رجال الحديث، للسيد الخوئي، ج٣، ص١٧٩.

قال: فهل لك على ذلك دليل؟

قال: نعم إن ابي اخبرني انه كان قد صلّى عليه وحضر دفنه وانا أريك اياه فأخذ بيده ومضى به الى قبر محمد بن الحنفية وضرب بيده عليه ودعا الله تعالى، فانشق القبر عن رجل ابيض الرأس واللحية فنفض التراب عن رأسه ووجهه وهو يقول: يا ابا هاشم تعرفني؟ قال لا قال: انا محمد بن الحنفية، ان الامام بعد الحسين بن علي عليه السلام، علي بن الحسين عليه السلام، ثم محمد بن علي، ثم هذا، ثم ادخل رأسه في القبر وانضم عليه القبر. فقال اسماعيل بن محمد عند ذلك:

تجعفرت بسم الله والله اكبر	وأيقنت أن الله يعفو ويغفر
ودنت بدين غير ما كنت دائناً	به ونهاني سيد الناس جعفر[١]

٢- كثير عزة

وكان كيساني الاعتقاد والى هذا اشار كثير عزة بقوله من جملة أبيات:[٢]

وسبط لايذوق الموت حتى	يقود الخيل يقدمها اللواء
يغيب فلا يُرى فيهم زماناً	برضوى عنده عسل وماء

وقال الجوهري في كتاب الصالح: كيسان لقب المختار وقال غيره: كيسان مولى عليّ عليه السلام والكيسانية يزعمون انه مقيم برضوى في شعب منه ولم يمت[٣].

ان خروج الامام زين العابدين عليه السلام من هذه الاجواء وهو متحمل لأعباء الامامة لم يكن يؤثر في امامته منذ اللحظات الاولى لتحمله الامامة بعد استشهاد ابيه.

والذي جرى ما هو الاّ احتياطات ظاهرية لئلا يقع ما هو غير محسوب من قبل أهل اللؤم والسوء.

---

(١) منتهى الامال، ج٢، ص٢٧٧.

(٢) الكيسانية فرقة تعتقد بامامة محمد بن الحنفية وانه حي مقيم بجبل رضوى.

(٣) وفيات الاعيان، ج٤، ص١٧٢.

مفردات النص على امامة الامام زين العابدين عليه السلام

لقد عبر الامام زين العابدين عليه السلام نفسه حول تسلمه موقع الامامة من ابيه في عدة محطات هي:

أولاً: قبل ان يتوجه الى العراق، يقول الإمام زين العابدين في حواره مع محمد بن الحنفية: «اوصى اليّ قبل ان يتوجه الى العراق»[١].

والظاهر ان هذه الخطوة هي اعداد الامام زين العابدين عليه السلام ولئلا يحصل شيءٌ ما يسوء الامام ولم يعهد الى وصيه.

ثانياً: في اللحظات الاخيرة من حياة الإمام الحسين عليه السلام. وقال الإمام السجاد في نفس الحوار: «وعهد اليّ في ذلك -اي الامامة- قبل ان يستشهد بساعة»[٢].

حين علم الامام الحسين عليه السلام ان نهاية المعركة تكون باستشهاده وانه سيقتل، سَلَّم الامر إلى الامام زين العابدين عليه السلام.

ثالثاً: ودائع الرسالة. قال الإمام: «وهذا سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندي»[٣].

ان ايراد زين العابدين عليه السلام لفظ (سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) هو رمز الى ودائع، الرسالة التي أودعها الامام الحسين عليه السلام عند ثقاة بيته واوصاهم ان يعطوها الى الامام زين العابدين عليه السلام عند استقرار الامر، ومنها سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد كان ان اعطى الامام الحسين عليه السلام السيدة ام سلمة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١١١، الحديث٢.
(٢) المصدر، ص١١٢.
(٣) المصدر.

(ودائع) وقال لها اعطيها الى اكبر ولدي.

وسلمت ام سلمة الامانة الى الامام زين العابدين عليه السلام عند عودة موكب الأسر.

عن الفضل قال: قال لي ابو جعفر (الامام الباقر عليه السلام) لما توجه الحسين عليه السلام الى العراق دفع الى ام سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الوصية والكتب وغير ذلك، وقال لها: اذا اتاك اكبر ولدي فادفعي اليه ما دفعت اليك[1]. فلما قتل الامام الحسين عليه السلام أتى علي بن الحسين عليه السلام ام سلمة فدفعت اليه كل شيء اعطاها الحسين عليه السلام.

كما إن الامام الحسين عليه السلام أعطى ابنته فاطمة رسالة فيها ودائع الامامة واوصاها ان تدفعها الى اخيها الامام زين العابدين عليه السلام وبالفعل سلمته تلك الامانة بعد الاحداث[2].

فكل هذه ودائع الرسالة وزعها الامام الحسين عليه السلام خوفاً من الاحداث السيئة، وقد عادت بأكملها الى الامام زين العابدين عليه السلام والتي منها سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي ذكره الامام زين العابدين عليه السلام في حواره مع عمه محمد بن الحنفية للتعبير عن باقي ودائع الرسالة.

مفردات النص

لقد جاء في منهجية صاحب الرسالة واهل بيته عليهم السلام، في تهيئة الوصي وتشخيصه قبل أن يولد وبعد ولادته وفي مفردات حياته وامام الناس وفي مختلف المناسبات الى ان تنتهي حياة الامام الذي قبله شهادةً او موتاً طبيعياً.

ومفردات النص على امامة الامام زين العابدين عليه السلام هي:

اولاً: عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم

ويذكر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لـمّا حضرته الوفاة قال لأمير المؤمنين عليه السلام احضر صحيفة ودواة فأملا وصيته حتى قال له: سيكون من بعدي اثنا عشر اماماً وسماهم بأسمائهم وبمراتبهم التي رتبهم الله فيها. فهو الذي لاينطق عن الهوى ان هو إلاّ وحي يوحى، فقال له: انت خليفتي على امتي من بعدي، فإذا حضرتك الوفاة فسلمها الى ابني

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٨.

(٢) المصدر، ص١٧و١٨.

الحسن البر الوصول، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى إبني الحسين الشهيد الزكي المقتول، فاذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه علي (سيد العابدين)...[١]

وفي رواية اخرى سأله ابن عباس عن الأئمة فقال: الأئمة بعدي اثنا عشر اماماً أولهم علي بن أبي طالب وبعده سبطاه الحسن والحسين فإذا انقضى فابنه علي زين العابدين.

وهكذا عدّدهم بأسمائهم وختمهم بالامام الحجة المنتظر محمد بن الحسن (عجل الله فرجه).

ثانياً: عن امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

لما ضرب عبد الرحمن بن ملجم امير المؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة وهو قائم في محرابه بين يدي الباري جل وعلا اوصى ابنه الامام الحسن.

اوصى امير المؤمنين عليه السلام الى الحسن واشهد على وصيته الحسين عليه السلام ومحمداً وجميع ولده ورؤساء الشيعة واهل بيته ثم دفع اليه الكتاب والسلاح ثم قال لابنه الحسن: يا بني امرني رسول الله ان اوصي اليك وأن ادفع اليك كتبي وسلاحي، كما أوصى اليّ رسول الله صلى الله عليه وآله ودفع اليّ كتبه وسلاحه وامرني ان آمرك اذا حضرك الموت أن تدفعه الى اخيك الحسين ثم اقبل على ابنه الحسين وقال: امرك رسول الله صلى الله عليه وآله ان تدفعه الى ابنك هذا، ثم اخذ بيد ابن ابنه، علي بن الحسين عليه السلام[٢].

ثالثاً: عن الإمام الحسين بن علي عليه السلام

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: كنت عند الحسين بن علي عليه السلام اذ دخل عليّ بن الحسين عليه السلام الاصغر، فدعاه الحسين عليه السلام وضمّه اليه ضمّاً، وقبّل ما بين عينيه ثم قال: بأبي انت ما أطيب ريحك؟ وأحسن خلقك؟ فتداخلني من ذلك فقلت: بأبي انت وامي يا ابن رسول الله، إن كان ما نعوذ بالله ان نراه فيك فإلى من؟ قال: علي ابني هذا هو الامام ابو الائمة[٣].

---

(١) الغيبة، للشيخ الطوسي، ص١٥٠.
(٢) الاصول من الكافي، ج١، ص٢٩٨.
(٣) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٩.

الرؤية السياسية عند الامام زين العابدين عليه السلام

كانت الرؤية السياسية للإمام عليه السلام تتميز بمفردات عديدة هي:

١ - ان الامام زين العابدين عليه السلام رجع الى المدينة المنورة وهو يحس حالة الالم لما آلت اليه الامور في التصفية الجسدية لأهل بيته وعدم وجود عناصر مؤيدة له والتي عدها الامام بنفسه، فلم يكن عددهم اكثر من عشرين عنصراً في المدينة، ويدل عليه قول الامام الصادق عليه السلام: ارتد الناس بعد الحسين عليه السلام الا ثلاثة[١].

إن هذه القوة البشرية لايمكن لها أن تؤدي دوراً في العمل العسكري، كما انها لاتشكل نواة لتجميع القوات العسكرية التي تخوض المعركة.

وحتى لو انها تصدت لما كانت تلقى اقبالاً من الجمهور حيث كانوا شاهدوا من قبل معركة كربلاء وما جرى على اهل بيت الرسالة من التدمير والسحق. والناس الذين يقاتلون، قلة منهم اهل مبدأ محض وانما يتوقعون امتيازات اخرى لم تكن متوفرة في معركة كربلاء، فكيف يستهوي الناس الجديد الذي لايملك مقدمات الانتصار. كما ان الحالة النفسية التي عمت بني هاشم من الانكسار والألم لما حل بالامام الحسين عليه السلام لم تكن مهيأة اطلاقاً لاي عمل عسكري جديد.

فإن الحديث عن اي عمل عسكري يقوم به الامام زين العابدين عليه السلام لم يكن يلاقي قبولاً عند الناس كما لم يكن يكتب له النجاح.

٢ - ان الطغيان الاموي كان قد استكمل شروطه واصبح غولاً ينهش كل من يقف أمامه، وهو كالذئب المجروح يكتسح من يقف أمامه من دون رحمة وهوادة لاثبات

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٤٤، الحديث ٢٩. الإختصاص، ص٦٤.

قدرته واستمرار حكمه، وهذه طبيعة الطغاة فضلاً عن الطاغية المنتصر.

فيزيد الذي خرج من كربلاء منتصراً فرحاً بقوته، شامخاً بجيشه وقواده، وقد سحق القيم والمقدسات وتجاوزها، وبذلك تحرر من زمام الدين، وسحق جيشه العدواني مقدسات الأمة، وضمن طاعة الكل له، فان اي قوة لايمكن ان تقف امامه، عسكرية كانت ام دينية مقدسة.

والذي حصل هو أن يزيد إنتصر على اهل المدينة عسكرياً، وحطم القيم التي كانت متداولة عندهم من احترام مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وحرمة السرقة والزنا، فكلها سُحقت تحت اقدام الجيش الاموي.

وهكذا حصل لمكة حيث هُدمت الكعبة، ولكن لم يكمل المشوار، لان خبر موت يزيد وصل الى أسماع الجيش فرجع للشام، ولم يعملوا بمكة مثل الذي عملوا في المدينة، ولكن اكمل الحجاج المشوار بتدميره مكة بعد فترة.

ان هذا الفهم كان واضحاً عند الامام زين العابدين عليه السلام، لذلك لم يحرك ساكناً في هذا الاتجاه وبقي بعيداً عن الواقع العسكري.

٣- ان الامام عليه السلام عاش تضاريس سياسية مختلفة، فبدأ امامته ويزيد بن معاوية حيّ، والقوى السياسية التي تحركت تباعاً سُحِقت في أحداث المدينة ومكة، وقد تحدثنا عن عدم اكتمال الشروط الذاتية للثورة عند الامام.

واما مرحلة ما بعد أحداث المدينة فان الاقاليم الاسلامية كانت موزَّعه، فالعراق، بيد المختار ثم مصعب بن الزبير ثم عبد الملك بن مروان. ومكة والمدينة كانت تحت إمرة آل الزبير، ثم تحت إمرة عبد الملك بن مروان، ووضع الحجاز لم يشهد فراغاً سياسياً بل شهد مراهقة عسكرية تُجرب نفسها على أهل هذه المنطقة نفسها، فبعد هلاك يزيد بن معاوية أصبح في الساحة فراغٌ سياسي، وقد استغله آل الزبير ومدوا نفوذهم اليه وكان طبيعياً ذلك لان عبد الله بن الزبير كان قد اعلن عن دولته في مكة في زمن يزيد، لذلك هو المؤهل لان يحرك قوته وليس اي أحد آخر.

والامام لم تكن له قوة قادرة على الحركة لتستفيد من الفراغ السياسي، وهكذا

اصبح ابن الزبير هو الحاكم المطلق في الحجاز. وعندما ملأ آل مروان الفراغ السياسي بعد يزيد في دمشق حدثت داخلياً مجموعة من الاصطدامات بينهم للسيطرة التامة لعبد الملك الذي تحرك جيشه ليدك مكة بيوتاً وكعبة على رؤوس اهلها وقتل ابن الزبير وصلبه على خشبة.

فأي قوة يمكن لها أن تقف امام هذه الجيوش الزاحفة التي أحرقت الاخضر واليابس، فلا الامام يمكن له أن يؤدي دوراً عسكرياً ولاغيره، وهذا الذي حدث بالفعل. أما أهل العراق فقد مروا في أدوار:

١ - تحرك التوابين.
٢- تحرك المختار.
٣- تحرك مصعب بن الزبير.
٤- سيطرة الجيش الاموي.

وهذه الادوار لم تكن كلها أواني مستطرقة من حيث القوة والاعداد والاستمرار، والذي كان ملائماً لحركة الامام فيها سياسياً هو فترة المختار، وقد أدى الرجل الذي عليه وكان يمكن له الاستمرار لو ان الخارطة السياسية بقيت كما كانت عليه دون تغير:

١ - الشام للامويين.
٢- الحجاز لابن الزبير
٣- العراق للمختار

ولكن تحرك ابن الزبير نحو البصرة اضعف موقف المختار واصبح بين كماشتين البصرة لمصعب بن الزبير والشام لعبد الملك بن مروان.

لذلك لم يكن من خيار ناجح، ولو ان الامام تزعم حركة المختار فانه في حالة فشلها كان سيُقضى على بني هاشم قاطبة.

لذلك بقي الامام متمركزاً في المدينة والعراق بيد المختار يدعم توجه الامام زين العابدين عليه السلام، وعندما انتهت ثورة المختار بقي الامام في منهجه وحركته لم يصبه اذى، وهذا اللون من الذكاء هو الذي مكّن الامام من تجاوز كل العقبات التي كان يمكن أن

تسقطه بيد السلطة وتصفّيه جسدياً.

لان التصفية الجسدية كانت حالة طبيعية عند الطغاة من امثال يزيد ومروان وعبد الملك وعبد الله بن الزبير.

والامام خرج من كل هذه التضاريس السياسية العسكرية حياً قوياً له مدرسته الفكرية وقاعدته الجماهيرية. وننتهي الى أنّه لم تكن هناك من ظروف تمكّن الامام من القيام بعمل عسكري ينتهي الى حالة ايجاد كيان سياسي، وهذا ما استشرفه الامام بنور الله ونظر أهل الايمان.

٤- كربلاء ثورة لم تنفذ اغراضها

ثورة الامام الحسين واستشهاده واهل بيته واصحابه بتلك الطريقة، كانت بعد حية، دماؤها تفور في وجدان اهل الاسلام، ولم تكن ثورة خافته، بل هي تتوهج وتشكل حلقة من حلقات الدور الامامي الذي كلف به سبحانه ائمة اهل البيت عليهم السلام. كان على الامام الثورة وعلى إبنه علي بن الحسين عليه السلام رفع هذه الراية والمظلومية، وتلطيخ الامة بدمائها الزكية، لتبقى حية نابضة وعدم السماح للاحداث ان تتجاوزها او تكون حادثة اخرى تعلو عليها في مفرداتها ومنطلقاتها، وكان لابد من حركة اعلامية مستمرة تبلِّغ لهذه الثورة وتدعو لرموزها.

وعليه، فان الامام زين العابدين عليه السلام في قيامه بعمل عسكري فانه لم يكن يسجل مردوداً ايجابياً كما بينا وانما كان يثير غباراً ودخاناً لاطائل تحته ولا لزوم له على ثورة الامام الحسين عليه السلام وكل مفرداتها المؤلمة، وبذلك تغطي اخباره على تلك الاخبار، وكان يُفسَّر على أنه طموح متكرر للسلطة من اهل هذا البيت.

لذلك نجد إن الإمام زين العابدين عليه السلام لم يعمل بطريقة افقية ليكون موازياً لأبيه وانما عمل بطريقة عمودية مكملاً لمشوار أبيه ومرافقاً لمظلوميته، وهذا دور سياسي مارسه الامام زين العابدين عليه السلام وليس عملاً عسكرياً.

الامام زين العابدين
وحفاظه على وحدة الصف الاسلامي

ورث الامام زين العابدين عليه السلام وضعاً سيئاً حيث شهد مقتل ابيه الامام الحسين عليه السلام واخوته واولاد عمه وعمومته وكبار خيار اصحاب اهل البيت عليهم السلام.

وكان وضعاً لايمكن أن يُقلَّل من شأنه او يغض الطرف عنه، ولا اشكال في ان الوضع القيادي لآل الرسول صلى الله عليه وآله طرف فيه، حيث أُخِذ حق اهل بيت النبوة عليهم السلام وابعدوا عن الموقع القيادي.

والامام عليه السلام كان يركز على مظلومية اهل بيته عليهم السلام، ولم يشهر على الملأ خلافات الامة في زمن جده الامام امير المؤمنين عليه السلام وما حدث بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يتطرق الى ذلك على الرغم من انه اسمع حكام عصره ما يُعلمهم بانحرافهم ولم يتقرب اليهم، وهذا لايعني تنازله عن نظريته في احقية جده الامام امير المؤمنين عليه السلام في الخلافة وعمه الحسن عليه السلام بعده.

كما ان هذا لايعني أنه كان لايتدارس الامر مع خواص اصحابه ويُفهمهم واقع التاريخ ويثقفهم بثقافته الخاصة التي تضعهم امام الصورة الواقعية.

فنحن نجد ان سعيد بن جبير في حواره مع الحجاج بن يوسف الثقفي[1] ومن قبل كميل بن زياد رفضوا الدخول بحوار حول الخلفاء عندما اراد ان يجرهم الحجاج الى هذا الواقع وبالتالي يسجل عليهم نقطة عدم قبولهم بالخلفاء ويشهد الناس ان سبب قتلهم هو هذه النقطة.

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٣٦، الحديث ٢٦.

وهذه سياسة اتبعها الحكام منذ أن تولى معاوية بن ابي سفيان السلطة حيث حمل راية المطالبة بدم عثمان بن عفان وطورها الى الدفاع عن الخلفاء. واستمر الحكام بعده على هذه السياسة وكانوا يأخذون الناس بهذه التهمة ويقتلون العلماء والفقهاء والثوار على التهمة والظنة[1].

والواقع ان الثوار كانوا يخرجون على الحكام الظلمة امثال معاوية بن أبي سفيان وليس الامر متعلقاً بالخلفاء لامن قريب ولا من بعيد.

ولكن الحكام الطغاة يحاولون التستر على ظلمهم برمي كل من يخرج ثائراً ضدهم بهذه التهمة، ومن خلال هذه الطريقة يتم تأليب الناس على الثوار باعتبارهم خرجوا على الخلفاء من بعد وفاة رسول الله ﷺ.

وفي الوقت نفسه كان امثال معاوية بن أبي سفيان ينصب نفسه كخليفة، وكأنه الامتداد لهم والوارث الطبيعي لهؤلاء الخلفاء الثلاثة، والكل تحت طائلة الاتهام، ولاينظر الى نفسه هل هو متسم بأخلاق الذين سبقوه ومتمسك بتعاليمهم.

نعم أن يكون هناك حوار بين العلماء واصحاب الاختصاص واهل المعرفة والمثقفين حول واقع ما جرى بعد رسول الله ﷺ لمعرفة الحقيقة على ما هي، فهذه حالة منطقية ومطلوبة، ولكن ليس مكانها الشارع والساحات العامة والناس الذين لامعرفة لهم بهذا الامر، ولا ان تتحول مسألة الخلفاء الى صراع ونزاع بين الجهال، والى جدال عقيم لا يؤدي الى نتيجة ليُعرف الحق من الباطل، وبالتالي شق الجميع الى مدافع عن الخليفة فلان ورافض له من دون معرفة لماذا يدافع عنه او يبغضه.

ان ائمة اهل البيت عليهم السلام كانوا يتحدثون عن حقهم ويستدلون بذلك ولكن في الاماكن المناسبة وعند من ينبغي ان يسمع ذلك او يعرف ذلك.

وقد جمع الشيخ الطبرسي مجموعة من هذه الحوارات في كتاب سماه الاحتجاج.

وكانوا عليهم السلام قد تحدثوا مع الحكام من معاوية بن ابي سفيان ومن جاء بعده بكل

---

(١) كتاب سليم بن قيس، تحقيق محمد باقر الأنصاري، ص١٨٨، و: الإحتجاج، للطبرسي، ج٢، ص١٨.

صراحة ووضوح حيث المعني بهذا الامر.

ونجد ان الامام امير المؤمنين عليه السلام في يوم الجمل التقى الزبير بن العوام وتحدث معه بفضائله واحقيته بالامر، واقتنع الزبير بن العوام بكلام الامام عليه السلام وانسحب من المعركة.

وعلى رأي ان طلحة كذلك اقتنع من كلام الامام امير المؤمنين عليه السلام وتوقف عن القتال وعندما رأى مروان بن الحكم انسحاب رموز الجيش من المعركة رمى طلحة بسهم فقتله[١].

وقد تحدث الامام الحسين عليه السلام مع معاوية بن ابي سفيان واخوته وبطانته مراراً واعطى كل واحد منهم حقه من حيث النسب والمهنة والواقع بشكل تفصيلي[٢].

كما ان الامام الحسين عليه السلام جمع اكثر من الف من الصحابة وابنائهم في مكة المكرمة في فسطاطه وتحدث معهم حول فضائل الامام امير المؤمنين عليه السلام والامام الحسين نفسه هو[٣].

فعندما اشتدت المحنة بأتباع اهل البيت عليهم السلام ووصلت اخبارها الى الامام الحسين عليه السلام قام الامام الحسين عليه السلام بتسجيل موقف من اجل بقاء الحالة الثقافية حيّة في ذهن الامة، وذلك بالإستفادة من موسم الحج فجمع بحدود الف صحابي وهاشمي وتابعي وخطب فيهم موضحاً ما يمكن عمله في مثل هذه الظروف:

«فلما كان قبل موت معاوية بسنتين حج الحسين بن علي عليه السلام وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عباس معه. وقد جمع الحسين بن علي عليه السلام بني هاشم رجالهم ونسائهم ومواليهم وشيعتهم، مَنْ حج منهم ومَنْ لم يحج، ومن الانصار ممن يعرفونه واهل بيته، ثم لم يدع احداً من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في سرادقة عامتهم، التابعون وابناء الصحابة، فقام الحسين عليه السلام فيهم خطيباً فحمدالله واثنى عليه، ثم قال:

(١) اسد الغابة في معرفة الصحابة، في ترجمة الزبير وطلحة.
(٢) الاحتجاج، للطبرسي، ج٢، ص١٩.
(٣) نفس المصدر.

اما بعد: فانّ الطاغية قد صنع بنا وبشيعتنا ما قد علمتم ورأيتم وشهدتم وبلغكم، وإني اريد ان أسائلكم عن اشياء فإن صدقت فصدقوني، وان كذبت فكذبوني. إسمعوا مقالتي واكتموا قولي، ثم ارجعوا الى امصاركم وقبائلكم ومن أمنتموه ووثقتم به فادعوهم الى ما تعلمون، فإني اخاف ان يندرس هذا الحق ويذهب، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

فما ترك الحسين شيئاً انزل الله فيهم من القرآن إلاّ قاله وفسره، ولاشيئاً قاله الرسول في أبيه وأمه وأهل بيته الا رواه، وكل ذلك يقول الصحابة: «اللهم نعم قد سمعناه وشهدناه» ويقول التابعون: «اللهم قد حدثنا من نصدقه ونأتمنه» حتى لم يترك شيئاً إلاّ قاله، ثم قال: «انشدكم بالله إلاّ رجعتم وحدثتم به من تثقون به»، ثم نزل وتفرق الناس، على ذلك»[1].

الذي يقرأ حديث الامام الحسين عليه السلام في هذا التجمع المبارك لا يلمس مساً لأحد بقدر ما هو ذكر الحقائق الايجابية عن اهل بيت النبوة.

وهذا الاسلوب الايجابي في تثبيت الحق واظهار الوجه الناصع هو افضل السبل التي تؤثر في الامة وتحفر فيهم اخدوداً يبقى على مرّ العصور والدهور وتحفظه الاجيال بالتعاقب.

ويمكن لهذا الاسلوب ان يتحول الى خطب جماهيرية ويحرك الشارع والاماكن العامة ويخاطب به العالم والجاهل ومختلف طبقات الناس وشرائحها حيث لاتمس بأحد ولاتخدش مشاعر اي طرف في الامة.

وهذا الاسلوب لايمكن ان يعترض عليه أحد بعكس ما إذا كان المتكلم يطعن في الآخرين ويثير الشائعات ويبث الرعب والقلق في المجتمع ويسلب الأمن والأمان من النفوس.

أما أن يتحرك مندفعاً بعوامل عاطفية ومن دون أن يفهم وضع الامامة وما يجر ذلك من ويلات على الناس وعلى جماعته قبل غيرهم فينال من هذا وذلك من دون وعي

---

(١) نفس المصدر.

وادراك لكلامه، فإن هذا يعني جر الناس الى فتنة عمياء لايخمد نارها. وكما انه انجرار الى معركة غير مخطط ولا معد لها، وانما هي انفعالات عاطفية واندفاع شخصي لبواعث ذاتية خاصة.

وان مثل هذه الاندفاعات كان الائمة عليهم السلام يقفون دونها ولايدعون شيعتهم يخوضون غمار امواج فتن عمياء لم يحسبوا لها اي حساب، او يدفعوا ضريبة ذلك ثمناً باهضاً.

الامام زين العابدين عليه السلام عاش اشد الظروف قسوة ومرارة، وكان ينتقل من فترة قاسية الى فترة اقسى منها ومن والٍ ظالم الى من هو اقسى منه.

وبعد ان انتهت ثورة اهل العراق بقيادة عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وهرب الناس إلى خارج العراق ومنهم من فر إلى الحجاز حيث المدينة المنورة وقبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومكة المكرمة، بيت الله الحرام حتى شكل حضور اهل العراق ظاهرة في هذه الاماكن المقدسة وكانوا يؤدون صلاة الجماعة وفي حضورهم ينفسون عن رغبتهم وظروفهم القاسية ويفصحون عن افكارهم.

وهذه الحالة دفعت الوليد بن عبد الملك ان يغير ولاته في مكة والمدينة ويعين ولاةً جدداً قساة غلاظاً لايملكون رأفة ولارحمة.

فكان على المدينة عمر بن عبد العزيز فاستبدل به عثمان بن حيان المري وعلى مرحلتين:

١- تعيينه لمطاردة اتباع اهل البيت عليهم السلام باعتباره مسؤول الشرطة.
٢- وبعد أن تمت هذه الخطوة عين والياً على المدينة وصعد المنبر وخطب خطبة بين فيها افكاره في استمراره في متابعة الثوار الذين هربوا من العراق او الذين يؤونهم[1].

ودفع اتباع اهل البيت عليهم السلام بعد احداث العراق وفشل تحرك عبد الرحمن بن الاشعث ضريبة كبيرة خاصة وان الحكام كانوا يبحثون عن ذريعة من اجل تصفية البقية

(١) الكامل في التاريخ، ابن الاثير، ج٥، ولادة الوليد.

الباقية منهم، لذلك فإن اثارة الخلاف الديني كقضية الخلافة كان يعني اعطاء الذريعة بيد الولاة الظلمة من اجل أن يقولوا للناس انهم شريحة ضالة مضلة تستحق التصفية.

وجاء جماعة الى الامام زين العابدين عليه السلام واثاروا هذا الموضوع فأجابهم الامام عليه السلام بقوله:

«قوموا عني، لا قرّب الله دوركم، فإنكم مستهزؤون بالاسلام ولستم من اهله»[١].

فهل هؤلاء كانوا مندسين لإثارة الامام عليه السلام واخذ مستمسك عليه انه يتحدث عن قضية الخلافة ويثير الناس على الصحابة.

او انهم كانوا من الذين لايفهمون الوضع السياسي والأمني الذي يعيشه الامام عليه السلام. وعلى كلا الحالتين فان الامام عليه السلام ابعدهم عنه ورفض الخوض في هكذا حديث.

او نجد نموذجاً ثانياً في صلاة الجمعة:

قال محمد بن فرات: صليت الى جنب علي بن الحسين عليه السلام يوم الجمعة، فسمعت ناساً يتكلمون في صلاة الجمعة.

فقال عليه السلام: ما هذا؟

فقلت شيعتكم؟ لايرون الصلاة خلف بني أمية.

قال عليه السلام: هذا والذي لاإله إلا هو بدع، فمن قرأ القرآن واستقبل القبلة فصلوا خلفه فان يكن محسناً فله حسنته وان يكن مسيئاً فعليه[٢].

ان الامام عليه السلام قفز على اثارة المشاكل الدينية في الامة وعَزْل الشيعة عن باقي الناس حتى لايكونوا فئة من غير هذه الامة.

ان تلك الفترة التي عاشها الامام عليه السلام، تراكمت فيها الاحداث والفتن حتى اختلطت الامور، فلا يُعرف الصادق في حديثه من المندس، وموقف الامام عليه السلام

(١) تاريخ مدينة دمشق، ج٤١، ص٣٩٠.
(٢) جهاد الامام السجاد زين العابدين، ص٢٦٦، السيد محمد رضا الحسيني الجلالي.

السلبي من الخوض في هكذا افكار وبصورة علنية وعلى مسمع ومشهد من الناس الذين يفهم بعضهم الحديث بصورته الواقعية بينما البعض الآخر لا يستوعب الحديث.

والموقف السلبي هو الذي حمل بعض الناس على عدم التمييز أن الامام عليه السلام كان له موقف سلبي من الاشخاص أم من الافكار. فذهب البعض إلى الحديث ان الامام عليه السلام اتخذ موقفاً ضد شيعته وساقوا احاديث في هذا الاتجاه.

ان جماعة من اهل العراق وفدوا على الامام زين العابدين عليه السلام فقال لهم: يا اهل العراق احبونا حب الاسلام ولاتحبونا حب الاصنام، فما زال بنا حبكم حتى صار علينا شيناً[١].

وهناك رواية اخرى:

روى يحيى بن سعيد قال: كنت عند علي بن الحسين فجاءه نفر من الكوفيين، فقال لهم علي بن الحسين: يا اهل العراق أحبونا حب الاسلام، فإني سمعت ابي يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا ايها الناس لاترفعوني فوق حقي، فإن الله عزّ وجل قد اتخذني عبداً قبل ان يتخذني نبياً[٢].

ولا اعتقد ان في الروايتين ما يشكك في حب الامام زين العابدين عليه السلام لشيعته وانما هو تربيته وتعليمه لشيعته ان يستلهموا من الامام عليه السلام طريقة ولائهم لأهل البيت عليهم السلام حيث ان البعض منهم وبدون وعي ومسؤولية يتصرف في الحديث او السلوك ليعبر عن حبه لأهل البيت عليهم السلام ولكن ذلك ليس بصحيح ولا يمكن لهذا البعض ان يتصرف بسلوك غير ايجابي بطريقة حبه لأهل البيت عليهم السلام حيث ان اصحاب الامام او الذين كانوا حوله لم يكونوا على درجة واحدة من الوعي والادراك.

وهذه حالة كانت مع كل اهل بيت النبوة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وامير المؤمنين عليه السلام حتى آخر امام عليهم السلام، وحتى يومنا هذا يمارس بعض العامة انواعاً من السلوك لايمت الى الاسلام او التشيع بصلة، ويؤاخذ البعض على هذا السلوك ويعتبره مسيئاً الى الاسلام والتشيع.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق، ج٣٦، ص١٥٧.

(٢) الامام زين العابدين، باقر شريف القرشي.

وهؤلاء بحاجة الى من يعلمهم الطريقة الفضلى في التعامل مع القضايا الاسلامية.

وصدق الامام الصادق عليه السلام عندما قال: «كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم»[١]. وهذه طريقة الناس في تعاملهم مع الائمة عليهم السلام، وليس هي طريقة الائمة او ان الاسلام قال لهم ذلك، حيث ان القضية ليست عواطف ورغبات شخصية وميول ذاتية للحالات الفردية عند الانسان حتى يتخذ موقفاً له سواء كان ينسجم مع الوضع العام أو لاينسجم معه.

إنها مصلحة الامة ومستقبل خط اهل البيت عليهم السلام ولذلك نجد أن الائمة عليهم السلام ساروا وفق منهجية ثابتة ورصينة وهي: «كونوا في الناس ولا تكونوا معهم».

والانسان عليه ان يسجل حضوراً في الامة بكل مناسباتها وبتحركاتها وتضاريس حركتها. واذا كان عنده خلاف فكري ومذهبي وسياسي فعليه ان يحتفظ به لنفسه وليس عليه أن يسير من دون رأي او يمسخ شخصيته.

وقد سجل الامام الخميني قدس سره موقفاً ناضجاً وواعياً ومسؤولاً يعبر عن فهم سياسي عميق عندما امر الحجاج الشيعة ان يصلوا جماعة مع سائر المسلمين في المسجد الحرام والمسجد النبوي، ومنع اقامة صلاة الجماعة في حملات الحج الخاصة. وكان لعملية الاختلاط بالناس الاثر الكبير حيث تعارف الناس وفهموا مذهب اهل البيت عليهم السلام واطلعوا على واقع اتباع اهل البيت عليهم السلام وانهم ليسوا كما يصوّرهم المضللون المأجورون ويلصقون بهم التهم.

من هذا نعرف ان الامام زين العابدين عليه السلام، على الرغم من كل آلامه وجراحاته، بقي محافظاً على وحدة الأمة واطارها الديني وسجل ملاحظاته على الحكام الطغاة، وثبت آراءَه وافكاره، وقال كلمته، وسمح للذي يملك قدرة على العمل السياسي والعسكري بالخروج على الحاكم الظالم المنحرف من دون ان تأخذ القضية ابعاداً في قضية (اصل الخلافة) واعطاء الذريعة للظالمين ان يقولوا على اهل البيت واتباعهم افكاراً تجر عليهم الضرر.

---

(١) بحار الأنوار، ج٦٧، ص٣٠٣.

موقع الامام في الامة

أراد الأمويون تصفية البيت العلوي وانهاء دورهم في الامة ودرس إسمهم، وقد تحدثنا عن ذلك. ولكن ارادة الله سبحانه وتعالى فوق ارادة الطغاة حيث إن المؤمنين فضلا عن اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة الذين هم حبل ممدود من السماء الى الارض ولهم موقعية خاصة عندالله سبحانه، كانوا النور الالهي الذي عبر عنه سبحانه بقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[1].

ان ارادة الطغاة لايمكن لها ان تتحق لان ارادة الله سبحانه هي بقاء هذا النور، ويبقى هذا النور الالهي ساطعاً لامعاً يملأ أرجاء الكون ويبهر الابصار وتحتضنه القلوب وتشق دربها على هداه. وفي بعض الاحيان يتكالب الكفر والنفاق العالمي ويتحرك للقضاء على هذا النور ولكنهم لايتمكنون فيتحول النور الى ومضات وقبسات وبؤر نور منتشرة هنا وهناك، تؤدي دورها في هداية الناس.

ان نور الله سبحانه في أحلك ظلم الجاهلية كان يؤدي دوره في الناس حيث لم يكن أنبياء او رسل، فكيف في عصور تواجد اوصياء الله سبحانه، فإنهم بؤر الخير والهدى وقد حاول الطغاة على مر العصور وتعاقب الازمان ان يجربوا قدرة طغيانهم في تحقيق هذه الارادة ولكنهم فشلوا وتراجعوا في اواخر حياتهم عن هذه الخطط، بل نجد أن بعضهم في نهايات طغيانه يتحول الى مدافع عن الدين والوحي الالهي.

ففي عصرنا عشنا تجربة جعفر النميري - احد حكام السودان السابقين- كيف انه ابتدأ حكمه صديقاً للماركسية الملحدة، وكيف انه مكن الشيوعين من ادارة البلاد، وضرب معقل الحركة المهدوية (الانصار) في جزيرة (آبا) بالطائرات، ولكنه بعد ذلك

(١) التوبة، ٣٢.

تحول الى مدافع عن الدين، وحجّ بيت الله الحرام، واعلن عن اجراء الحدود الدينية.

ونموذجٌ آخر لطاغية اعتى واكثر تجبراً هو طاغية العراق صدام حسين الذي تحدث في ندوة عن (التراث والدين) فأوضح ان الدين جزء من التراث وليس له صلة بالحاضر.

وقال: يجب أن نقضي على الرجعية الدينية وفي أواخر حياته بدأ يتحدث عن الدين وأنه من نسل الامام الحسين عليه السلام؟

وامر بوضع كلمة (الله اكبر) في العَلَم العراقي التي خطها بيده نفاقاً وركوباً لموجة الايمان في بلد المقدسات ومكراً.

وكثير من هؤلاء الطغاة مارسوا بشكل وآخر هذه المنهجية ولكنهم لم يصلوا إلى مراميهم.

ذلك ان الله سبحانه يملك كل خيوط الحركة في الكون، فله الكيد وله المكر وله القدرة:

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا* وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾[١].

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[٢].

﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٣].

ان الارادة الاموية المروانية لم تتمكن من تحقيق اهدافها عن عزل اهل بيت النبوة عن الامة وابعادهم عن حركة الامة.

نعم تمكنوا من تحجيم هذا الدور وخاصة الدور السياسي ولكن أئمة أهل البيت ملكوا قلوب الناس والحكام ملكوا ابدانهم.

فكان أئمة اهل البيت يتصرفون في قلوب الناس، والطواغيت يتحكمون في

(١) الطارق، ١٥-١٦.

(٢) الانفال، ٣٠.

(٣) البقرة، ٢٠.

ابدانهم. والامام زين العابدين عليه السلام، الذي جاء على راس مرحلة جديدة في كافة جوانبها السياسية والعلمية والاجتماعية (وكان يتراوح عمره بين العشرين الى الخمس والعشرين عاماً)، شق طريقه في الامة مع الـ(ثلاثة الى الخمسة) من اتباعه الى أن تحول الى ابرز رمز ديني في الامة جمعاء، والناس ككل وعلى مختلف انتماءاتهم المذهبية لايتقدمون عليه في أيّ شيء.

فعند ما نجد ذلك الاموي الحاقد الذي يتحدث مع الامام عليه السلام بعد العودة من كربلاء ويقول بملئ فمه: (ارأيت من المنتصر؟) اي يريد ان يقول للامام نحن انتصرنا عليكم وغلبناكم.

وكانت هذه الواقعة في عام ٦١ أو ٦٢ للهجرة، وبعد ذلك في زمن عبد الملك بن مروان وعندما كان ابنه هشام يحج جاء الامام زين العابدين عليه السلام واراد أن يستلم الحجر واذ الناس وسعت له الطريق حتى استلم الحجر. واغاظ هذا المنظر هشام بن عبد الملك وامراء اهل الشام وسألوا هشام عن ذلك فحاول تجاهل الموضوع ولكن الفرزدق أعلمهم عن هذا بقصيدة سجلها التأريخ[1] وسنبحثها في فصل قادم.

وقد بيَّنت تلك الحادثة كيف تمكن الامام من ترسيخ رمزيته في الامة بحيث تتوسع له الجماهير وفي حالة التدافع لاستلام الحجر الاسود، وأنها لم توسع لهشام الأموي إذ لم تعرفه وتعرف مكانته.

وهذا تم بفضل منهجية الامام عليه السلام العملية الناجحة.

وعظمة رمزية الامام عليه السلام تكمن في انها نمت في امواج عاتية متلاطمة متباينة في النزاعات والحروب من اجل السيطرة على كرسي الحكم. وخرج الامام من كل ذلك مرفوع الراس تزداد رمزيته سعة ونمواً في الامة، على الرغم من ان الامام عاش فترة اكثر الحكام والولاة طغياناً وتكبراً وانحرافاً وهم يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك والحجاج بن يوسف الثقفي وخالد بن عبد الله القسري، وكل واحد من هؤلاء تحدث المؤرخون عن انحرافه اكثر من غيره الا ان الامام شق طريقه

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٢٤-١٢٧، حلية الأولياء، ج٣، ص١٣٩، الأغاني، ج١٤، ص٧٥ وج١٩، ص٤٠ (ط مصر).

بنجاح في عصرهم.

صحيح ان الله سبحانه كانه وراء أهل بيت النبوة يسدد خطاهم ويحفظهم من اعدائهم ولكن لايمكن أن ننكر عظمة شخصية الائمة عليهم السلام والكفاءات والقدرات التي كانوا يتمتعون بها، نعم ان الرعاية الربانية كانت تسدد هذه القدرات عند الائمة عليهم السلام كما عبر عن ذلك سبحانه عندما امر موسى وهارون في التوجه الى فرعون لالقاء الحجة عليه، فـ﴿**قَالاَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى) فقال لهم سبحانه. (لا تخافا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى**﴾[1].

اي انا اسدد خطاكم وارعى حركتكم ضد هذا الطاغية.

فقد تعاملت شرائح الامة، وكل من موقعه وحسب الحدث الذي يمر به الامام، تعامل الاحترام المميز والذي فيه الدلالة والافصاح ان الامام عليه السلام هو الرمز الديني للأمة لاينازعه احد فيه وانه خير اهل الارض.

(١) طه، ٤٥و٤٦.

الموقع الجماهيري والرمزية

لم ينقل المؤرخون كثيراً من الاحداث حول التعامل الجماهيري الذي كان بين الامام عليه السلام والناس، ولكن بعض الالفاظ التي يذكرها المؤرخون في مدح الامام عليه السلام ويسمونه ببعض الصفات مثل (عظيم التجاوز والعفو عمن اساء اليه)[1] تعطي بعض الدلالات في هذا المجال.

ان هذه الميزات ينقلها المؤرخون نتيجة احداث كانت تجري والامام تجاوز هذه الاحداث بما عبر عن صفات الامام عليه السلام.

وهناك بعض من تلك المفردات التي تبين عمق رمزية الامام لدى الامة وتعلقها به والذود عنه:

١- عند رجوع سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم الى الكوفة تحدث الامام مع الناس فضجوا بالبكاء وقالوا له: مرنا بأمرك يابن رسول الله.

٢- عند مجيء الامام الى المدينة المنورة هرع الناس لاستقباله وتحدث معهم وضجوا بالبكاء.

روى بشير بن حذلم وقال: لما قربنا من المدينة حط علي بن الحسين عليه السلام رحله وضرب فسطاطه وأنزل نساءه، وقال: يا بشير رحم الله أباك لقد كان شاعراً فهل تقدر على شيء منه؟

فقلت: بلى يا ابن رسول الله اني لشاعر. فقال عليه السلام: ادخل المدينة وانع أبا عبد الله.

قال بشير: فركبت فرسي واسرعت حتى دخلت المدينة، فلما بلغت مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) الصواعق المحرقة، لابن حجر العسقلاني، ص١١٩.

رفعت صوتي بالبكاء وانشأت أقول:

يـا أهـل يثرب لا مقام لكم بها قتل الحسين فـادمـعـي مــدرار
الـجـسـم مـنـه بـكـربـلاء مضرج والـــرأس منه على القناة يـدار

قال؛ ثم قلت: هذا علي بن الحسين عليه السلام مع عماته واخواته قد حلوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم وانا رسوله اليكم اعرفكم مكانه. فلم يبق في المدينة مخدرة ولا محجبة الا برزن من خدورهن وهن بين باكية وناعية ولاطمة فلم يُر يوم امر على أهل المدينة منه، وسألوني من أنت؟ فقلت: أنا بشير بن حذلم وجهني علي بن الحسين عليه السلام وهو نازل في موضع كذا وكذا مع عيال أبي عبد الله ونسائه، فتركوني وبادروني مكاني فضربت فرسي حتى رجعت اليهم فوجدت الناس قد أخذوا الطريق والمواضع فنزلت عن فرسي وتخطيت رقاب الناس حتى قربت من باب الفسطاط وكان علي بن الحسين عليه السلام داخلاً فخرج وبيده خرقة يمسح بها دموعه وخادم معه كرسي فوضعه وجلس وهو مغلوب على لوعته، فعزاه الناس[١].

٣- كان الحاقدون الامويون يحركون اصابعهم للنيل من الامام عليه السلام وقد مارس بعض من تلك الاصابع اللئيمة سلوكاً خسيساً ضد الامام فثارت عليه الجماهير وارادت تصفيته ولكن الامام منعهم من ذلك.

٤- حادثة استلام الحجر الاسود وكيف ان الجماهير فسحت له المجال حتى استلم الحجر، التي سنتحدث عنها بالتفصيل في فصل قادم.

٥- قال رجل من قريش: كنت أجالس سعيد بن المسيب، فدخل الامام زين العابدين وسيد الساجدين عليه السلام فقابله سعيد باحتفاء وتكريم، فلما خرج من عنده قال له الرجل يا عم من هذا؟

فرد عليه سعيد بتأثر قائلاً:

هذا الذي لا يسع مسلماً أن يجهله هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام [٢].

(١) معالم المدرستين، السيد مرتضى العسكري، ج٣، ص٢١٢.
(٢) اعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين، ج١، ص٦٣١

فكلمة «لا يسع مسلماً ان يجهله» ومن سعيد بن المسيب تحمل دلالة على مقدار شهرة الامام بين الجمهور ومعرفة الناس به.

٦- ونجد ان الحجاج بن يوسف الثقفي عاش في المدينة المنورة والياً عليها من قبل عبد الملك بن مروان بعد ان قضى على حركة عبد الله بن الزبير ولم تستمر امارته الا لفترة قصيرة ولكنه احس بمقدار جماهيرية الامام زين العابدين عليه السلام وكيف كانت تتعامل الجماهير معه بكل ودواحترام وتقدير على الرغم من معرفة الناس ببطش الحجاج الثقفي، وقد طلب من عبد الملك ان يصفي الامام عليه السلام لانه يشكل عليه خطراً واقعياً، وكتب الحجاج بالحرف الواحد: «إن أردت أن يثبت ملكك فاقتل علي بن الحسين»[١]. ولم يقل الحجاج الثقفي هذا لو لم يشعر بخطورة جماهيرية الامام عليه السلام.

٧- ومن حب الجماهير للامام عليه السلام لِما ترى فيه من القدسية والنور الالهي في وجهه: «انهم كانوا يتبركون بتقبيل يده ووضعها على عيونهم»[٢].

وهذه الحالة بالذات لاتمارسها الناس الا مع مَنْ تؤمن بنقائه وورعه وتقواه ومنزلته الدينية الرفيعة.

ولم ينقل المؤرخون من حالة مثل هذه في زمن الامام عليه السلام قد مارسوها مع غير الامام عليه السلام على كثرة الفقهاء والعلماء في زمن الامام عليه السلام والذين كانوا يملؤون المدينة المنورة.

الامام والفقهاء

الفترة التي عاشها الامام عليه السلام كانت مرحلة التابعين، حيث اولاد الصحابة الذين توجهوا نحو العلم والفقه وكثروا واشتهروا في هذا المجال.

وهؤلاء بأجمعهم قد وجهوا للامام عليه السلام كلمات المدح والثناء، وهذه حالة اكثر تقدماً ودلالة على موقعية الامام ورمزيته بين العلماء انفسهم وتقدمه على العلماء واعتراف العلماء انفهسم بفضله.

(١) الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، ج١، ص٢٥٦.
(٢) العقد الفريد، ج٢، ص٢٥١.

١- سعيد بن المسيب

ومن ذلك مارواه:

ان القراء كانوا لايخرجون الى مكة حتى يخرج علي بن الحسين فخرج وخرجنا معه الف راكب[١].

وكان يضع لهم السويق الحلو والحامض[٢].

والمعروف عن سعيد بن المسيب انه كان اوسع التابعين علما وكان متزناً في علاقاته مع السلطة الاموية كما سنتحدث عن ذلك. وكان سعيد يقول: ان القراء (أي قرّاء القرآن) اي الطبقة العلمية من امثال سعيد بن المسيب لايحجون الا بزعامة الامام علي بن الحسين عليه السلام و﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[٣].

٢- الزهري

المعروف ان العلماء يحلون المشاكل الفقهية التي يُبتلى بها الناس، والظاهر أن بعض العلماء اذا وقعت لهم مشكلة تأخذهم الحيرة ويقفون امام طريق مسدود ويحتاجون الى من يرشدهم هم الى الطريق الصحيح.

ومن هؤلاء الزهري وهو عالم معروف من الأوائل من التابعين في زمن الامام زين العابدين عليه السلام وكانت علاقته ايجابية مع الدولة الاموية ولذلك تولى القضاء لهم.

ووقع الزهري في خطأ عند القضاء، وذلك انه عاقب رجلا فمات الرجل في العقوبة، فخرج هائماً، وتوحش ودخل إلى غار فطال مقامه تسع سنين، وحج علي بن الحسين عليه السلام فأتاه الزهري، فقال له علي بن الحسين عليه السلام: اني اخاف عليك من قنوطك أكثر مما اخاف عليك من ذنبك، فابعث بدية مسلمة الى اهله، واخرج الى اهلك ومعالم دينك.

فقال له: فرجت عني يا سيدي ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[٤].

---

(١) حياة الامام الباقر، ج١، ص١٣٨.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب، ج٣، ص٢٧٩.

(٣) الانعام، ١٢٤.

(٤) الانعام، ١٢٤.

ورجع الى بيته ولزم علي بن الحسين، وكان يعد من اصحابه، ولذلك قال له بعض بني مروان: يا زهري ما فعل نبيك يعني علي بن الحسين عليه السلام [1].

وان عبارة (يا سيدي) (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وعبارة بني مروان: يا زهري (ما فعل نبيك) هي حروف فسفورية الدلالة على اعتراف الزهري بتقديم الامام علي عليه السلام واعترافه برمزية الامام عليه السلام وتقديمه عليه.

ولفظ (ما فعل نبيك) يصرح بدلالة ان الزهري يأخذ علومه ومعارفه من الامام زين العابدين عليه السلام.

٣- الحسن البصري

ما وقع فيه الزهري من الجهل بالاحكام، وقع فيه الحسن البصري، حتى حضر الامام ونوه له بذلك واثنى الحسن البصري على الامام.

«رأى علي بن الحسين عليه السلام الحسن البصري عند الحجر الاسود يقص. فقال: يا هذا أترضى نفسك للموت؟

قال الحسن البصري: لا.

فقال الامام عليه السلام: فعملك للحساب؟

-: لا.

-: فثم دار للعمل؟

-: لا.

-: فلله في الارض معاذ غير هذا البيت؟

-: لا.

-: فَلِمَ تُشغل الناس عن الطواف؟

ثم مضى.

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب، ج٣، ص٢٩٨.

فقال الحسن البصري: ما دخل مسامعي مثل هذه الكلمات من احد قط، اتعرفون هذا الرجل؟

قالوا: هذا زين العابدين عليه السلام.

فقال: ذرية بعضها من بعض»[١].

ان مقطع (ما دخل مسامعي مثل هذه الكلمات من احد قط) اعتراف بان الكلمات لها وزنها العلمي وتوجهها الروحي، انها كلمات ليست من انسان عادي.

وبعد ان عرف ان هذا علي بن الحسين عليه السلام فهم عمق هذه الكلمات كما عرف انتماء صاحبها للرسالة، وهل هناك فوق اهل بيت الرسالة عليهم السلام من بيت شرف وعلم وهدى؟

فصاحب هذه الكلمات هو ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي بن أبي طالب عليه السلام وكلهم من نور واحد.

٤- عبد الله ابن عمر

وعبد الله بن عمر ممن عُرفت مكانته في الامة فقد عُرِف بالعلم والفقاهة بالاضافة الى وراثته شدة ابيه (عمر بن الخطاب) وقد تحدى الامام في مسألة الولاية للامام امير المؤمنين عليه السلام وانتهى الى مخاطبة الامام زين العابدين عليه السلام بكلمة (يا سيدي).

عن ابي حمزة الثمالي انه دخل عبد الله بن عمر على زين العابدين عليه السلام وقال: يا ابن الحسين انت الذي تقول: ان يونس بن متى انما لقي من الحوت ما لقي لانه عرضت عليه ولاية جدي (علي بن ابي طالب عليه السلام) فتوقف عندها؟

قال الامام: بلى ثكلتك امك.

قال بن عمر: فارني آية ذلك ان كنت من الصادقين.

فأمر الامام بشد عينيه بعصابة وعيني بعصابة ثم أمر بعد ساعة بفتح أعيننا فاذا نحن على شاطئ البحر تضرب امواجه.

فقال بن عمر: يا سيدي دمي في رقبتك. الله الله في نفسي.

(١) المناقب، لابن شهر آشوب، ج٣، ص٢٩٧.

فقال الامام: هيه وأرني ان كنت من الصادقين؟

ثم أراه الامام[١].

ان تعبير بن عمر بكلمة (يا سيدي) هي تعبير عن احترام وتقدير للامام عليه السلام واعتراف بعظمة الامام ومكانته في النفوس.

ونلاحظ التغيير في اللفظ من (يا ابن الحسين) الى (ياسيدي) الذي طرأ عند ابن عمر بعد هذه الحادثة.

كما نلاحظ الاهتزاز الذي حدث في داخل ابن عمر بعد رؤيته امواج البحر، ويطلب من الامام تأمين نفسه، فيخاطبه: دمي في رقبتك. الله الله في نفسي.

والامام عليه السلام يردد كلمات ابن عمر التي قالها للامام في البيت وهو يتحداه «فأرني آية ذلك ان كنت من الصادقين».

٥- عبد الله بن العباس

تحدث الرواة والمؤرخون عن علم عبد الله بن العباس بعلمه فاجمعوا على تسميته (حبر الامة) لكثرة علمه، كما تواتر النقل انه عند دفنه جاء طير ابيض فدخل معه القبر وتفسير ذلك الطير هو علمه.

ان ابن عباس كان اذا رأى الامام زين العابدين عليه السلام يعظمه ويكرمه واذا كان جالساً كان يقوم للامام زين العابدين عليه السلام تعظيما ويرفع صوته قائلاً: (مرحبا بالحبيب الحبيب) او (مرحبا بالحبيب ابن الحبيب)[٢].

ولقد عرفنا ان ابن العباس كان ممن عاصر الرسول الاعظم وسمع منه وتتلمذ على يد امير المؤمنين عليه السلام، وبالعمر هو اكبر من الامام زين العابدين بعشرات السنين، وهو ابن العباس بن عبد المطلب، وهو ممن لايقف أمامه بالحجة والدليل احد، ويسكت من يحاوره من المؤرخين، نقلوا كثيراً من حواراته مع معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص

---

(١) المناقب، ابن شهر آشوب، ج٣، ص٢٨١.

(٢) تاريخ مدينة دمشق، ج٣٦، ص١٤٧.

وعبد الله بن الزبير والكل انتهوا الى السكوت أمامه.

وبالتالي فهو يرى نفسه افضل من الآخرين.

ان عبد الله بن العباس مع كل ذلك يقوم تعظيماً للامام ويخاطبه بالحبيب ابن الحبيب، اي عائلة النبوة والوحي المحببة الى الله سبحانه.

٦- محمد بن الحنفية

سنتحدث عن عظمة شخصية محمد بن الحنفية، وانه كان ممن حصل على علم البلايا والمنايا، واشتهر بالعلم والفقاهة بالاضافة الى شجاعته وفروسيته، وكان من شيوخ بني هاشم ورموزهم، ومع ذلك كان يقول عن الامام زين العابدين عليه السلام عندما سأله ابو خالد عن الامام: يا ابا خالد حلفتني بالعظيم:

«الامام علي بن الحسين عليه السلام حجة علي وعليك وعلى كل المسلمين»[١].

وعن أبي بجير عالم الاهواز، قال:

كنت يوما عند محمد بن الحنفية، فمر به غلام شاب فسلم عليه فقام فتلقاه وقبّل ما بين عينيه وخاطبه بالسيادة -اي قال له: ياسيدي- ومضى الغلام، وعندما سُئل محمد بن الحنفية عن الغلام، قال: عليّ ابن أخي الحسين[٢] عليه السلام.

وقد تحدث الفقهاء والعلماء ورموز اهل الدين الذين يشكلون البنى الدينية الفقهية في المجتمع- وكان تمركزهم ذلك الوقت في المدينة المنورة- عن الامام زين العابدين بانه عليه السلام:

١- اعلم

٢- اورع

٣- أفقه

وضمن دوائر متعددة، افضل اولاد الانبياء.

ومنهم من قال انه: افضل في زهده وعلمه وتقواه وورعه من اولاد الانبياء حيث

(١) رجال الكشي، ص٧٩-٨٠.

(٢) بحار الانوار، ج٤٦، ص٢٢.

لم ير مثله فيهم.

وقد عبر عن ذلك جابر بن عبد الله الانصاري حيث قال:

«ما أرى من اولاد الانبياء مثل علي بن الحسين عليه السلام»[1].

وعلى الرغم من ان جابر بن عبد الله الانصاري لم يشاهد ويعاشر أحداً من اولاد الانبياء ولكن حديثه ضمن اشعاع ما سمع عن رسول الله صلى الله عليه وآله ومن الائمة الذين عاشرهم وهم الامام امير المؤمنين عليه السلام والامامان الحسن والحسين عليهما السلام حيث هم معدن العلم والمعرفة وتفسير القرآن.

فكل الذي سمعه لم ير من الصفات والسلوك مثل سلوك الامام زين العابدين عليه السلام.

او ان كلامه هذا لتمييز الامام زين العابدين عليه السلام عن غيره من اولاد واحفاد امير المؤمنين وفاطمة الزهراء عليها السلام ممن كانوا في زمن الامام زين العابدين عليه السلام، وهم:

١ - عبد الله، أو عبيد الله بن علي بن أبي طالب عليه السلام.
٢ - عمر بن الامام علي بن ابي طالب عليه السلام.
٣ - محمد بن الحنفية بن الامام علي بن ابي طالب عليه السلام.

وهؤلاء من غير فاطمة الزهراء عليها السلام.

ومن اولاد الامام الحسن بن علي بن ابي طالب عليه السلام وجدتهم فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وهم:

١ - زيد بن الامام الحسن عليه السلام.
٢ - الحسن المثنى بن الامام الحسن عليه السلام.

وهؤلاء كانوا يتصدون الى الزعامة ويعتبرون أنفسهم ضمن دائرة الرسالة والنبوة ولذلك عبر جابر بن عبد الله الانصاري ان الامام زين العابدين عليه السلام افضل (اولاد الانبياء) ليخرج الاخرين من هذه الدائرة.

وفي نفس الاتجاه قال محمد بن مسلم الزهري: «لم ادرك في اهل البيت رجلاً كان

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج٣، ص٢٩٠.

افضل من علي بن الحسين عليه السلام»[١].

يتضح ان كل الدوائر التي يتحدث عنها الفقهاء ويعبرون عن افضلية الامام في كافة المواصفات التي يتمتع بها اهل الايمان هي عملية ابراز للامام عليه السلام من غيره لكثرة التنافس بين هؤلاء حول الافضلية وكل يرى في نفسه الاولويه في هذه المواصفات من قريش وبني هاشم واهل المدينة المنورة.

وهذا التوجه عندهم هو لابراز رمزية الامام وانه على رأس الهرم في كل هذه الملكات عند أهل الايمان.

أفضل اهل زمانه

وقد امتلك الامام عليه السلام بنوره الالهي البعض، حين عبر بأنه افضل اهل زمانه في سماته العلمية والايمانية.

قال محمد بن مسلم الزهري:

«كان علي بن الحسين افضل اهل زمانه واحسنهم طاعة»[٢].

«لم أر هاشميا أفضل من علي بن الحسين عليه السلام، وما رأيت احدا أفقه منه»[٣].

«سئل الزهري عن ازهد الناس في الدنيا؟ فقال علي بن الحسين عليه السلام»[٤].

قال سعيد بن المسيب:

«ما رأيت رجلاً أورع من زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام»[٥].

وقال زيد ابن اسلم:

«ما جالست في اهل القبلة مثله أي- مثل علي بن الحسين عليه السلام..»[٦].

---

(١) حياة الامام زين العابدين، باقر القرشي، ص١٢٧.
(٢) تاريخ مدينة دمشق، ج٣٦، ص١٤٠.
(٣) شرح إحقاق الحق، ج٢٨، ص ١٥٢.
(٤) حياة الامام زين العابدين، محمد باقر القرشي، ص١٢٦.
(٥) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٤٤.
(٦) تاريخ مدينة دمشق، ج٤١، ص٣٧٣.

افضل هاشمي قرشي

لقد عُرِف بنو هاشم بالمواصفات الايمانية والخلقية والعرفية وامتازوا على غيرهم ممن ملك من هذه المواصفات شيئاً.

فكان فيهم العلماء والفقهاء والوجهاء وسادة القوم والشجعان واهل الكرم.

وعندما يتحدث المؤرخون عنهم يميزونهم عن غيرهم في مناقبهم، وكل ذلك يعود إلى انتمائهم الى اسرة النبي صلى الله عليه وآله.

وفي زمن الامام زين العابدين عليه السلام كان من بني هاشم ممن اشتهر بالعلم والفقاهة وعُرِف بهما، من امثال عبد الله بن عباس الذي عُرِف بـ (حبر الامة) وابنه علي بن عبد الله بن العباس الذي كان له سرير في المسجد الحرام.

وكذلك نجد ان العلماء والفقهاء يصفون الامام علي بن الحسين عليه السلام بأنه افضل هاشمي في وقته حتى يقفزوا على من كان يعتقد انه افضل او متقدم في وضعه الروحي والعلمي.

وفي الوقت الذي نجد ان كثيراً من ابناء المهاجرين قد تصدوا الى العلم والفقاهة وعُرِفوا بذلك امثال عروة بن الزبير و..و.. مع ذلك نجد أن العلماء يصفون الامام عليه السلام بأنه افضل قرشي.

وعندما نجمع الدوائر الهاشمية والقرشية فان الامام عليه السلام افضل هذه الدوائر جميعاً.

وقد عبر عن ذلك مجموعة من العلماء منهم:

١- محمد بن مسلم الزهري: «ما رأيت هاشميا مثل علي بن الحسين عليه السلام»[١].

٢- زيد بن اسلم: «ما رأيت مثل علي بن الحسين عليه السلام فيهم- اي في اهل البيت..»[٢].

---

(١) حياة الامام زين العابدين، محمد باقر القرشي، ص١٢٦

(٢) تاريخ مدينة دمشق، ج٤١، ص٣٧٣

٣-حماد بن زيد: «كان علي بن الحسين عليه السلام افضل هاشمي ادركته»[١].

٤-يحيى بن سعيد: «سمعت علي بن الحسين عليه السلام وكان افضل هاشمي أدركته»[٢].

وكان قسم من اهل التقوى والورع والايمان والعلم والفقاهة ينظرون إلى مقياس التقوى والورع في نسبته من الامام امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وما لهم في ذلك لانه (مع الحق والحق معه) كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك في حقه.

فنجد الامام الصادق عليه السلام يقول في حق جده الامام زين العابدين عليه السلام: «وما أشبهه من ولده -أي علي ابن أبي طالب- ولا أهل بيته احد اقرب شبها به في لباسه وفقهه من علي بن الحسين عليه السلام»[٣]. وفي نفس الاتجاه تحدث ابو حمزة الثمالي وهو من اصحاب الامام امير المؤمنين عليه السلام. إذ قال: «ما سمعت بأحد من الناس كان أزهد من علي بن الحسين عليه السلام إلا ما بلغني أمن علي بن أبيطالب عليه السلام»[٤].

---

(١) ينابيع المودة، القندوزي، ج٣، ص١٥٦.

(٢) التمهيد، ابن عبد البر، ج٩، ص١٥٦.

(٣) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٧٥.

(٤) امالي الشيخ مفيد، ص١١٧.

الفصل الثالث

الامام ورزايا كربلاء

* الامام من الكوفة إلى الشام
* ماحدث للامام في الشام
* عودة موكب الاسر الى كربلاء
* موكب الاسر يدخل المدينة
* الامام وآل عقيل
* خطاب الامام في المدينة
* تأملات في خطب الامام
* اعتذار يزيد من الامام عليه السلام
* دور الامام في تثبيت آلية ثورة الامام الحسين عليه السلام
* مسؤولية الامام زين العابدين تجاه واقعة كربلاء
* مع الامام في مفردات مواقفه في كربلاء
* تأملات في خطاب الامام في الكوفة
* الامام ودفن الاجساد الطاهرة

الإمام من الكوفة الى الشام

لم يشر المؤرخون الى المدة التي قضاها (موكب الاسر) في الكوفة لكنه من المؤكد أنها اكثر من ثلاثة أيام لأن الامام دفن الاجساد الطاهرة في اليوم الثالث وانطلق من الكوفة وعاد اليها، وقد مارس جلاوزة ابن زياد مع (موكب الاسر) نفس الطريقة التي جاؤوا بها من كربلاء الى الكوفة حيث قيدوا الامام بالسلاسل في عنقه ويديه.

ويذكر المؤرخون ان الامام أعرض عن الكلام مع جلاوزة ابن زياد طيلة الطريق الى الشام وآنس نفسه بذكر الله والتسبيح والتهليل له.

وهذه حالة طبيعية حيث ان الجلاوزة كانوا في وضع سيء من الاخلاق والسلوك، لايسمح لهم في تعديل سلوكهم والسمو الى الحالة الخلقية التي تمكنهم من سماع النصيحة او الكلام الطيب فيتعاملون مع آل الرسالة بطريقة محترمة.

وقد جرت عدة مفارقات لـ(موكب الاسر) في الطريق ذكرها المؤرخون ولكنها لم تتعلق بالامام زين العابدين عليه السلام بمفرده لذلك لم نتحدث عنها في هذه الدراسة.

وسار الموكب حتى وصل الى أطراف دمشق وأنزلوه هناك واوصلوا خبر وصولهم دمشق الى الطاغية يزيد بن معاوية ليروا أمره في مواصلة السير نحو دمشق أو التريث والمكوث قربها.

واصدر الطاغية يزيد بن معاوية أمره أن تتزين دمشق وتحتفل لإستقبال الاسرى الذين خرجوا على (يزيد بن معاوية). فهم في نظره خوارج.

وبالفعل تزينت المدينة ونزلت فرق الدق على الطبول والانشاد لتعبر عن هذه الفرحة لابن آكلة الأكباد بقتل عترة آل الرسول صلى الله عليه وآله.

وعندما دخل (موكب الأسر) كانت مدينة دمشق تعيش أفراحها، لذلك شق موكب الأسر طريقة بين الجموع بصعوبة بالغة حيث جماهير اهل الشام تتفحص وجوه الطاهرات من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والذي عبرت عنه السيدة الطاهرة الحوراء زينب بقولها ليزيد «... وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن، تحدو بهن الأعداء من بلدٍ إلى بلد، ويستشرفهن اهل المناهل والمناقل ويتصفح وجوههن القريب والبعيد والدني والشريف..»[١].

وكان موقفاً عصيباً على آل الرسول، ولكن الدناءة الاموية وخبث سريرة اعداء الرسالة والتجرد عن القيم والاخلاق هي التي كانت وراء عملية الدفع لأن يكون آل الرسول بهذه الطريقة.

حتى ان السيدة سكينة بنت الامام الحسين عليه السلام ضاقت من هذه الحالة ذرعاً وطلبت من (سهل بن سعد الساعدي) الذي جاء الى الموكب ليعرف أحوالهم وان كانت لهم خدمة يقدمها فقالت السيدة سكينة له ان يأمر صاحب الرأس ان يتقدم الموكب حتى ينشغل الناس بالرؤوس ويكفوا النظر عنا، وفعل كما سنورد رواية القصة لاحقاً في موضوع الثقافة الاموية[٢].

ولئن كان كرام الناس يتقاتلون وينتصر بعضهم على البعض ولكن الطاهرات يبقين مصونات بعيدات عن النيل أو التعرض للاهانة وهتك الستر.

وهكذا كانت مواقف امير المؤمنين عليه السلام مع أصحاب الجمل حيث تعرضت بعض النساء الى الامام بكلمات سيئة ولكن الامام لم يرد عليهن ولم يتعرض لهن فضلاً عن إنزال الاذى بهن.

عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: دخل الامام علي البصرة يوم الاثنين، فانتهى الى المسجد فصلى فيه، ثم دخل البصرة فاتاه الناس، ثم راح الى عائشة على بغلته، فلما انتهى الى دار عبد الله بن خلف وهي اعظم دار بالبصرة وجد النساء يبكين على عبد الله وعثمان ابن أبي خلف مع عائشة، وصفية ابنة الحارث مختمرة تبكي، فلما رأته

(١) بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٣٤.
(٢) انظر: بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٢٨.

قالت: يا علي، يا قاتل الأحبة، يا مفرق الجمع، ايتم الله بنيك منك كما ايتمت ولد عبد الله منه. فلم يرد عليها شيئاً ولم يزل على حاله حتى دخل على عائشة فسلم عليها وقعد عندها وقال: جبهتنا صفية، اما اني لم أرها منذ كانت جارية حتى اليوم. فلما خرج علي اقبلت عليه فاعادت عليه الكلام فكف بغلته. وقال: اما لهممت واشار الى الابواب من الدار ان افتح هذا الباب فأقتل من فيه ثم هذا فاقتل من فيه ثم هذا فأقتل من فيه وكان اناس من الجرحى قد لجأوا الى عائشة فأخبر علي بمكانهم عندها فتغافل عنهم. فسكتت، فخرج علي، فقال رجل من الازد: والله لاتفلتنا هذه المرأة فغضب، وقال: صه لاتهتكن ستراً ولاتدخلن داراً ولاتهيجن امرأة باذى وان شتمن اعراضكم وسفهن امراءكم وصلحاءَكم فانهن ضعاف، ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن وانهن لمشركات وان الرجل ليكافئ المرأة ويتناولها بالضرب فيعير بها عقبه من بعده، فلا يبلغني عن احد عرض لامرأة فانكل به شرار الناس. ومضى علي فلحق به رجل فقال: يا امير المؤمنين قام رجلان ممن لقيت على الباب فتناولا من هو أمض لك شتيمة من صفية. قال: ويحك لعلها عائشة. قال: نعم قام رجلان منهم على باب الدار. فقال احدهما: جزيتِ عنا امنا عقوقاً. وقال الآخر: يا امنا توبي فقد أخطأت، فبعث القعقاع بن عمرو الى الباب فاقبل بمن كان عليه فأحالوا على رجلين. فقال: اضرب اعناقهما. ثم قال: لأنهكهما عقوبة فضربهما مائة مائة واخرجهما من ثيابهما[1].

وقد التقى بالامام زين العابدين عليه السلام أحد الشاميين وشمت بالامام عليه السلام ودار بينهما هذا النقاش.

إن السبايا لما وردوا مدينة دمشق أُدخلوا من باب يقال له باب (توما) ثم أتي بهم حتى اقيمو على درج باب المسجد الجامع، حيث يقام السبي واذا شيخ قد أقبل حتى اذا دنا منهم قال: الحمد لله الذي قتلكم واهلككم، واراح العباد من رجالكم، وامكن امير المؤمنين منكم فقال له علي بن الحسين عليه السلام: يا شيخ هل قرأت القرآن؟ قال: نعم.

قال: هل قرأت هذه الآية: ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾؟[2].

---

(١) تاريخ الطبري، ج٣، ص٥٤٤.
(٢) الشورى، ٢٣.

قال الشيخ قرأتها. قال: فنحن القربى يا شيخ. وهل قرأت هذه الآية؟ ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾؟[(١)].

قال: نعم. قال: فنحن أهل البيت الذي خُصصنا بآية الطهارة. فبقي الشيخ ساكتاً ساعة، نادماً على ما تكلم به، ثم رفع رأسه الى السماء فقال: اللهم اني اتوب اليك من بعض هؤلاء واني أبرأ اليك من عدو محمد وآل محمد من الجن والانس. ثم أتي بهم حتى أدخلوا على يزيد[(٢)].

عندما طلب الشامي من يزيد أن يهب له فاطمة بنت الامام الحسين عليه السلام لأنها كانت وضيئة، ردت السيدة زينب على يزيد بقوة. فتقدم علي بن الحسين زين العابدين امام يزيد وأنشأ عليه السلام:

لاتطمعوا أن تهينونا ونكرمكم ... وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا

فـالـلـه يـعـلـم أنـــا لانحبكم ... ولانـلـومـكـم أن لا تحبونا

فقال يزيد: صدقت ولكن أراد أبوك وجدك ان يكونا أميرين، فالحمد لله الذي قتلهما وسفك دمهما، ثم قال: يا علي ان أباك قطع رحمي، وجهل حقي، ونازعني في سلطاني، فصنع الله به ما قد رأيت. فقال علي بن الحسين عليه السلام:[(٣)]

﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ**﴾[(٤)].

والرواية غير منسجمة، والكلام الشديد من الامام زين العابدين عليه السلام تجاه يزيد غير متسق مع خطبته وطريقة حديثه مع يزيد او غيره من اهل الشام، ولذلك فان الرواية فيها تأمل أو أنها مضاف اليها مثل البيت الثاني.

---

(١) الاحزاب، ٣٣.

(٢) مقتل الامام الحسين للخوارزمي، ج٢، ص٦١.

(٣)- نفس المصدر، ص٦٣.

(٤) الحديد، ٢٢.

ما حدث للإمام في الشام

الامام يرد على خطيب المسجد

عندما استقر موكب الأسر وأحضر يزيد الرأس الشريف وأماط عنه الغطاء وجعل يضرب بعود بيده على ثنايا الرأس الشريف وعقائل الوحي والامام زين العابدين عليه السلام ينظرون الى هذا المشهد وكان يزيد يترنم بأبيات من الشعر اولها (ليت اشياخي ببدر شهدوا..) فقامت السيدة زينب سلام الله عليها وخطبت خطبتها المعروفة التي كانت تفصح بها عن بلاغة أبيها علي بن أبيطالب عليه السلام وجرأته وقوة بيانه وتبليغ الدروس الايمانية كما كان رسول الله يتحدث مع الكفار الفسقة الفجرة وألقمت يزيد حجراً لشجاعتها وفصاحتها وقوة جنانها[١].

بعد ذلك أمر يزيد بن معاوية الخطيب أن يصعد المنبر -حيث أن موكب الاسر كان بزاوية من المسجد، كما هي آثاره باقية الآن في مسجد دمشق- فصعد المنبر وأكثر الوقيعة في الامام امير المؤمنين والامام الحسين وأهل بيت النبوة كما هي كانت سنة الخطباء اليومية فضلاًعن هذا المكان وفي هذا الموقع.

وبالمقابل أطنب في مدح وتقريظ معاوية ويزيد، فصاح به علي بن الحسين عليه السلام ويلك أيها الخاطب اشتريت رضا المخلوق بسخط الخالق؟ فتبوأ مقعدك من النار.

ثم قال: يا يزيد ائذن لي حتى أصعد هذه الاعواد فاتكلم بكلمات فيهن لله رضا ولهؤلاء الجالسين أجر وثواب. فأبى يزيد، فقال الناس: يا امير المؤمنين إئذن له ليصعد فلعلنا نسمع منه شيئاً، فقال لهم: إن صعد المنبر هذا لم ينزل إلاّ بفضيحتي وفضيحة آل

---

(١) راجع: بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٣٣.

أبي سفيان، فقالوا: وما قدر ما يحسن هذا؟ فقال إنه من أهل بيت قد زقوا العلم زقاً[١].

حبر يهودي يعترض على يزيد

ومن المفردات التي وقعت في مسرح الاحداث في الشام أنه بعد خطبة الامام زين العابدين عليه السلام التي عرض نفسه فيها على الملأ وقد مال أهل الشام لحديث الامام، كان من جملة الحضور حبر من أحبار اليهود أثار في نفسه التناقض بين الاعلام الخارجي أنهم خوارج وبين إدعاءات الامام أنه ابن رسول الله، ومن أجل قطع حالة الشك سأل اليهودي عن الامام قال: يا امير المؤمنين من هذا الغلام؟ قال علي بن الحسين. قال: فمن الحسين؟ قال: ابن علي بن ابي طالب عليه السلام. قال: فمن أمه؟ قال: فاطمة بنت محمد. فقال له الحبر: يا سبحان الله فهذا إبن بنت نبيكم قتلتموه في هذه السرعة، بئسما خلفتموه في ذريته، فوالله لو ترك نبينا موسى بن عمران فينا سبطاً لظننت انا كنا نعبده من دون ربنا، وأنتم انما فارقتم نبيكم بالأمس فوثبتم على إبنه وقتلتموه؟ سوأة لكم من أُمة. فأمر يزيد به فَوُجِئ في حلقه ثلاثاً فقام الحبر وهو يقول: إن شئتم فاقتلوني، إن شئتم فذروني. إني أجد في التوراة أنّ من قتل ذرية نبي لا يزال ملعوناً أبداً ما بقي، فإذا مات أصلاه الله نار جهنم[٢].

رسول قيصر يرد على يزيد

نقل المؤرخون مفردة مشابهة لهذه قد وقعت مع رسول قيصر الى يزيد إنتهت الى اعتراض رسول قيصر على يزيد لما اقترف من قتل إبن بنت رسول الله فأمر يزيد بقتله فَقُتِل[٣].

لقاء الامام بالمنهال

وجرى بين الامام زين العابدين عليه السلام وبين منهال بن عمرو الضبابي نقاش وذلك عندما خرج الامام يوماً في سوق دمشق فالتقى المنهال في الطريق فاستقبله المنهال فقال

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي، ج٢، ص٦٩ بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٣٩-١٤٠

(٢) نفس المصدر، ج٢، ص٧١.

(٣) بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٤١-١٤٢.

كيف أمسيت يا ابن رسول الله؟ فقال:

أمسيت والله كبني أسرائيل في آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم. يا منهال أمست العرب تفتخر على العجم بأن محمداً ﷺ عربي وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمداً قرشي منها، وأمسينا آل بيت محمد ونحن مغصوبون، مظلومون، مقهورون، مقتولون، مشردون، مطرودون، فانا لله وانا اليه راجعون على ما أمسينا يا منهال(١).

وقد حاول يزيد بن معاوية ان يرطب الاجواء بينه وبين الامام زين العابدين عليه السلام وذلك بأن يشارك الامام في موائد الغذاء ويشركه معه في الجلوس على المائدة(٢).

وقد جرى حديث بين يزيد والامام عليه السلام في لقاء من تلك اللقاءات فعرض يزيد على الامام عليه السلام ان يصارع ابنه خالد،

فقبل الامام هذا العرض بشرط ان يسلم لكل واحد منهم سكيناً ففهم يزيد فحوى هذا الطلب فرفضه وانشد شعراً:

شنشنة أعرفها من أخزم ... هل يلد الارقم غير الارقم

ونقل الآخرون عجز البيت هكذا:

شنشنة اعرفها من اخزم ... هل تلد الحية غير الحية(٣)

وبعد ان انتهت مراسم التعريف بالاسرى وانتصار يزيد على الثورة، أحس ان وجودهم في الشام لايجر المنفعة عليه بل العكس ان الامام زين العابدين عليه السلام سيجد له قاعدة تتعاطف معه بعد ان شاهد آثار ذلك عند اليهودي والنصراني وخطبته في المسجد وميل الناس اليه.

كما ان منطق السيدة الحوراء زينب وتعاطف اهل بيت يزيد مع نساء بني هاشم كذلك، يخلق له مشاكل داخلية لذلك قرر حسم الموقف واتخاذ القرار في شأنهم.

---

(١) مقتل الحسين، للخوارزمي، ج٢، ص٧١.
(٢) نفس المصدر السابق.
(٣) نفس المصدر السابق.

يزيد يطلب من الامام البقاء في الشام

وعلى رأي ان يزيد بن معاوية طلب من الامام والاسراء البقاء عنده في الشام ولكنهم رفضوا وطلبوا العودة الى مهجر رسول الله صلى الله عليه وآله ومدينته الطيبة[١].

الامام يتحدث الى يزيد

وهناك من نقل ان الامام زين العابدين قال ليزيد اذا اردت قتلي فابعث من يوصل حرم رسول الله الى المدينة، ولكن يزيد قال للامام لايوصلهم غيرك[٢].

يزيد يعرض على الامام عليه السلام تلبية طلباته

وقبل رحيل موكب الاسر جرى حديث بين الامام زين العابدين عليه السلام ويزيد وأظهر يزيد أنه مستعد لتلبية طلبات الامام زين العابدين عليه السلام، فقال الامام عليه السلام: «أريد منك أن تريني وجه أبي. وأن تعيد على النساء ما أُخذ منهن ففيها مواريث الآباء والامهات، واذا تريد قتلي فارسل مع العيال من يؤدي بهن الى المدينة».

وكان كل مطلب من هذه المطالب يعبر عن رأي عند الامام عليه السلام، فرؤية وجه الامام الحسين عليه السلام أو طلب إرجاع الرأس الى البدن - فالرؤية هي حالة الوداع الاخير مع رأس أبيه.

أما إرجاع الرأس فهو لإنهاء حالة التشمت بأهل بيت النبوة واثارة عوامل الاستفزاز.

ولكن يزيد لم يرد على الامام بالايجاب بل عمد الى أن يرسل الرأس الشريف الى عواصم العالم الاسلامي يظهر قوته وانتصاره على منافسيه.

وطلب في إرجاع ما أُخذ من الخيام حيث فيها مواريث وذكريات الرسالة من رسول الله الى فاطمة الزهراء وامير المؤمنين والامام الحسين عليه السلام.

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٦٧، الحديث١٠.

وقد رد الطاغية بالايجاب على هذا الطلب وأمر أن يرد عليهم كلما أُخذ منهم. واما طلب الامام ان يرد العيال الى المدينة اذا اراد يزيد قتله فهو يعبر عن الجو الذي كان مسيطراً على موكب الاسر حيث ان طريقة يزيد واسلوبه في معاملة رأس الامام الحسين عليه السلام تعبر عن حقد دفين لأهل البيت، لذلك عبر الامام عن ذلك: «إذا أردت قتلي» وقد اختصر يزيد الجواب فقال:

«أما وجه أبيك فلن تراه، وأما ما أخذ منكم فيرد اليكم، وأما النسوة فلا يردهن غيرك وقد عفوت عن قتلك»[1].

موكب الاسر يستعد لمغادرة دمشق

وعند رد يزيد ما أُخذ من خيام الرسالة من آثار الرسالة استعد الموكب للرحيل.

فأرسل على النعمان بن بشير وقال له:

«انظر ما كان يصنعه بهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاصنعه..»[2].

وجهزهم بما يصلحهم وما يحتاجون من مأكل وكساء وادوات عند نزولهم في الطريق وقدم لهم الهدايا والارزاق.

وارسل معهم خيلاً واعواناً تحرسهم في الطريق[3].

وقد ذكروا غير ذلك قالوا: «ان يزيد بن معاوية حين قدم عليه برأس الحسين وعياله، بعث الى المدينة فأقدم عليه عدة من موالي بني هاشم، وضم اليهم عدة من موالي آل أبي سفيان ثم بعث بثقل الحسين ومن بقي من أهله معهم»[4].

ولكن هذه الرواية يصعب القبول بها لسببين:

١ - ان عداء يزيد لايسمح له بالقيام بهذه المبادرة كما رأينا من خلال حواره مع

---

(١) حياة الامام الحسين، للقرشي، ج٣، ص٤١٤.
(٢) مقتل الامام الحسين، للخوارزمي، ج٢، ص٦٦.
(٣) نفس المصدر السابق.
(٤) نفس المصدر، ص٧٥.

الامام زين العابدين عليه السلام والحوراء زينب، وكما تحدث عند رؤية السبايا وضربه للرأس الشريف.

٢- ان الفترة الزمنية التي قضاها موكب الأسر في الشام ليست طويلة حتى يبعث برسول إلى المدينة ويستقدم موالي من بني هاشم وقد خرج موكب الاسر من دمشق ليلاً مخافة الفتنة في الناس واثارة القلاقل خاصة بعد خطاب الامام زين العابدين عليه السلام في المسجد الجامع وتعريف نفسه والكشف عن خداع يزيد للناس.

عودة موكب الاسر الى كربلاء

وكان موكب الاسر طلب من الموكلين به أن يرجعوا الى المدينة من طريق العراق وليس طريق الاردن، وسار موكب الاسر حتى وصل كربلاء وكان في يوم الاربعين.

وفي كربلاء توزعت النساء والاطفال على مصارع القتلى، كل تندب وتنوح على قتلاها، وكان أشد البكاء والنوح من السيدة الحوراء زينب، حيث كانت تندب اخاها الحسين عليه السلام واخوتها الآخرين وابناءَها، والأشد ألماً حضورها عند مصرع أبي الفضل العباس الذي كان بعيداً عن باقي المصارع، فكانت تذهب اليه وتجلس عنده.

وعندما رآى الامام زين العابدين عليه السلام هذا المشهد المتعب لأهل بيته خاف عليهم الهلاك لذلك عجّل بالرحيل من المكان.

لقاء الامام مع جابر بن عبد اللّه الانصاري

وفي كربلاء التقى الامام زين العابدين عليه السلام بالصحابي جابر بن عبد الله الانصاري ودار بينهما حديث حول مأساة كربلاء وما جرى على آل الرسول من مصائب وقص عليه مفردات ما وقع خاصه ما مارس الجيش الاموي من حقد على النساء والاطفال وحرق الخيام وفرار الاطفال واسترجاعهم لايعرفون اين يولون بوجههم وكما اوضح له جغرافية المعركة.

موكب الاسر مع الحراس

والذي سجل في مسيرة الموكب من دمشق حتى وصوله الى المدينة المنورة ان الحراس كانوا يظهرون أدباً واحتراماً واضحاً لموكب الأسر، وتبيَّن ذلك في استجابة الطلب الى الموكب اذا أرادوا النزول، وتلبية الاحتياجات، والابتعاد عن موكب الاسر عندما ينزلون حتى يكونوا بعيدين عن حركة النساء ولايتعرضن الى المضايقة.

وقد ردت سيدات بني هاشم هذا الفضل من المعاملة الحسنة اذ قدمن لرئيس الحراسة ما عندهن من الحلي. ومفردة رد الجميل هكذا ينقلها المؤرخون:

روي عن الحرث بن كعب قال: قالت لي فاطمة بنت علي عليه السلام: قلت لأختي زينب، قد وجب علينا حق هذا الرسول لحسن صحبته لنا فهل لنا أن نصله بشيء؟ قالت: والله ما لنا ما نصله به إلا ان نعطيه حلينا. فأخذت سواري ودملجي وسوار اختي ودملجها فبعثنا بها اليه واعتذرنا من قلتها، وقلنا: هذا بعض جزائك لحسن صحبتك ايانا. فقال: لو كان الذي صنعت للدنيا ففي دون هذا رضاي ولكن والله ما فعلته إلاّ لله ولقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وآله[(١)].

والذي يؤخذ على هذا النقل هو ان العقيلة زينب وأخواتها هل بقين بزيّهن وذهبهن على ما نزل بهن من مصائب ورزايا الأسر، ام أن الاقراط والحلي كن محتفظات بها فدفعنها إلى مسؤول الحرس ولم يكنّ مرتديات لها؟.

هذا أوجه وأقنع لطبيعة التضاريس السياسية والاجتماعية والنفسية التي عليها موكب الاسر.

والاستدراك الآخر حول هذا النقل، هل أن عملية العطاء كانت من العقيلات مباشرة أم أن الالتفاتة كانت منهن، حيث المرأة أكثر احساساً بواقع الاحتشام من الرجال. فكن يلاحظن اوامر مسؤول الحرس في إبعاد الحراس عنهن عندما ينزل موكب الأسر حتى يأخذن حريتهن في الطهارة وغيرها من الحاجات.

وهل ان المبادرة التي كانت منهن وكذلك العطاء لرئيس الحراس هل انهن دفعن ذلك للامام زين العابدين عليه السلام وهو سلم الهدية لرئيس الحرس.

واذا لم يكن هو مارس هذا الدور فهل كان على علم بذلك أم ان الفكرة والعطاء كانت في الوقت الذي لم يعرف عنها الامام شيئاً في مسيره الى المدينة بسبب انه كان مريضاً؟

وأغلب الظن ان الالتفاتة كانت منهن والعطاء كان بواسطة الامام عليه السلام وسقط من الرواية ذكر اسم الامام عليه السلام.

---

(١) مقتل الامام الحسين، للخوارزمي، ج٢، ص٧٥.

موكب الأسر يدخل المدينة

وتحرك موكب الأسر نحو المدينة المنورة حيث مثوى الرسول الاعظمﷺ وفاطمة الزهراء والامام الحسن عليه السلام وحيث الاهل والعشيرة، وقبل ان يدخل الموكب المدينة المنورة أنزل الامام زين العابدين عماته واخواته وضرب لهم الفسطاط، وتحدث مع بشر بن حذلم وطلب منه أن يدخل المدينة المنورة وينعى الحسين لأهل المدينة ويخبرهم بقدوم الامام علي بن الحسين وعماته واخواته حيث قال له:

«يا بشر رحم الله أباك لقد كان شاعراً، فهل تقدر على شيء منه؟

فقال بشر: نعم يا ابن رسول الله.

فانطلق بشر نحو المدينة فلما انتهى اليها أنشد:

يا أهل يثرب لامقام لكم بها   قتل الحسين فأدمعي مدرار
الجسم منه بكربلاء مضرج   والرأس منه على القناة يدار

وبدأت الجماهير تسأله عن المزيد فلم يجب على سؤال أحد حتى إذا وصل الى مسجد رسول الله ﷺ اوضح عن خبره حيث قال:

«هذا علي بن الحسين عليه السلام مع عماته واخواته قد حلوا بساحتكم وأنا رسوله اليكم أعرفكم مكانه»[1].

فانطلقت الجماهير لاستقبال موكب الاسر وهي رافعة صوتها بالبكاء والنحيب وكانت تتقدم الجماهير نساء بني هاشم وعجت المدينة بصوت واحد فاضحت المدينة

(١) اللهوف في قتلى الطفوف، ص١١٦.

كيوم وفاة رسول صلى الله عليه وآله وسلم[(١)].

وقد تصدرت إمرأة من بنات عقيل ورفعت صوتها قائلة:

ماذا تقولون اذ قال النبي لكم ماذا فعلتم وانتم آخر الامم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي منهم اسارى ومنهم ضرجوا بدم
ماكان هذا جزائي اذ نصحتُ لكم أن تخلفوني بسوءٍ في ذوي رحمي[(٢)]

الامام وآل عقيل

ان آل عقيل من الذين شاركوا الامام الحسين عليه السلام رسالته واستشهدوا معه، لذلك كان الامام زين العابدين عليه السلام كثير الاهتمام والوصل لهم، وعندما كان يُسأل عن سبب هذا الاهتمام بهم أكثر من غيرهم من بني هاشم كان يجيب انهم وقفوا مع أبيه. ومن ابرز تلك الاهتمامات هو بناؤه دورهم عندما أرسل المختار الثقفي مقداراً من المال للامام زين العابدين عليه السلام[(٣)].

---

(١) مقتل الحسين، للخوارزمي، ج٢، ص٧٦.
(٢) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج٢، ص١٢٤.
(٣) كامل الزيارات، ص١٠٧.

خطاب الامام في المدينة

وعند اجتماع الناس والتفافهم حول الامام قام الامام زين العابدين عليه السلام خطيباً فيهم فقال:

«الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، بارئ الخلائق أجمعين، الذي بعد فارتفع في السموات العلى، وقرب فشهد النجوى، نحمده على عظائم الامور وفجائع الدهور وألم الفجائع ومضاضة اللواذع، وجليل الرزء، وعظيم المصائب الفاضعة، الكاظة الفادحة، المائحة.

أيها القوم ان الله تعالى ابتلانا بمصائب جليلة، وثلمة في الاسلام عظيمة، قتل ابو عبد الله الحسين وعترته وسبيت نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان من فوق عالي السنان، وهذه الرزية التي لامثلها رزية.

ايها الناس فأي رجالات منكم يسرون بعد قتله، أم أي فؤاد لايحزن من أجله، أم أية عين منكم تحبس دمعها، وتضن عن انهمالها، فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار بأمواجها، والسموات بأركانها، والارض بأرجائها، والاشجار بأغصانها، والحيتان في لجج البحار، والملائكة المقربون وأهل السموات أجمعون.

أيها الناس أي قلب لاينصدع لقتله، أم أي فؤادٍ لايحن اليه، أم أي سمع يسمع بهذه الثلمة التي ثلمت في الاسلام ولا يصم.

أيها الناس أصبحنا مشردين، مطرودين، مذودين، شاسعين عن الامصار كأننا اولاد ترك او كابل من غير جرم اجترمناه ولامكروه ارتكبناه ولاثلمة في الاسلام ثلمناها. ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين ان هذا الا إختلاق، والله لو ان النبي تقدم اليهم

في قتالنا كما تقدم اليهم في الوصية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا، فإنا لله وإنا اليه راجعون، من مصيبة ما اعظمها وأفجعها، واكظها وافظعها، وأمرها، وأفجعها، فعنده نحتسب ما أصابنا، فانه عزيز ذو انتقام»[١].

حديث والي المدينة

وكانت ردة الفعل للسلطة الاموية في المدينة المنورة بزعامة عمرو بن سعيد الاشدق حيث كان هو الوالي على المدينة عندما سمع صرخات اهل المدينة وضجيجهم وخاصة نساء بني هاشم حيث أنشد الشعر وقال:

عجت نساء بني زياد عجة ... كعجيج نسوتنا غداة الارنب

وخطب في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محاولاً تفسير الموقف وامتصاص نقمة الجماهير، فقام اليه عبد الله بن السائب واعترضه، ولكن عمرو بن سعيد الاشدق اسكته[٢].

(١) حياة الامام الحسين، للقرشي، ص١٨٢.
(٢) مقتل الامام الحسين، للخوارزمي، ج١، ص١٧٧.

تأملات في خطب الامام

الذي يتأمل خطبة الامام في الشام يجدها تختلف كلياً عن خطبته في الكوفة. وحتى حديثه مع الناس ولقاؤه معهم كانت مفرداته تختلف عما حدث في الكوفة.

وإن مفردات النصراني واليهودي في مجلس يزيد تختلف عن مفردة عبد الله بن عفيف الارذي الذي ثار في مجلس عبيد الله بن زياد وقُتل.

وذلك أن التضاريس السياسية في الشام كانت معبأة ضد أهل بيت النبوة ومشحونة بثقافة معتقة توارثوها من زمن ولاية معاوية بن أبي سفيان وبعد ذلك خليفته والتي تشكل أربعة عقود من الزمان.

ولذلك نجد أن أهل الشام علقوا الزينة في مدينتهم تصديقاً منهم لقول يزيد أنهم خوارج في حين لم يحدث مثل هذا في الكوفة حيث ينقل المؤرخون أن أهل الكوفة خرجوا لاستقبال الاسرى وهم يبكون كما بينا.

واللهجة العنيفة التي تحدث بها الشامي مع الامام زين العابدين عليه السلام والتي نقلنا مفرداتها تكشف عن جهل تام بأهل البيت ورسالتهم واشخاصهم ومتى عرف ذلك أعلن ولاءه للامام زين العابدين عليه السلام.

والخطيب الشامي الذي ارتقى المنبر طعن في الامام امير المؤمنين والحسنين عليهم السلام، وتألم الامام زين العابدين عليه السلام وطلب من يزيد أن يرتقي المنبر، في حين لم يحدث مثل هذا في الكوفة.

وقد تكون هناك مفردات اخرى من الجهل والعداء لأهل البيت صدرت ولكن لم تصل إلينا.

وهذا الجو المفعم بالعداء لأهل البيت عليهم السلام كان بحاجة إلى عملية تعريف كامل بأهل البيت وبالامام الحسين وبالامام علي بن الحسين عليه السلام نفسه.

وهذا الذي قام به الامام زين العابدين عليه السلام حيث ربط كل التاريخ الاسلامي في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والاحداث التي جرت بواقعها المتحرك وآل الرسول هم اقطابها فكانت مفردات للتعريف واضحة الدلالة في ذلك.

وكل كلمة (انا) كانت ضربة على رأس يزيد بن معاوية وبني أمية، وضربة وسهماً يشق احشاءَهم ويفضح دجلهم وكذبهم وثقافتهم المفترية.

وقد أدت كلمات الامام دورها في الجماهير المحتشدة ولذلك خاف يزيد الفتنة في أن ينقلب الرأي العام ضده فقرر ان يقطع على الامام خطبته فأمر المؤذن بالاذان.

ولكن الامام واصل مشوار هدفه حيث استفاد من الأذان وعرج على موقعهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يدع الفرصة تفوت من دون أن يفضح يزيد.

فعندما قال المؤذن: أشهد أن محمداً رسول الله، التفت الامام الى يزيد وقال له: هل هذا جدي أم جدك؟ فان زعمت انه جدك فقد كذبت، وإن كان جدي فلم قتلت ولده؟

وهذه الالتفاتة من الامام عرت يزيد امام جماهيره من الشرعية الدينية ووضعته في موقع الاتهام لأنه مارس عملية قتل آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

اعتذار يزيد من الامام

لقد تحدث يزيد مع الامام زين العابدين عليه السلام وابدى اعتذاره منه لما حصل بقوله: لعن الله بن مرجانة، أما والله لو كنت صاحبه ما سألني خصلة الا اعطيتها اياه، ولدفعت عنه الحتف بكل ما قدرت عليه ولو بهلاك بعض ولدي، ولكن قضى الله ما رأيت، فكاتبني بكل حاجة تكون لك، ثم اوصى بهم الرسول[١].

والمتتبع للروايات التي تنقل عن ندم يزيد في قتله للإمام الحسين عليه السلام يلاحظ أن هناك تناقضاً واضحاً فيها، ففي الوقت الذي يعلن يزيد ادانته لما حدث نجده يمارس لؤماً مع رأس الامام وشخصية الامام. والذي يقرأ الاخبار ويحللها يتوصل الى:

١- إن يزيد كان يمكر في محاولة لإسترضاء الامام زين العابدين عليه السلام بعد أن وصل الى هدفه في قتل منافسه الامام الحسين عليه السلام. لذلك فان كلمات الندم لاقيمة لها حيث هو وصل الى ما كان يريد.

٢- إن الظروف والاجواء التي حفت بموكب الاسر كانت تتطلب منه أن يبدي ليونة لتمرير الموقف لا اكثر وليس الذي مارسه عن قناعة وايمان.

٣- إن عملية الاعتذار لم تكن واقعية، والذي وصل الينا هو من وضع علماء السلطة الاموية وهم أنفسهم الذين مارسوا دور الوضع للاحداث بما يخدم السلطان وَورَّث هؤلاء يزيد من ابيه معاوية.

وكان سبب ذلك هو القيام بعملية مكياج لسمعة يزيد ومحاولة اظهاره بعدم علمه بالذي حدث وعدم رضاه وقبوله بالذي مارسه عبيد الله بن زياد. وكل ذلك لأن قدسية

---

(١) حياة الامام الحسين، للقرشي، ج٣، ص٤١٤.

الامام الحسين عليه السلام وانتسابه الى رسول الله جعلت يزيد كشخص في حياته وسمعته بعد وفاته في موقع الاتهام، فوضع الواضعون هذه الاقوال لتبرئته وتحسين صورته وذلك:

١ - اذا كان يزيد بالفعل غير راض عما حدث وتبرأ منه وألقى مسؤولية ذلك على عبيد الله بن زياد، فَلِمَ مارس يزيد نفسه ادواراً بالعمل على قتل الحسين عندما كان في مكة ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة؟

فقد وافته الانباء أن الطاغية يزيد عهد الى شرطته باغتياله ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة ولقد أيقن سبط رسول الله صلى الله عليه وآله أن يزيد لايتركه وشأنه ولابد أن يسفك دمه وينتهك حرمته وقد أدلى بذالك في كثير من المواطن[١].

٢- إن الرسائل التي أرسلها الى عبيد الله بن زياد ومن قبل الى واليه على المدينة عمرو بن سعيد كانت تضع امام الولاة خيارين لاثالث لهما اما البيعة او رأس الامام الحسين عليه السلام.

فمثلاً جاء في أحد كتبه: من عبد الله يزيد امير المؤمنين الى الوليد بن عتبة. اما بعد فإن معاوية كان عبداً من عبيد الله، أكرمه واستخلفه ومكن له ثم قبضه الى روحه وريحانه ورحمته وثوابه، عاش بقدر ومات بأجل، وقد كان عهد اليّ وأوصاني أن أحذر آل أبي تراب وجرأتهم على سفك الدماء، وقد علمت يا وليد أن الله تعالى منتقم للمظلوم عثمان بن عفان من آل أبي تراب بآل سفيان لانهم انصار الحق وطلاب العدل، فإذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة لي على جميع أهل المدينة. ثم كتب صحيفة صغيرة كأنها أذن فأرة كتب فيها:

أما بعد فخذ الحسين وعبد الله بن عمرو عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذا عنيفاً ليست فيه رخصة فمن ابى عليك منهم فاضرب عنقه وابعث اليّ برأسه. والسلام[٢].

٣- إن ممارسة يزيد مع موكب الاسر عند دخوله عليه كانت واضحة المؤشر

---

(١) حياة الامام الحسين بن علي عليه السلام، باقر القرشي، ج٣، ص٤٣.
(٢) مقتل الامام الحسين عليه السلام، للخوارزمي، ج١، ص١٨٠.

السلبي من الامام الحسين عليه السلام. حيث تكلم بكلمات تنال من الامام الحسين عليه السلام وشخصيته وسمعته كما تكلمنا في موكب الاسر في دمشق.

٤- ان الابيات التي انشدها-ليت اشياخي ببدر- لاتدل على التبرئة وعدم الرضا والندم لما حصل بل تظهر العكس من فرحه وسروره بالذي حصل حيث أخذ بثأره.

٥- إن أمره بتزيين المدينة والضرب على الطبول دلالة واضحة على الفرح والسرور وهو يعرف أن موكب الاسر قادم الى دمشق. ورفض ابن مرجانة جميع الحلول السلمية التي كتب بها ابن سعد وسد جميع نوافذ السلم والوئام وقد كتب اليه:

اما بعد، فإني لم ابعثك للحسين لتكف عنه ولا لتطاوله ولالتمنّيه السلامة والبقاء ولا لتكون له عندي شفيعاً. انظر فإن نزل حسين وأصحابه على حكمي فابعث بهم اليّ سلماً، وإن أبوا فازحف اليهم حتى تقتلهم وتمثّل بهم فإنهم لذلك مستحقون. فإن قتلت حسيناً فأوطئ الخيل صدره وظهره، ولست أرى أن هذا يضر بعد الموت، ولكن عليّ قول قد قلته لو قد قتلته لفعلت هذا به، فإن أنت مضيت لأمرنا فيه جزيناك جزاء السامع المطيع، وان ابيت فاعتزل عملنا وجندنا وخلّ بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر فإنا قد أُمرناه بأمرنا[١].

٦- إن كلماته مع السيدة زينب التي نقلناها، تظهر مقدار حقده على أهل بيت الرسالة وتشفيه بالذي حصل وإصراره على ذلك.

٧- إن اصراره على ممارسته الدنيئة في ضرب ثنايا الامام الحسين عليه السلام في اكثر من مرة وأمام موكب الأسر لايدل على أنه غير راضٍ على القتل أو نادم على الذي حصل، وهذه الطريقة هي التي اثارت السيدة زينب فقامت غاضبة وخطبت خطبتها المشهورة.

وهذا الاسلوب نفسه مارسه جده ابوسفيان في معركة أحد بعد أن استشهد حمزة واستخرجت هند كبده، جاء ووقف على جسد حمزة سيد الشهداء عليه السلام ووضع الرمح بين شفتي حمزة وقال: قع قع[٢].

---

(١) حياة الامام الحسين، باقر القرشي، ج٣، ص١٣١.
(٢) سيرة المصطفى، هاشم معروف الحسني، واقعة احد.

٨- إن الحوار الذي جرى بين يزيد وبين النعمان بن بشير الانصاري والذي قال فيه النعمان ليزيد إن معاوية لو كان لم يقدم على هذا العمل وهو قتل الامام الحسين عليه السلام فدافع يزيد عن نفسه، بقوله: إذن ما كان يفعل؟ فرد عليه النعمان: لا أدري[1].

٩- رد يزيد على عبد الرحمن بن الحكم عندما اعترض على قتل الامام الحسين عليه السلام -كما بينا-.

ان هذه الحقائق وغيرها لايمكن تجاهلها بحيث نعقل أن يزيداً لم يكن راضياً على تصرف ابن زياد ونادماً للذي حصل.

بل الذي أراه أن هذه المفردات إنما وضعت من أجل تحسين وجه يزيد وإظهاره بالرجل الذي لم يكن راضياً عن قتل الامام الحسين على الرغم من المنافسة السياسية.

---

(١) مقتل الامام الحسين، للخوارزمي.

دور الإمام في تثبيت آليه ثورة الإمام الحسين

حركة الامام الحسين عليه السلام لم تكن حركة عسكرية او نشاطاً مسلحاً قد فشل، وانما هي منهجية في مقارعة الظالمين ويجب أن تستمر وتبقى مادام الظلم باقياً في الامة.

وكانت تقع على الامام زين العابدين عليه السلام مسؤولية مواصلة ابقاء حركة الامام الحسين عليه السلام حية بداخل الامة وتتعامل معها بطريقة منهجية في مناهضة الظالمين.

ولقد كانت في حركة الثورة التي فجرها الامام الحسين عليه السلام مفردات متعددة الجوانب، منها ما يخص يزيد بن معاوية وانحرافه، ومنها ما يقض الحكم الاموي، ومنها ما يحض على عشق الشهادة، ومنها ما يرسم الثبات على الحق واختيار الشهادة على الذل، ومنها فهم لطبيعة الظالم وطريق حركته ضد اهل الاصلاح و.. و.. ومنها طريقة النداء ومفردات المظلومية التي جرت على الامام الحسين عليه السلام واهل بيته.

وامام هذه المفردات في حركة الثورة التي انتهجها الامام الحسين عليه السلام كان على الامام زين العابدين عليه السلام أن يختار الطريق الذي يمكنه من مواصلة تثبيت ذكر أبيه واثارة الامة على الظالمين.

وقد اختار الامام زين العابدين عليه السلام طريق اثارة مفردات الظلم الذي نزل على أبيه وأخوته وأبناء عمه وحرائر آل الرسالة، وظل الامام يواصل هذا الدرب حتى بدى عليه واضحاً وأصبح سلوك الامام هذا منهجية عُرفت عنه عليه السلام.

واختار الامام هذا اللون من السلوك دون غيره، اي سلوك الامام في ابراز مظلومية الامام الحسين ورفع مفردات هذه المظلومية وجعلها ثقافة تتزود منها الامة دون غيرها من مفردات ثورة الامام الاخرى. وكان لهذا الاختيار عدة أسباب منها:

١- إن حالة المظلومية تنسجم مع طبيعة البشر الذي يتفاعل مع المظلوم ويعطف عليه أكثر من أي لون من السلوك الآخر.

٢- إن الامام زين العابدين عليه السلام بعد استشهاد أبيه عاش زمن دولة بني أمية ولهذا يتمكن من اثارة الحماس والدعوة الى السيف فضلاً عن قلة الانصار وصفتهم[١]، وما كان بوسع الامام أن يؤدي دوراً سياسياً عسكرياً.

٣- إن الاجواء في الامة كانت مملوءة بالتحرك السياسي والهجوم الاعلامي على السلطة او السعي للإطاحة بالحكم الاموي. وكان يقود هذه التحركات رموز معروفون في الامة لذلك فان انسجام الامام زين العابدين مع الثقافة العسكرية من المؤكد أن سيصب في خانة رموز النزعة العسكرية، وهذا بالفعل حصل في انتفاضة المدينة (واقعة الحرة) حيث اشترك فيها أولاد محمد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر الطيار وبنو هاشم، ولكن الاسم بقي لثورة المدينة ورمزية عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة، كما هو الحال في حركة اهل العراق وقيادة كبار اصحاب الامام زين العابدين مثل كميل بن زياد وسعيد بن جبير وعناصر من بني هاشم ولكن الذي عرف هو حركة عبد الرحمن بن الأشعث.

وعليه فان الامام إختط طريقاً ثبّت فيه رمزية الامام الحسين عليه السلام من خلال ابراز مظلومية الامام الحسين عليه السلام الى يومنا هذا وستسمر الى قيام الساعة وستبقى حركة الثوار تحمل شعار (يالثارات الحسين) وستكون حركة المصلح الاعظم والمنقذ الالهي للبشرية تحت شعار الثأر للامام الحسين عليه السلام.

والمفردات التي اختارها الامام زين العابدين عليه السلام هي:

١- ابراز حالة الحزن والبكاء على أبيه الامام الحسين عليه السلام حتى عرف عنه أنه ما ترك فرصة الا وأبرز الحزن والبكاء على أبيه، وكان يقال له: انك تهلك من شدة البكاء على أبيك.

فكان يجيبهم: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٢]

---

(١) راجع فصل: فلسفة الإمام تجاه الإنتفاضات.
(٢) يوسف ٨٦.

إن يعقوب كان نبياً فغيب الله عنه واحداً من أولاده، وعنده إثنا عشر ولداً، وهو يعلم انه حي، فبكى عليه، حتى أبيضت عيناه من الحزن، واني نظرت الى أبي وإخواني، وعمومتي، وصحبتي، مقتولين حولي، فكيف ينقضي حزني؟ واني لا اذكر مصرع بني فاطمة الا خنقتني العبرة واذا نظرت الى عماتي واخواتي ذكرت فرارهن من خيمة الى خيمة(١).

٢- كان الامام زين العابدين عليه السلام يترصد مصير قتلة أبيه الامام الحسين عليه السلام ويدعو عليهم أمام الملأ، ونُقل عنه أنه روى المنهال بن عمر، قال: دخلت على علي بن الحسين عليه السلام حال منصرفي من مكة فقال لي: «يا منهال ما صنع حرملة بن كاهل الاسدي؟».

قال: تركته حياً بالكوفة. فرفع الامام عليه السلام يديه الى السماء وراح يدعو بحرارة قائلاً: «اللهم اذقه حر الحديد، اللهم اذقه حر النار»(٢).

وعندما وصلت رؤوس عمر بن سعد وعبيد الله بن زياد اليه اعلن عن فرحته بذلك اليوم وقام عليه السلام بتوزيع الفواكه على أهل المدينة.

يقول المؤرخون: ان الامام زين العابدين عليه السلام لم ير ضاحكاً منذ أن استشهد أبوه الا في اليوم الذي رأى فيه رأس ابن مرجانة، وقد كانت له إبل تحمل اليه الفاكهة من الشام، وفي ذلك اليوم أمر عليه السلام بتوزيعها على أهالي المدينة لهذه المناسبة الخالدة(٣).

٣- كان الامام زين العابدين عليه السلام يلفت الانظار ببكائه على أبيه حتى أنه ما كان يأكل الطعام أو يشرب الماء حتى يختلط ذلك بدموعه فيبرد الاكل وترفع المائدة من أمامه وهو لايقدر على أن يأكل من شدة ألمه وتذكره مناظر معركة الطف(٤).

وفي مرة جرى حوار بينه وبين أبي حمزة الثمالي وهو على مائدة الطعام، حيث طلب ابو حمزة الثمالي من الامام أن يضع حداً لبكائه لأنهم أصحاب رسالة والرسالة فيها مشاق

---

(١) حياة الامام زين العابدين، للقرشي، ص١٨٤. راجع: بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٠٨.
(٢) نفس المصدر، ص٦٥٧.
(٣) نفس المصدر، ص٦٥٩.
(٤) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٠٨-١١٠.

وتضحيات فرده الامام موضحاً يا أبا حمزة صحيح إن القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة، ولكن يا أبا حمزة هل سبي النساء لنا عادة؟

٤- وانطلق الامام عليه السلام من دائرة البيت الى الشارع العام وأمام الملأ حيث كان يمر في سوق القصابين ويرى بعضهم يذبح حيواناً فيستوقفه ويطلب منه أن يسقي الحيوان ماءً ويقول إن أبي الحسين قتل عطشاناً.

وهذا الاسلوب كان يثير أهل السوق ويدغدغ فيهم العاطفة فيتعاطفون مع الامام عليه السلام ضد من ظلم أباه الامام الحسين عليه السلام.

وهذه الحالة استمرت طيلة حياة الامام عليه السلام حيث ركز ذكر اسم أبيه ومظلوميته في ضمير الامة وجعل في قلب كل مؤمن ومؤمنة محراباً للامام الحسين عليه السلام واهزوجة يترنّمون به بتراتيل التضحية والفداء.

الحالة السياسية بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام

بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام مع أهل بيته وأصحابه وبتلك الطريقة المفجعة أصبح وضع أهل البيت وشيعتهم في وضع جديد وصعب للغاية.

بل شكل انعطافة حادة وسلبية على آل البيت واتباعهم، حيث بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام أصبح الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي والنفسي لبني هاشم عموماً في حالة إنحسار، حيث عاشوا وضع هزيمة عسكرية، وإحكام سيطرة اعدائهم على مقاليد الامور بشكل حاد حيث صعّدوا الطغيان والتجبر.

وهذا الجو السلبي الذي أحدثته واقعة كربلاء نجده واضحاً على ألسن الاعداء والاصدقاء.

فنجد أن مولىً لعبد الله بن جعفر يتحدث في مجلس العزاء الذي اقامه عبد الله بن جعفر على الامام الحسين عليه السلام وأخوته وأولاده فيقول: «هذا ما لقينا من الحسين:. فيقوم عبد الله بن جعفر اليه ويحذفه بالنعل ويقول له: :أللحسين تقول هذا؟»[١].

ان هذه الكلمات ما كانت لتخرج من مولىً لعبد الله بن جعفر فضلاً عن غيره لولا الاحساس بالهزيمة والضعف، وكلمات هذا المولى تعبر عن الجو العام الذي كان سائداً في الاوساط والمسيطر على البيوت. ونجد نموذجاً آخر عند الاعداء الذين شمخوا بانوفهم ورفعوا اصواتهم بالفرح لانهم انتصروا على آل الرسالة وسجلوا نقاط قوة على منافسيهم.

وقد عبر عن هذا (ابراهيم بن طلحه بن عبد الله) الذي قال للامام زين العابدين عليه السلام في الشارع وهو شامت به: «مَنْ غَلب؟»[٢].

(١) الارشاد، للشيخ المفيد، ج٢، ص١٢٤.
(٢) امالي الشيخ الطوسي، ص٦٧٧.

وهذا تعبير واضح عن مدى بهجة هؤلاء بهذا الانعطاف الذي سُجِّل لصالحهم باستشهاد الامام الحسين عليه السلام، وهذا الوضع الذي حصل قد سجلته السيدة زينب عليها السلام كواقع عندما تحدثت في الكوفة والشام مع الطغاة الذين واجهتهم بقولها:

«أظننت يا يزيد حين أخذت علينا أقطار الارض وآفاق السماء فأصبحنا نساق كما تساق الاسارى أن بنا على الله هواناً وبك عليه كرامة، وأن ذلك لعظم خطرك عنده فشمخت بأنفك.. حين رأيت الدنيا لك مستوسقة والامور متسقة وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا»[١].

فهذا تسجيل للواقع الذي حدث في كربلاء وفي المنازلة بين الطرفين.

وقد أبدى مروان بن الحكم سلوكاً غريباً عندما أراد أن يضع بصماته على سير الاحداث ويعبر عن فرحة الانتصار الكاسح الذي سجل لصالحهم في كربلاء وامتدادهم.

قال البلاذري والذهبي: ثم بعث يزيد رأس الحسين عليه السلام الى المدينة فقال عمرو بن سعيد: وددت والله أن امير المؤمنين لم يبعث الينا برأسه.

فقال مروان: بئس والله ما قلت.. هاته، ثم اخذ الرأس وقال:

يا حبذا بردك في اليدين ولونك الاحمر في الخدين

وقال: فجيء برأس الحسين فنصب فصرخ نساء آل أبي الطالب، فقال مروان:

عجت نساء بني زبيد عجّة كعجيج نسوتنا غداة الارنب

بما يعبر عن لؤم الطبع وخسة المنبت التي عبرت عنه تلك الكلمات الجاهلية النتنة[٢].

(١) بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٣٣.
(٢) معالم المدرستين، للسيد مرتضى العسكري، ج٣، ص١٦٤.

مسؤولية الامام زين العابدين تجاه واقعة كربلاء

شهد الامام زين العابدين عليه السلام احداث كربلاء بكل تفاصيلها، ووعى كامل مفرادتها، وحفرت مأساتها اخدوداً عميقاً في نفسه، ولم يغب عن باله أي مشهد من الواقعة وموكب الاسر الذي كان فيه هو وعماته واخواته وبقية الارامل والايتام.

وكانت تضعط عليه الذكريات وتحمله مسؤولية وعيها وتبليغها للناس وتحويل وقائعها الى رسالة خالدة يجب أن لاتموت وتبقى حية متحركة في الامة، وتلسع الظالمين بآثارها واهدافها.

ان مسؤولية الامام زين العابدين عليه السلام تجاه احداث كربلاء كانت لعدة دوافع منها:

الاول: تبليغ رسالة الثورة الحسينية

الامام الحسين عليه السلام لم يبق لديه عقب بعد واقعة الطف سوى الامام زين العابدين عليه السلام[1]، لذلك وقعت عليه مسؤولية التبليغ لرسالة ابيه الامام الحسين عليه السلام الدامية.

الثاني: الدفاع عن حريم الرسالة

ان الامام الحسين والده ومن الطبيعي ان الولد يدافع عن رسالة أبيه، واهل بيته، خاصة وان الرسالة كانت على حق وانه ابن شخص كالامام الحسين عليه السلام.

الثالث: بقاء الهدف الخالد للنهضة

ان وقائع الاحداث كانت من المأساة والحزن بدرجة كبيرة بحيث نجد الظلم فيها

(١) راجع: بحار الأنوار، ج٤٦، ص٣٢٩، الحديث ٢، عن: المناقب، ج٤، ص١٧٣-١٧٤.

بابشع صوره وقد صب الجيش الاموي كل ما عنده من حقد دفين وبغيض على آل الرسالة.

وكان طبيعياً ان لاتمحى هذه الصورة المأساوية من ذهن الامام زين العابدين عليه السلام.

وكانت مسؤولية الامام ان يقف دون أن تموت رسالة الامام الحسين عليه السلام، مرة في كربلاء ومرة في رسالة ثورته.

حيث يحاول الطغاة أن يكملوا مشوارهم الطاغي الذي مارسوه في كربلاء والذي صفوا فيه اجساد اهل بيت النبوة، وأن يكمّلوا مشوارهم باغتيال سمعة الامام.

وقد مارس عبيد الله بن زياد هذا الدور عندما قال للامام زين العابدين عليه السلام:

اولم يقتل الله علي بن الحسين؟[1]

فقال الإمام: كان لي أخ يُسمّى علياً قتله الناس، قال: بل الله قتله[2].

الثقافة الاموية

وقد امر يزيد بن معاوية أهل الشام أن يتخذوا يوم قدوم السبايا يوم عيد وفرح وسرور وهم لايعرفون واقع الامر.

وقد نقل الصحابي سهل الساعدي دخوله الشام، حيث يقول: خرجت الى بيت المقدس حتى توسطت الشام، فإذا انا بمدينة مطردة الانهار كثيرة الاشجار قد علقت عليها الحجب والديباج والناس فرحون مستبشرون وعندهم نساء يلعبن بالدفوف والطبول فقلت في نفسي: ان لأهل الشام عيداً لا نعرفه. فرأيت قوما يتحدثون فقلت لهم:

-: ألكم بالشام عيد لا نعرفه؟

-: نراك يا شيخ غريبا؟

-: انا سهل بن سعد قد رأيت رسول الله.

---

(١) تاريخ الطبري، ج٤، ص٣٥٠.

(٢) أعيان الشيعة، ج٧، ص١٣٩.

-: يا سهل ما أعجبك ان السماء لاتمطر دماً والارض لاتخسف بأهلها.

-: وما ذاك.

-: وهذا رأس الحسين يهدى من ارض العراق.

-: واعجباً يُهدى رأس الحسين والناس يفرحون؟ من أي باب يدخل؟

واشاروا الى باب الساعات، فاسرعت اليها، وبينما انا واقف واذا بالرايات يتبع بعضها بعضا، واذا بفارس بيده لواء منزوع السنان، وعليه رأسٌ اشبه الناس وجهاً برسول الله ﷺ وهو رأس الحسين عليه السلام وخلفه السبايا محمولة على جمال بغير وطاء، وبادرت الى احد النسوة فسألتها: من أنت؟ فقالت: انا سكينة بيت الحسين.

فقلت لها: ألك حاجة؟ فإنا سهل صاحب جدك رسول الله ﷺ. قالت: قل لصاحب هذا الرأس ان يقدمه امامنا حتى يشتغل الناس بالنظر اليه، ولاينظرون الى حرم رسول الله.

واسرعت الى حامل الرأس فأعطيته اربعمائة درهم فباعد الرأس عن النساء[1].

وقد اصر الامويون على اتخاذ يوم العاشر من محرم يوم عيد وفرح وسرور وخلقوا لذلك اجواء دينية مثل استحباب الصوم في ذلك اليوم والى يومنا هذا نجد ان البعض يهنّئ البعض الآخر في هذا اليوم باعتباره عيداً.

وكان العلامة السيد محمد كاظم القزويني رحمه الله في كربلاء المقدسة، يراسل علماء ومثقفين في شمال افريقيا فكان البعض يكتبون له تهنئة بعيد عاشوراء[2].

ان هذا لم يكن لو لم تكن تلك الثقافة المغلوطة التي نُشرت في أجواء الامة وطعّموها ظلماً وجوراً للناس حتى شب الصغير عليها.

فكان على الامام عليه السلام ان يؤدي دوره في ظل هذه الظروف ويقوم بدور مزدوج هو أن لايتصدى بصورة عنيفة وصلبة حتى لايعرض نفسه للقتل وهو سليل الامامة

(١) حياة الامام الحسين بن علي، باقر شريف القرشي، ص٣٧٠.

(٢) العلامة السيد محمد كاظم القزويني من علماء وخطباء كربلاء المقدسة، أسس رابطة النشر الاسلامي، وكانت تقوم بمهمة ارسال كتب اهل البيت الى اطراف العالم الاسلامي.

حيث الظروف الساخنة والاجواء المتوترة حيث يبحث الطغاة عن ذريعة من اجل أن يُصفّى مَنْ بقي من أهل بيت النبوة عليهم السلام [١].

وفي الوقت ذاته ان يؤدي دوره ويقول كلمته ويعرف الناس من هو والى من ينتمي حتى يكونوا على بيِّنة من امرهم ويميزوا الحق من الباطل.

وبالفعل مارس الامام بحكمة هذا الدور وادى المهمة على احسن صورها.

وعلى رغم ان اجواء وثقافة اهل الكوفة تختلف عن الاجواء الثقافية المنتشرة في الشام وكلاهما يختلفان عن اجواء المدينة المنورة، فقد تحدث الامام في كل مدينة بحديث يختلف كليا عن حديث المدينة الاخرى.

ودور الامام في التعريف بنفسه واهل بيته وأبيه بالذات هي عملية تكميلية لحركة الامام الحسين عليه السلام حيث ان الاعلام حالة متممة لعملية الثورة. وإلاّ فإن الطغاة سيحققون اهدافهم في تشويه سمعة الثوار.

كما نشاهده اليوم من ممارسات وقحة يؤديها الحكام ضد الحركة الاسلامية العالمية.

حيث يسلب الطغاة قوت الناس وحرية الرأي، ويحكمونهم بالحديد والنار ويبيعون البلاد وامكانياتها الى الاجنبي بثمن بخس، ومع ذلك فانهم يصفون الحركة الاسلامية بأنها حركة ارهابية.

ونماذج ذلك موجودة على امتداد الساحة الاسلامية جغرافياً وزمانياً ومنها ما يجري في العراق من ظلم طال حتى المرجعية الدينية متجاوزاً كل الموانع الاخلاقية والانسانية وحتى الاعراف الدولية في لغة اليوم.

---

(١) راجع فصل امامة الامام زين العابدين حيث تحدثنا عن ذلك.

مع الإمام في كربلاء وبعدها

أجمع المؤرخون ان الامام زين العابدين عليه السلام لم يشترك في القتال حيث كان مريضاً، وكانت عمته السيدة زينب عليها السلام تمرضه، وقد دخل عليه الامام الحسين عليه السلام الخيمة وسلمه ودائع الامامة وتعرض بعد استشهاد ابيه وهو في المرض الى محاولات اعتداء عليه وقتله ولكن مرضه وتعلق عمته الحوراء زينب به حال دون قتله.

دخل شمر بن ذي الجوشن معسكر الامام الحسين بعد استشهاده ونظر الى الامام زين العابدين فأراد قتله فمنعه حميد بن مسلم قائلاً: سبحان الله اتقتل الصبيان؟ انما هو مريض.

وتدخلت الحوراء زينب وتتعلق به وتقول:... لايقتل حتى أقتل دونه..

فتركه شمر[1].

وفي المسير الى الكوفة تذكر الامام الواقعة المؤلمة ومفردات الاحداث فحزن في نفسه واخذت المصيبة منه مأخذاً حتى بان ذلك على حركاته وسلوكه حيث كان يجود بنفسه وقد أنهكته الاحداث ونظرت السيدة زينب الى سلوكه ووضعه وهو مريض، فطيبت خاطره وتحدثت معه بكلمات ايمانية[2].

الامام في الكوفة

أعلن عبيد الله بن زياد ان قوماً خرجوا على يزيد بن معاوية وقد قتلوا وقد يكون

---

(١) الامام زين العابدين، محمد باقر القرشي، ص١٦٥، ومقطع تعلق الحوراء زينب ينقل انه كان في الكوفة وعندما أراد عبيد الله بن زياد قتله، كما نقلنا الحادثة في امامة الامام.

(٢) راجع: بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٧٩، الحديث ٣٠.

انه اعلن ان الذي خرج هو الحسين بن علي وقد قتل. وقد خرجت الجماهير تنظر الى موكب السبايا -الخوارج- الذي سيقدمون الى الكوفة، ووصل الموكب تطوقه جلاوزة النظام من جيش عبيد الله بن زياد وكان الموكب بهذا الشكل.

اربعون جملاً يحمل النساء والاطفال من دون وطاء -اي من دون سرج-.

وفي عنق الامام زين العابدين عليه السلام ويديه سلسلة حديد شدت بعضها بالبعض الآخر والدم يسيل من رقبته.

كان الامام وهو ينظر الى الناس وهي تتفرج على موكب الاسرى يقرأ هذه الابيات:

يا أمة السوء لاسقيا لربعكم ... يا أمة لم تراع جدنا فينا
لو أننا ورسول الله يجمعنا ... يوم القيامة ما كنتم تقولونا
تسيرونا على الاقتاب عارية ... كأننا لم نشيد فيكم دينا[1]

ونظر الامام زين العابدين عليه السلام الى جموع الناس وهي تنظر الى الموكب فتوجه اليهم قائلاً بعد حمد الله والثناء عليه:

أيها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أنا ابن من انتهكت حرمته، وسلبت نعمته، وانتهب ماله، وسبي عياله، انا ابن المذبوح بشط الفرات من غير ذحل ولاتراث، أنا ابن من قُتِل صبراً وكفى بذلك فخراً.

أيها الناس، ناشدتكم الله هل تعلمون انكم كتبتم الى أبي وخدعتموه، واعطيتموه من انفسكم العهد والميثاق والبيعة، وقاتلتموه وخذلتموه، فتباً لما قدمتم لانفسكم وسوأةً لرأيكم، بأية عين تنظرون الى رسول الله؟ اذ يقول لكم قتلتم عترتي وانتهكتم حرمتي فلستم من أمتي.

وعلت الاصوات بالبكاء ونادى مناديهم: هلكتم وما تعلمون.

استمر الامام في خطابه فقال: رحم الله امرءاً قبل نصيحتي وحفظ وصيتي في الله

(١) حياة الامام الحسين عليه السلام، باقر شريف القرشي، ج٣، ص٣٣٣.

وفي رسوله واهل بيته، فإن لنا في رسول الله ﷺ اسوة حسنة.

فهتفوا جميعاً قائلين بلسان واحد: نحن كلنا يابن رسول الله سامعون مطيعون حافظون لذمامك، غير زاهدين فيك ولاراغبين عنك، فمرنا بأمرك يرحمك الله، فإنا حرب لحربك وسلم لسلمك، لنأخذن يزيد ونبرأ ممن ظلمك وظلمنا.

ورد الامام عليهم هذا الولاء الكاذب قائلاً: «هيهات، هيهات، ايتها الغدرة المكرة، حيل بينكم وبين شهوات انفسكم، أتريدون ان تأتوا اليّ كما أتيتم الى آبائي من قبل؟ كلا ورب الراقصات، فان الجرح لما يندمل، قُتل أبي بالأمس وأهل بيته معه، ولم ينسني ثكل رسول الله ﷺ وثكل أبي وبني أبي، وان وجده والله لبين لهاتي، ومرارته بين حناجري وحلقي، وغصصه تجري في فراش صدري»[١].

وعند لقاء عبيد الله بن زياد الاسرى جرى نقاش بينه وبين الامام زين العابدين عليه السلام[٢].

وينقل المؤرخون قصة مفادها: ان احد اهالي الكوفة اختطف الامام زين العابدين عليه السلام وأكرم الامام واحسن اليه وكان كلما ينظر الى الامام يبكي على ما أَلَمَّ بالامام من مصائب.

وعندما افتقد عبيد الله بن زياد الامام من بين الاسرى نادى مناديه ان من وجد علي بن الحسين واتى به له جائزة ثلاثه مائة درهم. وعندما وصل خبر الجائزة لمضيف الامام، بادر الكوفي الى وضع الحبل في عنق ويدي الامام وسلمه الى السلطة واخذ الدراهم[٣].

والقصة غريبة وذلك:

١- ان السيدة زينب لم تفارق الامام وكانت تحوم حوله خوفاً من ان يتعرض لسوء خاصة وان عبيد الله بن زياد كان قد هدد الامام بالقتل، فاين كانت السيدة زينب عنه؟

---

(١) لم يذكر المؤرخون هل ان الامام تحدث قبل ان يصل الى قصر الامارة ام بعد ما وصل الى القصر. عن: بحار الأنوار، ج٤٥، ص١١٢.

(٢) نقلنا النقاش في فصل امامة الامام.

(٣) الامام زين العابدين، لباقر القرشي، نقلا عن: طبقات ابن سعد، ج٥، ص٢١٢.

٢- ان موكب الاسرى كان تحت حراسة جلاوزة ابن زياد فكيف تمت عملية الاختطاف؟

٣- ان الامام لم يكن طفلا حتى يستدرج وما كان ساذجاً حتى ينخدع برجل كوفي وهو الذي عرف الوضع والظروف التي يعيشها اهل الكوفة وقد واجههم بكلمات قاسية.

والظاهر ان القصة وضعت للتنكيل باهل الكوفة ورسم صورة سيئة عنهم.

تأملات في خطاب الامام في الكوفة

إن كلمات الامام عليه السلام تتميز بالتالي:

١- اظهر الامام حالة عدم الاطمئنان الى اقوال اهل الكوفة.

ووسمهم بالغدر والمكر، لان تجربتهم مع الامام الحسين عليه السلام كانت سيئة وفاشلة وانهم اعطوا ابيه العهود والمواثيق ثم قطعوها.

٢- رسم الامام عليه السلام الصورة المأساوية لما جرى على أهل بيته وابيه بالذات ما جرى من الظلم والإضطهاد وانتهاك الحرمات.

ومفردات كلامه كانت واضحة في (انتهاب ماله، سبي عياله..)

وكانت هذه الكلمات العاطفية تدغدغ وجدانهم وضميرهم وبتلك الصورة المأساوية التي مارسها جيش ابن زياد ضد الامام الحسين عليه السلام.

٣- ان كلمات الامام عليه السلام افاقتهم من سباتهم ووضعتهم وجهاً لوجه امام المسؤولية عما جرى من مآسٍ على الامام الحسين عليه السلام، لذلك نجد ان صرخات بعضهم كانت عالية وهم يقولون: هلكتم وما تعلمون.

٤- ان كلمات الامام اثارت فيهم اليقظة ونبهتهم من غفلتهم والبستهم الخزي والعار على مواقفهم، لذلك ارادوا ان يكفروا عن ذنبهم وقد تحدثوا مع الامام بكلمات الاستعداد للعمل باوامر الامام عليه السلام.

ولكن الامام كان في مهمة اخرى فرد عليهم بقوله:

هيهات.. هيهات..

لان المؤمن لايُلدغ من جحر مرتين، فبالامس قُتِل ابوه نتيجة التآمر والخداع الاموي، واليوم هو لايقبل اندفاع هؤلاء والثورة العاطفية، لأنه رأى مأساة كربلاء، ومدى الخوف الذي انتابهم، والثورة قبل ان تكون عاطفية هي قرار هادئ يخضع لحسابات الجنة والنار. لذلك ليس فقط رفض الامام موقفهم بل ارجع الكرة اليهم ورسم لهم تجربتهم قبل ايام مع ابيه الامام الحسين عليه السلام.

لذلك عندما سمعهم يبكون بضحة عالية قال: ألا ان هؤلاء النسوة يبكين، فمن قتلنا[1].

٥- ان كلمات الامام ليس فيها توقف كثير ليعرّفهم بالموكب واهل بيته وانما القى ضوءاً على نفسه بانه علي بن الحسين عليه السلام فقط.

٦- دلّ تحرك الجماهير لاستقبال موكب الاسرى رجالا ونساءً، وبعض كلمات اهل الكوفة عندما كان يخطب الامام عليه السلام، على ان إعلام ابن زياد حول الموكب القادم بانه موكب الخوارج الذين خرجوا على يزيد بن معاوية لم يكن ذا تأثير كبير، لذلك لم يعيروه اي اهتمام لانهم يعرفون الامام الحسين عليه السلام واهل بيته، لذلك هرعوا لاستقبال السبايا بالبكاء والعويل.[2]

وقد نقل المؤرخون قصة مسلم الجصاص بقوله:

دعاني ابن زياد لاصلاح دار الامارة بالكوفة، فبينما انا اجصص الابواب واذا بالزعقات قد ارتفعت من جميع الكوفة، فاقبل عليّ احد خدام القصر فقلت له:

-: مالي أرى الكوفة تضج.

-: الساعة يأتون برأس خارجي خرج على يزيد.

-: من هذا الخارجي؟

-: الحسين بن علي.

---

(١) امالي الشيخ المفيد، ص٣٢١.

(٢) حياة الامام زين العابدين، محمد باقر القرشي، ص١٦٧.

يقول: فتركت الخادم حتى خرج واخذت ألطم على وجهي حتى خشيت على عيني أن تذهبا، وغسلت يديّ من الجص، وخرجت من القصر حتى أتيت الى الكناس، فبينما أنا واقف والناس يتوقعون وصول السبايا والرؤوس إذ أقبل اربعون جملاً يحمل النساء والاطفال، واذا بعلي ابن الحسين على بعير بغير وطاء وأوداجه تخشب دماً، وهو يبكي[1] ويقول ابياتاً اوردناها في ثنايا الكتاب.

وهذا طبيعي، فإن الذي يسمع قدوم سبايا الحسين بن علي عليه السلام، ثم يلطم وجهه، او يرى خروج النساء وهن يصرخن ويبكين، فان هذا الوضع يدل على انهم يملكون معرفة مسبقة بالحسين واهل بيته، لذلك لاينخدعون بكلمات ابن زياد واعوانه وخدمته بأنه خارجي.

(١) حياة الامام الحسين بن علي، باقر شريف القرشي، ص٣٣٣.

الإمام ودفن الأجساد الطاهرة

ومن الكوفة توجه الامام عليه السلام الى كربلاء لاداء مراسيم الدفن لجسد ابيه واعمامه واهل بيته واصحاب ابيه، لان الجيش الاموي دفن قتلاه وترك أجساد آل الرسول واصحابهم ملقات في العراء بعد ان قطع الرؤوس.

ووصل الامام عليه السلام الى كربلاء في اليوم الثالث بعد انتهاء المعركة بطريقته الخاصة فرآى اناساً مشغولين في حفر القبور وكانوا حياً من بني أسد يسكنون في اطراف كربلاء ولم يفلحوا في الاشتراك بالمعركة.

فتولى الامام عليه السلام عملية الدفن ورسم خريطة توزيع الاجساد الطاهرة بالطريقة التي هي عليها اليوم حيث دفن (ابوالفضل العباس عليه السلام) بقبر لوحده، وكذلك دفن حبيب بن مظاهر الاسدي بقبر لوحده. كما جعل قبراً مميزاً لاخيه عند رجلي ابيه الامام الحسين عليه السلام، وصف باقي الجثث ودفنها في مكان واحد[1].

وهذا التقسيم في الدفن من المؤكد وراءه عملية توجيه روحي غيبي تدل على تثبيت عملية احترام الجهاد والسباق الى التفاني في سبيل المبدأ والحق وأهل بيت الرسالة، وارساء عملية الترميز لأئمة الخير واختيار رموز لشرائح وقفت مع الامام الحسين وضحت دونه، وتميزهم في القبور هو احترام لما قدمت هذه الشرائح من عطاء ومواقف في وقت المحنة.

(١) نقل لي عمي الحاج حسين عن ابيه الحاج عباس عن ابيه الحاج محمد: «كان الحاج محمد من معماري كربلاء وهو معمار صحن الامام الحسين وابي الفضل العباس» ان في العصر الصفوي كانوا يريدون بناء الحرم الحسيني وكان الحاج محمد يمارس البناء بالقرب من قبور الشهداء فوقع سقف اللحد الذي يغطي الشهداء ونظر إلى الاجساد الطاهرة وهي مصفوفة الواحد جنب الآخر، فهبت ريح في داخل القبر فاغمي عليه وكان يقول أنها ريح في غاية الطيب ثم أفاق واغلق فتحة اللحد.

فأبو الفضل العباس يمثل شريحة اخوان الامام وابناء اخوته واخواته، وهم مجموعة حيث ان ابا الفضل كان له ثلاث اخوة من امه وهو رابعهم فضلا عن ابناء الامام الحسين والسيدة زينب[1] عليهم السلام.

وعلي الاكبر عليه السلام يمثل رمزية اولاد الامام الحسين عليه السلام والعنصر الشبابي في معركة كربلاء.

وحبيب بن مظاهر الاسدي كان حاملاً راية اصحاب الامام الحسين عليه السلام، فهو رمز لهذه الشريحة الطيبة التي ضحت في سبيل الله بنفسها.

وعملية الدفن كانت صعبة، حيث الاجساد بلا رؤوس فالتعرف عليهم كانت فيه صعوبة ولكن الامام -بطريقته الخاصة- عرف الاجساد وقام بالصلاة عليها ودفنها بمعاونة بني أسد.

وعندما وارى جسد أبيه الثرى إختلطت دموعه الزاكية مع ذرات التراب التي هالها عليه وكانت تدفع كلمات التوديع حسرات وآهات اختلجت صدره حيث يخاطب أباه:

طوبى لارض تضمنت جسدك الطاهر فان الدنيا بعدك مظلمة، والاخرة بنورك مشرقة، اما الليل فمسهّد، والحزن سرمد، او يختار الله لاهل بيتك دارك التي انت بها مقيم، وعليك مني السلام يا ابن رسول الله ورحمة الله وبركاته.

وخط على قبر أبيه هذه الكلمات: «هذا قبر الحسين بن علي بن أبي طالب الذي قتلوه عطشاناً غريباً».

وعندما اراد مواراة جسد عمه العباس بن علي خاطبه بقوله: «على الدنيا بعدك العفا يا قمر بني هاشم، وعليك مني السلام من شهيد محتسب ورحمة الله وبركاته»[2]. ثم رجع الى الكوفة.

ان كلمات الامام التي أبّن فيها أباه وعمه وبتلك الحالة الفجيعة لايعرف الانسان

---

(١) راجع كتاب اصحاب الامام الحسين، للشيخ محمد مهدي شمس الدين.

(٢) بلاغة الإمام الحسين، جعفر عباسي الحائري، ص٢٣٤، عن: مقتل الحسين، للمقرم، ص٣٢٠.

كيف يصف حالة الامام وهو يواري أجساد أهله بسرعة ليرجع الى موكب الاسر.

فماذا كان يجري بداخله من التفاعلات؟

كم ذرف من الدموع الساخنة التي كان يفجرها بركان الحزن الثائر في صدره؟

كيف كانت تندفع الآهات والحسرات لترسم على شفتيه كلمات حزن وجمل تأبين؟

لا أحد يعلمها الا الله تعالى؟

الفصل الرابع

الامام والسلطات السياسية

* الامام وحكام عصره
* الامام والدولة الاموية
* الامام والوليد بن عبد الملك

الإمام وحكام عصره

عاصر الامام زين العابدين عليه السلام عدة من حكام عصره وجرت لقاءات فيما بينه وبينهم كما حدثت حوارات حول عدة مواضيع. وكل واحد من هؤلاء تحدث مع الامام عليه السلام بلغته الخاصة حين عرفوا عظمة الامام وسمو منزلته، فمرة كان عمر بن عبد العزيز - وهو والٍ على المدينة- قد التقى الامام زين العابدين عليه السلام، فجرى حوار بعد ذلك بين عمر بن عبد العزيز وجلسائه، فسألهم عمر بن عبد العزيز: من اشرف الناس؟ فقالوا: انتم! اي آل مروان وآل امية حيث الخلافة والامارة. فقال عمر بن عبد العزيز: ان اشرف الناس هذا القائم من عندي آنفاً، مَنْ أحبَّ الناسُ ان يكونوا منه ولم يحب أن يكون من أحد[١].

وعندما بلغه خبر وفاة الامام زين العابدين عليه السلام قال مؤبناً له: «ذهب سراج الدنيا وجمال الاسلام، زين العابدين»[٢].

١- يزيد بن معاوية

وقد التقى الامام زين العابدين عليه السلام بيزيد بن معاوية في الشام وهو في ظل الاسر والقيود الاموية، وقلبه مملوء حزناً واسى على استشهاد ابيه واخوته واهل بيته.

ولكن ما جُبِل عليه اهل بيت النبوة من الكفاءات والتفوق على الاخرين وامتلاك التوازن في اشد الاحوال واصعبها مكنته من الصبر على الصعاب.

ويزيد بن معاوية يعرف اهل بيت النبوة وقدرتهم على موجهة الصعاب وحل

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٤٠٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٤٨.

المشاكل لذلك عندما طلب اهل الشام من يزيد ان يسمح للامام زين العابدين عليه السلام ان يصعد المنبر ويتحدث.. توقف يزيد في الاستجابة للطلب وعندما الحوا عليه اوضح يزيد عظمة الامام وقدرته على تغيير الموقف الجماهيري اذا صعد المنبر بحلاوة منطقة وقوة حجته وعذب بيانه فقال يزيد بن معاوية لوجهاء اهل الشام وهو يأذن للامام بصعود المنبر:

«إنه من أهل بيت قد زُقوا العلم زقا»[1].

«وانه لاينزل إلاّ بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان»[2].

وهذا تعبير واقعي، وبالفعل حصل ما توقعه يزيد بن معاوية وسنتحدث عن ذلك في فصل الامام وثورة أبيه ان شاء الله تعالى.

وقد تفوه يزيد بن معاوية بهذه الكلمات وهو لم يعاشر الامام إلاّ اياماً قليلة كان يجتمع مع الامام عليه السلام على مائدة الغذاء في الظهر والليل واثناء تناوله الغذاء كانت تجري بعض الاحاديث، فعرف يزيد بن معاوية عظمة الامام عليه السلام.

هذا بالاضافة الى معرفة يزيد بن معاوية قدرات بني هاشم المنطقية والكلامية وقد نقلت الى يزيد هذه المعرفة من ابيه معاوية الذي حذره من الدخول في نقاش مع بني هاشم. واخبره معاوية قائلاً: «انهم اهل بيت كبيرهم لايقاس وصغيرهم حجرة لاتداس». موضحاً له بذلك عن عظمة بني هاشم وخاصة رموزهم.

٢- معاوية بن يزيد

وقد استلم معاوية بن يزيد السلطة بعد هلاك ابيه يزيد بن معاوية، وكان شاباً عارفاً بأخطاء جده وأبيه، وسرعان ما تنازل عن السلطة معلناً انه غير راغب فيها وليست هي له، وتحدث مطولاً عن ذلك في خطابه للأمة الذي نال فيه من جده معاوية بن أبي سفيان وابيه يزيد بن معاوية.

ولذلك لم يحدث له لقاء او حوار او اي مفردة اخرى مع الامام زين العابدين عليه السلام.

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٣٨.

(٢) شرح إحقاق الحق، للسيد المرعشي، ج١٢، ص١٢٨.

فخطب الناس، فقال: اما بعد حمداً لله والثناء عليه، أيها الناس فإنّا بلينا بكم وبليتم بنا، فما نجهل كراهتكم لنا وطعنكم علينا، ألا وان جدي معاوية ابن أبي سفيان نازع الامر من كان اولى به منه في القرابة برسول الله واحق بالاسلام، سابق المسلمين واول المؤمنين، وابن عم رسول رب العالمين، وابا بقية خاتم المرسلين، فركب منكم ما تعلمون، وركبتم منه مالا تنكرون، حتى أتته منيته وصار رهناً بعمله، ثم قُلد أبي وكان غير خليق للخير، فركب هواه، واستحسن خطاه، وعظم رجاؤه، فأخلفه الامل، وقصر عنه الاجل فقلَّت منعته، وانقطعت مدّته، وصار في حفرته رهناً بذنبه، واسيراً بجرمه.

ثم بكى، وقال: ان اعظم الامور علينا علمنا بسوء مصرعه وقبح منقلبه، وقد قتل عترة الرسول، واباح الحرمة، وحرق الكعبة، وما انا المتقلد اموركم، ولا المتحمل تبعاتكم، فشأنكم امركم، فوالله لئن كانت الدنيا مغنماً لقد نلنا منها حظّاً، وان تكن شراً فحسب آل أبي سفيان ما اصابوا منها[1].

ثم نزل فقالت له امه: ليتك كنتَ حيضة.

فقال: وانا وددت ذلك، ولم اعلم ان لله ناراً يعذب بها من عصاه واخذ غير حقه[2].

٣- مروان بن الحكم

وعندما تولى مروان بن الحكم السلطة في الشام لم تمتد سلطته الى الحجاز.

والفراغ السياسي الذي تركه انصراف معاوية بن يزيد عن توليه الخلافة المغصوبة شغله عبد الله بن الزبير واعلن سلطته في هذه المناطق.

ولذلك لم يكن هناك صراع يذكر بين الامام زين العابدين عليه السلام ومروان بن الحكم، ولم تسجل اي مفردة لقاء او حوار او رسائل او مواجهة.

نعم كانت هناك لقاءات او حوار قبل ان يصل مروان للسلطة نقلنا قسماً منها في واقعة الحرة حيث طلب مروان من الامام ضم عياله الى عيال الامام زين العابدين عليه السلام او غير ذلك في احداث المدينة المنورة عندما ثار اهل المدينة مدة وعند سقوطها بيد عبدالله

(١) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٥٤.
(٢) تنبيه الخواطر، ص٥١٨.

بن الزبير، ولكن بصورة عامة كانت هناك علائق ولكنها لم تكن ايجابية على الاطلاق، حيث الفاظ وسلوك مروان بن الحكم الذي لم يعرف الادب او الحدود[١].

٤- عبد الملك بن مروان

عاش الامام زين العابدين عليه السلام اكثر فترة امامته في حكم عبد الملك بن مروان وكان الامام تحت الرقابة، وكانت اخباره تُرفع إلى عبد الملك بصورة مستمرة، وحاول عبد الملك ان ينتقص من الامام في تزويج الامام مربيته - كما سنبين ذلك في: الامام والاماء- ولكن لم يفلح.

وقد التقى الامام بعبد الملك عدة مرات وانتهت اللقاءات في قضاء حوائج الناس الذي سعى اليه الامام عليه السلام وهو اطلاق سراح مجموعة من الذين اعتقلوا في سجون عبد الملك وقد استجاب عبد الملك لهذا الطلب ومدح الامام بكلمات ننقل منها: «.. لقد بان عليك الاجتهاد ولقد سبق لك من الله الحسنى، وانت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قريب النسب، وكيد السبب، وانك لذو فضل عظيم على اهل بيتك وذوي عصرك، ولقد اوتيت من الفضل والعلم والدين والورع مالم يؤته أحد مثلك ولا قبلك الا من مضى من سلفك..»[٢].

وقد تضمن هذا المقطع مجموع ما تحدثنا به من قبل حول عظمة الامام واحترام الدوائر العلمية والجماهيرية والحكام للامام ولأهل بيته:

١- وانك لذو فضل عظيم عل اهل بيتك وعصرك، اي على بني هاشم وقريش وعامة الناس في زمانك.

٢- ولقد اوتيت من الفضل والعلم والدين والورع مالم يؤته أحد مثلك ولا قبلك،، اي انك فريد عصرك ووحيد زمانك في كافة الكفاءات ولم يكن احد من قبلك في هذا المستوى.

٣- الاّ من مضى من اسلافك.. اي آبائك واجدادك.

(١) راجع موقف مروان من ايام عثمان بن عفان الى معاوية ويزيد تجاه اهل البيت في كتب التاريخ. انظر: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٦٩ فما بعد، وتاريخ الطبري، ج٤، حوادث عام ٦٩.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٧٥.

وهذا إعتراف بأن أهل البيت لايوازيهم احد في الفضل والعلم والورع والتقوى.

وهذا الحديث وغيره من مقاطع كالمدح والثناء والتعظيم من الناس والعلماء والحكام لاتقلل او تعظم من شأن الامام عليه السلام لانه من سلالةٍ اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

وهو من حلقات حبل الله الممدود بين السماء والارض والذي دعى الله سبحانه الناس لأن يتمسكوا به، ولكن من اجل معرفة تاثير هذا الاشعاع الالهي في الناس على مختلف شرائحهم نقلنا مقاطع من كلماتهم في حق الامام زين العابدين عليه السلام، وبالأخص كلمات عبد الملك بن مروان على الرغم من العداء الواضح منه ومن آل مروان لأهل البيت عليهم السلام، الا ان عظمة الامام وفضله فَرَضَ على هذا الطاغية ان يكون وجهاً لوجه أمام الحقيقة.

كما انه الرجل الاول في السلطة، واليه تنتهي المعلومات عن الناس، ولذلك عندما تحدث عن الامام شمل كل الافكار التي تحدث بها العلماء والفقهاء كما بينا سابقا. وعندما قرأ عبد الملك بن مروان رسالة جوابية من الامام عليه السلام قال عبد الملك لمن عنده: اخبروني عن رجل اذا اتى ما يضع الناس لم يزده الا شرفا.

قالوا: ذلك امير المؤمنين.

قال: لا والله ما هو ذاك.

قالوا: ما نعرف إلاّ امير المؤمنين.

قال: فلا والله ما هو بامير المؤمنين ولكنه علي بن الحسين عليه السلام[1].

ونقل جواب عبد الملك بن مروان على رسالة الامام علي بن الحسين عليه السلام بعبارة اخرى وهي؛ قال عبد الملك: ان علي بن الحسين ليضع نفسه وان الله تبارك وتعالى ليرفعه[2].

---

(١) الكافي، ج٥، ص٣٤٥.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٦٤.

الإمام والدولة الأموية

كان الامام زين العابدين عليه السلام قد اتخذ موقفاً بعيداً عن السلطة السياسية والسياسيين، فلم يقاربهم ويتعامل معهم ويعاشرهم. فهو في طريق وهم بطريق آخر.

ومن جانب آخر، إن الامام عليه السلام كان رمزاً دينياً ووجهاً اجتماعياً واماماً في الامة وحفيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسير الأحداث التي توالت في منطقة الحجاز قد اضفت على سلوكه وتصرفه منحى آخر ولاسيما أن أطول فترة سياسية عاشها الامام هي فترة عبد الملك بن مروان لذلك ينقل المؤرخون عنه مجموعة من الاحداث التي وقعت بين الامام عليه السلام وعبد الملك بن مروان.

فالحكام قبل ذلك لم تكن بينهم وبين الامام مواجهة شخصية او تماس مباشر في احداث ساخنه فمثلاً مروان بن الحكم حيث لم يبسط نفوذه على الحجاز بل كان الامر في الحجاز لابن الزبير.

اما يزيد بن معاوية فانه حكم ثلاث سنوات: الاولى قَتَلَ فيها الامام الحسين عليه السلام، والثانية هَجَمَ فيها على اهل المدينة وبعدها على مكة المكرمة ولم ينتهِ هجومه عليها حتى جاء نبأ هلاكه، فرجع الجيش الشامي الى دمشق.

ويزيد بن معاوية كان قد اوصى (مسلم بن عقبه) الذي عرف فيما بعد باسم (مسرف بن عقبه) أن لايقترب من الامام علي بن الحسين عليه السلام كما أوضحنا ذلك عند حديثنا عن ثورة المدينة (الحرة).

وبعد مروان جاء ابنه عبد الملك وبسط نفوذه على الحجاز بعد انتصاره على ابن الزبير.

والامام عليه السلام كانت طريقته واضحة في التعامل مع عبد الملك وهي المقاطعة

وعدم دخوله اجواء السلطة السياسية. والانشغال بالمهام الرسالية الحضارية من تربية ودعاء وتوجيه.

لذلك طلب عبد الملك مراراً من الامام عليه السلام أن تكون بينهما علاقة ايجابية قائمة على التفاعل والأخذ والعطاء ولكن الامام لم يستجب الى هذه المطالب وسار في منهجيته في المقاطعة. فمرة احضر عبد الملك الامام الى الشام كما ينقل المؤرخون وجرى بينهم الحديث التالي.

الامام يرفض البقاء في الشام

عن ابن شهاب الزهري قال: شهدت علي بن الحسين عليه السلام يوم حمله عبد الملك بن مروان من المدينة الى الشام فأثقله حديداً ووكل به حفاظاً في عدة وجمع، فأستأذنتهم في التسليم والتوديع له فأذنوا فدخلت عليه والاقياد في رجليه والغل في يديه فبكيت وقلت: وددت أني مكانك وأنت سالم فقال: يا زهري أو تظن هذا الذي ترى عليّ وفي عنقي يكربني؟ أما لو شئت ما كان فانه وإن بلغ بك ومن امثالك ليذكِّرني عذاب الله. ثم أخرج يديه من الغل ورجليه من القيد ثم قال: يا زهري لاجزتُ معهم على ذا منزلتين من المدينة. قال فما لبثنا الا أربع ليالٍ حتى قدم الموكلون به يطلبونه بالمدينة فما وجدوه فكنت فيمن سألهم عنه فقال لي بعضهم: إنا نراه متبوعاً، إنه لنازل ونحن حوله لاننام نرصده إذ أصبحنا فما وجدنا بين محمله الا حديده. فقدمت بعد ذلك على عبد الملك فسألني عن علي بن الحسين عليه السلام فاخبرته فقال: إنه قد جاءني في يوم فقده الاعوان فدخل عليّ فقال: ما أنا وأنت؟ فقلت: أقم عندي. فقال: لا أحب، ثم خرج فو الله لقد امتلأ ثوبي منه خيفة. قال الزهري: فقلت ليس علي بن الحسين عليه السلام حيث تظن إنه مشغول بنفسه. فقال: حبذا شغل مثله فنعم ما شغل به[1].

الامام عليه السلام يرفض التعامل مع عبد الملك

ومرة ثانية التقى عبد الملك بالامام عليه السلام في الحج وطلب منه اقامة علاقة ايجابية والامام رفض ذلك.

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٢٣.

روي عن الامام الباقر عليه السلام انه قال: كان عبد الملك يطوف بالبيت وعلي بن الحسين عليه السلام يطوف بين يديه ولايلتفت اليه، ولم يكن عبد الملك يعرفه بوجهه، فقال: من هذا الذي يطوف بين أيدينا ولا يلتفت الينا؟ فقيل: هذا علي بن الحسين عليه السلام، فجلس مكانه وقال: ردوه اليّ فروده فقال له: يا علي بن الحسين اني لست قاتل أبيك فما يمنعك أن تصير اليّ؟ فقال علي بن الحسين عليه السلام: إن قاتل أبي أفسد بما فعله دنياه عليه، وأفسد أبي عليه بذلك أخرته، فان أحببت أن تكون كهو فكن. فقال: كلا، ولكن صر الينا لتنال من دنيانا. فجلس زين العابدين عليه السلام وبسط رداءه وقال: اللهم أره حرمة أوليائك عندك، فاذا إزاره مملوّة درراً يكاد شعاعها يخطف الابصار. فقال له: من يكون هذا حرمته عند ربه يحتاج الى دنياك؟ ثم قال: اللهم خذها فلا حاجة لي فيها.(١)

وكان تصور عبد الملك أن الحالة المادية يمكن أن تدفع الامام لأن يقترب منه ويأخذ منه وبذلك يسجل موقفاً في التعامل الودي، ولكن الامام عليه السلام أثبت أمامه استغناءَه عن ما يملك عبد الملك.

نمو الحركة العلمية في المدينة

وكان لعبد الملك عيوناً في المدينة يرسلون له الاخبار ومن جمله الاخبار ما يتعلق بالامام زين العابدين عليه السلام. حيث توسعت قاعدة أنصاره ومؤيديه، بل بصورة عامة. كما أن وضع المدينة المنورة تطور حيث ظهرت مدرسة التابعين، وبَرَزَ علماء عُرفوا فيما بعد بالفقهاء السبعة (كما سنبين اسماءَهم) لذلك نرى أن الحركة العلمية أصبحت حالة لها ثقلها في وسط الأمة والناس توجهت الى العلماء، يسمعون منهم ويتحدثون معهم، خاصة وأن الانتفاضات قد انتهت واستقر الوضع السياسي لعبد الملك فلا حركة في الحجاز واليمن أو العراق وهذه المناطق مترابطه ويؤثر بعضها على البعض الآخر.

ولما كان الوضع السياسي مستقراً وليس فيه ما يعكر الاجواء فان الناس توجهت نحو الحالة العلمية، وأصبح رموز المجتمع هم أهل العلم، وكانت كلمتهم مؤثرة كما أن لهم شرعية خاصة وكان أبرز أصحاب الشرعية هو الامام زين العابدين عليه السلام، لذلك وصلت الاخبار الى عبد الملك أن الامام زين العابدين عليه السلام عنده سيف ودرع رسول

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٢٠.

الله، لذلك حاول عبد الملك أن يأخذ هذه الآلات من الامام ويضعها عنده لأنه هو (الخليفة) ولابد أن يكون هو صاحب هذه الشرعية وليس الامام زين العابدين عليه السلام لأن في بقائها عند الامام عليه السلام يعطي الشرعية الحقة له ويدعم إمامة الامام علي بن الحسين عليه السلام امام الناس.

عبد الملك يعترف بالامام وارثاً لرسول اللّه

يحدث أبو جعفر الباقر عليه السلام أن عبد الملك كتب الى الحجاج وهو بالمدينة أن يشتري له درع رسول الله وسيفه، فبعث الى عبد الله بن الحسن وهو اكبر ولد رسول الله ذلك اليوم وسأله عنهما، فقال له عبد الله: إن ولي الامر بعد رسول الله امير المؤمنين وبعده الحسن وبعده الحسين وبعده علي بن الحسين عليهم السلام، والسيف والدرع عنده. فارسل الحجاج على علي بن الحسين وطلب منه الدرع والسيف فابى عليه فقال الحجاج: لئن صليت العشاء الآخرة ولم تحضرهما ضربت عنقك.

ولما عرف الامام منه الجد في الطغيان أخرج درعاً غير درع رسول الله وسيفاً غير سيفه فنقص في الدرع وزاد في موضع آخر منه وغيّر السيف وحملهما الى الحجاج فانكرها وحملهما الى ابن الحنفية فلم يثبتهما معرفة معتذراً ببعد العهد وحيث لم يتضح له عدم نسبتهما الى رسول الله صلى الله عليه وآله سأل الامام بيعهما فكره عليه السلام بيع ما هو منسوب لرسول الله صلى الله عليه وآله ولكن الحجاج ألح عليه ودفع اربعين ألف درهم وأخذهما الى عبد الملك وكتب اليه بما دار بينهما. ولما رجع عبد الملك تلك السنة واجتمع بزين العابدين عليه السلام سأله رد السيف والدرع المغصوبين منه، وعرَّفه بأنّ الحجاج أخذهما بالقهر فزاده عبد الملك في الثمن خمسين الف درهما فأبى عليه السلام من البيع، فاقسم عليه عبد الملك ان يمضي البيع، فقال عليه السلام: على شريطة أن تكتب كتاباً تشهد فيه قبائل قريش بأني وارث رسول الله وأن الدرع والسيف لي دون كل هاشمي وهاشمية، فأجابه عبد الملك إلى ذلك وكان نص الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما اشتراه عبد الملك بن مروان من علي بن الحسين عليه السلام وارث رسول الله صلى الله عليه وآله اشترى درع رسول الله وسيفه اللذين ورثهما منه بمائة ألف درهم وقد قبض علي بن الحسين

عليه السلام الثمن وقبض عبد الملك الدرع والسيف ولا حق ولا سبيل لأحد من بني هاشم ولا لأحد من العالمين.

وأحضر قبائل قريش قبيلة قبيلة وأشهدهم على ما جرى بينه وبين علي بن الحسين عليه السلام. وأخذ زين العابدين عليه السلام الكتاب والمال. فكانت قريش تقول بعضهم لبعض إن عبد الملك أجهل الخلق يقر لعلي بن الحسين عليه السلام أنه وارث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دون الناس جميعاً ويتسمى بامرة المؤمنين ويصعد على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو احق به منه. إن هذا لهو الخسران المبين[1].

وهكذا أخذ عبد الملك هذه الآلات من الامام بعد مناقشات حول الامر إنتهت في أن اعترف عبد الملك بامامة الامام عليه السلام وأنه الوارث لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسلمه الامام السيف والدرع - وهما ليسا الاصل كما توضح الرواية السالفة ذلك - والظاهر إن عبد الملك لم يتعرض للامام عليه السلام بسوء على الرغم من أنه كان يعتقد بخطورة وجود الامام عليه السلام كرمز لبني هاشم وإماماً لاتباع وشيعة الامام علي بن أبي طالب عليه السلام والذين هم في ازدياد مستمر ونمو مطرد.

كما كان البعض يكتب لعبد الملك عن الامام وخطورته حيث كان اسمه في المدينة المنورة لامعاً ورمزه شاخصاً امام اعين الجميع. وقد استدعى عبد الملك الامام كما بينا وقد ساهم الزهري في دفع شبهة التحرك العسكري عن الامام عليه السلام عند عبد الملك، حيث قال الزهري: ليس علي بن الحسين عليه السلام حيث تظن، إنه مشغول بنفسه، فقال: حبذا شغل مثله فنعم ما شغل به[2].

ومرة أخرى كتب الحجاج بن يوسف الثقفي الى عبد الملك في خطورة وجود قائد له قاعدته العلمية والثقافية والجماهيرية وعشيرة قوية وهو الامام زين العابدين عليه السلام وان الاستقرار في الحجاز لايكون الا في تصفية أمر الامام زين العابدين عليه السلام.

والذي يقف على طلب الحجاج بتصفية الامام عليه السلام جسدياً يصل الى حقيقة جلية هي ان الامام عليه السلام كان يشكل ظاهرة متكاملة الابعاد قد لفت المدينة المنورة

(١) الامام زين العابدين عليه السلام، للمقرم، ص٣٧٦.
(٢) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٢٣.

واطبقت على كل حركة فيها من جماهير وعلماء واهل بيت وكل هؤلاء عرفوا أن أهل البيت هم أهل للسلطة بل هم اصحابها الشرعيون.

وهذه الرمزية للامام عليه السلام ما كان يطيقها الحجاج المعروف بعدائه لاهل البيت عليهم السلام، وعدم تحمله ان يكون تياراً في الامة لايخضع له في المنهجية والحركة، وكذلك ميله وتعطشه لسفك الدماء والقتل والتنكيل. ولكن عبد الملك رفض الطلب كما سيأتي الحديث، والسبب في عدم تعرض عبد الملك للامام عليه السلام على الاظهر يعود لعدة اسباب منها ما يتعلق بالامام عليه السلام ومنها ما يتعلق بالظروف السياسية التي حكمت تلك الفترة ومنها ما يعود الى عنجهية عبد الملك وطريقة ادارته:

أولاً: إن الامام زين العابدين عليه السلام لم تصدر منه اشارة على أن له رغبة في التحرك العسكري ضد السلطة حتى تكون ماخذاً عليه يأخذه الحكام ذريعة لاخذه وتصفيته.

والامام زين العابدين عليه السلام بالذات الذي كان المطلوب منه إعادة ترتيب وضع البيت الهاشمي العلوي وكان يتحاشى أن يؤدي ما يخرب هذه الخطة او يكون من حركته ما يفسد عليه هذه المهمة لذلك فان كل الذي يُنقل عن الامام عليه السلام هو توجهه الرسالي في الثقافة والدعاء والعبادة وما يخص العمل السياسي والعسكري فانه كان يتحرك من خلف الستار.

وقد أجمع رموز الامة بما فيهم عبد الملك نفسه وعمر بن عبد العزيز على ان الامام هو زين العابدين عليه السلام لكثرة عبادته، وسنوضح ذلك في فصل امامة الامام عليه السلام.

والذي يتوضح تحت المجهر أنه لايرى منه غير الانقطاع الى الله سبحانه وتعالى في الدعاء والعبادة والعمل الرسالي في الاعداد والتربية، ولايمكن أن تكون له منهجية في التحرك العسكري ضد السلطة.

لذلك لم يعثر عبد الملك على ما يأخذه منه حجة للنيل من الامام عليه السلام او اعتقاله غير مرة كما بينا او تصفيته جسدياً.

بل ان سلوك الامام عليه السلام كان سلوكاً في منتهى اللين وسعة الصدر والعفو عن المسيء والاحسان للآخرين.

فنجد أن الامام زين العابدين عليه السلام قد اظهر احساناً الى بني امية مرتين: مرة في حركة اهل المدينة وانتفاضتهم على بني أمية حيث رفض البعض ايواءَهم ولكن الامام زين العابدين عليه السلام آوى عوائلهم وآمنهم كأفضل ما يكون، وهم تحدثوا عن ذلك. ومرة ثانية عندما ضم ابن الزبير المدينة الى سلطانه كذلك قام الامام علي السلام بإيواء آل أمية وأمنهم من بطش ابن الزبير. وفي كلا الامرين كانت عوائل آل مروان معهم وينقل المؤرخون ذلك بقولهم:

وقد كان مروان بن الحكم كلم ابن عمر لما أخرج اهل المدينة عامل يزيد وبني أمية في ان يُغيّب أهله عنده، فلم يفعل. فكلم علي بن الحسين عليه السلام فقال: إن لي حرماً وحرمي تكون مع حرمك فقال: افعل. فبعث بامرأته وهي عائشة إبنة عثمان بن عفان وحرمه الى علي بن الحسين عليه السلام فخرج علي بحرمه وحرم مروان الى ينبع وقيل: بل أرسل حرم مروان وارسل معهم ابنه عبد الله بن علي الى الطائف(١).

ثانياً: ان الظروف السياسية التي عاشها الامام عليه السلام كانت ظروفاً متعددة الولاءات والانتماءات.

فليس هناك من سلطة سياسية مركزية يرجع اليها الرأي ويكون قرارها نافذاً. ففي الشام السلطة المركزية قد تضعضعت بعد موت يزيد، حيث انسحاب ابنه معاوية من الخلافة ومجيء مروان بن الحكم. والامور داخل ومشق غير متفقة على مروان. وفي الكوفة ظهر المختار وامتد كذلك الى الموصل حيث تولى ابراهيم بن مالك الاشتر الولاية هناك.

وجاء مصعب بن الزبير الى العراق وانتصر على المختار وبقي هو في الحكم. وفي الحجاز كان الامر بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام وفي المدينة بالذات الى مجموعة إنتفضت وعلى رأسهم عبد الله بن حنظلة، وفي مكة ظهر عبد الله بن الزبير. وفي اليمن اعلن (نجدة الحروري) استقلاله عن الشام بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام. وهذه الظروف المتعددة ما كانت لتسمح الى التصفيات الجسدية بل كانت تدعو الى اقامة تحالفات وضم الانصار واظهار القوة.

وهذه الظروف كانت في المرحلة الاولى من حياة الامام عليه السلام ولكن بعد ذلك

---

(١) الكامل في التاريخ، لابن الاثير، ج٤، ص١١٣.

دخلت في مرحلة ثانية حيث كانت الخارطة السياسية قد استقرت في العراق، الحجاز، الشام، حيث صفى عبد الملك بؤر التفجير واستقرت له الامور. والحالة بالارقام هي سنة تولي عبد الملك الحكم.

وفي هذا الجو المضطرب كان بنو هاشم لهم موقف عام هو عدم الدخول تحت خيمة احد من هذه الاطراف. فنجد أن بني هاشم لم يبايعوا لابن الزبير على الرغم من كل الضغوطات التي تعرضوا لها والتي سنتحدث عنها في فصل موقف الامام زين العابدين عليه السلام من حركة ابن الزبير، كما انهم لم يُعرفوا باتباعهم للسلطة الاموية. بل كانت لهم حالة من الاحترام خاصة يُعرفون بها في الاحداث الجسام بعد كربلاء، وإن عبد الملك بالذات قَبِلَ أن ينضم علي بن عبد الله بن العباس الى معسكره عندما لجأ اليه هاربا من مكة وهي في سلطة عبد الله بن الزبير، بل طلب منه تغيير كنيته من أبي حسن الى أبي محمد ونقلنا القصة في فصل الامام زين العابدين عليه السلام وبني هاشم.

نعم كان هناك رأي مؤيد لحركة المختار من آل الرسول لما تمتعت به من شعارات مؤيدة لآل الرسول ومتابعة قتلة الامام الحسين عليه السلام.

ولذلك لم تُسجَّل عمليات قتل لرموز بني هاشم في أحداث المدينة أو سلطة ابن الزبير وسلطة عبد الملك بن مروان ولكن الخريطة السياسية تغيرت بعد تصفية الحركات في المدينة أو الكوفة أو مكة واستقر الامر لعبد الملك بن مروان.

ثالثاً: عبد الملك والإمام زين العابدين عليه السلام

المعروف أن عبد الملك بن مروان كان جباراً فتاكاً يبطش من دون رحمة أو شفقة، ولم يستثنِ اقرب الناس اليه من البطش والغدر، والمؤرخون ينقلون احداث ذلك.

ولكن طريقته مع الامام زين العابدين عليه السلام تختلف كلياً، وذلك:

١- إنه شعر بصدق مسيرة الامام عليه السلام وأنها بعيدة عن المعترك العسكري وانشغال الامام بامور ما كان يجد أنها تعود بالضرر على السلطة السياسية التي كان يديرها. وزاد في اطمئنانه هذا سلوك الامام وتوصية العلماء المقربين من السلطة كالزهري كما بينا سابقاً.

٢- الفهم السياسي لعبد الملك بان آل الرسول ليسوا أشخاصاً وانما هم مدرسة، والتعرض الى امامهم لاينهي مدرستهم وانما تستمر في التعرض للسلطة السياسية والانتفاضة عليهم، لذلك عندما ارسل الحجاج اوصاه بعدم التعرض لعلي بن الحسين وآل أبي طالب ولم يحددهم فقط في الامام علي بن الحسين عليه السلام.

٣- اعتقاده إن مسلسل الاحداث التي مرت ببني امية وانتهت الى تدمير العائلة الأموية وابعادها عن السلطة نهائياً بأنها كانت بتأثير روحي ورباني لما عمله آل اميه بآل علي من اعتداء وتصفية جسدية وبطريقة مروعة، لذلك نجده يوصي الحجاج بأن لايقترب الى الامام عليه السلام وآل أبي عبد المطلب(١).

٤- قراءة عبد الملك لمسيرة الامام عليه السلام وكيف إن الامام وقف معهم وقفة انسانية في محنتهم إبان أحداث المدينة وسيطرة ابن الزبير، وكان لابد من رد لهذا الجميل الذي صنعه الامام بهم. كما أن موقف بني هاشم بصورة عامة كان غير موافق لرأي ابن الزبير وهذا رأسمال معنوي كان لعبد الملك أن يستفيد منه في صراعه مع ابن الزبير.

بل إن انتقال علي بن عبد الله بن العباس الى عبد الملك في صراعه مع عبد الله بن الزبير ودخوله المعركة كان يشكل ثقلا سياسياً لمصلحة عبد الملك وهذا الموقف كان يحسب له عبد الملك حساباً في طريقة تعامله مع آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن خلال المحاكاة التي كانت بين الامام وآل امية وآل مروان في المدينة عند هجوم الجيش الشامي على المدينة وكيف تمكن الامام من النجاة منهم بطريقة روحية مقدسة والتي شاعت في المدينة ونقلها البعض، وإليك رواية الحدث:

سأل ليث الخزاعي سعيد بن المسيب عن نهب المدينة واستباحتها قال: نعم شدوا الخيل الى أساطين مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورأيت الخيل حول القبر وانتهبت المدينة ثلاثاً، فكنت أنا وعلي بن الحسين عليه السلام نأتي قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيتكلم علي بن الحسين عليه السلام بكلام لم أقف عليه فيحال ما بيننا وبين القوم ونصلي ونرى القوم وهم لايرونا،

(١) راجع: بحار الأنوار، ج٤٦، ص١١٩، الحديث ٩.

وقام رجل عليه حلل خضر على فرس محذوف أشهب بيده حربة مع علي الحسين عليه السلام. فكان إذا أومأ الرجل الى حرم رسول الله صلى الله عليه وآله يشير ذلك الفارس بالحربة نحوه فيموت من غير أن يصيبه، فلما أن كفوا عن النهب دخل علي بن الحسين عليه السلام على النساء فلم يترك قرطاً في أذن صبي ولا حلياً على امرأة ولاثوباً الا أخرجه الى الفارس فقال له الفارس: يا ابن رسول الله إني ملك من الملائكة من شيعتك وشيعة أبيك لمّا أن ظهر القوم بالمدينة استأذنت ربي في نصرتكم آل محمد فأذن لي لان أدخرها يداً عند الله تبارك وتعالى وعند رسوله صلى الله عليه وآله وعندكم اهل البيت الى يوم القيامة[1].

إن هذه غرزت في نفسية عبد الملك قدسية الامام وجعلته يؤمن أن الامام عليه السلام له شأن عندالله سبحانه وتعالى وهو ممن يستجاب دعاؤه، لذلك أعرض عن المس به وايذائه والنيل منه. ومن المؤكد أن الاحداث والوقائع الخارقة التي كانت تشاهد من الامام عليه السلام كانت تنقل الى عبد الملك وهو كان يشاهد بنفسه وهذه خلقت عنده انطباعاً خاصاً إتجاه الامام عليه السلام، ومن امثلة ذلك أن عبد الملك استدعى الامام من المدينة ال الشام وبعد ذلك وصل الخبر الى عبد الملك أن الامام خرج من حديده ولانعلم به فقال لهم عبد الملك أنه كان عندي، وعبر عنها بلفظ (فوالله لقد امتلأ ثوبي منه خيفة)[2]. وكلمات عبد الملك أنه أخذته حالة الرعب والخوف وهو صاحب السلطة والقوة القت من دون إشكال في نفس عبد الملك حالة من الاطمئنان بأن الامام زين العابدين عليه السلام له وضع غير طبيعي في القدرة والقوة والتصرف في الأشياء.

او تاريخ الرسالة التي كتبها الامام عليه السلام الى عبد الملك بنفس تأريخ الرسالة التي كتبها عبد الملك ال الحجاج ويوصيه بالامام وبني هاشم خيراً، وتعجب عبد الملك من علمه بالرسالة حيث شرح الامام طريقة علمه بهذه الرسالة كما ينقلها المؤرخون:

روي ان الحجاج بن يوسف الثقفي كتب الى عبد الملك بن مروان: إذا اردت أن يثبت ملكك فاقتل علي بن الحسين عليه السلام، فكتب عبد الملك اليه: اما بعد فجنبني دماء بني هاشم واحقنها فاني رأيت آل أبي سفيان لما أولعوا فيها لم يلبثوا الى أن أزال الله الملك

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٣١.
(٢) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٢٤.

عنهم. وبعث بالكتاب سراً أيضاً فكتب علي بن الحسين عليه السلام الى عبد الملك في الساعة التي انفذ فيها الكتاب الى الحجاج: وقفت على ما كتبت في دماء بني هاشم وقد شكر الله لك ذلك، وثبت لك ملكك وزاد في عمرك. وبعث به مع غلام له بتاريخ الساعة التي انفذ فيها عبد الملك كتابه الى الحجاج. فلما قدم الغلام اوصل الكتاب اليه فنظر عبد الملك في تاريخ الكتاب فوجده موافقاً لتاريخ كتابه فلم يشك في صدق زين العابدين ففرح بذلك وبعث اليه بوقر دنانير وسأله أن يبسط اليه بجميع حوائج أهل بيته ومواليه. وكان في كتابه عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتاني في النوم فعرَّفني ما كتبت به اليك وما شكر من ذلك[1].

كما أن العلم بالرسالة وتاريخها أو الايعاز للامام بكتابة الرد بامر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحمل دلالة الارتباط بصاحب الرسالة واستمرار هذه الصلة وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشهد على ما يجري من احداث وأنه يُعلِم خلفاءَه بذلك.

وأن هذه الاحداث لايمكن أن تمر من دون أن تترك أثرها في عبد الملك ومنهجية ادارته للامور وأن رسالة الامام عليه السلام الى عبد الملك كانت رسالة جوابيه تتضمن الحالة الاعجازية كما بينا وتتضمن الشكر على توصيته للحجاج بعدم اراقته لدماء آل الرسول وهي حالة فيها دلالات بأن الاحسان يقابل بالاحسان وأفضل منه عند آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وان لفظة (ثبت ملكك وزاد في عمرك) تحمل مضامين يفهمها العاقل وتعني التعرض لهم بقصر عمر السلطة وإرسال عبد الملك الهدايا للامام عليه السلام على هذا التوجه في الشكر.

كما نجد ان عبد الملك وقف موقفاً ايجابياً من الامام عليه السلام في صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وامير المؤمنين عندما اوصلها عم الامام عمر بن علي بن أبي طالب واوصى أن يكون الامام زين العابدين عليه السلام هو المسؤول عن هذه الصدقات.

وكانت قد جرت مراسلة بين عبد الملك والامام زين العابدين عليه السلام حول زواج الامام من أمته التي اعتقها ثم تزوجها والرسالة تدل على أن هناك حالة عادية ومنسجمة وان كانت مفردات الكلمات عندما تقرأ نجد هي محاولة للتعرض للامام في أنه أنزل

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٢٨، الحديث ١٩، عن: الخرائج والجرائح، ص١٩٤.

نفسه الى مستوى الزواج بالاماء ولكن يمكن كذلك تفسيرها بدوافع ايجابية من حرص وغيره. وكل هذه التضاريس كانت تفسر بانها اجواء ايجابية تحكم العلاقة بين الامام زين العابدين عليه السلام وعبد الملك بن مروان حتى تحدث البعض أن الامام عليه السلام كان أحب الناس الى مروان بن الحكم وإبنه عبد الملك[١].

(١) جهاد الامام السجاد للجلالي (نقلاً عن طبقات بن سعد وتاريخ مدينة دمشق وابن كثير) ص٧١.

الإمام السجاد والوليد بن عبد الملك

وبعد عبد الملك جاء الى الحكم إبنه الوليد بن عبد الملك. وقد كانت الامور مستقرة له ولم تحصل قلاقل واضطرابات تقض مضجعه وتقلق باله وتسهر ليله، لذلك فانه لم يكن يعطي ذلك الاهتمام في تعامله مع القوى والرموز بداخل الأمة ومنهم بنو هاشم، حيث اتخذ موقفاً فيه من الخشونة والعداء تجاههم ما يلاحظ من آثار سلوكه معهم وفي الاحداث التي جرت بينه وبين الامام السجاد عليه السلام وبني هاشم، وعلى الرغم من أنه لم ينقل الشيء الكثير الا أن حادثة أمره بضرب الحسن المثنى بن الامام الحسن عليه السلام تحمل دلالة واضحة في عدم احترامه لبني هاشم.

كتب الوليد بن عبد الملك الى صالح ابن عبد الله المري عامله على المدينة: أخرج الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وكان محبوساً في حبسه واضربه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمسمائة سوط. فأخرجه صالح الى المسجد واجتمع الناس وصعد صالح المنبر وقرأ عليهم الكتاب ثم نزل وأمر بضرب الحسن، فبينما هو يقرأ الكتاب اذ دخل علي بن الحسين عليه السلام فأفرج الناس عنه حتى انتهى الى الحسن فقال له: يا ابن عم أدع الله بدعاء الكرب يفرج عنك، فقال: ما هو يا ابن عم؟ فقال: قل.. وذكر الدعاء، ثم انصرف علي بن الحسين وأقبل الحسن يكرره فلما فرغ صالح من قراءة الكتاب ونزل قال: أرى سجية رجل مظلوم أخّروا أمره وأنا أراجع امير المؤمنين فيه، وكتب صالح الى الوليد في ذلك فكتب اليه: اطلقه، ولم يذكر المؤرخون أن المري كان والياً على المدينة في خلافة الوليد ويمكن أن يكون مسؤول الشرطة مثلاً على المدينة المنورة وليس الوالي عليها، لأن الوليد عزل هشام بن اسماعيل المخزومي وعين مكانه عمر بن عبد العزيز ثم عزل عمر بن عبد العزيز وعين عثمان بن حيان المري، كما أن قراره بجعل هشام بن اسماعيل المخزومي والياً على المدينة المنورة لم يكن الاّ بسبب أنه يحمل البغض على آل الرسول كي يشدِّد العداء لهم

ويمارس الحقد ضدهم بحيث يفرض نفسه بمقدار ممارسته العدائية ضدهم وخوفه من الانتقاص منه عندما عرض تسجيل أدنى ظلمه.

وهذا الوالي (هشام بن اسماعيل المخزومي) هو أخو زوجة عبد الملك بن مروان وخال هشام بن عبد الملك، ومن المؤكد إن الاخبار كانت تصل الى الوليد عن ممارسات القمع التي كان يمارسها الوالي ضد بني هاشم، ولكنه لم يتخذ موقفاً منه الا بعد أن فاحت رائحة مظالمه وخاف الوليد تحرك الناس فأمر بتعزيره[١].

وروى الطبري: إن هشام بن اسماعيل كان اميراً على المدينة المنورة فأظهر القسوة وأشاع الفساد وتحمل منه علي بن الحسين وأهل بيته الشيء الكثير وقد عزله الوليد عبد الملك وأمر بأيقافه أمام الناس للجلد فمر به علي بن الحسين عليه السلام وهو واقف عند دار مروان وسلم عليه وامر أتباعه بعدم التصدي له بمكروه، وقد أرسل اليه: أنظر الى ما أعجزك من مال تؤخذ به فعندنا ما يسعك فطب نفساً منا ومن كل من يطيعنا، فنادى هشام: الله أعلم حيث يجعل رسالته[٢].

كما ينقل الشيخ المجلسي عن علي بن محمد بن بشاره عن محمد بن يزيد المنقري عن سفيان قال: قيل للزهري: من أزهد الناس في الدنيا؟ قال علي بن الحسين عليه السلام حيث كان.

وقد قيل له فيما بينه وبين محمد بن الحنفية من المنازعة في صدقات علي بن أبي طالب عليه السلام: لو ركبت الى الوليد بن عبد الملك ركبة لكشف عنك غرر شره وميله عليك فان بينه وبين الوليد خلّة. قال: وكان هو بمكة والوليد فيها فقال: ويحك إني في حرم الله أسأل غير الله عزّ وجل، إني آنف أن أسأل الدنيا خالقها فكيف أسألها مخلوقاً مثلي؟ وقال الزهري: لاجرم أن الله عزّ وجل القى هيبته في قلب الوليد حتى حكم له على محمد بن الحنفية[٣]. ولكن المتتبع يكشف أن الواقعة غير صحيحة، وذلك:

١ - إن محمد بن الحنفية كان قد بايع الامام زين العابدين بالامامه واعترف له بها

---

(١) سيرة الرسول وأهل بيته، ج٢، ص٢٠٠.
(٢) مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب، ج٣، ص٣٠١.
(٣) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٦٣.

فكيف يمارس النزاع مع إمامه وهو الامام زين العابدين.

٢- إن محمد بن الحنفية عُرِف عنه الصلاح والاعتقاد الصحيح والاطلاع على الكثير من المجريات التي ستكون، والذي يحمل هكذا أمانة من المستبعد أن يمارس هكذا إسلوب مع إمامه.

٣- المعتقد أن شخصاً آخر من بني هاشم يكون هو الذي طرح موضوع صدقات رسول الله ليُبحث مرة أخرى لاجل الحصول على مردودها المالي، ووقع السهو بينه وبين محمد بن الحنفية.

كما أن هناك حادثة أخرى حدثت للامام زين العابدين عليه السلام في زمن الوليد بن عبد الملك هي مدح الفرزدق للامام زين العابدين، وإن اختلف المؤرخون في زمن أي خليفة وقعت الحادثة، فهناك من يقول أنها وقعت في زمن عبد الملك أو أنها في خلافة هشام نفسه، والذي يظهر بشكل أدق بأنها وقعت في زمن أخيه الوليد بن عبد الملك.

عبد الملك أبو الخليفة نفسه كانت علاقته بالامام زين العابدين عليه السلام قائمة على عدم التعرض لبني هاشم عموماً وللإمام زين العابدين خصوصاً ولكن الوليد كما بينا غيّر سياسته نوعاً ما تجاه الامام في إتجاه السلب وأن هشام بن عبد الملك أقدم على إعتقال الفرزدق لمدحه الامام بهذه القصيده في هذا المكان المقدس وعلى مرآى ومسمع من وجهاء أهل الشام وهذا يتعارض معع سياسة عدم تعرض عبد الملك بن مروان للامام وبني هاشم بسوء التي سار عليها عبد الملك، وكما ينقل أن هشام بن عبد الملك حين وفاة أبيه عبد الملك كان عمره ١٤ عاماً[1].

ومن المؤكد أن حادثة الامام والفرزدق لم تكن في عام وفاة عبد الملك بل لابد أن تكون قبلها بسنوات فيكون هشام عمره أنذاك بحدود (١٠ سنوات) وعليه فلا يصح أنه حج مع أشراف الشام ونصبت له منصة وأنه أمر باعتقال الفرزدق. وإليك الرواية:

روي أن علي بن الحسين حج في السنة التي حج بها هشام أبن عبد الملك وهو (خليفة) فاستجهر الناس منه عليه السلام وتشوفوا وقالوا لهشام: من هو؟

(١) الكامل في التأريخ، ج٤، ص٥١٨.

قال هشام: لا أعرفه لئلا يرغب الناس فيه، فقال الفرزدق وكان حاضراً: أنا أعرفه.

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته... إلى آخر القصيدة المعروفة[١].

فبعثه هشام وحبسه ومحى إسمه من الديوان فبعث اليه علي بن الحسين عليه السلام بدنانير فردها اليه وقال: ما قلت ذلك الا ديانةً، فبعث بها اليه ايضاً وقال: قد شكر الله لك لذلك. فلما طال الحبس عليه وكان يوعده بالقتل شكى الى علي بن الحسين عليه السلام فدعا له أن يخلصه الله فجاء اليه وقال: يابن رسول الله انه محا اسمي من الديوان. فقال: كم كان عطاؤك قال: كذا. فأعطاه لاربعين سنة. وقال عليه السلام: لو علمت أنك تحتاج الى اكثر من هذا لأعطيتك. فمات الفرزدق بعد أن مضى أربعون سنة[٢].

وأما أن تكون الواقعة في خلافة هشام بن عبد الملك فهو غير صحيح اطلاقاً لأن الامام عليه السلام توفي في خلافة الوليد عام (٩٥هـ) وهشام جاء دوره واستلم الحكم عام (١٠٥هـ)[٣].

وروى علي بن الحسن ابن يوسف، عن محمد بن جعفر العلوي، عن الحسن بن محمد بن جمهور، عن أبي عثمان المازني، عن كيسان، عن جويرية بن اسماء، عن هشام بن عبد الاعلى، عن فرعان وكان من رواة الفرزدق، قال: حججت سنة مع عبد الملك بن مروان، فنظر الى علي بن الحسين بن أبي طالب، فأراد أن يُصغر منه، فقال: من هو؟ فقال الفرزدق: فقلت على البديهة القصيدة المعروفة:

هـذا ابـن خير عـبـاد الـلـه كلهم ... هـذا التقي النقي الطاهر العلم

حتى أتمها، وكان عبد الملك يصله في كل سنة بألف دينار فحرمه تلك السنة، فشكى ذلك الى علي بن الحسين عليه السلام وسأله أن يكلمه، فقال: أنا أصلك من مالي بمثل الذي كان يصلك به عبد الملك، وصنَّ عن كلامه، فقال: والله يابن رسول الله لارزأتك شيئاً، وثواب الله عزّ وجل الآجل أحب الي من ثواب الدنيا في العاجل. فاتصل ذلك بمعاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار، وكان أحد سمحاء بني هشام لفضل عنصره وأحد

(١) إقرأ القصيدة كاملة في: بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٢٥-١٢٧.
(٢) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٤١.
(٣) مروج الذهب، ج٢، ص١٦٠.

أدبائها وظرفائها، فقال له: يا أبا فراس كم تقدر الذي بقي من عمرك؟ قال: قدر عشرين سنة، فقال: هذه عشرون ألف دينار أعطيتكها من مالي واعف ابا محمد أعزه الله عن المسألة في أمرك. فقال: لقد لقيت أبا محمد فبذل لي مالاً فأعلمته أني أخرت ثواب ذلك لأجر الآخرة[١]. وبالفعل فإنه نال ما كان يصبوا اليه من المغفرة عند الله بهذا الموقف المشرف الذي عَرَّفَ به شخصية الامام عليه السلام في الزمان والمكان المناسبين.

ونقل المحقق البهبهاني عن جده تقي المجلسي رضوان الله تعالى عليهما أن عبد الرحمن الجامي وهو سني المذهب نظم هذه القصيدة بالفارسية في (سلسلة الذهب) وذكر أن امرأة رأت الفرزدق في المنام بعد موته وسألته عن صنع الله فيه، فقال: قد غفر الله لي بسبب القصيدة التي أنشأتها في مدح علي بن الحسين عليه السلام، ثم قال الجامي: من الجدير أن يغفر الله لجميع المخلوقات بسبب تلك القصيده الغراء[٢].

وفي كتاب الاختصاص:

أن هشام بن عبد الملك حج في خلافة عبد الملك والوليد، فطاف بالبيت وأراد أن يستلم الحجر فلم يقدر عليه من الزحام، فنصب له منبر فجلس عليه واطاف به أهل الشام.

فبينما هو كذلك إذ أقبل علي بن الحسين عليه السلام وعليه إزار و رداء، من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم رائحة، بين عينيه سجّادة كانها ركبة عنز، فجعل يطوف في البيت، فاذا بلغ الى موضع الحجر انفرج الناس حتى يستلمه هيبة له وإجلالاً، فقال رجل من أهل الشام: من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة وأفرج عنه لينال الحجر؟ فقال هشام: لا أعرفه. حتى لايرغب فيه أهل الشام، فقال الفرزدق وكان حاضراً: لكني أعرفه. فقال الشامي: من هو يا أبا فراس؟ فقال القصيدة وهي:

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ ... وَ الْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَ الْحِلُّ وَ الْحَرَمُ

هَـذَا ابْـنُ خَيْرِ عِـبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمُ ... هَـذَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ

هَـذَا عَلِيٌّ رَسُـولُ اللَّهِ ص وَالِـدُهُ ... أَمْسَى بِنُورِ هُـدَاهُ تَهْتَدِي الظُّلَمُ

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٣٠، الحديث ٢٠، عن: الاختصاص، ص١٩١.

(٢) منتهى الامال (بالفارسية)، ج٢، ص٤٩.

إِذَا رَأَتْـــهُ قُـــرَيْـشٌ قَـــالَ قَائِلُهَا   إِلَـى مَـكَـارِمِ هَـذَا يَنْتَهِي الْـكَـرَمُ

يُنْمِي إِلَى ذِرْوَةِ الْعِزِّ الَّتِي قَصُرَتْ   عَنْ نَيْلِهَا عَرَبُ الْإِسْـلَامِ وَ الْعَجَمُ

يَـكَـادُ يُمْسِكُهُ عِـرْفَـانَ رَاحَـتِـهِ   رُكْـنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَـاءَ يَسْتَلِمُ

يُغْضِي حَيَاءً وَ يُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ   فَـمَـا يُـكَـلَّـمُ إِلَّا حِـيـنَ يَبْتَسِمُ

يَنْشَقُّ نُـورُ الدُّجَى عَنْ نُـورِ غُرَّتِهِ   كَالشَّمْسِ تَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الظُّلَمُ

بِـكَـفِّـهِ خَـيْـزُرَانٌ رِيـحُـهُ عَـبِـقٌ   مِنْ كَفِّ أَرْوَعَ فِي عِرْنِينِهِ شَمَمٌ

مُشْتَقَّةٌ مِـنْ رَسُـولِ اللَّهِ نَبْعَتُهُ   طَابَتْ عَنَاصِرُهُ وَ الْخِيمُ وَ الشِّيَمُ

حَمَّالُ أَثْـقَـالِ أَقْـوَامٍ إِذَا فُدِحُوا   حُلْوُ الشَّمَائِلِ تَحْلُو عِنْدَهُ نِعَمُ

هَـذَا ابْـنُ فَاطِمَةَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ   بِـجَـدِّهِ أَنْـبِـيَـاءُ الـلَّـهِ قَـدْ خُتِمُوا

هَـذَا ابْـنُ فَاطِمَةَ الْـغَـرَّاءِ نِسْبَتُهُ   فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ يَجْرِي بِاسْمِهِ الْقَلَمُ

الـلَّـهُ فَـضَّـلَـهُ قِـدَمـاً وَ شَـرَّفَـهُ   جَـرَى بِذَلِكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ الْقَلَمُ

مَـنْ جَـدُّهُ دَانَ فَضْلُ الْأَنْـبِـيَـاءِ لَهُ   وَ فَضْلُ أُمَّـتِـهِ دَانَـتْ لَهَا الْأُمَـمُ

عَمَّ الْبَرِيَّةَ بِالْإِحْسَانِ فَانْقَشَعَتْ   عَنْهَا الْغَيَابَةُ وَ الْإِمْـلَاقُ وَ الظُّلَمُ

كِلْتَا يَـدَيْـهِ غِـيَـاثٌ عَـمَّ نَفْعُهُمَا   تَسْتَوْكِفَانِ وَ لَا يَعْرُوهُمَا عَـدَمُ

سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا تُخْشَى بَـوَادِرُهُ   يُزَيِّنُهُ اثْنَانِ حُسْنُ الْخُلُقِ وَ الْكَرَمُ

لَا يُخْلِفُ الْـوَعْـدَ مَيْمُونٌ نَقِيبَتُهُ   رَحْـبُ الْفِنَاءِ أَرِيـبٌ حِينَ يَعْتَزِمُ

مِنْ مَعْشَرٍ حُبُّهُمْ دِيـنٌ وَ بُغْضُهُمْ   كُفْرٌ وَ قُرْبُهُمْ مَنْجًى وَ مُعْتَصَمٌ

يُسْتَدْفَعُ السُّوءُ وَ الْبَلْوَى بِحُبِّهِمْ   وَ يُسْتَزَادُ بِـهِ الْإِحْـسَـانُ وَ النِّعَمُ

مُـقَـدَّمٌ بَـعْـدَ ذِكْـرِ الـلَّـهِ ذِكْـرُهُـمْ   فِي كُـلِّ بَـدْءٍ وَ مَخْتُومٌ بِـهِ الْكَلِمُ

إِنْ عُدَّ أَهْـلُ التُّقَى كَانُوا أَئِمَّتَهُمْ   أَوْ قِيلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ قِيلَ هُمُ

لَا يَسْتَطِيعُ جَـوَادٌ بُعْدَ غَايَتِهِمْ   وَ لَا يُدَانِيهِمْ قَـوْمٌ وَ إِنْ كَرُمُوا

هُـمُ الْغُيُوثُ إِذَا مَا أَزْمَـةٌ أَزَمَـتْ   وَ الْأُسْدُ أُسْدُ الشَّرَى وَ النَّارُ تَحْتَدِمُ

يَأْبَى لَهُمْ أَنْ يَحُلَّ الـذَّمُّ سَاحَتَهُمْ   خِيمٌ كَرِيمٌ وَ أَيْـدٌ بِالنَّدَى هُضُمُ

لَا يَنْقُصُ الْعُسْرُ شَيْئاً مِنْ أَكُفِّهِمْ   سِيَّانِ ذَلِـكَ إِنْ أَثْـرَوْا وَ إِنْ عَدِمُوا

أَيُّ الْخَلَائِقِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ   لِأَوَّلِـيَّـةِ هَـذَا أَوْ لَـهُ نِـعَـمُ

مَـنْ يَعْرِفِ اللَّهَ يَعْرِفْ أَوَّلِيَّـةَ ذَا وَ الدِّينُ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الْأُمَمُ[1]

قال: فذهب هشام وأمر بحبس الفرزدق بعسفان بين مكة والمدينة، فبلغ ذلك علي بن الحسين عليه السلام فبعث اليه اثنتي عشرة الف درهم وقال: أعذرنا يا أبا فراس لو كان عندنا أكثر من هذا لوصلناك به، فردها وقال: يا ابن رسول الله ما قلت الا غضباً لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وماكنت لأرزأ عليه شيئاً.

فردها اليه وقال له: بحقي عليك لما قبلتها فقد أنار الله مكانك وعلم نيتك، فقبلها. فجعل الفرزدق يهجو هشاماً وهو في الحبس فكان ما هجاه به قوله:

أَتَحْبِسُنِي بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَ الَّتِي إِلَيْهَا قُلُوبُ النَّاسِ تَهْوِي مُنِيبُهَا
يُقَلِّبُ رَأْساً لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ وَ عَيْناً لَـهُ حَـوْلَاءَ بَـادَ عُيُوبُهَا[2]

وقضية القربة الى الله تعالى في بواعث الفرزدق لقراءة القصيدة قد ثبتها الذين تعرضوا الى ذكر الحادثة، منهم:

١ - وفيات الاعيان، ج٦، ص٩٥، وعبارته:

(وتنسب اليه - الفرزدق - مكرمة يُرجى له بها الجنة).

٢ - قال شيخ الحرمين ابو عبد الله القرظي:

«لو لم يكن لابي فراس عند الله عزّ وجل عمل الا هذا دخل الجنة به لانها كلمة حق عند سلطان جائر»[3].

---

(١) الاختصاص، ص ١٩١.
(٢) المصدر، ص ١٩٤.
(٣) ينابيع المودة، ج٣، ص١٠٩.

الفصل الخامس

الامام والانتفاضات الداخلية

* الموقف من الانتفاضات
* انتفاضة المدينة
* الامام وواقعة الحرة
* آلية الثورة
* حركة التوابين بين الآلية والاندفاع
* مع معركة الثأر والفداء
* الاهداف بين الثأر والطموح السياسي
* الاجواء السياسية ارضية لدولة وليس لثورة
* حركة التوابين والحركة الزبيرية
* الامام وحركة التوابين
* يوميات ثورة التوابين
* قبسات نور
* من قصص الابرار
* الامام والمختار
* المختار ومحمد بن الحنفية
* الحركة الزبيرية
* ابن الزبير وعبادته
* الحركة الزبيرية حركة سياسية وليست دينية
* الامام وحركة عبد الله بن الزبير

عبد الله بن الزبير وبنو هاشم
منهجية اهل البيت في الحركة لمواجهة الطغاة
شهادة كميل بن زياد
شهادة سعيد بن جبير
حوار سعيد بن جبير مع الحجاج
حركة بن الاشعث

الموقف من الانتفاضات

الامام زين العابدين عليه السلام لم يشترك في واحدة من هذه الانتفاضات ولم يكن له موقف مؤيد لها في الظاهر، كما لم يكن له موقف مؤيد للسلطة، بل رأى أن بعضها نزاع على السلطة بين اصحاب رأي وقوى سياسية في الامة، وليس هناك من جديد في السلوك والموقف، نعم هناك شخصيات اشتركت في الانتفاضات بدافع ضد نظام الحكم آنذاك لسخطهم على هذه السلطات.

وإن كانت المواقف تختلف من طرف تجاه الطرف الآخر بنسبة معينة، ولكن الموقف العام للامام هو عدم الدخول بها علناً سلباً وايجاباً، مثل انتفاضة المدينة المنورة (الحرة) كانت حركة شعبية اكثر مما كانت ثورة منظمة، وهي تختلف عن حركة عبد الله بن الزبير الذي مهّد لها وقادها واستقرت له الامور مدة زمنية واتضحت مواقفها وطريقة تعاملها خاصة تجاه أهل البيت الذين كان لعبد الله بن الزبير موقف سلبي منهم كما سنتعرض لذلك.

بل كان للامام زين العابدين عليه السلام مواقف انسانية تجاه القوى المتصارعة على السلطة في حفظ عوائلهم وحمايتها من الاعداء.

فانه فعل ذلك مع الأمويين في انتفاضة المدينة، وفعلها مع الامويين مرة اخرى حين سيطر عليها الزبيريون وأنجاهم من الاعداء والقتل، ولكن من دون ريب كان للامام موقفٌ آخر تجاه حركة المختار والتوابين لانهما كانتا تحملان شعارات الثأر لابيه الامام الحسين عليه السلام ولكنه لم يشترك بهما بل لم يتعرض لهما بطريقة ايجابية مباشرة.

وهناك مجموعة نقاط تبرر عدم خوض الامام المعترك السياسي وبقاءَه بعيداً عنها، ومنها:

أولاً: الالهام الرباني

حيث إن الامام زين العابدين عليه السلام هو أحد الأئمة الذين لهم اطلاع خاص على مجريات الامور وتتابع الاحداث، ومن يلي امر الامة، ومن لا تصل اليه الامور، فكان عنده واضحاً ان ليس له من السلطة السياسية العسكرية شيء يذكر، لذلك نجده لم يمارس اي خطوة سياسية عسكرية على الرغم من التقلبات السياسية التي وقعت في فترة إمامته.

وقد ظهرت من الامام بعض الإشارات اتجاه أمور غيبية وأبلغ المحيطين به ان سيكون هكذا، مثل قوله بشأن عمر بن العزيز انه سيلي أمر هذه الامة وكان في ذلك الوقت والياً على المدينة.

(كان عمر بن عبد العزيز قبل توليه الخلافة يسكن المدينة ويرفل باثواب الترف باعتباره من العائلة المالكة، وكان من ترفه أنه يلبس الثوب بأربعمائة دينار ويقول: (ما أخشنه) وقال بعضهم كنا نعطي الغسال الدراهم الكثيرة حتى يغسل ثيابنا في اثر ثياب عمر بن العزيز من كثرة الطيب الذي فيها)[1].

«عن سليمان ابن دينار، عن عبد الله بن عطا التميمي، قال: كنت مع علي بن الحسين عليه السلام في المسجد فمر عمر بن عبد العزيز وعليه شراكا فضة[2] وكان من أحسن الناس وهو شاب. فنظر اليه علي بن الحسين عليه السلام فقال: يا عبد الله بن عطاء أترى هذا المترف؟ إنه لن يموت حتى يلي الناس. قال قلت: هذا الفاسق؟ قال: نعم فلا يلبث فيهم الا يسيراً»[3].

وعندما لم يكن مقدراً للامام إن يؤدي دوراً سياسياً وعسكرياً وليس عليه أي مسؤولية في هذا الاتجاه فلم يقحم نفسه في جدال يعرف سلفاً انه لايعود عليه بالنفع والربح الديني والدنيوي وهو الامام الذي لاتحركه العواطف ولاتدغدغه الاهواء.

---

(١) حياة الامام زين العابدين عليه السلام، للقرشي، ص٦٦٥.

(٢) -أي: كان يلبس نعلين عليهما شراكان من فضة، والشراك: سير النعل على ظهر القدم.

(٣) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٢٣، ايضاً جهاد الامام زين العابدين عليه السلام، للجلالي، ص٢٦٢.

وعندما نقول أن الرؤية الربانية للامام هو عدم الدخول في اللعبة السياسية وإن دخل بها فانه لايربحها، فانما ليست هي رؤية بعيدة عن واقع مجريات الاحداث اليومية وآليات وشخوص التحرك السياسي، بل إن المفردات اليومية ومنهجية التحرك تُصدق الرؤية الربانية وتكون منطبقة معها.

فلو نظر أي محلل سياسي لتضاريس الحركة السياسية في زمن الامام زين العابدين عليه السلام لرأى أنه ليس بمقدور الامام إن يؤدي فيها دوراً ناجحاً وبنّاءً في تغيير مجرى الاحداث السياسية نحو الطريق الصحيح والجادة الحقة كما سنبين ذلك.

وبذلك فان الرؤية الربانية ليست هي حالة جذرية تسلب الامام ارادته وتجعله ممن لا رأي له في الاحداث، على أن الوقائع اليومية تجري حسب السنة الالهية وتقاديرها، وفي نهاية المطاف تكون هي النتيجة التي أنبأت عنها الرؤية الالهية. وهناك امثلة تأريخية كثيرة في هذا الاتجاه ذكرها الأئمة عليهم السلام، نجد نموذجاً منها في الحوار الذي جرى في الابواء بين الامام الصادق عليه السلام وابناء عمه.

تقول الرواية التاريخية:

إن جماعة من بني هاشم اجتمعوا بالابواء وفيهم ابراهيم بن محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس، وابو جعفر المنصور، وصالح بن علي، وعبد الله بن الحسن، وابناه محمد وابراهيم، ومحمد بن عبد الله بن عمر وبن عثمان.

فقال صالح بن علي: قد علمتم أنكم الذين تمد الناس اليهم أعينهم، وقد جمعكم الله في هذا الموضع، فاعقدوا بيعة لرجل منكم تعطونه اياها من أنفسكم، وتواثقوا على ذلك حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين.

فحمد الله عبد الله بن الحسن وأثنى عليه ثم قال: قد علمتم أن أبني هذا هو المهدي فهلم لنبايعه. وقال أبو جعفر: لأي شيء تخدعون أنفسكم، والله لقد علمتم ما الناس إلى أحد أصور أعناقاً ولا أسرع إجابة منهم الى هذا الفتى، يريد به محمد بن عبد الله، قالوا: قد والله صدقت، إن هذا الذي نعلم، فبايعوا محمداً جميعاً ومسحوا على يده.

قال عيسى: وجاء رسول عبد الله بن الحسن الى أبي أن ائتنا فانا مجتمعون لأمر،

وأرسل بذلك الى جعفر بن محمد عليه السلام. وقال غير عيسى: إن عبد الله بن الحسن قال لمن حضر: لاتريدوا جعفراً فانا نخاف أن يفسد عليكم أمركم. قال عيسى بن عبد الله بن محمد: فأرسلني أبي أنظر ما اجتمعوا له. فجئتهم ومحمد بن عبد الله يصلي على طنفسة رحل مثنية، فقلت لهم: أرسلني أبي اليكم اسألكم لأي شيء اجتمعتم؟ فقال عبد الله: اجتمعنا لنبايع المهدي محمد بن عبد الله، قال: وجاء جعفر بن محمد عليه السلام فأوسع له عبد الله بن الحسن الى جنبه فتكلم بمثل كلامه. فقال جعفر عليه السلام: لا تفعلوا فإن هذا الامر لم يأت بعد، إن كنت ترى -يعني عبد الله- أن ابنك هذا هو المهدي فليس به، ولا هذا أوانه، وان كنت انما تريد أن تخرجه غضباً لله وليأمر المعروف وينهى عن المنكر فإنا والله لاندعك وانت شيخنا ونبايع ابنك في هذا الامر.

فغضب عبد الله بن الحسن وقال: لقد علمتُ خلاف ما تقول، والله ما اطَّلَعك على غيبه، ولكن يحملك على هذا الحسد لإبني.

فقال: والله ما ذاك يحملني، ولكن هذا واخوته وأبناؤهم دونكم، وضرب بيده على ظهر أبي العباس، ثم ضرب يده على كتف عبد الله بن الحسن وقال: إنها والله ما هي اليك ولا الى إبنيك، ولكنها لهم، وإن إبنيك لمقتولان. ثم نهض فتوكأ على يد عبد العزيز بن عمران الزهري فقال: أرأيت صاحب الرداء الاصفر يعني أبا جعفر؟ فقال له: نعم. قال: إنه والله يقتله. قال له عبد العزيز: أيقتل محمداً؟ قال: نعم، فقلت في نفسي: حسده ورب الكعبه، ثم قال: والله ما خرجت من الدنيا حتى رأيته قتلهما.

قال: فلما قال جعفر عليه السلام ذلك ونهض القوم وافترقوا تبعه عبدالصمد وأبو جعفر فقالا: يا ابا عبد الله أتقول هذا؟ قال نعم أقوله والله وأعلمه[1].

ونجد نموذجاً آخر في الحوار الذي جرى في معركة الزاب بين مروان الحمار وخاصته حول من يقاتل من العباسيين.

قال مروان لمن قرب منه: أما ترون رماحهم كانها النخل غلظا، أما ترون اعلامهم فوق هذه الابل كانها قطع الغمام السود. فبينما هو ينظر اليها بتعجب اذ طارت قطعة عظيمة من الغربان السود فنزلت على أول عسكر عبد الله بن علي واتصل سوادها بسواد

(١) بحار الانوار، ج٤٦، ص ١٨٧ - ١٨٩، الحديث ٥٣.

تلك الرايات والبنود، ومروان ينظر فازداد تعجبه، وقال: أما ترون الى السواد قد اتصل بالسواد حتى صار الكل كالسحب السود المتكاثفة. ثم أقبل على رجل الى جنبه فقال: ألا تُعرّفني من صاحب جيشهم؟ فقال: عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، قال: ويحك، أمن ولد العباس هو. قال: نعم. قال: والله لوددت أن علي بن أبي طالب عليه السلام مكانه في هذا الصف. قال: يا امير المؤمنين أتقول هذا لعلي مع شجاعته التي ملأ الدنيا ذكرها. قال: ويحك إن علياً مع شجاعته صاحب دين، وإن الدين غير الملك، وانا نروي عن قديمنا انه لاشيء لعلي ولا لولده في هذا الامر. ثم قال: مَنْ هو من ولد العباس، فاني لا أثبت شخصه؟ قال: هو الرجل الذي كان يخاصم بين يديك عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر. فقال: أذكرني صورته وحليته. قال: هو الرجل الاقنى، الحديد العضل، المعروق الوجه، الخفيف اللحية، الفصيح اللسان، الذي قلت - لما سمعت كلامه يومئذ-: يرزق الله البيان من يشاء. فقال: وإنه لهو. قال: نعم. فقال: إنا لله وانا اليه راجعون، أتعلم لم صيرت الامر بعدي لولدي عبد الله وإبني محمد أكبر سناً منه؟ قال: لا. قال: إن آباءَنا أخبرونا ان الامر سائر بعدي الى رجل اسمه عبد الله فوليته دونه. ثم بعث مروان بعد أن حدث صاحبه بهذا الحديث الى عبد الله بن علي سراً، فقال: يا ابن عم ان هذا الامر صائر اليك فاتق الله واحفظني في حرمي، فبعث اليه عبد الله إنّ الحق لنا في دمك، وان الحق علينا في حرمك. قلت: ان مروان ظن ان الخلافة تكون لعبد الله بن علي لأن اسمه عبد الله، ولم يعلم أنها تكون لآخر اسمه عبد الله وهو أبو العباس السفاح[1].

وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حول تسلط معاوية بن أبي سفيان على الأمة واخذ كرسي الحكم.

قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «لن تذهب الايام والليالي حتى يلي امر هذه الامة رجل واسع البلعوم رحب الصدر يأكل ولايشبع وهو معاوية»[2].

وقول الامام علي عليه السلام لمروان بن الحكم بعد معركة الجمل في البصرة حول عبد

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ج٧، ص١٣٥.
(٢) ثورة الامام الحسين، للمؤلف، ص٦٨.

الملك بن مروان والحجاج بن يوسف الثقفي انهم سيلون الامر.

في كلام له عليه السلام قاله لمروان بن الحكم في البصرة بعد معركة الجمل:

«قالوا أخذ مروان بن الحكم اسيراً يوم الجمل فاستشفع الحسن والحسين عليهما السلام الى امير المؤمنين عليه السلام فكلّماه فيه فخلّى سبيله، فقالا له: يبايعك يا امير المؤمنين عليه السلام قال: أو لم يبايعني بعد قتل عثمان، لا حاجة لي في بيعته، إنها كف يهوديه لو بايعني بيده لغدر بسبته. أما إن له إمرة كلعقة الكلب أنفه وهو ابو الأكبش الأربعة وستلقى الامة منه ومن ولده يوماً احمر»[1].

وينقل لنا التاريخ واقعة جرت في منطقة الحرة لشامي قد رأى في النوم بانه يقتل رجلاً من اهل المدينة يدخل بسببه النار وهو من باب التنبؤ في المستقبل.

«قال محمد بن عمارة: قدمت الشام في تجارة فقال لي رجل: من اين انت؟ فقلت: من المدينة، فقال: خبيثة. فقلت: يسميها رسول الله صلى الله عليه وآله طيبة وتسميها خبيثة؟ فقال: ان لي ولها لشأناً، لمـّا خرج الناس الى واقعة الحرة رأيت في المنام اني قتلت رجلاً اسمه محمد أدخل بقتله النار، فاجتهدت في اني لا اسير معهم فلن يُقدّر لي، فسرت معهم ولم اقاتل حتى انفضت الوقعة فمررت برجل في القتلى به رمق. فقال: تنح يا كلب. فانفت من كلامه وقتلته، ثم ذكرت رؤياي فجئت رجلاً من اهل المدينة يتصفح القتلى، فلما رأى الرجل الذي قتلته قال: إنا لله، لايدخل قاتل هذا الجنة. قلت: ومن هذا؟ قال: هو محمد بن عمرو بن حزم، ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله فسماه محمداً وكناه ابا عبد الملك، فاتيت اهله فعرضت عليهم ان يقتلوني فلم يفعلوا، وعرضت عليهم الدية فلم ياخذوا»[2].

وافضل عملية لربط الرؤية الربانية ومجريات الواقع هي التي جرت على الامام الحسين عليه السلام الذي كان يبشر أنه يُقتل، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ذلك وأباه امير المؤمنين عليه السلام، وكيف التقت مجريات الاحداث مع الارادة الالهية، وبذلك نفهم الرؤية الربانية لدى الامام زين العابدين عليه السلام كحلقة من سلسلة الائمة الاطهار.

---

(١) نهج البلاغة، ج٣، ص٥٣، الخطبة ٧٣.
(٢) الكامل في التاريخ، لابن الاثير، ج ٤، ص١٢١.

ثانياً: التحرك بالممكن

الناظر للوضع السياسي في حياة الامام زين العابدين عليه السلام خاصة السنين التي أعقبت استشهاد أبيه يرى بوضوح تخلخل الحكم وطبيعة الصراع بين محاور القوى والتي تحركت كلها بشكل جاد، فحركة الحرة في المدينة المنورة، وابن الزبير في مكة، والشيعة في العراق والتي لم تقع في فترة واحد، فحركة اهل المدينة بعد واقعة كربلاء وتنافسها حركة ابن الزبير في مكة في زمنٍ واحد، وحركة الشيعة في العراق بعد احداث المدينة نافست حركة ابن الزبير وبعد ذلك اصطدمت بها في معركة بين مصعب بن الزبير والمختار بن أبي عبيدة الثقفي.

ويمكن إن يخطر على بال المتتبع للاحداث تلك انه كان على الامام أن يقوم بدور ولو بطريقة ابيه الامام الحسين عليه السلام والخروج بالموجود والممكن؟ ولكن التحليل الواقعي يؤكد ان مثل هذا التحرك ليس فيه من فائدة تكون، حيث إن كل اصحاب الطموح السياسي تحركوا بعيداً عن بواعث هذا التحرك مشروعاً كان او غير مشروع لرد الظلامة، كحركة اهل المدينة بقيادة عبد الله بن حنظلة، او لطموح شخصي كحركة ابن الزبير والمهم أن الذي كان بمقدوره أن يتحرك قام بالامر، والامام لايضيف في حركته اي جديد لهذا التحرك.. إن تحركه كان يصطدم أولاً بالتحرك القائم، فمثلاً لو قام بالمدينة أو في الحجاز او في العراق، وحيث كل واحدة من هذه المناطق لها روادها ومحركوها، وليس من السهل أن يسلموا قيادتهم الى الامام زين العابدين عليه السلام كما سنبين ذلك، وإن من غير المعلوم كان بامكان الامام أن يؤدي اكثر مما أداه الآخرون من اعداد وتعبئة للأفراد والامكانيات والتحالفات السياسية حيث إن استجابة الناس غير واضحة.

كما أن الساحة لم تكن بحاجة الى عملية استشهادية تهز الضمير الاسلامي امام الطغيان الاموي حيث إن ثورة الامام الحسين عليه السلام هزت الوجدان من الاعماق وزلزلت كرسي حكمهم، بل إن استثمار ثورة الامام ومعطياتها كانت هي المهمة التي يجب أن تُمارس والسلوك الذي يتبع حيث تبقى دماء بني هاشم طرية تفور في وجدان الانسان المسلم وينتصر لها بكلمة او ضربة سيف (كما سنتحدث عن ذلك في دور الامام زين العابدين في مواصلة درب أبيه الامام الحسين عليه السلام).

ثالثاً: الدور المسؤول

إن التحرك العسكري هو خيار يمكن أن ينجح ويمكن أن يفشل، وعندما ينجح ليس له ضمان الاستمرار والبقاء كما هو المعروف في تلك الفترة حيث التقلبات وتغير مسار التحالفات وتنقلها من طرف الى آخر كما حدث لابراهيم بن مالك الاشتر الذي فك تحالفه نتيجة آراء سلبية اعتقدها بحق المختار الثقفي وانسحب من تأييد المختار ولم ينصره في معركته مع مصعب بن الزبير التي انتهت بانتصار مصعب بن الزبير على المختار.

وعليه فان النجاح الدائم هو خيار ليس مضموناً، بل إن المرجح هو خيار الفشل. والامام عليه السلام في تلك الفترة لو دخل العمل العسكري كان يجازف في حياته ومن تبقى من بني هاشم وربما يكون حجة لتصفية البقية منهم، والتصفية الجسدية للامام عليه السلام وهو بعد لم يعد العدة لمن يكون من بعده من اولاده ليواصل مشوار الإمامة والزعامة الدينية.

لذلك كان من الطبيعي على الامام أن يبقى بعيداً عن المعارك العسكرية لئلا تكون اي حركة ذريعة لضربه والقضاء عليه.

والامام ليس مشروعاً شخصياً حتى يتحرك، فإن نجح نال طموحه وإن فشل فهي نهاية الرجال الاشراف، وانما هو حلقة ودور في مشروع الهي وحضاري للامة ومن غير المعقول أن يجازف به الامام عليه السلام.

وطبيعة المشاريع الحضارية الاستراتيجية أنها لاتتأثر بالاحداث التكتيكية السريعة التي لاتعرف عواقبها، بل تبقى في مسارها الطبيعي تؤدي دورها عبر الاجيال وتمد حبلها لتمسك به الجماهير جيلاً بعد جيل وهذا هو الذي حدث، حيث بقي الامام مناراً دينياً حضارياً يُشار اليه بالبنان وتُقرأ ادعيته وتدرس احاديثه.

رابعاً: المعارضة السياسية

الناظر للاحداث العسكرية والسياسية في زمن الامام زين العابدين عليه السلام يشخص وبسهولة وجود معارضة واضحة للحكم الاموي، ولكن هذه المعارضة اخذت

طريقين اتسم احدهما بطابع العمل العسكري والاخر بالمعارضة السياسية.

فاصحاب الطموح العسكري مارسوا دورهم ولم تكن لهم مدرسة واضحة المعالم يمكن أن تستمر من بعدهم وانما كانت حدث وقته.

لذلك نجد أن ثورة المدينة قد انتهى امتدادها بوقتها، وحركة ابن الزبير انتهت بوقتها عند القضاء على عبد الله في مكة ومصعب في العراق.

وهناك عبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية وسعيد بن المسيب ولم يكونوا مع السلطة، ومواقفهم معروفة غير منسجمة مع الحكم وليست مطيعة له.

والامام زين العابدين كان قد سلك سبيل عدم التوافق مع السلطة وعدم الخروج عليها بالقوة، وهذا اللون من الفكر والسلوك في قمة الذكاء والفطنة والقدرة في استمرار تأدية الدور وهو في المعارضة.

حيث لاتترتب عليه الحالة التنفيذية وافرازاتها التي تثار بصورة طبيعية ومستمرة، بل كلها تصب على رأس الحاكم.

وبالوقت نفسه يسجل لنفسه حالة ايجابية ويكون بعيداً عن السلبيات والاستفادة في تأدية الدور الذي يخدم المشروع الحضاري.

وقد نجح الامام نجاحاً منقطع النظير في هذه المنهجية وسجل انتصارات نعيش عطاءَها حتى هذا اليوم.

كما ان الذين قاموا بالعمل العسكري على الرغم من أنهم تركوا بصماتهم على مسيرة التأريخ الا انهم لم يكونوا حملة مشاريع تغييرية حتى تسمح للامام أن يكون مؤيداً لها، فمن انتصر منها لم يكن احسن من قبله كابن الزبير (كما سنبين ذلك) والذي لم ينتصر ما عُرِف عنه أنه صاحب مدرسة تغييرية.

فالامام ماذا يجني من عمله العسكري إن قام به وحالفه الحظ في النجاح، والمسيرة امامه للرجال الطامحين، وماذا يمكن أن يكون موقف الناس بعد الذي رأوه من الاحداث في المدينة ومكة كأقدس المدن الاسلامية وما لقيته من هتك لها واعتداء على شرف المحصنات منها وتهديم الكعبة؟

والناظر للاحداث في ذلك اليوم لايسعه إلاّ أن يقول إن اي تحرك لايرمي غير السعي للحصول على السلطة السياسية فقط من دون أن يقرنها بأي عملية فكرية حضارية دينية تكون مسوغاً لاقناع الناس أنها حركة دينية ويثبت المقاتلون حتى الشهادة كما هي حالة اصحاب الامام الحسين عليه السلام الذين استشهدوا ولم يفروا.

وإن افضل تعبير هو ما قاله عبد الله بن الزبير عند فرار اصحابه: «أكلتم تمري وعصيتم امري»[1] والامام - صاحب الامامة والمشروع الحضاري - ما كان له أن يدخل نفسه في متاهات سياسية منسلخة من الدين مثلما يصفها الناس.

بل عليه أن يكون المثل الديني الحضاري الرسالي الذي همه مواصلة نشر اشعاعات الرسالة في وسط الناس وتعليمهم الدين وارشاد هم للهدى. وهذا ما سار عليه الامام زين العابدين عليه السلام.

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٦٦.

انتفاضة المدينة

طبيعة انتفاضة الحرّة أنها كانت حركة شعبية أكثر مما هي منظمة وقد اشترك فيها عامة اهل المدينة، وان قادتها لم يكن لهم مخطط سابق للتحرك والثورة، وانما ولدت عندهم الفكرة نتيجة عوامل متعددة اختمرت وتلاقحت الافكار فقرروا رفض بيعة يزيد، وحركتهم كانت بداخل المدينة المنورة، ولذلك فهم لم يرسلوا رسلاً الى خارج المدينة كولاة عنهم.

واختار اهل المدينة (عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة) المعروف بابن الغسيل ليكون قائداً لهم، وهو رجل لم يعرف عنه أنه صاحب طموح وتوجه سياسي وثورة عسكرية وانما ذاع اسمه في ثورة المدينة والذي عرف عنه التعبد والتهجد.

هذه هي الملامح العامة لحركة اهل المدينة، وهناك عوامل تفاعلت وسرَّعت في الحركة هي:

أولاً: تراكم الاجراءات في خلق وضع بعيد عن الدين في مكة المكرمة والمدينة المنورة، بحيث أصبحت مجموعة ظواهر الانحراف وظواهر الفسق والفجور وحفلات المجون والرقص الجماعي وتطيير الطيور.. و..بادية وبصورة علنية في المجتمع.

كل هذه المفردات تجمعت في الوسط الديني بحيث تراكمت في شعور الناس، خاصة وان عودة الجاهلية قد ظهرت علائمها، وعندما تجمعت صغائر هذه الاحداث تحولت الى ارقام كبيرة في ذهنية الكادر الديني الذي يشعر بالمسؤولية وعليه الاهتمام ووعي حالة الامة الاسلامية، لذلك فان الحديث عن هذه الظاهرة كان يتناقله الناس واصبح مادة الكلام في المجالس.

ومما ينقل عن هذا الوضع هو: «وغلب على اصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسق، وفي ايامه ظهر الغناء بمكة والمدينة واستعملت الملاهي واظهر الناس شرب الخمر.

ولما شمل الناس جور يزيد وعماله وعمهم الظلم وما ظهر من فسقه من قتله ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وانصاره وما اظهر من شرب الخمور وسيرة فرعون بل كان فرعون أعدل في رعيته وأنصف منه لخاصته وعامته»[1].

ثانياً: استشهاد الامام الحسين عليه السلام بتلك الطريقة المروعة هو واهل بيته واخوانه وابناء عمومته، ومجموعة من قراء القرآن الصالحين، امثال: حبيب بن مظاهر الاسدي، وزهير بن القين، وبرير، والذين كانوا معروفين في الوسط الديني بأنهم علائم الدين ومعالم الورع في الوسط المتدين.

والامام الحسين عليه السلام الذي لم يكن بعيد عهد عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وانه ريحانة رسول الله وابن بنته، والاحاديث المتواترة في مدحه والثناء عليه، اذا بالحسين هذا يمضي شهيداً على يد يزيد، ويضاف ال القتل سبي اهل بيته من النساء والاطفال والتعامل معهم كأنهم اسراء من الديلم والروم.

واذا عرفنا أن مفردات الاحداث التي شاهدها الامام زين العابدين عليه السلام والسيدة الحوراء زينب بنت امير المؤمنين وباقي آل الرسالة قد نقلوها حية الى الوسط المدني، وخاصةً المفردات الوقحة التي مارسها الجيش الاموي على آل الرسالة، من علو الخيل صدر الامام الحسين عليه السلام او حرمانه من الماء هو واهل بيته، والكل يعرف أن هذه ممارسة قد منعها رسول الله صلى الله عليه وآله في حروبه مع الكفار واليهود، ولم يقبل أن يمارسها الامام امير المؤمنين عليه السلام في حرب صفين، واذا بهذا الجيش وقيادته الخبيثة يمارسها بكل وقاحة.

وما نقلته النساء من عدم الاحترام لهن وضربهن ومحاولات ذاك الشامي أن يأخذ فاطمة بنت الامام الحسين عليه السلام جارية له من دون أن يعرفها من هي، إن هذه المفردات نقلت الى اهل المدينة بواسطة اصحاب المصاب. وإذا لم تكن بواسطتهم فإن الذين شاهدوا

(١) مروج الذهب، ج٣، ص٦٨-٦٩.

الاحداث قد نقلوها للناس، وكانت المدينة تنتظر سماع نبأ خروج الامام الحسين عليه السلام الى العراق وترقب الاوضاع واذا جاء الخبر باستشهاد الامام الحسين واهل بيته عليهم السلام.

فنصبت الفواتح عليه من قبل ابن عمه عبد الله بن جعفر زوج السيدة الحوراء زينب واهل بيته، وكذلك النساء دخلن على السيدة الحوراء زينب عليها السلام يقدمن لها التعازي، فهذه التجمعات كانت بلا ريب أرضية خصبة لنقل الحديث والتكلم بما جرى من احداث على الامام الحسين عليه السلام، ولو اضفنا أن المنافسين السياسيين لآل امية وهم آل الزبير قد استغلوا هذا الحدث واضافوا فوقه ما عندهم من مطالب على آل امية واعلنوها للامة.

حتى أن عبد الله بن الزبير استغل هذا الحدث وخطب في مكة ضد يزيد والسلطة السياسية وانهم قتلوا الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله:

«فإنه لما بلغه قتل الحسين قام في الناس فعظم قتله وعاب اهل الكوفة خاصة واهل العراق عامة. فقال: الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله، إن اهل العراق غدّر فجّر الا قليلاً وإن أهل الكوفة شرار أهل العراق وإنهم دعوا الحسين لينصروه ويولوه عليهم فلما قدم عليهم ثاروا عليه. فقالوا: إما أن تضع يدك في ايدينا فنبعث بك الى ابن زياد بن سمية فيمضي فيك حكمه واما أن تحارب. فرآى والله انه هو واصحابه قليل في كثير فان كان الله لم يُطلع على الغيب احدا انه مقتول، ولكنه اختار الميتة الكريمة على الحياة الذميمة، فرحم الله الحسين واخزى قاتله، لعمري لقد كان من خلافهم اياه وعصيانهم ما كان في مثله واعظ وناه عنهم، ولكنه ما قرر نازل، واذا اراد الله امراً لم يُدفع، أفبعد الحسين نطمئن الى هؤلاء القوم ونصدق قولهم ونقبل لهم عهداً؟ لا والله لانراهم لذلك اهلاً، اما والله لقد قتلوه، وقد كان طويلاً بالليل قيامه، كثيراً في النهار صيامه، احق بما هم فيه منهم، واولى به في الدين والفضل، اما والله ما كان يبدل القرآن غيّا، ولابالبكاء من خشية الله حدا، ولابالصيام شرب الخمر، ولا بالمجالس في حلق الذكر بكلاب الصيد، يعني بيزيد ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾»[1].

ثالثاً: سلوك السلطة الاموية. كانت اعمال يزيد بن معاوية وسلوكه الخاص ينقل

(١) الكامل في التاريخ، ج٤، ص٩٨-٩٩.

الى الوسط العام بواسطة حاشية يزيد او الذين يقصدونه من البلدان فيستمعون الى المحيطين به من السلوك الخاص له عبر بيت شعر او حادثة وقعت، فكان يزيد قد عرف بسلوكه الشاذ والمنحرف من مختلف الجوانب، شرب الخمر، لعب القمار، التسلي بالقرود، انتهاك الحرمات والغناء.

وقصص كل ذلك يسمعها الناس عبر أمواج الحواشي والجواري، هذا فضلاً عن تهكمه بالمقدسات وتغنيه بأمجاد الجاهلية وتطاوله على الاسلام والشريعة المقدسة.

وقد نقلت عنه مجموعة كثيرة من هذه الممارسات ننقل شذرات منها كأمثلة:

كان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب، وجلس ذات يوم على شرابه وعن يمينه ابن زياد، وذلك بعد قتل الحسين فأقبل على ساقيه فقال:

إسقني شربة تروي مشاشي ... ثم مل فاسق مثلها ابن زياد
صاحب السر والامانة عندي ... ولتسديد مغنمي وجهادي

ثم امر المغنين فغنوا به.

وغلب على اصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسوق، وفي ايامه ظهر الغناء بمكة والمدينة، واستعملت الملاهي، واظهر الناس شرب الشراب، وكان له قرد يكنّى بأبي قيس يحضره مجلس منادمته ويطرح له متكأ، وكان قرداً خبيثاً وكان يحمله على أتان وحشية قد ريضت وذُلّلت لذلك بسرج ولجام، ويسابق بها الخيل يوم الحلبة، فجاء في بعض الايام سابقاً فتناول القصبة ودخل الحجرة قبل الخيل، وعلى أبي قيس قباء من الحرير الاحمر والاصفر مشمر، وعلى رأسه قلنسوة من الحرير ذات الوان بشقائق، وعلى الأتان سرج من الحرير الاحمر منقوش ملمع بأنواع من الالوان[1].

وقد تراكم عند الناس سلوك معاوية بن أبي سفيان من اغتصاب الخلافة الى قتل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امثال: عمرو بن حمق الخزاعي، وعمار بن ياسر، وحجر بن عدي.

---

(١) مروج الذهب، ج٣، ص٦٧ –٦٨.

وقد تناقلت الامة هذه الاحداث واختمرت في نفوسهم واضيفت اليها أعمال ابنه يزيد، فعندما ينظرون الى يزيد كان يحمل كل اوزاره واوزار ابيه معاوية وآل امية قاطبة ويرون فيه انه من سلالة خبيثة تضمر الشر لهذه الامة.

وعندما يقف الانسان امام تاريخ هذه العائلة ترتسم امامه مجموعة علامات استفهام تملأ عينيه بكل ما في الكلمة من معنى:

١ - إن تاريخها كله تآمر على الاسلام ورموزه من أبي سفيان الى هند آكلة الاكباد الى الوزغ ابن الوزغ مروان بن الحكم.

وحاكمٌ كل تاريخه وتاريخ آبائه من هذا النسيج المتآمر ما ذا يمكن أن يكون؟ فهل يخفى على احد أن هنداً أمَّ معاوية لاكت كبد حمزة بن عبد المطلب؟

ان الامة بحاجة لأن تعرف قول أبي سفيان بأحد: (أعلُ هبل، أعلُ هبل) والذي كان بالامس القريب هذا سلوكه فليس بعيداً انه يسير على نفس السلوك. وعندما يقول يزيد بن معاوية عن الامام زين العابدين عليه السلام «إنه من اهل بيت قد زقوا العلم زقا»[١].

فإذا كان تشخيص يزيد للامام عليه السلام أنه من تلك السلالة وهو ابن اهل بيت علم، فليس صعباً تشخيصه هو انه من اهل بيت الرذيلة والتآمر والانحراف فليس يزيد اقدر في التشخيص من غيره فقد شخصوا هم بان وضعهم بصورة عامة مريب.

ولعل افضل ما رأيت من ذكر مفردات لشخيص وضع العائلة الاموية المروانية هو في الحوار الذي جرى بين الامام الحسن المجتبى عليه السلام وافراد هذه العائلة بحضور معاوية بن أبي سفيان.

تقول الرواية: وروى يزيد بن أبي حبيب والحارث بن يزيد وابن هبيرة قالوا: اجتمع عند معاوية، عمرو بن العاص، وعتبة بن أبي سفيان، والوليد بن عقبة والمغيرة بن شعبة، فقالوا لمعاوية: أرسل لنا إلى الحسن لنسبَّ أباه ونصغره بذلك، فقال: إني أخاف أن لا تنتصروا منه، واعلموا أني أرسلت إليه أمرته أن يتكلم كما تتكلمون. فقالوا: افعل فوالله لنخزينه اليوم.

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٣٨.

فأرسل إليه يدعوه والحسن لا يدرى لما دعاه، فلما قد تكلم معاوية فقال: إني لم أدعك ولكن هؤلاء أزعجوني حتى أرسلت إليك وهم دعوك ليخبروك أن عثمان قتل مظلوما وأن أباك قتله فاسمع منهم ثم أجبهم ولا تمنعك هيبتي أن تجيبهم بلسانك كله.

فقال الحسن عليه السلام: ألا أعلمتني حتى أجيء بعدتهم من بني عبد المطلب، وما بي أن أكون متوحشا إلى أحد، فإن الله معي اليوم وفيما قبل اليوم وفيما بعده فليتكلموا أسمع منهم.

فتكلم عمرو بن العاص فقال: إنكم بني عبد المطلب لم يكن الله ليعطيكم الملك بقتلكم الخلفاء واستحلالكم ما حرم الله من الدماء، ثم أنت يا حسن تحدث نفسك بأنك كائن أمير المؤمنين وليس عندك عقل ذلك، ولا رأيه، وكيف وقد سلبته، وتركت أحمق في قريش، وذلك لسوء عمل أبيك، وإنما دعوناك لنسبك وأباك. ثم إنك لا تستطيع أن تعيب علينا، ولا أن تكذبنا به، فإن كنت ترى أنا كذبناك في شيء، وتقولنا عليك بالباطل، وادعينا عليك خلاف الحق فتكلم، وإلا فاعلم أنك وأباك من شر خلق الله، فأما أبوك فقد كفانا الله قتله وتفرد به، وأما أنت فإنك في أيدينا نتخير فيك، والله أن لو قتلناك ما كان في قتلك إثم عند الله، ولا عيب عند الناس.

ثم تكلم عتبة بن أبي سفيان، فكان أول ما ابتدأ به أن قال: يا حسن إن أباك كان شر قريش لقريش، أقطعه لأرحامها، وأسفكه لدمائها، وإنك لمن قتلة عثمان، وإن في الحق أن نقتلك به، وإن عليك القود في كتاب الله عز وجل، وإنا قاتلوك به، وأما أبوك فقد تفرد الله بقتله فكفانا أمره، وأما رجاؤك الخلافة فلست فيها، لا في قدحة زندك، ولا في رجحة ميزانك.

ثم تكلم الوليد بن عقبة بن أبي معيط بنحو من كلام أصحابه فقال: يا معشر بني هاشم كنتم أول من دب بعيب عثمان وجمع الناس عليه، حتى قتلتموه حرصا على الملك، وقطيعة للرحم، واستهلاك الأمة، وسفك دمائها، حرصا على الملك، وطلبا للدنيا الخبيثة، وحبا لها، وكان عثمان خالكم، فنعم الخال كان لكم، وكان صهركم، فكان نعم الصهر لكم، قد كنتم أول من حسده وطعن عليه، ثم وليتم قتله، فكيف رأيتم صنع الله بكم.

ثم تكلم المغيرة بن شعبة، فكان كلامه وقوله كله وقوعا في علي عليه السلام ثم قال: يا حسن إن عثمان قُتل مظلوما فلم يكن لأبيك في ذلك عذر بريء، ولا اعتذار مذنب، غير أنا يا حسن قد ظننا لأبيك في ضمه قتلة عثمان، وإيوائه لهم، وذبه عنهم، أنه بقتله راض، وكان والله طويل السيف واللسان، يقتل الحي ويعيب الميت، وبنو أمية خير لبني هاشم من بني هاشم لبني أمية، ومعاوية خير لك يا حسن منك لمعاوية، وقد كان أبوك ناصب رسول الله صلى الله عليه وآله في حياته وأجلب عليه قبل موته، وأراد قتله، فعلم ذلك من أمره رسول الله صلى الله عليه وآله ثم كره أن يبايع أبا بكر حتى أتي به قودا، ثم دس عليه فسقاه سما فقتله، ثم نازع عمر حتى هم أن يضرب رقبته، فعمد في قتله، ثم طعن على عثمان حتى قتله، كل هؤلاء قد شرك في دمهم، فأي منزلة له من الله يا حسن، وقد جعل الله السلطان لولي المقتول في كتابه المنزل، فمعاوية ولي المقتول بغير حق، فكان من الحق لو قتلناك وأخاك، والله ما دم علي بأخطر من دم عثمان، وما كان الله ليجمع فيكم يا بني عبد المطلب الملك والنبوة، ثم سكت.

فتكلم أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام فقال: الحمد لله الذي هدى أولكم بأولنا، وآخركم بآخرنا، وصلى الله على جدي محمد النبي وآله وسلم.اسمعوا مني مقالتي وأعيروني فهمكم، وبك أبدأ يا معاوية. فوالله ما هؤلاء سبوني، ولكنك يا معاوية سببتني فحشاً، وخلقاً سيئاً، وبغياً علينا، وعداوة لمحمد صلى الله عليه وآله ولأهل بيته عليهم السلام قديما وحديثا، وأيم الله لو أني وإياهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وحولنا أهل المدينة ما استطاعوا أن يتكلموا بها تكلموا به؛ ولكن بك يا معاوية أبدأ، فاسمع مني وليسمع الملأ، فاسمعوا أيها الملأ ولا تكتموا حقا علمتوه ولا تصدقوا باطلا إن نطقت به.

أنشدكم الله هل تعلمون أن الرجل الذي تشتمونه صلى القبلتين كلتيهما، وأنت يا معاوية كافر بهما تراهما ضلالا؛ وتعبد اللات والعزى؟ وبايع البيعتين كلتيهما بيعة الفتح وبيعة الرضوان، وأنت يا معاوية بالأولى كافر؛ وبالثانية ناكث؟ ثم أنشدكم الله هل تعلمون، أن نبي الله صلى الله عليه وآله لعنكم يوم بدر ومع علي راية النبي والمؤمنين، ولعنكم يوم الأحزاب ومع علي راية النبي والمؤمنين، ومعك يا معاوية راية المشركين من بني أمية؟ فعلي بذلك يفلج الله حجته ويحق الله دعوته؛ وينصر دينه ويصدق حديثه، وعلي بذلك رسول الله راض عنه والمسلمون عنه راضون.

ثم أنشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله حاصر أهل خيبر فبعث عمر بن الخطاب براية المهاجرين؛ وبعث سعد بن معاذ براية الأنصار؛ فأما سعد فجيء به جريحا؛ وأما عمر فجاء يجبن أصحابه حتى قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لأعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله؛ ويحب الله ورسوله ثم لا ينثني حتى يفتح الله له إن شاء الله. فتعرض لها أبو بكر وعمر ومن ثم من المهاجرين والأنصار وعلي يومئذ أرمد شديد الرمد، فدعاه رسول الله فتفل في عينيه وأعطاه الراية وقال: اللهم قه الحر والبرد. فلم ينثن حتى فتح الله له واستنزلهم على حكم الله وحكم رسوله، وأنت يومئذ يا معاوية مشرك بمكة عدو لله ولرسوله؟

ثم أنشدكم الله هل تعلمون أن عليا ممن حرم الشهوات من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله فأنزل الله فيه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ وأما أنت يا معاوية فلا أذكر لك إلا حقا قد علمته وعلمه أصحابك الذين حولك، أنك كنت ذات يوم تسوق بأبيك ويقود به أخوك هذا القاعد وهو على جمل أحمر بعد ما عمى أبو سفيان فلعن رسول الله صلى الله عليه وآله الجمل وراكبه وقائده وسائقه وكان أبوك الراكب، وأخوك القائد وأنت السائق.

ثم أنشدكم الله هل تعلمون أن معاوية كان يكتب بين يدي رسول الله فأرسل إليه ذات يوم ليكتب إلى بني خليد فقالوا إنه يأكل فقال لا أشبع الله بطنه. وأنشدك الله يا معاوية هل تعرف تلك الدعوة في أكلك وبهمتك ورغبتك؟

ثم أنشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله لعن أبا سفيان في سبعة مواطن: أولهن: يوم خرج إلى المدينة فلعنه. والثانية: يوم العير حين طردها ليحرزها من رسول الله. والثالثة: يوم أحد إذ قال: (أعل هبل أعل هبل) فقال رسول الله: (الله أعلى وأجل). فقال: إن لنا عزى ولا عزى لكم. فقال رسول الله: (الله مولانا ولا مولى لكم) فلعنه الله يومئذ ورسوله والمؤمنون. والرابعة: يوم الأحزاب حين جاء أبو سفيان بجميع قريش فانزل الله آيتين في سورة الأحزاب كل آية منها يسمي أبا سفيان وأصحابه الذين كفروا. والخامسة: يوم الهدي معكوفا أن يبلغ محله إذ رددتم رسول الله صلى الله عليه وآله أنت ومشركو قريش عن المسجد الحرام فرجع لم يقض نسكه ولم يطف بالبيت. والسادسة: يوم جاء أبو

سفيان بجميع قريش؛ وعيينة بن حصن بجميع غطفان؛ فلعن رسول الله ﷺ القادة والاتباع. والسابعة: يوم حملوا على رسول الله ﷺ وهموا به في الثنية وهم اثنا عشر رجلا سبعة من بني أمية، وخمسة من سائر الناس.

وقد كان من حقك يا معاوية أن تستحي من كتابك إلى أبيك حين أراد أن يسلم وأنت كافر فكتبت إليه:

يا صخر لا تسلمن طوعا فتفضحنا	بعد الذين ببدر أصبحوا مزقا
جدي وعمي وخال الأم يالهم	قوما وحنظلة المهدي لنا الأرقا
لا تركنن إلى أمر تقلدنا	والراقصات به في مكة الخرقا
فالموت أيسر من قول الصباة لنا	خلى معاونة العزى لنا فرقا

فهل تستطيع يا معاوية أن ترد شيئا مما قلت؟.

وأما أنت يا عمرو بن العاص فما أحسبك إلا لزنية احتج فيها خمسة من قريش كلهم يزعم أنك ابنه، فغلب عليك جزار قريش؛ ألأمهم حسبا؛ وأشرهم منصبا؛ وأعظمهم لعنة؛ ثم قمت خطيبا فقلت أنا شانئ محمد ﷺ فأنزل الله في كتابه: ﴿**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**﴾ ثم هجوت نبي الله ﷺ بسبعين بيتا، فقال: اللهم إني لا أحسن الشعر فالعنه بكل بيت لعنة؛ ثم كنت في أصحاب السفينة الذين أتو النجاشي يكذبون جعفرا عنده؛ فكذبك الله بغيظك فأنت عدو بني هاشم في الجاهلية والإسلام فلست ألومك على ذلك ولا أعاتبك عليه؛ وبعد فأنت القائل في مسيرك إلى النجاشي:

يقولن لي أين هذا المسير	وما السير مني بمستنكر
فقلت دعوني فإني امرؤ	أريد النجاشي في جعفر
لاكويه عنده كية	أقيم بها نخوة الأصعر
ولا أنثني عن بني هاشم	بما اسطعت في الغيب والمحضر

وأما أنت يا عتبة فما أنت بحصيف فأجيبك؛ ولا عاقل فأعاتبك؛ وما فيك من خير يرجى ولا من شر يتقى، وما أنت وأمك إلا سواء. فأما وعيدك لي بالقتل أفلا قتلت الذي وجدته على فراشك وشركك في عرسك؛ ولو كنت قاتلا أحدا لقتلته ثم أمسكتها عندك من بعد ما كان من بغيها ما كان؛ ووالله ما ألومك على سبك عليا؛ وقد قتل خالك

مبارزة؛ واشترك هو وحمزة في قتل جدك فقتلاه.

وأما أنت يا بن أبي معيط فوالله ما ألومك إن سببت عليا وقد جلدك في الخمر ثمانين؛ وحدك في الزنا مثلها؛ وقتل أباك صبرا بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول لرسول الله ولقريش: علام أقتل؟ فقال له رسول الله: لعداوتك لله ولرسوله. فقال: من للصبية؟ فقال: النار وقتل؛ فأنت من صبية النار. وكيف تسب عليا ومن حولك يعلمون أن عليا مؤمن وأنت كافر فاسق، وكيف تسب رجلا سماه الله مؤمنا في عشر آيات، ورضى عنه في عشر آيات، وسماك تعالى في القرآن فاسقا حتى قال فيك شاعر المسلمين وفيه طبقا لقول الله تعالى:

انــزل الـلـه فــي الـكـتـاب علينا	فــي عــلـي وفــي الـولـيـد بيانا
فـتـبـوأ الـولـيـد حــادث فسق	وعــلــي تــبــوأ الإيــمــانــا
ليس من كـان مؤمنا عمرك الله	كـمـن كــان فـاسـقـا خــوانـا
سـوف يـدعـى الوليد بعد قليل	وعــلــي إلـــى الــجــزاء عـيـانـا
فـعـلـي يــجـزى هــنــاك جـنـانـا	وولــيــد يــجـزى هـنــاك هــوانـا

ثم إنما أنت علج من أهل صفورية، وأقسم بالله لأنت أكبر من أبيك الذي تدعى له.

وأما أنت يا مغيرة؛ فإنما مثلك مثل البقة قالت للنخلة استمسكي فإني أريد أن أنزل عنك؛ فقالت والله ما شعرت بوقوعك علي فكيف أهتم بنزولك عني؛ فقل لي على أي الخصال تسب عليا؟ لبعده من رسول الله؛ أم لسوء بلائه في الإسلام؛ أم لرغبته في الدنيا؛ أم لجوره في الأحكام؛ فإن قلت بواحدة منهن فقد كذبك الله ورسوله. فأما زعمك أن عليا قتل عثمان فلست من ذلك في شيء؛ وأما قولك في الملك فإن الله تعالى يقول لنبيه عليه السلام: ﴿**وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**﴾ ويقول تعالى: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا**﴾.

ثم إنه عليه السلام نفض رداءه وقام.

فقال معاوية لأصحابه: ذوقوا وبال أمركم. فقالوا: والله ما ذقنا مثل ما ذقت. فقال: ألم أقل لكم إنكم لم تنتصروا من الرجل فلا أطعتموني إذ نهيتكم ولا انتصرتم إذ

فضحكم؛ والله ما قام حتى أظلم علي البيت وهممت أن أبطش به؛ فليس فيكم خير اليوم ولا قبل اليوم ولا بعده.

وسمع مروان بن الحكم ما لقي معاوية وأصحابه من الحسن عليه السلام فأتى معاوية فوجد عنده عمرو؛ والوليد بن عقبة؛ وعمرو بن عثمان؛ وعتبة؛ والمغيرة؛ فسألهم عما بلغه من أمر الحسن فقالوا: قد كان ذلك؛ فقال لهم مروان أفلا أحضرتموني فلو حضرت لسببته وأهل بيته سبا تتغنى به الإماء والعبيد. فقالوا له: الآن لم يفتك شيء لما يعلمون من ذرابة لسان مروان وفحش منطقه؛ فأرسل إليه معاوية؛ فأتى الحسن فجلس على السرير بين معاوية وعمرو، فقال معاوية: ما أرسلت إليك ولكن مروان أرسل إليك؛ فقال مروان: أنت يا حسن الساب رجال قريش؛ فوالله لأسبنك وأباك وأهل بيتك سبا تتغنى به الإماء والعبيد. فقال الحسن: الحمد لله، ما زادك الله يا مروان بما خوفت إلا طغيانا، كما قال الله عز وجل: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ ألست أنت وذريتك يا مروان الشجرة الملعونة في القرآن الكريم؛ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يلعنك ثلاث مرات. فكبر معاوية وخر ساجدا؛ وكان ذلك نصرة للحسن بن علي عليه السلام.

ثم قاموا وتفرقوا؛ ولبعض شعراء أهل البيت عليهم السلام فيهم من المدح:

إليكم كل منقبة تأول ... إذا ما قيل جدكم الرسول
وفيكم كل مكرمة تجلى ... إذا ما قيل أمكم البتول
فلا يبقى لمادحكم كلام ... إذا تم الكلام فما يقول[1]

ومما كسر ظهر يزيد وفجر الموقف عليه هو الوفد الذي ذهب من المدينة المنورة الى الشام لمقابلته واظهار البيعة والطاعة له.

وعلى رأي آخر إنهم ذهبوا لاستطلاع الموقف ومعرفة الواقع وقد رجع الوفد وهو نادم على وضع يزيد وكافر به، وكله نية صادقة في نقض البيعة منه واعلان الحرب عليه، وكان الوفد مكوناً من مجموعة رموز المدينة ويمثل شرائحها الاجتماعية. وهم كما في الرواية التالية:

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسن عليه السلام، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، ص ١٥٣-١٥٩، والاحتجاج، ج١، ص٤٠١-٤١٦.

«وبَعث الى يزيد وفداً من اهل المدينة، فيهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الانصاري وعبد الله بن أبي عمرو ابن حفص المغيرة المخزومي والمنذر بن الزبير ورجالاً كثيراً من أشراف اهل المدينة، فقدموا على يزيد بن معاوية فأكرمهم واحسن اليهم واعظم جوائزهم ثم انصرفوا من عنده وقدموا المدينة كلهم الا المنذر بن الزبير فانه قدم على عبيد الله ابن زياد بالبصرة وكان يزيد قد اجازه بمائة الف درهم، فلما قدم اولئك النفر (الوفد) المدينة قاموا فيهم فأظهروا شتم يزيد وعتبة وقالوا إنا قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر ويعزف بالطنابير ويُضرب عنده القيان ويلعب بالكلاب ويسامر الخراب والفتيان وانا نشهدكم انا قد خلعناه فتابعهم الناس»[1].

والذي نقله الوفد من وضع يزيد بن معاوية وما رأوه في الشام وما نقله عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة وغيره من فسق يزيد وفجوره كما سنتحدث عنه في آلية الثورة.

رابعاً: القوى المنافسة. بعد هلاك معاوية بن أبي سفيان لم تُجمع الامة على بيعة يزيد وخاصة الرموز الاساسية وهم نواة الشريحة المؤمنة المتواجدون في المدينة المنورة ومنهم:

١ - آل عبد المطلب

٢ - آل الزبير

٣- عبد الله بن عمر

وبنو هاشم من نهض منهم لحرب يزيد مع الامام الحسين عليه السلام، ومنهم من بقي في المدينة ولكنه لم يبايع يزيد امثال:

١ - عبد الله بن العباس

٢ - عبد الله بن جعفر الطيار

٣- محمد بن الحنفية

وآل الزبير وعلى رأسهم عبد الله بن الزبير فقد هرب من المدينة المنورة الى مكة المكرمة وبقي هناك ولم يبايع وانما كان يتحرك من اجل تحقيق طموحه للخلافة.

وعبد الله بن عمر فانه رفض البيعة ليزيد وكان ينتظر اجماع الامة على بيعة يزيد

---

(١) تاريخ الطبري، ج ٤، ص٣٦٨.

وهذا لم يتم حيث توالت الاحداث الجسام ضد تصرفات يزيد.

وكل هؤلاء كانوا يتحركون اجتماعياً وثقافياً ضد يزيد بكل طريقة ممكنة، وكان اجماعهم على عدم مشروعية حكم يزيد لأنه لم يأتِ بطريقة قد عرفت من قبل وانما بطريقة الوراثة.

ولكن لكل واحدة من هذه التكتلات ارقامه ومخزونه من المؤاخذات على آل امية ويزيد، فكان يبثها بهذه الطريقة وانهم قد اوغروا صدور الامة على بني أمية.

وبسلوكهم هذا انضجوا حالة الثورة على يزيد بن معاوية.

رابعاً: الحقد الاموي على المدينة المنورة.

هناك مجموعة من المواقف من اهل المدينة حيث الانصار واهل الرأي من الصحابة وابنائهم قد اتخذوها قبالة آراء اخرى حول بني امية، وتبلور الموقف في اول ردة فعل عندما خطب عمرو بن العاص في مسجد رسول الله ﷺ بعد وفاة رسول الله ﷺ وقد تعرض بالسوء للانصار ووجه اليهم اهانة، وقد كادت تحدث فتنة لولا تدخل الامام علي عليه السلام.

قدم عمرو بن العاص فقالت له قريش: قم فتكلم بكلام تنال فيه من الانصار، ففعل ذلك، فقام الفضل بن العباس فرد عليه ثم صار الى علي فأخبره وانشده شعراً قاله. فخرج علي مغضباً حتى دخل المسجد فذكر الانصار بخير ورد على عمرو بن العاص قوله، فلما علمت الانصار ذلك سَرَّها وقالت: ما نبالي بقول من قال مع حُسْن قول علي. واجتمعت إلى حسّان بن ثابت، فقالوا: أجب الفضل، فقال: ان عارضته بغير قوافيه فضحني، فقالوا: فاذكر علياً فقط، فقال:

جزى الله خيراً والجزاء بكفه ... ابا حسن عنا ومَنْ كأبي حسن
سبقت قريشاً بالذي انت اهله ... فصدرك مشروح وقلبك ممتحن
تمنت رجال من قريش أعزّة ... مكانك هيهات الهزال من السمن
وانت من الاسلام في كل منزل ... بمنزلة الدلو البطين من الرسن
وكنت المرجى من لؤي بن غالب ... لما كان منه والذي بعد لم يكن

حفظت رسـول الله فينا وعهده اليك ومن اولـى به منك من ومن
الـسـت اخـاه فـي الاخـا ووصيه وأعـلـم فهر بالكتاب وبالسنن

وكذلك كان للوليد بن عقبة موقفاً مشابهاً لموقف عمرو بن العاص ضد الانصار ثأراً منهم لقتل ابيه يوم بدر(١).

واحداث عثمان بن عفان، وتقريبه اهل بيته، واسترجاع الحكم بن العاص وابنه مروان بن الحكم من منفاهم بعد ان رفض من كان قبله ابو بكر وعمر بن الخطاب ارجاعهم.

ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلم عثمان ابا بكر في رده لأنه عمه فلم يفعل، فلما توفي ابو بكر وولي عمر كلمه ايضاً في رده فلم يفعل، فلما ولي عثمان رده وقال: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعدني أن يرده الى المدينة فكان ذلك مما انكره الناس عليه(٢).

والاحداث التي وقعت في زمن عثمان بن عفان قد دفعت معاوية لأن يأتي المدينة المنورة ويهدد اهلها بالغزو لها إن هم استمروا في عدم احترام عثمان بن عفان وقد رده وجوه الصحابة وتكلم معهم بغلظة(٣).

ووقوف الانصار ووجوه اهل المدينة مع الامام امير المؤمنين عليه السلام في حروبه بالجمل وصفين حتى كانت له كتائب لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واخرى باسم الانصار يقود الاولى هو بنفسه عليه السلام والثانية يقودها سعد بن قيس بن عبادة.

كما كان مع علي يوم صفين من اهل بدر سبعون رجلاً، وممن بايع تحت الشجرة سبعمائة رجل ومن سائر المهاجرين والانصار اربعمائة رجل ولم يكن مع معاوية من الانصار الا النعمان بن بشير ومسلمة بن مخلد(٤).

وبعد استشهاد امير المؤمنين عليه السلام وصلح الامام الحسن عليه السلام مع معاوية زار مكة

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٢٨، ومنه في شرح نهج البلاغة، لابن ابي الحديد، ج٢، ص١٤.
(٢) الكامل، لابن الاثير، ج٤، ص١٩٣.
(٣) علي امام المتقين.
(٤) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٨٨.

المكرمة والمدينة المنورة حيث لم يقابَل بإلقاء السلام والاحترام والتقدير له وجرت بينه وبين عبد الله بن العباس مناظرات حيث عندما دخل معاوية مسجد رسول الله ﷺ كان عبد الله بن العباس يتحدث في التفسير فلم يعر لمعاوية اي احترام من قيام له وتسليم عليه، وكذلك اضر في نفس معاوية بن أبي سفيان في احدى سفراته الى المدينة انه لم يستقبله من اهلها احد (اي الانصار) لذلك جرى حوار بينه وبين الانصار حول ذلك اي عدم احترامهم لمعاوية[1].

«عن سليم بن قيس، قال: قدم معاوية بن أبي سفيان حاجاً في خلافته فاستقبله اهل المدينة فنظر فاذا الذين استقبلوه ما منهم (الا) قريش فلما نزل قال: ما فعلت الانصار وما بالهم لم يستقبلوني؟

فقيل له: انهم محتاجون ليس لهم دواب.

فقال معاوية: واين نواضحهم؟

فقال قيس بن سعد بن عبادة وكان سيد الانصار وابن سيدها: افنوها يوم بدر وأحد وما بعدها من مشاهد رسول الله ﷺ حين ضربوك وأباك على الاسلام حتى ظهر امر الله وانتم كارهون. فسكت معاوية.

فقال قيس: اما ان رسول الله ﷺ عهد الينا انا سنلقى بعده أثرة.

قال معاوية: فما أمركم به؟

فقال: أمرنا ان نصبر حتى نلقاه.

قال: فاصبروا حتى تلقوه»[2].

ومراراً جرت محادثات بينه وبين رموز المدينة حول محاولة تعيين معاوية لابنه يزيد للخلافة بعده ورفض الرموز هذه المحاولة.

مضافاً الى ثورة الامام الحسين عليه السلام وبعد ذلك تحرك اهل المدينة والثورة على يزيد، وكل هذه اثارت الحقد واللؤم على المدينة حتى صدَّق يزيد مقولة ابيه معاوية: «ان

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص١٢٤.
(٢) نفس المصدر السابق.

له يوماً من اهل المدينة».

حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثنا جويرية بن اسماء، قال: سمعت اشياخ اهل المدينة يتحدثون أن معاوية لما حضرته الوفاة دعا يزيد فقال له: ان لك من اهل المدينة يوماً فان فعلوه فارمهم بمسلم بن عقبة فانه رجل قد عرفت نصيحته، فلما هلك معاوية وفد اليه وفد من اهل المدينة وكان ممن وفد عليه عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر وكان شريفاً فاضلا سيداً عابداً معه ثمانية بنين له فأعطاه مائة الف درهم واعطى بنيه لكل واحد منهم عشرة آلاف سوى كسوتهم وحملانهم.

فلما قدم المدينة عبد الله بن حنظلة اتاه الناس فقالوا ما وراءَكَ قال جئتكم من عند رجل لو لم أجد الا بنيَّ هؤلاء لجاهدته بهم، قالوا: قد بلغنا انه اجداك واعطاك واكرمك.

قال: قد فعل وما قبلت منه الا لأتقوى به، وحض الناس فبايعوه فبلغ ذلك يزيد فبعث مسلم بن عقبة اليهم، وقد بعث اهل المدينة الى كل ماء بينهم وبين الشام فصبوا فيه زقاً من قطران وغوّروه، فأرسل الله السماء عليهم فلم يستقوا بدلو حتى وردوا المدينة، فخرج اليهم اهل المدينة بجموع كثيرة وهيئة لم ير مثلها، فلما رآهم اهل الشام هابوهم وكرهوا قتالهم ومسلم شديد الوجع، فبينما الناس في قتالهم اذ سمعوا التكبير من خلفهم في جوف المدينة واقحم عليهم بنو حارثة اهل الشام وهم على الجد، فانهزم الناس فكان من اصيب في الخندق اكثر ممن قتل من الناس، فدخلوا المدينة وهزم الناس وعبد الله بن حنظلة مستند الى احد بنيه يغط نوماً فلما فتح عينيه فرأى ما صنع الناس فامر اكبر بنيه فتقدم حتى قُتِل فدخل مسلم بن عقبة المدينة فدعا الناس للبيعة على انهم خول ليزيد بن معاوية ويحكم في دمائهم واموالهم واهليهم ما شاء[1].

وهكذا قرر يزيد أن يكون اليوم الذي وعده ابوه اياه أن له موعداً مع اهل المدينة وليكن هذا اليوم، وحقد يزيد على اهل المدينة يظهر من:

١- اختيار القائد لجيشه مسرف بن عقبة وكان قد اوصى معاوية ابنه يزيد ان يختار لأهل المدينة هذا القائد وذلك لطاعته لهم أي لبني امية ولتجرده من كل قيم مقدسة وافعاله تدل على ذلك.

(١) تاريخ الطبري، ج٤، ص٣٨١.

٢- مجموعة التعليمات التي اعطاها لمسرف من اباحة المدينة (ثلاث ايام وهي ملك لهم).
٣- فرض طريقة معينة على سكان المدينة للبيعة ليزيد انهم عبيد له وهذه حالة لم تكن من قبل قد مورست، وان دلت فهي تدل على الحقد الاموي الاعمى على المدينة واهلها.
٤- الطريقة التي ثم تنفيذها من قبل مسرف بن عقبة في قتل الناس وسرقة بيوتهم والاعتداء على اعراضهم وقتل الابرياء بعد اعطاء الامان لهم كما سنتعرض لها.

ان هذه الاحداث تعبر ومن دون شك عن حقد دفين مضمور في نفس يزيد وقائده ضد المدينة المنورة وسكانها.

والا فان هذه الطريقة لم تكن معروفة ومألوفة من قبل في تعامل الجيوش مع المدن الرافضة للسلطة، فهذا امير المؤمنين عليه السلام كيف تعامل مع البصرة عندما سقطت بيده وكيف تعامل مع الجيش المنهزم وقادته مثل مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير.

حيث عاملهم بالعفو والصفح و..؟

خامساً: سوء التدبير الاموي.

الحجاز كانت حبلى بالاحداث فكانت تختمر داخلياً كما بينا سابقاً والتقارير كانت تصل الى يزيد بن معاوية بطريقة لايفهم منها رسم الصورة الواقعية لما يجري خلف الكواليس وعملية الاعداد والخلع لبيعة يزيد.

بل كانت تدور حول ضعف الوالي فانه لايحسم الامور ولايقطع الرؤوس ولابد من مجيء من يقدر على ذلك، وهذه طريقة طبيعية للاجهزة الامنية حيث لاتفهم الا ان تكتب لرؤسائها عن الواقع بطريقة سواء صحيحة ام كاذبة وتصور لأسيادها صورة مبتورة عن خلفيات الاحداث لأنهم لايحسون بالمسؤولية تجاه وطنهم وامتهم بقدر ما يهمهم ترضية مسؤوليهم بأي طريقة كانت، وكان الوالي على الحجاز هو عمرو بن سعد الذي كان يتظاهر بمداراة المعارضين محاولة منه لتهيئة الفرصة والانقضاض على ابن الزبير. تقول الرواية التاريخية:

قدم عمرو بن سعد على يزيد بن معاوية فلما دخل عليه رحب به وادنى مجلسه ثم

انه عاتبه في تقصيره في اشياء كان يأمر بها في ابن الزبير فلا ينفذ منها الا ما أراد، فقال: يا امير المؤمنين الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، وان جُلّ اهل مكة وأهل المدينة قد كانوا مالوا اليه وهووه واعطوه الرضا ودعا بعضهم بعضاً سراً وعلانية، ولم يكن معي جند أقوى بهم عليه لو ناهضته وقد كان يحذرني ويتحرز مني، وكنت ارفق به واداريه لأستمكن منه فأثب عليه مع اني قد ضيقت عليه ومنعته من اشياء كثيرة لو تركته واياها ما كانت له الا معونة، وجعلت على مكة وطرقها وشعابها رجالاً لايدعون احداً يدخلها حتى يكتبوا اليّ باسمه واسم ابيه ومن اي بلاد وما هو ما جاء به وما يريد، فإن كان من اصحابه او ممن ارى انه يريده رددته صاغراً وان كان ممن لا اتهم خليت سبيله، وقد بعثت الوليد وسيأتيك من عمله واثره ما لعلك تعرف به فضل مبالغتي في امرك ومناصحتي لك إن شاء الله والله ينصح لك ويكبت عدوك يا امير المؤمنين. فقال له يزيد: انت اصدق ممن رقى هذه الاشياء عنك وحملني بها عليك وانت ممن اثق به وارجو معونته وادخره لرأب الصدع وكفاية المهم وكشف نوازل الامور العظام، فقال له عمرو: وما ارى يا امير المؤمنين أن احداً اولى بالقيام بتشديد سلطانك وتوهين عدوك والشدة على من نابذك مني[1].

ولكن هذه الطريقة لم ترق ليزيد بن معاوية وهو يرى ابن الزبير قد اتسعت قاعدته الشعبية حيث لامنازع له.

لذلك قرر يزيد تنحية عمرو بن سعيد واستبداله بشخص اكثر خدمة وقسوة وهو الوليد بن عتبة بن أبي سفيان.

ولكن لم يدر في فكر يزيد ان الاوضاع منفجرة وهي ليست بحاجة الى والٍ قاسٍ، لأنه سيفجر الوضع أكثر فأكثر، وانما عليه أن ينتخب من له حكمة ورشد لعله يخمد الاحداث وينزع فتيلها، ولكن طريقة الطغاة هي حل الامور بالسلطة والقوة، ونجد بعد أن فشلت كل مساعي يزيد في اخماد التحرك عبر ولاة ظلمة يطلب مرة ثانية من عمرو بن سعيد العودة لقيادة الجيش لإخماد الثورة ولكن عمرو يرفض هذا الطلب.

«فبعث الى عمرو بن سعيد فأقرأه الكتاب واخبره الخبر وامره أن يسير اليهم في الناس، فقال له: قد كنتُ ضبطتُ لك البلاد وأحكمتُ لك الامور، فأما الآن اذ صارت

(١) الطبري، ج٤، ص٢٦٧.

انما هي دماء قريش ترقى بالصعيد فلا احب أن اكون انا الذي أتولى ذلك وانما يتولاها منهم من هو ابعد منهم مني»[١].

ولكن الوليد بن عتبة لم يقدر على عمل شيء ضد ابن الزبير حيث كان أحذر وأفطن من الوليد «وقام الوليد بن عتبة يريد ابن الزبير فلا يجده الا متحذراً ممتنعاً»[٢].

ولكنه قدر على الوالي الذي قبله حيث سلب ماله وممتلكاته:

عن عبد الله بن عروة ان يزيد بن معاوية لما سرح الوليد بن عتبة على الحجاز اميراً وعزل عمرو بن سعيد قدم الوليد المدينة فأخذ غلماناً كثيراً لعمرو وموالي له فحبسهم، فكلمه فيهم عمرو فأبى ان يخليهم وقال له: لاتجزع يا عمرو، فقال أخاه ابان بن سعيد ابن العاص: أعمرو يجزع، والله لو قبضتم على الجمر وقبض عليه ما تركه حتى تتركوه، وخرج عمرو سائراً حتى نزل من المدينة ليلتين وكتب الى غلمانه ومواليه وهم نحو من ثلاثمائة رجل اني باعث الى كل رجل منكم جملاً وحقيبة واداته وتُناخ لكم الابل في السوق فإذا أتاكم رسولي فاكسروا باب السجن ثم ليقم كل رجل منكم الى جمله فليركبه ثم اقبلوا علي حتى تأتوني، فجاء رسوله حتى اشترى الابل ثم جهزها بما ينبغي لها ثم اناخها في السوق ثم اتاهم حتى اعلمهم ذلك فكسروا باب السجن ثم خرجوا الى الابل فاستووا عليها ولحقوا به[٣].

وهذه طريقة القوي عندما يفشل في نزال الاقوياء فانه يبرز عضلاته على الضعفاء، والحاكم الذي يُقال من الحكم ليس له من ينصره لذلك يكون عرضة لغضب وذم الذي يأتي بعده.

وقد لعب ابن الزبير دوراً في ابعاد الوليد بن عتبة ووصفه ليزيد انه رجل غير حكيم ولايعرف الرشد ولا يعرف الحكمة.

«انك بعثت الينا رجلاً اخرق لا يتجه لأمر رشد ولا يرعوي لعظة الحكيم، ولو بعثت الينا رجلاً سهل الخلق لين الكتف رجوت أن يسهل من الامور ما استوعر منها

(١) المصدر، ص٣٧١.
(٢) المصدر ، ص٣٦٧.
(٣) نفس المصدر السابق.

وان يجمع ما تفرق، فانظر في ذلك فإن فيه صلاح خواصنا وعوامنا»[١].

وقد استجاب يزيد بن معاوية لهذا الطلب ظناً منه ان هذه نصيحة من ابن الزبير، وعزل الوليد بن عتبة وعين مكانه عثمان بن محمد بن أبي سفيان.

والظاهر ان استجابة يزيد بن معاوية لرسالة الزبير هو محاولة لارضاء ابن الزبير وتجميد الخلاف حيث اظهر ابن الزبير ليونة وعدم تطلع للخلافه بل انه يريد الاصلاح والخير.

اما عثمان بن محمد بن أبي سفيان فهو شاب لايحسن من امر الولاية شيئاً ولا مداراة الناس سوى انه ابن عم يزيد بن معاوية ومن الاسرة الحاكمة.

عن حميد بن حمزة مولى بني امية قال: فقدم فتى غر حدث لم يجرب الامور ولم يحنكه السن ولم تضرسه التجارب وكان لايكاد ينظر في شيء من سلطانه ولا عمله[٢].

لذلك لم يقدر على ادارة الامور ولايفهم معرفة ما يجري في الخفاء، ومن اجل ان يعزز موقفه عند يزيد بن معاوية ارسل وفداً الى الشام حتى يكون قد قفز على المشكلة حيث سينعم يزيد على الوفد بالمال وهذا يعني انه يشتري مواقفهم.

وان يزيد سيقنع الوفد به والتأكيد على بيعته والاستمرار في دعم حكمه، وهذه حالة في اكثر الاحيان تكون طبيعية وعملية ولكن في هذا المرة لم تكن الامور هكذا لأن الوفد كانت عنده نظرة اخرى حول الامور وان ابن الزبير له يد في الاحداث وعلم بمجريات الامور.

«وكان اخراجهم كما ذكرنا الى بني امية وعامل يزيد عن اذن ابن الزبير»[٣].

وبالتالي فان الوفد عاد بنظرة سيئة تؤكد بالأدلة والحقائق والارقام انحراف يزيد، وعلى الرغم من انهم استلموا مالاً وجوائز من يزيد ولكن الاموال وظفت في الثورة ضده لما رأوا من انحرافه وسوء سيرته.

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٣٦٨.
(٢) الطبري، ج٤، ص٣٦٨.
(٣) مروج الذهب، للمسعودي، ج٣، ص٧٨.

الإمام عليه السلام وواقعة الحرة

كان اول حدث سياسي واجهه الامام زين العابدين عليه السلام بعد استشهاد ابيه الامام الحسين عليه السلام هو انتفاضة اهل المدينة المنورة، إذ كانت شهادة الامام الحسين عليه السلام سنة (٦١) والانتفاضة وقعت سنة (٦٣) هجرية وكان للانتفاضة مجموعة من الارهاصات والاحداث قبل اعلان الانتفاضة، ووقعت مجموعة من الاحداث أثناء الانتفاضة، وجرت وقائع صعبة عند احتلال المدينة المنورة من قبل الجيش الاموي القادم من الشام نتحدث عنها فيما بعد، والذي نريد أن نعرضه هو سلوك الامام زين العابدين عليه السلام قبل اقتحام المدينة من قبل الجيش الاموي الزاحف من الشام.

من الواضح أن الامام زين العابدين عليه السلام عند رجوعه الى المدينة المنورة مع السبايا من اهل بيته عليهم السلام بعد رحلته الى الشام وكربلاء عاش فترة من الحداد يتقبل التعازي من قبل الجماهير.

وقد تفاعلت تفاصيل احداث كربلاء في الوسط الجماهيري واستفاد منها البعض في تصعيد الغضب على السلطة الاموية وبذلك حدث تيار سياسي معارض ينمو بشكل مطرد ضد السلطة المركزية في الشام، في هذه الظروف والامام عليه السلام كان شاباً حيث لم يتجاوز عمره الشريف (٢٥) سنة لذلك فانه كان يحمل هم الامامة واستمرار هذه الرسالة.

ولهذه الاسباب فضل الامام عليه السلام الابتعاد عن المشاركة الشخصية في التيار المعارض عسكرياً واختار العزلة عن الاحداث والابتعاد عن بؤرة التفجير، ونقل البعض أنه عليه السلام اعتزل الناس وعاش في خيمة نصبها في وسط الصحراء كما عن أبي جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام قال: «كان أبي علي بن الحسين عليه السلام قد اتخذ

منزله من بعد مقتل ابيه الحسين بن علي عليه السلام بيتاً من شعر واقام بالبادية فلبث بها عدة سنين كراهية مخالطة الناس وملاقاتهم»[١].

ولتأكيد هذا الابتعاد واختيار عيشة الخيمة في الصحراء روي حديثٌ شريف ينص على أن الامام أُمِر بالابتعاد عن المعارضة المسلحة والاتجاه نحو الممارسات الاخرى: «اطرق واصمت والزم منزلك واعبد ربك حتى يأتيك اليقين»[٢].

«وقُتِل الحسين عليه السلام وخلف ابنه علي بن الحسين عليه السلام متقارب السن، كانت سنُّه اقل من عشرين سنة، ثم انقبض عن الناس فلم يلق أحداً ولا كان يلقاه الا الخواص من اصحابه وكان في نهاية العبادة»[٣].

ومحاولة لفهم هذه العزلة التي اختارها الامام عليه السلام ان صحت يمكن لنا القول إنها مساهمة ضمن منهجية بشرية في عملية التبلور والصقل الروحي للامام عليه السلام وهي طريقة اختارها الانبياء والمصلحون قبل أن يؤدوا الرسالة والامام عليه السلام الذي خرج تواً من صدمة عنيفة شاهد مفرداتها البشعة بأم عينيه وفي الاسر أشد مما جرى في كربلاء على عماته وزوجات ابيه واخواته حتى وصل به الامر أن يقول في بعض أدعيته: (ليت امي لم تلدني)، وبذلك يمكن أن يقال ان الابتعاد عن الجماهير واعادة الاستقرار النفسي والروحي كان بحاجة الى هذه العزلة.

ويضاف اليها أن التواجد في أجواء مكهربة ومشحونة بالعداء لآل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من قبل الحفنة المتسلطة على رقاب الامة وبيدها اسباب السلطة والقوة يعني استمرار حالة الصدام النفسي الذي لانهاية له والذي هو اكثر إيلاماً من المواجهة العسكرية التي يمكن لها ان تستمر لأيام وتنتهي، ونقل المؤرخون نموذجاً لهذه الحالة في عملية استهتار اموي ضد الامام زين العابدين عليه السلام.

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «لما قدم علي بن الحسين وقد قُتِل الحسين بن علي صلوات الله عليه واستقبله ابراهيم بن طلحة بن عبيد الله قال: يا علي بن الحسين من

---

(١) الامام زين العابدين عليه السلام، لابن طاووس، ص٤٣.

(٢) جهاد الامام السجاد، ص٧١، الامامة والتبصرة من الحيرة، لابن بابوية، ص١٦٧، الحديث ٢٠.

(٣) اكمال الدين، الشيخ الصدوق، ص٩١.

غَلَب؟ وهو يغطي رأسه في المحمل. فقال له علي بن الحسين: اذا اردت أن تعلم من غَلَب ودخل وقت الصلاة فأذن ثم اقم»[١]. ويمكن لنا أن نقف امام الحديث المقدس الذي طلب من الامام عدم التصدي العسكري للنظام الاموي واختيار منهج آخر فاختار العزلة.

ويمكن لنا أن نستقرئ هذه الحالة في عدم اقحام نفسه بالصدام العسكري وبذلك اعطاء فرصة الى القوى السياسية ذات الميول لاختيار الاسلوب العسكري في تحقيق الطموحات والاهداف حتى لايكون ممن يشار اليه ويطرح اسمه في كل حدث يطلب اليه القيام بالامر وهذا يعطي فرصة للسلطة الاموية بالذات لان يكون وجوده وحركته سبباً في تصفيته الجسدية وهو الامام الذي عليه مسؤولية مواصلة الامامة الشرعية.

وقد يُعترض على هذه الرؤية أن الامام عليه السلام محروس من قبل الله سبحانه ولا يمكن للبشر ان يؤدوا شيئاً تجاه ارادة الله سبحانه لذلك فليس من حاجة الى العزلة والابتعاد عن الناس، ولكن يمكن لنا أن نخرج بين الرؤيتين بما يكمل الواحدة الاخرى.

فهناك ارادة ومنهجية بشرية لتحقيق هذه الارادة بعيداً عن استخدام الحالة الاعجازية، فكما حققت منهجية الامام الحسين الارادة الالهية في استشهاده حيث خطب وناقش وطلب العودة وادى الذي عليه ثم ناجز الجيش الاموي فكانت شهادته عليه السلام.

وقد حافظ الامام امير المؤمنين عليه السلام على ولديه الامام الحسن عليه السلام والامام الحسين عليه السلام في حروب الجمل وصفين والنهروان حتى استغل البعض هذا التحفظ من قبل الامام امير المؤمنين على الحسنين عليهما السلام ليثيروا محمد بن الحنفية (رضي الله عنه)، وأبعد من ذلك كان الامام لايسمح لشباب بني هاشم دخول المعركة الا بإذنه عليه السلام خوفاً من تعرضهم للتصفية، وقد نقل المؤرخون هذه الاحداث هكذا:

قال ابن عباس: دعا علي عليه السلام ابنه محمد بن الحنفية، وقال له: يا بني شد على معسكر معاوية فحمل على الميدان حتى كشفهم ثم رجع الى ابيه مجروحاً وقال: يا ابتاه العطش العطش. فسقاه جرعة من الماء ثم صب الباقي بين درعه وجلده فوالله لقد رأيت

---

(١) ثورة الامام الحسين عليه السلام (الدوافع والدروس) للمؤلف، نقلًا عن: بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٧٨.

علق الدم يخرج من حلق درعه فأمهله ساعة، ثم قال: يا بني شد على الميسرة فحمل على ميسرة عسكر معاوية فكشفهم ثم رجع به جراحات وهو يقول: الماء الماء يا ابتاه. فسقاه جرعة من الماء فصب باقيه بين درعه وجلده. ثم قال يا بني: شد على القلب فحمل عليهم وقتل فرسانا ثم رجع الى ابيه وهو يبكي وقد اثقلته الجراح فقام اليه ابوه وقبل ما بين عينيه. وقال: فداك ابوك فقد سررتني والله يا بني بجهادك هذا يا ولدي فما يبكيك فرحاً ام جزعاً؟ فقال: يا ابت كيف لا ابكي وقد عرضتني للموت ثلاث مرات فسلمني الله وهذان اخواي الحسن والحسين ما تأمرهما بشيءٍ من الحرب فقام اليه امير المؤمنين وقبل وجهه وقال له: يا بني أنت ابني وهذان ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم افلا اصونهما عن القتل؟ فقال: بلى يا ابتاه جعلني الله فداك وفداهما من كل سوء[1].

واذا عرفنا ان الشعار الاموي الذي كان يرن في اذن الامام زين العابدين عليه السلام يوم كربلاء: لاتبقوا لأهل هذا البيت من باقية، ولقد حاولوا تصفية الامام زين العابدين عليه السلام في الكوفة عندما نظر اليه عبيد الله بن زياد مستغرباً وجوده حياً وأمر بضرب عنقه لولا تمسك عمته الحوراء زينب عليها السلام بالامام وطلبت ان تقتل معه ان اراد ابن زياد قتله فتركه.

«قال ابو مخنف: واما سليمان بن أبي راشد فحدثني عن حميد بن مسلم، قال: اني لقائم عند ابن زياد حين عرض عليه علي بن الحسين عليه السلام،

فقال له: ما اسمك؟

قال: انا علي بن الحسين.

قال: او لم يقتل الله علي بن الحسين؟

فلم يجبه، وقال بن زياد: مالك لا تتكلم.

فاجاب عليه السلام: قد كان لي اخ يقال له ايضاً علي فقتله الناس.

قال: الله قد قتله.

فقال: فسكت علي.

---

(١) سفينة بحار الانوار، ، ج٢، ص١٤٧-١٤٨.

فقال له: مالك لا تتكلم؟

قال: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[١]

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ﴾[٢]

قال: انت والله منهم ويحك انظروا هل ادرك؟ والله اني لأحسبه رجلا.

قال: فكشف عنه مري بن معاذ الاحمري.

فقال: نعم قد ادرك.

فقال: اقتله.

فقال علي بن الحسين: من توكل بهؤلاء النسوة؟

وتعلقت به زينب عمته فقالت: يا ابن زياد حسبك منا، اما رويت من دمائنا؟ وهل ابقيت منا احداً؟

قال: فاعتنقته فقالت: اسألك بالله ان كنت مؤمنا ان قتلته لما قتلتني معه.

قال: وناداه علي فقال: يا ابن زياد ان كانت بينك وبينهم قرابة فابعث معهن رجلا تقياً يصحبهن بصحبة الاسلام.

قال: فنظر اليها ساعة ثم نظر الى القوم، وقال: عجبا للرحم والله اني لأظنها ودت لو اني قتلته اني قتلتها معه. دعوا الغلام، انطلق مع نسائك»[٣].

ان هذه المنهجية الاموية كانت واضحة تجاه اهل بيت النبوة ولذلك كان يمكن لهم ان يمارسوها في المدينة كما فعلوها في كربلاء، ولذلك اجتنب الامام ان يكون ضحية هذا اللؤم وقتل الانسان في ظروف اباحة المدينة المنورة واعتبارهم عبيداً لاقيمة لهم في النظر الاموي، واذا لم يتصدَ له قائد الجيش وبارادة فيمكن ان يكون بضربة طائشة من عسكري حاقد وجاهل بشخصية الامام زين العابدين عليه السلام فيوجه له ضربة وينهي امره.

---

(١) الزمر، ٤٢.

(٢) آل عمران، ١٤٥.

(٣) كتاب مقتل الحسين عليه السلام، ص٢٠٦.

وماذا لو حدث عمل من هذا النوع في السلوك والممارسة فهل ينفع عندها الندم؟

لذلك كان خيار الابتعاد والانعزال عن بؤرة الخطورة الطائشة هو افضل وسيلة تمكنه من مواصلة حركته الرسالية، والامام عليه السلام في احداث الغليان الشعبي في المدينة المنورة ضد السلطة الاموية ان قُدِّر له ان يدخل عسكريا مع المنتفضين ويحمل سيفة لم يكن بأكثر من عسكري او آمر في الجيش لان سنه عليه السلام لم يؤهله لزعامة الانتفاضة وله (٢٥) سنة، والناس قد بايعت غيره وسلمت له امر قيادتها، والذي له موقع الامامة لايمكن له ان يجازف بها مقابل دور المقاتل العادي الذي ليس له من ساحة اكبر من هذه.

ولكن عدم اشتراك الامام عليه السلام في المعركة لايعني انه لا رأي له في الاوضاع، او انه كان راضٍ بها.

ان الامام عليه السلام كان ابرز الرموز السياسية ولكنه عليه السلام لم يختر حمل السلاح في طريقة معارضته واختار منهجية السياسة ذات البعد التغييري الحضاري، وليس الخيار العسكري هو الخيار الوحيد او الافضل والانجح في مقارعة الطغاة، لذلك نجد أن الذين عاصرهم الامام عليه السلام من الحكام الطغاة كان همهم ان يعرفوا رأي الامام زين العابدين عليه السلام ويطالبوه ان يكون قريباً منهم يتواصل معهم ولكن كان عليه السلام يرفض ذلك كما فعل مع عبد الملك بن مروان.

وبذلك فان الامام عليه السلام لم يسجل موقفاً عملياً في احداث ثورة المدينة مع الثوار والسلطة، وبقي بعيداً عن الاحداث يرتقب عواقب الامور.

ولكن موقفه الظاهري لم يكن متساوياً في النظرة تجاه الاحداث حيث ان الكوادر المنتفضة قسم منها من بني هاشم انفسهم وكانوا يدافعون عن قدسية المدينة وسخطاً على يزيد وولاته الذين عاثوا في الارض فساداً.

ومن المؤكد ان نظرة الامام تجاه السلطة اليزيدية لم تكن نفس النظرة تجاه الثوار، حيث الثوار يدافعون عن القيم، أما السلطة الاموية فقد سحقت مقدسات المدينة، وعلى رأسها اهانة مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. وقد نقل المؤرخون من ممارسات واحداث وقعت للامام عليه السلام في احداث ثورة المدينة المنورة هي:

اولاً: الحماية الاجتماعية

بعد اجتماع عدة عوامل وتفاعلها في نفوس الثوار اعلنوا عن الاستقلال ونقضوا بيعة يزيد وبايعوا والياً لهم، وكان هذا إنذاراً لآل امية بالخروج من المدينة.

وبنو امية كان لهم مواقع في المدينة المنورة حيث هم عشيرة عثمان بن عفان وعندهم مواضع قدم، وبعد مداولات بين الثوار وآل امية وعلى رأسهم كان مروان بن الحكم اختار الثوار احتجاز بني امية في دار مروان، وعندما وصلهم خبر تحرك الجيش الشامي الاموي قرروا اخراجهم من المدينة بعد ان اخذوا منهم المواثيق بحرمة اعطاء اي معلومات عن ثغرات المدينة ووضعها الدفاعي للجيش القادم، وعددهم كان بحدود (١٠٠٠) الف نسمة[١].

وفي ظل هذه الظروف العصيبة كان على بني امية ان يفرقوا بين النساء والرجال، حيث الرجال يمكنهم الصبر، اما النساء فكان وضعهن صعباً في الحركة والمواجهة، خاصة اذا عرفنا ان الوضع الاجتماعي لبني امية كان في غاية الترف والبذخ، فهم الطبقة الرأسمالية في المدينة المنورة وكل ذلك حدث بعد اغداق عثمان بن عفان الاموال الطائلة عليهم.

وهذا يعني ان عوائلهم مترفة لا تتحمل الضغط والتضعضع، وهذا دفع مروان بن الحكم ان يبحث عن ملجأ لهذه العوائل، اما الرجال فيتدبر امرهم بالهروب او اي وسيلة اخرى.

لذلك تحرك مروان يطلب المساعدة في حماية عوائل بني امية، وما كان امامه مَنْ يقوم بهذه المهمة سوى رموز المدينة والذين يشكلون حالة الحياد في هذه الثورة.

فتحرك على عبد الله بن عمر وطلب منه ذلك فرفض عبد الله بن عمر، وكان طبيعياً ان يرفض لما عرف عن عبد الله بن عمر من الابتعاد عن التصدي لأي شيء لأنه لم يكن يحمل رسالة معينة فكان مشغولاً بنفسه.

وبعد رفض عبد الله بن عمر استقبال عوائل آل امية تحرك مروان بن الحكم على الامام زين العابدين عليه السلام وطلب منه ان يحمي عوائل آل امية فقبل الامام عليه السلام الطلب.

(١) انظر: تاريخ الطبري، ج٤، ص٣٧٠-٣٧٢.

وينقل ان مجموع من حماهم الامام زين العابدين عليه السلام (٤٠٠) نسمة وكانت منهم بنت عثمان بن عفان، ولم يذكر المؤرخون مكان تجمع هذا العدد الهائل من النفوس فهناك من يذكر الحماية فقط من دون تحديد المكان ومنهم من يذكر الحماية والخروج بهم الى ينبع[١].

وقد هيأ الامام لهؤلاء الحماية الأمنية والمعاشية بحيث صرح البعض ان الخدمات التي قدمها الامام كانت افضل مما هي في بيوتهم وعند اهلهم.

والحماية الأمنية التي وفرها الامام عليه السلام كانت عملية انقاذ من انتهاك لهم وابادة.

وقال ابن الاثير في الكامل: لمـــّا سيّر يزيد مسلم بن عقبة قال: فاذا ظهرتَ عليهم فأبحها ثلاثاً بما فيها من مال أو دابة أو سلاح فهو للجند، فإذا مضت الثلاث فاكفف عن الناس، وانظر علي بن الحسين فاكفف عنه، واستوص به خيراً فانه لم يدخل مع الناس، وقد اتاني كتابه، وقد كان مروان بن الحكم كلم ابن عمر لما أخرج أهل المدينة عامل يزيد وبني امية في ان يغيِّب اهله عنده فلم يفعل، فكلم علي بن الحسين وقال: ان لي رحماً وحرمي تكون مع حرمك فقال: افعل، فبعث بامرأته وهي عائشة ابنة عثمان بن عفان وحرمه الى علي بن الحسين.

فخرج علي بحرمه وحرم مروان الى ينبع وقيل: بل ارسل حرم مروان وأرسل معهم ابنه عبد الله الى الطائف[٢].

ثانياً: قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

ان عملية الاقتحام التي مارسها الجيش الشامي الاموي لمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومطاردة الناس وقتلهم وهم لائذون بقبر النبي متمسكون به أسقطت حالة الأمان التي كان الناس يعتقدون أنها تحميهم من أذى الجيش الاموي.

وعليه فانهم لزموا منازلهم باعتبارها أمن لهم وهي حالة طبيعية عندما يفقد الناس الامن فانهم يفضلون الموت مع عوائلهم.

---

(١) انظر: بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٣٨.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٣٩.

ولكن الامام زين العابدين عليه السلام لم ينقطع عن زيارة قبر جده صلى الله عليه وآله وسلم واستمر في الزيارة له والذي كان يحميه من ذلك هو (الدعاء) حيث كان يحرك شفتيه وهو تعبير عن القراءة للدعاء وبذلك يسلم من التعرض له من قبل الجيش الاموي فيزور ويرجع سالماً من دون ان يمسه الاذى من الجيش الاموي.

سأل ليث الخزاعي سعيد بن المسيب عن انتهاب المدينة قال: نعم شدوا الخيل الى اساطين مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورأيت الخيل حول القبر وانتهكت المدينة ثلاثاً، فكنت انا وعلي بن الحسين نأتي قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيتكلم علي بن الحسين بكلام لم اقف عليه، فيحال ما بيننا وبين القوم ونصلي ونرى القوم وهم لايرونا[1].

ثالثاً: الحماية الربانية

والحدث الآخر الذي ينقله المؤرخون عن الامام عليه السلام في احداث ثورة المدينة المنورة ان الامام عليه السلام في تردده على مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للصلاة والزيارة كان يقابل ازدحام الجيش الاموي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وطبيعة الجند انهم يستعرضون عضلاتهم ويفجرون ما عندهم من كوامن الحقد والبغض تجاه اعدائهم من دون تمييز بين من يكون هذا الشخص الذي امامهم.

ولذلك نجد أن الجند الشامي الاموي في تدافعهم على مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا لايفرقون بين احد، وفي هذه اللحظات المتوترة والمستنفرة كانت العناية الربانية تحمي ولي الله في الارض من ان يُمس بأذى من هؤلاء الاوباش.

فكانت الارادة الربانية هي الحاكمة على ارادة البشر، لذلك امر الله سبحانه الملائكة ان تؤدي دورها في حماية الامام، فشوهد فارسٌ ابيض في كل شيء بشكله الخارجي وهو ينقض على كل من يقترب من الامام ويدفعهم بين القتل والابعاد، وعندما سُئل الامام عليه السلام عن ذلك اجاب: «انه ملك ارسله الله ليدافع عني (وقام رجل عليه حلل خضر وفرس محذوف اشهب بيده حربة مع علي بن الحسين عليه السلام فكان اذا اومأ الرجل الى حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشير ذلك الفارس بالحربة نحوه فيموت من غير ان يصيبه»[2].

---

(١) المصدر، ص١٣١، رقم ٢١.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج٣، ص٢٨٤.

وعمليات الانقاذ هذه يمارسها الله سبحانه تجاه اوليائه ونصرتهم في اللحظات الحاسمة، وقد كان من قبل مثل هذه الحادثة في معركة بدر حيث تدخّلت الملائكة لانقاذ الموقف وحسمه في صالح النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

رابعاً: المواساة الاخوية

لا إشكال إن المحن تؤثر في الانسان وتعرض عليه ان يعطيها الاهتمام والتفكير بها للخروج من المآزق، وكانت احداث ثورة المدينة المنورة في تعسفها ومفرداتها المؤلمة قد اخذت من الامام مأخذاً حيث انتهاك الحرمات المقدسة والقتل والسلب والاعتداء على النساء، وكل هذه مفردات حزن ومسلسل اجرام.

فكان الامام عليه السلام يفكر في هذه الخارطة المحزنة ويأخذه الفكر في ذلك وهو عليه السلام بهذه الحالة من التفاعل واذا بشخص ينتصب امامه ويتحدث معه ان لاتفكر وتزعج نفسك، وجرى بين الامام عليه السلام وهذا الشخص حوار في هذا الجو من الاحداث.

وينقل ان هذه الحادثة وقعت خارج المدينة حيث الامام كان في ضيعة له.

وبعد الحوار غاب الشخص فسأل الناس الامام عنه فقال انه نبي الله الخضر عليه السلام.

ان هذه المواساة والتصبير للامام هي التفاتة ربانية نحو وليه وحجته في الارض ليمتص ما في نفسه من حزن والم على ما حدث في مدينة جده وأمة الاسلام.

روى ابو حمزة الثمالي قال: خرجت مع علي بن الحسين عليه السلام ظاهر المدينة فلما وصل الى حائطٍ قال: اني انتهيت يوماً الى هذا الحائط فأتكأت عليه فاذا رجل عليه ثوبان ابيضان ينظر في وجهي ثم قال لي: ما ازال اراك حزيناً، أعلى الدنيا؟ فهو رزق حاضر يأكل منه البر والفاجر قلت: ما على الدنيا حزني وإنّ القول لكما تقول: قال: أفعلى الآخرة؟ فهي وعد صدق يحكم فيها ملك قاهر فعلام حزنك؟ قلت الحزن من ابن الزبير فتبسم فقال: هل رأيت احداً توكل على الله فلم يكفه؟ قلت: لا. قال: فهل رأيت احداً سأل الله فلم يعطيه. قلت: لا، قال فهل رأيت احداً خاف الله فلم ينجه؟ قلت: لا، قال عليه السلام: فاذا ليس قدّامي أحد.

فغاب عني فقيل لي: يا علي بن الحسين هذا الخضر عليه السلام ناجاك[1].

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٤٥.

خامساً: الامام وابن عقبة

بعد انتهاء المعركة وانتصار الجيش الاموي على الثوار وأخذ البيعة من الناس بطريقةٍ جاهلية، كان من الطبيعي أن يأتي رموز المدينة عند القائد الفاتح، ومن ابرز الرموز هو الامام زين العابدين عليه السلام. وفي حضور الامام عليه السلام عند مسرف بن عقبة عدة أشكال رواها المؤرخون نعرضها ونناقشها.

١ - ان الامام عليه السلام حضر عند مسرف بن عقبة وهو يمشي بين مروان بن الحكم وابنه عبد الملك وكانت آثار الخوف والقلق واضحة عليه واستقبله مسرف بن عقبة بطريقة فضة غليظة وتهدد الامام عليه السلام، وبعد نقاش اطلق سراح الامام.

«لما ظفر مسرف بن عقبة على المدينة واستباحهم دعا الناس الى البيعة ليزيد على انهم خول له يحكم في دمائهم واموالهم واهليهم ما شاء فمن امتنع من ذلك قتله فقتل لذلك جماعة، ثم اتى مروان بعلي بن الحسين فجاء يمشي بين مروان وابنه عبد الملك حتى جلس بينهما عنده، فدعا مروان بشراب ليتحرَّم بذلك فشرب منه يسيراً ثم ناوله علي بن الحسين، فلما وقع في يده قال مسلم: ألا تشرب من شرابنا، فأُرعد كفه ولم يأمنه على نفسه وامسك القدح فقال: جئت تمشي بين هؤلاء لتأمن عندي؟ والله لو كان اليهما امرك لقتلتك، ولكن اميري اوصاني بك واخبرني انك كاتبته فان شئت فاشرب، فشرب ثم اجلسه معه على السرير ثم قال: لعل اهلك فزعوا؟ قال: اي والله، فأمر بدابته فأسرجت له ثم حمله عليها فرده ولم يلزمه البيعة ليزيد على ما شرط على اهل المدينة»[١].

٢ - رواية تقول: ان مسرف بن عقبة كان يتوعد الامام ان حضر انه سيفعل به كذا وكذا، ولكن الامام في طريقه الى لقاء مسرف بن عقبة كان يقرأ ادعية عرفت من خلال تحرك شفتي الامام عليه السلام، وعندما وصل الى مسرف بن عقبة غيّر مسرف حديثه مع الامام وجعل يتواضع للامام ويلين، وعندما سُئل مسرف بن عقبة عن سبب هذا التغيير في الموقف قال: عندما نظرت اليه، اي للإمام، امتلأ قلبي منه خيفة. ثم اطلق سراح الامام بعد حديث مجاملة.

---

(١) المصدر، ص١٣٩.

«نظر الناس الى علي بن الحسين السجاد وقد لاذ بالقبر وهو يدعو، فأتي به الى مسرف وهو مغتاظ عليه فتبرأ منه ومن آبائه، فلما رآه وقد اشرف عليه ارتعد وقام له واقعده الى جانبه وقال له: سلني حوائجك، فلم يسأله في احد ممن قدم الى السيف الا شفّعة فيه ثم انصرف عنه، فقيل لعلي: رأيناك تحرك شفتيك فما الذي قلت؟ قال: قلت: اللهم رب السموات وما اظللن، والارضين السبع وما اقللن، رب العرش العظيم، رب محمد وآله الطاهرين، اعوذ بك من شره وادرأ بك في نحره، اسألك ان تؤتيني خيره وتكفيني شره. وقيل لمسلم: رأيناك تسب هذا الغلام وسلفه فلما أُتي به اليك رفعت منزلته. فقال: ما كان ذلك لرأي مني، لقد مُلئ قلبي منه رعباً»[١].

٣- رواية ثالثة ينقلها المؤرخون في طريقة لقاء الامام عليه السلام مع مسرف بن عقبة أن الامام في هذا اللقاء استجاب لطلبه والطريقة التي ارادها مسرف بن عقبة في البيعة له والاقرار بالعبودية ليزيد.

«ثم اخذ الناس يبايعون على انهم عبيد يزيد بن معاوية فكان الرجل من قريش يؤتى به فيقال: بايع انك عبد ليزيد. فيقول: لا فيضرب عنقه، فأتاه علي بن الحسين فقال: علام تريد ان ابايعك؟ قال: على اخ وابن عم. فقال: وان اردت ان ابايعك على أني عبد قد فعلت: فقال: ما احشمك هذا. فلما ان رأى الناس اجابة علي بن الحسين، قالوا: هذا ابن رسول الله بايعه على ما يريد فبايعوه على ما اراد وكان ذلك سنة (٦٢)»[٢].

ان هذه الطرق المتناقضة في كيفية لقاء الامام عليه السلام مع مسرف بن عقبة تكشف وتوضح التناقض في النظرة للامام عليه السلام ومسرف بن عقبة.

فمن يرى ان الامام شخصٌ عاديٌ يمكن له ان يمارس اي لون من السلوك ويقر كما يقر الآخرون، ولا يرى له ميزة وقدراً إلاّ في نفس الامام عليه السلام وليس بداخل الأمة، لذلك يتعرض للإمام انه يبايع ليزيد على أنه عبد له.

كما ان الذين يرون أن مسرف بن عقبة رجل جلاد ظالم لايفهم لغة الاحترام والتقدير لذلك فإن طلبه لايرد، وكان من الطبيعي أن الامام عليه السلام يفهم هذه الحالة عند

(١) مروج الذهب، ج٣، ص٧٠.
(٢) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٥١.

مسرف بن عقبة لذلك روض نفسه وبايع ليزيد بأنه عبد له او انه كان يرجف ويرتعش من مسرف بن عقبة.

والذي نفهمه من سيرة الائمة عليهم السلام في هكذا مهام صعبة وملتوية انهم عليهم السلام يخرجون منها بسلام وهم المنتصرون ويستخدمون في ذلك الاحتياط الالهي من دعاء وابتهال الى الله تعالى.

ولم يرد في حياة الائمة عليهم السلام انهم في لقاءاتهم مع الحكام انهم تأخذهم حالة الضعف والتملق فضلاً عن الارتعاش والرجفة.

كما لم ينقل لنا التاريخ ان احداً من الائمة عليهم السلام قبل بمنطق الاقرار بالعبودية للحكام، بل إن هناك نقاشاً حول صلاة الأئمة عليهم السلام خلف الحكام والولاة، وان كانت فهل تعاد الصلاة في البيت أم لا؟

فلا اعرف كيف يكون حدث المبايعة بحكم العبودية للطاغية يزيد.

ان الامام زين العابدين عليه السلام نفسه يتحدث مع عبد الملك بلغة (مالي وانت) كما في قصة لقائه به في الشام وكلمة (إن اجبت فكن) ليزيد و...

فكيف تلك الحالة من الخوف والضعف؟

قال الزهري: فقدمت بعد ذلك على عبد الملك فسألني عن علي بن الحسين عليه السلام فأخبرته فقال: انه قد جاءني في يوم فقده الاعوان فدخل علي فقال: ما انا وانت؟ فقلت: اقم عندي، فقال: لا احب[1].

ان الائمة عليهم السلام الذين يعيشون تحت الحماية الالهية وفي ظل حراسة ملائكية وقد علّموا الناس الانفة والابتعاد عن الذل ورهنوا حياتهم بالارادة الالهية وضمن المصلحة العامة فانهم يسيرون بهدى هذا المنهج الرباني، وعليه فليس هناك من دوافع لأن يمارس الامام سلوك الخوف الظاهري من مسرف بن عقبة ليدفع سوء نيته وهو في حالة الحوار الشفهي معه. وعليه فإن روايات البيعة انه عبد ليزيد او الارتعاش او أنه كتب ليزيد يعلمه أن لا علاقة له بحركة الناس، حالة مستبعدة لان سلوك الامام زين العابدين عليه السلام

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٢٣.

وانقطاعه الى الله سبحانه ليس مخفياً على ولاة يزيد، كما ان يزيد لم يترك المدينة المنورة من دون عيون يستقصون له الاخبار ويضعونه بصورة ما يجري.

اذن ليس من حاجة للامام عليه السلام لان يكتب ليزيد أنه لا علاقة له في الاحداث والثورة، خاصة اذا عرفنا أن الامام عليه السلام سار في منهجية البناء الحضاري للناس حتى قال عنه الزهري أمام عبد الملك بن مروان أن الامام زين العابدين مشغول بنفسه وليس كما تظن انه يتطلع لعمل عسكري.

«قال الزهري: فقلت: يا امير المؤمنين: ليس علي بن الحسين حيث تظن انه مشغول بنفسه، فقال: حبذا مثله فنعم ما شغل به»(١).

وعليه فإن انشغال الامام في عهد يزيد بهذه المنهجية -بلا ريب- أولى مما هو عليه في عهد عبد الملك بن مروان.

لأن عبد الملك بن مروان متأخر عن يزيد بفترة زمنية تربو على ثلاث سنوات، ولذلك فان رواية أن الامام عليه السلام كتب رسالة ليزيد قضية يصعب تصديقها، ثم إن يزيد بن معاوية رأى:

ألف- سلوك الامام زين العابدين عليه السلام البعيد عن العمل العسكري وانشغاله في اطروحات حضارية بنائية مما منعه من التصرف السيء تجاه الامام زين العابدين عليه السلام.

ب- ان الامام زين العابدين عليه السلام هو الوحيد من بني الحسين عليه السلام وقد قتل اباه بالامس، والفترة الزمينة بين مصرع ابيه الامام الحسين عليه السلام وبين احداث المدينة المنورة وثورتها فترة قصيرة هي سنة واحدة تقريباً حيث ان استشهاد الامام عليه السلام كان سنة (٦١هـ) وثورة المدينة سنة (٦٣هـ) لذلك ما اراد ان يفجع بني هاشم مرة اخرى ولذلك اوصى مسرف بن عقبة بالابتعاد عن المساس بالامام زين العابدين عليه السلام، ومضافاً الى هذا هو حماية مروان بن الحكم، حيث أن اكثر الرواة يذكرون مجيء الامام زين العابدين عليه السلام وهو بين مروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان.

وهذه حالة يمكن تصديقها لان احسان الامام عليه السلام لعوائلهم وحمايتها قد اعطى

---

(١) جهاد الامام زين العابدين للجلالي، وكتاب بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٢٣.

مفعوله في نفوسهم ولو مؤقتاً. وفوق هذا كلة تلك الكلمات التي كان يقرأها الامام عليه السلام في توجهه نحو مسرف بن عقبة حتى وصل اليه، وهذه الكلمات هي الشفرة بين الائمة عليهم السلام وبين الله سبحانه والتي تنجي الائمة من المعضلات، وهذه هي مفردات سلوك الامام عليه السلام في فترة الصدام العسكري بين الجيش الشامي الاموي القادم من الشام وبين اهل المدينة المنورة حسب ما اطلعنا عليه، ويمكن أن تكون هناك احداث اخرى لم نطلع عليها والله العالم.

وبالتالي فإن هذا اللقاء الذي تم بين الامام زين العابدين عليه السلام ومسرف عقبة ألقى في نفوس الحضور ان تكون هذه الطريقة المكرمة نفسها تجري في لقاء علي بن عبد الله بن العباس مع مسرف بن عقبة حيث وقف اخوال علي بن عبد الله بن العباس وطالبوا مسرف بن عقبة أن يقبل تعامل ابن اختهم بهذه الطريقة، وقبل مسرف بن عقبة لان عشيرتهم كانت كبيرة ومشاركة في قتال ونهب المدينة المنورة فخاف مسرف بن عقبة الفتنة في جيشه فقبل على وضعهم والواقعة هي:

واحضر علي بن عبد الله بن العباس ليبايع، فقال الحصين بن نمير السكوني: لايبايع ابن اختنا الا كبيعة علي بن الحسين، وكانت ام علي بن عبد الله كندية فقامت كندة مع الحصين، فتركه مسلم فقال علي:

أبي العباس قرم بني قصي	واخوالي الملوك بنو وليعة
همُ منعوا ذماري يوم جاءت	كتائب مسرف وبنو اللكيعة
أرادوني التي لا عز فيها	فحالت دونه أيد سريعة[1]

(١) مروج الذهب، ج٣، ص٧١، والكامل في التاريخ، ابن الاثير، ج٤، ص١٢٠.

آلية الثورة

وينقل اليعقوبي أن الانفجار حدث عندما اراد الوالي (الصبي) أن يجمع خراج المدينة ويرسلها الى الشام فرفض اهل المدينة هذا الاجراء واعلنوا العصيان على الوالي، وبدأ مسلسل الاحداث «وولى يزيد عثمان بن محمد بن أبي سفيان المدينة فأتاه ابن مينا عامل صوافي معاوية فأعلمه انه اراد حمل ما كان يحمله في كل سنة من تلك الصوافي من الحنطة والتمر، وان اهل المدينة منعوه من ذلك، فأرسل عثمان الى جماعة منهم فكلمهم بكلام غليظ فوثبوا به وبمن كان معه بالمدينة من بني امية واخرجوهم من المدينة واتبعوهم يرجمونهم بالحجارة»[1].

ويمكن أن يكون هذا صاعق التفجير الذي مكن عبد الله بن حنظلة وغيره أن يتحدثوا عن يزيد وانحرافه وعودة الوفد الى المدينة المنورة حيث انبرى (ابن الغسيل) الى التحدث عن وضع يزيد، وعليه قرر خلع يزيد من الخلافة وعندما خلع (ابن الغسيل) يزيد من الخلافة انبرى اهل المدينة الى بيعته والياً على المدينة واماما لهم. ومما قال (ابن الغسيل) وباقي الوفد عن يزيد: (فلما قدم اولئك النفر -الوفد- المدينة قاموا فيهم فأظهروا شتم يزيد وعتبة وقالوا: انا قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويعزف بالطنابير، ويضرب عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويسامر الحراب (اي اللصوص) والفتيان، وانا نشهدكم انا قد خلعناه. فتابعهم الناس[2].

ان هذا التصور الذي رسمه الوفد هو الذي دفعهم الى خلع يزيد والدعوة الى بيعة (ابن الغسيل) واول عمل قام به اهل المدينة هو طرد آل امية واتباعهم بما فيهم الوالي

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٥٠.

(٢) الطبري، ج٤، ص٢٦٨.

الجديد عثمان بن أبي سفيان من المدينة، وحصارهم في دار عثمان يمكن أن يكون هو الدار الذي بناه عثمان بن عفان لزوجته نائلة بنت الفراصفة وسماه الابيض وكان داراً كبيراً.

وفي المرحلة الثانية: اخذوا منهم المواثيق والعهود على أن لايغدروا بالثوار او يدلوا اهل الشام على عورات المدينة وثغورها. وقبل بنو امية هذا التعهد واقسموا عليه.

«اقبل مسلم بن عقبة بالجيش حتى اذا بلغ اهل المدينة اقبالهم نحوهم وثبوا على من معهم من بني أمية فحصروهم في دار مروان وقالوا والله لانكف عنكم حتى نستنزلكم ونضرب اعناقكم او تعطونا عهد الله وميثاقه ولاتبغونا غائلة ولاتدلوا النا على عورة ولاتظاهروا علينا عدوا فنكف عنكم ونخرجكم عنا، فأعطوهم عهد الله وميثاقه لانبغيكم غائلة ولاندل لكم على عورة، فأخرجوا من المدينة»[1].

وهنا أمّن علي بن الحسين عوائل آل امية.

وقد كان علي بن الحسين عليه السلام لما خرج بنو امية نحو الشام آوى اليه ثقل مروان ابن الحكم وامرأته عائشة بنت عثمان بن عفان وهي ام ابان بن مروان[2].

وقد تصدى لقيادة آل مروان بن الحكم على الرغم من أن عثمان بن محمد بن أبي سفيان هو الوالي ولكن صغر سنه وعدم معرفته للامور لم تمكنه من مواصلة القيادة.

«فأما عثمان بن محمد بن أبي سفيان فإنما كان غلاماً حدثاً لم يكن له رأي»[3].

وفي هذه المرحلة (أي انهم في دار عثمان) تولى عبد الملك بن مروان ايصال الخبر الى الشام ووضع يزيد بصورة الاحداث التي تجري عليهم، قال عبد الملك بن نوفل: «حدثني حبيب بن كرة، قال:كنت مع مروان فكتب معي هو وجماعة من بني امية كتاباً الى يزيد بن معاوية فأخذ الكتاب عبد الملك بن مروان حتى خرج معي الى ثنية الوداع فدفع الي الكتاب وقال قد اجلتك اثنى عشرة ليلة ذاهباً واثنى عشرة ليلة مقبلاً فوافني لأربع وعشرين ليلة في هذا المكان تجدني إن شاء الله في هذه الساعة جالساً انتظرك»[4].

---

(١) تاريخ الطبري، ج٤، ص٣٧٢.
(٢) نفس المصدر.
(٣) المصدر، ص٣٧٠.
(٤) المصدر.

وقد اختلف الرواة حول عمرو بن عثمان بن عفان هل كان مع آل امية في دار عثمان ام بقي بعيداً عن الاحداث، فهناك من يقول انه خرج معهم واقسم على عدم الخيانة ولذلك عندما طلب (مسرف بن عقبة) منه ان يدله على ثغرات المدينة رفض بحجة انه قد تعهد على عدم البوح بذلك وزجره مسلم بن عقبة «ولما قدمت بنو امية على مسلم بن عقبة بوادي القرى دعا بعمرو بن عثمان اول الناس فقال له اخبرني خبر ما ورائك وأشر علي قال: لا استطيع ان اخبرك فقد اخذ علينا العهود والمواثيق ألا ندلّ على عورة ولانظاهر عدواً فانتهره ثم قال: والله لو لا انك ابن عفان لضربت عنقك، وأيم الله لا أقيلها قرشياً بعدك، فخرج بما لقي من عنده الى اصحابه»[1].

وبعد اخذ التعهد بعدم الخيانة اخرجوهم من المدينة وتوجهوا نحو الشام وفي الطريق التقوا بـ(مسرف بن عقبة) وقيل ان عمرو بن عثمان بن عفان لم يكن فيمن خرج من بني امية فأُتي به يومئذ الى مسلم فقال: يا اهل الشام تعرفون هذا؟ قالوا: لا قال: «هذا الخبيث ابن الطيب هذا عمرو بن عثمان، هيه يا عمرو، واذا ظهر اهل المدينة قلت: انا رجل منكم، وان ظهر اهل الشام قلت: انا ابن امير المؤمنين عثمان، فأمر به فنتفت لحيته ثم قال: يا اهل الشام ان ام هذا كانت تدخل الجعل في فيها ثم تقول: يا امير المؤمنين حاجيتك ما في فمي؟ وفي فمها ما ساءَها وناءَها وكانت من دوس ثم خلى سبيله»[2].

صدى احداث المدينة في الشام

عندما كانت المدينة تغلي والتقارير تصل الى الشام حول تململ اهلها واستغلال ابن الزبير لهذه الاحداث بعث يزيد بن معاوية على النعمان بن بشير وطلب منه التوجه نحو المدينة والتحدث مع اهلها ليكفوا عن الثورة ولزوم الطاعة.

واختيار النعمان بن بشير باعتباره انصاري والمدينة المنورة هي مهد الانصار وبالتالي فهم اهل النعمان بن بشير.

وقد استجاب النعمان بن بشير لهذه المهمة وتوجه الى المدينة وتحدث في جموعهم

(١) المصدر، ص٣٧٣.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الاثير، ج ٤، ص١٢٠.

ولكن من دون فائدة تذكر. «فبعث يزيد النعمان بن بشير الانصاري وقال له: ان عدد الناس بالمدينة قومك فانهم ما يمنعهم شيء عما يريدون فانهم ان لم ينهضوا في هذا الامر لم يجترئ الناس على خلافي»[١].

وعندما وصل بريد آل امية الى يزيد وفيه صورة عن وضعهم وحصارهم تألم يزيد لهم ورق عليهم وكان الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فانا قد حصرنا في دار مروان بن الحكم ومنينا العذاب ورمينا بالحجارة فياغوثاه قال: فأخذت الكتاب ومضيت به حتى قدمت على يزيد وهو جالس على كرسي واضع قدميه في ماء طشت من وجع كان يجده فيهما، ويقال كان به النقرس فقرأه ثم قال: فيما بلغنا لقد بدلوا الحكم الذي من سجيتي فبدلت قومي غلظة بليان ثم قال: اما يكون بنو امية ومواليهم الف رجل بالمدينة قال قلت: بلى والله واكثر. قال: فما استطاعوا ان يقاتلوا ساعة من نهار قال فقلت: يا امير المؤمنين اجمع الناس كلهم عليهم فلم يكن لهم بجمع الناس طاقة[٢].

ثم انه ارسل على عمرو بن سعيد والى المدينة سابقاً ليقود الجيش نحو المدينة ومكة فرفض.

«قال: فبعث الى عمر بن سعيد فأقرأه الكتاب واخبره الخبر وأمره أن يسير اليهم في الناس فقال له: قد كنت ضبطت لك البلاد واحكمت لك الامور فأما الآن إذ صارت إنما هي دماء قريش تراق بالصعيد فلا احب ان اكون انا اتولى ذلك يتولاها منهم من هو ابعد منهم مني»[٣].

وارسل بعد ذلك الى عبيد الله بن زياد ان يتولى مهمة قتال المدينة ومكة فرفض هو الآخر.

---

(١) نفس المصدر السابق، ص١٠٤.
(٢) الطبري، ج٤، ص٣٧١.
(٣) المصدر.

«حدثنا جرير عن مغيرة قال كتب يزيد الى ابن مرجانه ان اغز ابن الزبير فقال: لا اجمعها للفاسق ابداً اقتل ابن بنت رسول الله عليه السلام واغزوا البيت قال: وكانت مرجانة امرأة صدق فقالت لعبيد الله قتلت الحسين عليه السلام ويلك ماذا صنعت وماذا ركبت»(١).

وبعدها ارسل على مسرف بن عقبة وطلب منه ان يتولى هذه المهمة وقد اشرنا سابقاً الى وصية معاوية بن أبي سفيان يزيد حول احتمال قيام اهل المدينة وعليه ان يولي مسرف بن عقبة هذه المهمة وقد استجاب مسرف لهذه المهمة بعد نقاش دار بين (الاثنين) حول دور آل امية وهم (١٠٠٠) الف نسمة وبامكانهم القتال والمحاربة ولو لوقت قصير لاثبات الوجود.

«فلما انتهى الخبر الى يزيد بن معاوية وجه الى مسلم بن عقبة فأقدمه من فلسطين وهو مريض فأدخله منزله ثم قص عليه القصة فقال: يا امير المؤمنين وجهني اليهم فوالله لأدعن أسفلها أعلاها- يعني مدينة رسول الله- فوجهه في خمسة الاف الى المدينة»(٢).

وقد تولى مسرف قيادة الجيش، وقام يزيد لتوديع الجيش بعد ان استعرضه واوصاه وصاياه الخبيثة التي ذكرناها سابقاً ودخل على يزيد فقال: يا امير المؤمنين لاتنصرن هؤلاء فأنهم الاذلاء (اي بنو امية) اما استطاعوا ان يقاتلوا يوماً واحداً او شطره او ساعة منه دعهم يا امير المؤمنين حتى يجهدوا انفسهم في جهاد عدوهم وعز سلطانهم ويستبين لك من يقاتل منهم على طاعتك ويصبر عليها او يستسلم، قال: «ويحك انه لاخير في العيش بعدهم، فاخرج فأنبئني نبأك وسر بالناس، فخرج مناديه فنادى أن سيروا الى الحجاز على اخذ اعطياتكم كملاً ومعونة مائة دينار توضع في يد الرجل من ساعته، فانتدب لذلك اثنا عشر الف رجل»(٣).

وقد اختلف في عدد الجيش الذي تولى هذه المهمة، فمنهم من يقول انهم (١٢٠٠٠) نسمة ومنهم من يقول انهم (٥٠٠٠ الى ٦٠٠٠) نسمة.

---

(١) المصدر.
(٢) اليعقوبي، ج٢، ص٢٥٠.
(٣) الطبري، ج٤، ص٣٧١.

«وكان جيش مسلم خمسة آلاف رجل»[١].

رأيت يزيد بن معاوية خرج الى الخيل يتصفحها وينظر اليها، قال: فسمعته وهو يقول - وهو متقلد سيفاً ومتنكب قوساً عربية -:

أبلغ ابابكر اذا الليل سرى وهبط القوم على وادي القرى
عشرون الف بين كهل وفتى أجمع سكران من القوم ترى
يا عجباً من ملحد يا عجبا مخادع في الدين يقفوا بالعرى
أم جمع يقظان نفى عنه الكرى[٢]

فتكون ثلاثة ارقام هي: (٥٠٠٠)، (١٢٠٠٠)، (٢٠٠٠٠).

يوميات المعركة

١ - تحرك الجيش والتقى مع آل امية في وادٍ يقال له: (وادي القرى) «ولما قدمت بنو امية على مسلم بن عقبة بوادي القرى»[٣]. وطلب منهم ان يدلوه على عورات المدينة والمنفذ الممكن أن يعبروا منه لدخول المدينة.

وقد قام بهذه المهمة والدور الخياني عبد الملك بن مروان حيث خاف ان يتقدم مروان فيلقى الاهانة لذلك طلب من ابنه عبد الملك ان يكون اول من يدخل على مسرف بن عقبة. «فقال مروان بن الحكم لابنه عبد الملك: ادخل قبلي لعله يجتزئ بك عني فدخل عبد الملك»[٤].

٢ - والغريب ان عبد الملك بن مروان، الذي قام بإرسال الرسول ومعه البريد الى يزيد يعرّفه بوضعهم في المدينة وحصار اهل المدينة لهم وينتظر الجواب بطريقة خاصة، يدل مسرف بن عقبة على عورات المدينة ويصف له المواقع بطريقة دقيقة حتى ان مسرف بن عقبة يمتدحه على هذه القدرة ويقول له: لله ابوك، اي امرئ ولد إذ ولدك، لقد رأى بك خلفاً[٥].

---

(١) اليعقوبي، ج٢، ص٢٥١.
(٢) الطبري، ج٤، ص٣٧٢.
(٣) المصدر، ص٣٧٣.
(٤) ابن الاثير، ج٤، ص١١٤.
(٥) تاريخ الطبري، ج٤، ص٣٧٣.

«فدخل عبد الملك فقال: هات ما عندك اخبرني خبر الناس وكيف ترى فقال له: نعم أرى ان تسير بمن معك فتتنكب هذا الطريق الى المدينة حتى اذا انتهيت الى ادنى نخل بها نزلت فاستظل الناس في ظله واكلوا من تمره حتى اذا كان الليل اذ كيت الحرس بالليل كله عقباً بين اهل المعسكر حتى اذا اصبحت صليت بالناس الغداة ثم مضيت بهم وتركت المدينة ذات اليسار ثم اردت بالمدينة حتى تأتيهم من قبل الحرة مشرقاً ثم تستقبل القوم فاذا استقبلتهم وقد اشرقت عليهم وطلعت الشمس طلعت بين اكتاف اصحابك فلا تؤذيهم وتقع في وجوههم فيؤذيهم حرها ويصيبهم اذاها ويرون ما دمتم مشرقين ائتلاف بيضكم وحرابكم واسنة رماحكم وسيوفكم ودروعكم وسواعدكم ما لاترونه انتم لشيء من سلاحهم مادامو مغربين ثم قاتلهم واستعن بالله عليهم فإن الله ناصرك اذا خالفوا الامام وخرجوا من الجماعة فقال له مسلم: لله ابوك، اي امرئ ولد إذ ولدك، لقد رأى بك خلفاً»[1].

وبعد هذه الادوار القذرة ضد اهل المدينة ينقل المؤرخون انه استنكر-اي عبد الملك- ارسال يزيد بن معاوية الجيوش لغزو المدينة وتعظم ذلك.

«ولما سمع عبد الملك بن مروان ان يزيد قد سير بالجنود الى المدينة قال: ليت السماء وقعت على الارض اعظاماً لذلك»[2].

فلا يعرف كيف يمكن القبول بنسبة هذا القول لعبد الملك بن مروان وهو يؤدي هذه الادوار الخيانية الآنفة.

خاصة اذا عرفنا ان قوله هذا الاستنكار كان قبل وصول الجيش الى المدينة وهو مارس الادوار الخيانية بعد وصول الجيش، فاذا كان استنكاره صحيحاً وعن تعظيم لأهل المدينة وقبر صاحب الرسالة فَلِم هو يمارس الخيانة بعد ذلك بأيام؟

وعليه فمن الصعب تصديق هذا القول ان يكون من عبد الملك؟

٣- وصول الجيش الاموي الشامي الى المنطقة التي دلهم عليها عبد الملك بن

---

(١) المصدر.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الاثير، ج٤، ص١١٣.

مروان وهي الحرة وقد نصبوا خيامهم فيها(١).

وقد اعطى مسرف بن عقبة لأهل المدينة مدة ثلاثة ايام ان يفكروا اما بالنزول على طاعة يزيد والتوجه الى محاربة ابن الزبير او القتال. وبعد الثلاثة التي امهلهم مسرف بن عقبة طلب منهم الرد فكان جوابهم القتال.

فلما مضت الثلاث قال: يا أهل المدينة ما تصنعون؟ أتسالمون أم تحاربون؟ فقالو: بل نحارب، ثم ان الجيش الاموي عندما نظر الى الجيش المدني هابه وخاف قتاله ولكن مسرف بن عقبة خطب فيهم وعرضهم على القتال(٢).

٤- اهم الوقائع التي حدثت هو توجه الفضل بن عباس بن ربيعة لقتال مسرف بن عقبة والوصول اليه. ان الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب جاء الى عبد الله بن حنظلة الغسيل فقاتل في نحو من عشرين فارساً قتالا شديداً حسناً، ثم قال لعبد الله: مر من معك فارساً فليأتني فليقف معي فإذا حملت فليحملوا، فو الله لا انتهي حتى ابلغ مسلماً، فإما أن أقتله وإما ان اقتل دونه. فقال عبد الله بن حنظلة لعبد الله بن الضحاك من بني عبد الاشهل من الانصار: نادِ في الخيل فلتقف مع الفضل بن العباس، فنادى فيهم الضحّاك، فجمعهم إلى الفضل، فلما اجتمعت الخيل اليه حمل على اهل الشام فانكشفوا فقال لأصحابه: الا ترونهم كشفاً لياماً؟ احملوا اخرى جعلت فداكم فو الله لئن عاينت اميرهم لأقتلنه اولأقتلن دونه، ان صبر ساعة معقب سروراً، انه ليس بعد صبرنا الا النصر.

وحمل اصحابه معه فانفرجت خيل اهل الشام عن مسلم بن عقبة في نحو خمسمائة راجل جثاة على الركب مشرعي الاسنة نحو القوم ومضى هو ورايته حتى يضرب رأس صاحب الراية وان عليه لمغفرا فَقَدّ المغفر وفلق هامته فخر ميتاً فقال: خذها مني وانا ابن عبد المطلب فظن انه قتل مسلماً فقال: قتلت طاغية القوم ورب الكعبة فقال مسلم: أخطأت أستك الحفرة، وانما كان ذلك غلاماً له يقال له رومي وكان شجاعاً فأخذ مسلم رايته ونادى: يا اهل الشام هذا القتال قتال قوم يريدون ان يدافعوا به عن دينهم وان

---

(١) المصدر، ص١١٤.

(٢) المصدر، ص١١٥.

يعزوا به نصر امامهم، قبح الله قتالكم منذ اليوم ما اوجعه لقلبي واغيظه لنفسي، اما والله ما جزاؤكم عليه الا ان تحرموا العطاء وان تجمروا في اقاصي الثغور، شدوا مع هذه الراية ترح الله وجوهكم ان لم تعتبوا، فمشى برايته وشدت تلك الرجال امام الراية فصرع الفضل بن عباس فقتل وما بينه وبين اطناب مسلم بن عقبة الا نحو عشر أذرع وقتل زيد بن عبد الرحمن بن عوف وقتل معه ابراهيم بن نعيم العدوي في رجال من اهل المدينة[١].

فحمل الفضل بن العباس بن ربيعة في جماعة من وجوه الناس وفرسانهم يريد مسلم بن عقبة ومسلم على سريره مريض فقال احملوني فضعوني في الصف فوضعوه بعد ما حملوه امام فسطاطه في الصف وحمل الفضل بن العباس هو واصحابه اولئك حتى انتهى الى السرير وكان الفضل احمر فلما رفع السيف ليضربه صاح بأصحابه ان العبد الاحمر قاتلي فأين انتم يا بني الحرائر اسجروه بالرماح فوثبوا اليه فطعنوه حتى سقط[٢].

وعندما عرف مسرف بن عقبة ان انتصار اهل المدينة بات وشيكاً خطب في جنده ووبخهم ووصفهم بأنهم ليسوا بأفضل من اهل المدينة ولكنهم اهل الطاعة والإنقياد.

«وركب مسلم بن عقبة فرساً له فأخذ يسير في اهل الشام ويحرضهم ويقول: يا اهل الشام انكم لستم بأفضل العرب في احسابها ولا انسابها ولا اكثرها عدداً ولا اوسعها بلداً، ولم يخصصكم الله بالذي خصكم به من النصر على عدوكم وحسن المنزلة عند ائمتكم الا بطاعتكم واستقامتكم، وأن هؤلاء القوم واشباههم من العرب غيّروا فغيّر الله بهم، فتموا على احسن ما كنتم عليه من الطاعة يتمم الله لكم احسن ما ينيلكم من النصر والفلج. ثم جاء حتى انتهى الى مكانه الذي كان فيه وأمر الخيل أن تتقدم على ابن الغسيل واصحابه»[٣].

٥- خيانة مروان بن الحكم لأهل المدينة حيث تمكن من التحالف مع بعض العشائر المحيطة بالمدينة وجمع بحدود (١٠٠) مقاتل ودخلوا المدينة وهتفوا (الله اكبر) وعندما سمع ا هل المدينة الصوت اصابتهم الدهشة حيث عرفوا انهم محاصرون من

(١) تاريخ الطبري، ج٤، ص٣٧٥.
(٢) المصدر، ص٣٧٨.
(٣) تاريخ الطبري، ج٤، ص٣٧٦.

داخل المدينة ومن خارجها وقد قُتِل من جراء ذلك اكثر مما قُتِل من المواجهة العسكرية.

«فبينما الناس في قتالهم اذ سمعوا تكبيراً من خلفهم في جوف المدينة وكان سببه أن بني حارثه ادخلوا اهل الشام المدينة فانهزم الناس فكان من اصيب في الخندق اكثر ممن قتل»[١].

٦- استشهاد عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة واخيه وانتهاء المعركة بانتصار (مسرف بن عقبة) وعندها مر (مروان بن الحكم) على القتلى من اهل العبادة والتهجد:

«فمر عليه مروان بن الحكم وكأنه برطيل من فضة فقال: رحمك الله فرب سارية قد رأيتك تطيل القيام في الصلاة الى جنبها»[٢].

٧- اعلان مسرف بن عقبة استباحة المدينة المنورة لمدة ثلاثة ايام حيث السلب والنهب والاعتداء على الاعراض، وغدر مسرف بن عقبة بالناس وصفى حساباته معهم واخذ منهم البيعة انهم عبيد ليزيد يفعل بهم ما يشاء (ولما فرغ مسلم بن عقبة من قتال اهل المدينة وإنهاب جنده اموالهم ثلاثاً)[٣]. وتعامل معهم بطريقة يندى لها الجبين ومن المؤسف أن كل هذا يتم تحت اسم الخلافة الاسلامية والطاعة للخليفة الاسلامي.

ونسير مع الاحداث عندما انتصر مسرف بن عقبة على الجيش المدني من خلال المفردات التي نقلها المؤرخون وقد جلس (مسرف بن عقبة) في (قبا) يطلب من الناس البيعة ليزيد بن معاوية[٤].

وقد عبث الجيش الاموي في مدينة رسول الله ﷺ وحتى في مسجده وعند قبره الشريف حيث الناس هرعت الى المسجد لتأمن من القتل ولكن لم ينفعهم ذلك.

«جالت خيولهم في المسجد النبوي بكل وقاحة وجسارة وقتلوا وفتكوا حتى سال الدم وبلغ القبر المطهر وبالت خيولهم وروثت في الروضة المنورة ما بين القبر والمنبر التي

---

(١) الكامل، لابن الاثير، ج٤ ص١١٨.
(٢) تاريخ الطبري، ج٤، ص٣٧٧.
(٣) المصدر، ص٣٨١.
(٤) المصدر، ص٣٧٨.

هي روضة من رياض الجنة»[١].

«فخدع مروان بعضهم فدخل المدينة ومعه مائة فارس فأتبعه الخيل حتى دخلت المدينة فلم يبق بها كثير احد الاقتل واباح حرم رسول الله حتى ولدت الابكار لا يُعرف مَن اولدهن»[٢].

«واخاف المدينة ونهبها وقتل اهلها وبايعه اهلها على انهم عبيد ليزيد (وسماها نتنة) وقد سماها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طيبة وقال: من أخاف المدينة أخافه الله»[٣].

اباح مسلم بن عقبة الذي يقول فيه السلف مسرف بن عقبة -قبحه الله من شيخ سوء ما اجهله- المدينة ثلاثة ايام كما امره يزيد- لاجزاه الله خيراً- وقتل خلقاً من اشرافها وقرائها وانتهب اموالا كثيرة منها[٤]. وجاءَته امراة فقالت: انا مولاتك وابني في الاسارى فقال: (عجلوه لها) وضربت عنقه وقال اعطوها رأسه.

ووقعوا على النساء حتى قيل انه حبلت الف امرأة في تلك الايام من غير زوج:

وولدت الف امرأة من اهل المدينة بعد وقعة الحرة من غير زوج[٥].

«واول دور انتهبت والحرب قائمة دور بني عبد الاشهل، فما تركوا في المنازل من اثاث وحلي ولا فراش الا نفض صوفه، حتى الحمام والدجاج كانوا يذبحونها.

وقد دخلوا دار محمد بن مسلمة فصاحت النساء فأقبل زيد بن محمد بن مسلمة الى الصوت فوجد عشرة ينهبون فقاتلهم ومعه رجلان من اهل المدينة حتى قُتِل الشاميون جميعاً وخلصوا منهم ما اخذوه فألقوا متاعهم في بئر ماء فيها والقي عليها التراب.

ثم اقبل نفر من اهل الشام فقاتلوهم ايضاً حتى قتل زيد بن محمد اربعة عشر رجلاً فضربه بالسيف منهم اربعة في وجهه»[٦].

---

(١) منتهى الآمال، ج٢، ص٥١.
(٢) اليعقوبي، ج٢، ص٢٥٠.
(٣) مروج الذهب، ج٣، ص٦٩.
(٤) البداية والنهاية، ابن كثير، ج٨، ص٢٤١.
(٥) البداية والنهاية، ابن كثير، ج٨، ص٢٤١.
(٦) الامامة والسياسية، ابن قتيبة، ج١، ص١٨٢.

ولزم ابو سعيد الخدري صاحب رسول الله ﷺ بيته، فدخلوا عليه وقالوا له: مازلنا نسمع عنك، فبحظك اخذت في تركك قتالنا وكفك عنا ولزوم بيتك، ولكن أخرِج الينا ما عندك.

قال: والله ما عندي مال فنتفوا لحيته وضربوه ضربات ثم اخذوا كل ما وجدوه في بيته حتى الصواع وحتى زوج حمام كان له[1].

دخل رجل من اهل الشام على امرأة نفساء من نساء الانصار ومعها صبي لها فقال لها: هل من مال؟

قالت: لا والله ما تركوا لي شيئاً.

فقال: والله لتخرجن لي شيئاً او لأقتلنك وصبيك هذا.

فقالت: ويحك انه ولد ابن أبي كبشة الانصاري صاحب رسول الله ﷺ ولقد بايعت رسول الله ﷺ معه يوم بيعة الشجرة على ان لا أزني ولا اسرق ولا اقتل ولدي ولا آتي ببهتان افتريه فما آتيت شيئاً فاتق الله.

ثم قالت لابنها: يا بني والله لو كان عندي شيء لافتديتك به.

قال الراوي: فأخذ الشامي برجل الصبي والثدي في فمه فجذبه من حجرها فضرب به الحائط فانتثر دماغه في الارض.

قال الراوي: فلم يخرج من البيت حتى اسود نصف وجهه وصار مثلاً[2].

«طلب الامان لرجلين من قريش ليزيد بن عبد الله بن زمعة بن الاسود بن عبد المطلب بن اسد بن عبدالعزى، ومحمد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوي، ولمعقل بن سنان الاشجعي، فأتي بهم بعد الواقعة بيوم، فقال: بايعوا، فقال القرشيان: نبايعك على كتاب الله وسنة نبيه.

فقال مسرف: لا والله لا اقيلكم هذا ابداً، فقدمهما فضربت اعناقهما، فقال له

(١) نفس المصدر.
(٢) نفس المصدر، ص١٨٤.

مروان: سبحان الله اتقتل رجلين من قريش أتيا ليؤمنا فتضرب اعناقهما، فنخس بالقضيب في خاصرته ثم قال: وانت والله لو قلت بمقالتهما ما رأيت السماء إلا برقة».

«.. إن مسلم بن عقبة بعث عمرو بن محرز الاشجعي فأتاه بمعقل بن سنان فقال له مسلم: مرحباً بأبي محمد اراك عطشان.

قال: اجل.

قال: شوبوا له عسلا بالثلج الذي حملتموه معنا.

وقال له: سقاك الله من شراب الجنة.

فقال له مسلم: اما والله لانشرب بعدها شراباً ابداً حتى تشرب من شراب الحميم.

قال: انشدك الله والرحم.

فقال له مسلم: انت الذي لقيتني بطبرية ليلة خرجت من عند يزيد فقلت سرنا شهراً ورجعنا من عند يزيد صفرا نرجع الى المدينة فنخلع هذا الفاسق ونبايع لرجل من ابناء المهاجرين قيم غطفان واشجع من الخلع والخلافة اني آليت بيمين لا القاك في حرب اقدر فيه على ضرب عنقك الا فعلت ثم امر به فقتل. واتي بيزيد بن وهب بن زمعة فقال: بايع.

قال: ابايعك على سنة عمر. قال: اقتلوه. قال: انا ابايع.

قال: لا والله لا اقيلك عثرتك.

فكلمه مروان بن الحكم لصهر كان بينهما فأمر مسلم بمروان فوجِئت عنقه.

ثم قال: بايعوا على انكم خول يزيد بن معاوية، ثم امر به فقُتل[١].

وهذه نماذج مما وقع في المدينة المنورة من احداث مؤلمة ووقائع مخزية.

وقد تحدث المؤرخون عن القتلى فقالوا: «فمن قتل من آل أبي طالب اثنان من ابناء عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وجعفر بن محمد بن علي بن ابي طالب.

(١) تاريخ الطبري، ج ٤، ص٣٧٧-٣٧٩.

ومن بني هاشم من غير آل أبي طالب الفضل ابن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وحمزة بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب والعباس بن أبي لهب بن عبد المطلب.

وبضع وتسعون رجلاً من سائر قريش ومثلهم من الانصار أي بضع وتسعون رجلاً.

وأربعة الاف من سائر الناس ممن ادركه الاحصاء دون من لم يعرف»[١].

«عن الزهري انه قتل سبعمائه رجل من وجوه الناس من قريش والانصار والمهاجرين والموالي وقتل عشرة الاف من سائر الناس الذين لم يعرفوا من الرجال والنساء والاطفال»[٢].

وعندما انتهت المعركة اخذت رؤوس قادة الانتفاضة والثورة والاصلاح الى الشام حيث وضعت بين يدي يزيد بن معاوية لينظر الى الظفر الذي ناله والانتصار الذي حققه.

وعندما نظر الى الرؤوس جعل يتمثل يقول ابن الزبعري يوم احد:

ليت اشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الاسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً ... ثم قالوا يا يزيد لا تشل

وهي نفس الابيات التي ترنم بها عندما وضع أمامه رأس سيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام[٣].

وبعد انتهاء المعركة وتوجه الجيش الشامي نحو مكة المكرمة اصاب مسرف بن عقبة المرض واثناء المرض دار حديث عن اباحة المدينة وما انزل بها من انتهاكات مزرية، فقال: إن ذلك افضل عمل اتقرب به الى الله سبحانه بعد الشهادتين.

«ثم قال اللهم اني لم اعمل عملاً قط بعد شهادة أن لا اله إلا الله وان محمداً عبده

---

(١) مروج الذهب، ج٣، ص٧٠.
(٢) منتهى الآمال، ج٢، ص٥١.
(٣) الامام زين العابدين عليه السلام، ص٦٤١، باقر شريف القرشي.

ورسوله احب الي من قتلي اهل المدينة ولا ارجى عندي في الآخرة»[١].

والملفت للنظر ان هذا الرجل هو الذي قاد جيشاً ليدك به مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأي اعتقاد كان يحمل وأي ثقافة قد غذي بها هذا الرجل، فهو يطالب الناس بالبيعة والطاعة ليزيد باعتباره خليفة رسول الله وفي كلماته يقول انه يشهد الشهادتين اي:

اشهد أن لا اله إلا الله، واشهد أن محمداً رسول الله

فأي اله يعبده هذا النمط من الرجال؟

واي اله كانوا يقسمون به ويتضرعون اليه ويطلبون منه النصر.

واي (معبود) هذا الذي يقدمونه بين يدي حوائجهم.

احقاً هم يعتقدون انهم على حق..؟

او يصدق انهم كانوا يؤمنون وان لهم الحق في ذبح الناس واهانة مقدساتهم بهذه الطريقة؟

او يصدق انهم كانوا يفعلون كل ذلك قربة الى الله؟

ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسمي المدينة (طيبة) وهو يسميها (نتنة) ولكن هو «الله الذي يعطي من سأله ويعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه»[٢].

ام يعطيهم ليزدادوا سوءاً، ويعتقد ان كل ذلك افضل الاعمال عند الله.

وبعد ذلك يحلف بالله ويشهد أن محمداً رسوله الله.

إن هذا التناقض في السلوك نابع من الثقافة المنحرفة التي تغذّوا بها وهم بالشام وهي ثقافة منحرفة ضالة، كما انهم لايعرفون الا طاعة آل امية تلك الطاعة التي فضلوها على طاعة الله ورسوله فمنهم من عبد يزيد عملاً وعبد الله كلاماً.

وهذا الجيش الذي طالما تطلع افراده لزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا به يدخل مسجده بخيله ويفسق بالمحصنات والابكار ويسرق ويقتل بتخبط حتى بات لا يعرف ماذا يعمل؟

---

(١) الطبري، ج ٤، ص ٣٨٢.
(٢) من دعاء شهر رجب.

فهل كان هذا الجيش اسلامياً ويحمل همّ الاسلام؟

ام انّ هذه همّة يزيد وآل امية؟ فتعساً لهذه الثقافة والحكومة ولهؤلاء الناس.

ولا عجب فإن مثل هذه الصفحات مسجلة في عمق التاريخ مثلما نحن نعيش حاضراً يتماثل مع عصر وشخص مسرف بن عقبة، ونموذج ذلك في بلد مثل العراق حيث يُمارس نفس السلوك والادوار مع الشعب العراقي والمدن المقدسة والعلماء والمراجع.

فإن العَلَم يحمل كلمة (الله اكبر) وبديل مسرف يأتي لزيارة قبور الأئمة الاطهار في كربلاء المقدسة والنجف الاشرف ولكن جيشه يضرب قبة الامام الحسين بالصواريخ فيثقبها ويضرب قبر الامام الحسين وضريحه ويهدمه، وشاهد ذلك الصارخ هدم باب القبلة، ولعل الافضع هو ما جرى من مذابح بداخل الصحن الشريف حيث سال الدم في هذه البقعة المطهرة مرة اخرى.

وكذلك ضربت مأذنة الصحن الشريف لأبي الفضل العباس عليه السلام وهُدم (١٣٥) مسجد وحسينية كانت تُرفع شعائر الله فيها.

هذا فضلاً عن تفتيش المدينة بيتا بيتاً بحثاً عن الرجال كما هدمت مساحات واسعة من البيوت والبساتين المحيطة بالمدينة.

وكل هذا يجري وطاغية بغداد يدّعي أنه حامي الاسلام ومن نسل علي بن أبي طالب وأن الحسين بن علي جده الاعلى، أليست هذه مهزلة وسخرية؟

غريب بعض الرجال في دَجَلِه وخبثه وجرائمه ووقاحته لعنهم الله وابعدهم عن رحمته، وبالتالي فان مسرف بن عقبة يضرب مدينة الرسول قربة الى الله تعالى على أنها افضل الاعمال التي يقدمها بين يدي ربه.

وبعد ذلك فهو والٍ على الجيش الاسلامي ويدعو الى طاعة خليفة رسول الله يزيد بن معاوية.

وبعد أن شفي غليل مسرف بن عقبة من مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومن دماء آل الرسول واصحاب الرسول وانصار الرسول، وبعد كل ذلك توجه تلقاء مكة المكرمة

ليصب جام غروره على سكنة بيت الله، ولكن الله بالمرصاد للطغاة القتلة، انه يمهلهم ولايهملهم وسبحانه يا له من حكيم وعزيز ومقتدر سبحانه، سبحانه، سبحانه.

إنها والله لاتفي الكلمات بالتعبير عن مشاعر الانسان وهو يقرأ سطور الاجرام ويعيش بين الاسطر اكثر مما تقرأ عينه الكلمات الصماء.

ترك هذا الطاغية المدينة المنورة وهي تعاني من موت روحي وسحق معنوي وزلزال قيمي، وهل يجرؤ احد على ضرب مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الطيبة وفيها مثوى جسده الطاهر؟ او يجرؤ على هتك اعراض المسلمات المخدَّرات؟ أو هل يجرؤ احد أن يمس صحابياً بسوء؟ إنها جرأة اموية استقوها من (هند) عندما لاكت كبد حمزة اسد الله وأسد رسوله.

تركوا المدينة وآلاف الأيتام والثكلى والأرامل واللواتي فقدن عذريتهن او التي علقن من الجيش المعتدي فهل الانات تشفي الغليل، ام ان الآهات تمتص الحزن؟

ليس من عمل غير قول:

﴿إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾(١).

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾(٢).

﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾(٣).

وها هو أخْذ الله سبحانه للظالمين.

ان مسرف يحتضر ليقدم على الله الذي هو بالمرصاد للظالمين، حيث أحس مسرف باقتراب الاجل منه فاراد أن ينفذ وصيته (التي امره بها يزيد) فاستدعى حصين بن نمير وجرى بينهم هذا الحوار. تعالوا بربكم واقرؤوا كلمات الحوار بهدوء وانتقلوا خياليا الى اجواء الحوار، فهل يليق بمسلم عادي أن يتلفظ بهذه الكلمات فضلاً عن آمر جيش وامام جماعة يقتدي به الناس وقائد جيش بيده ارواح الناس ودمائهم واعراضهم؟

---

(١) البقرة، ١٥٦.

(٢) الشعراء، ٢٢٧.

(٣) القمر، ٤٢.

تعالوا لنعرف كم دنسوا سمعة الاسلام وكم عملوا سوءاً في الامة، ولكن هذه هي الحياة. ﴿إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[١].

تقول الرواية:

«فلما حضره الموت أحضر الحصين ابن النمير وقال له: يابن برذعة الحمار لو كان لي الامر ما وليتك هذا الجند»[٢].

ولوّى مسرف رقبته وانتقل الى دار حقه حيث قاصم الجبارين له بالمرصاد، فدفنه جيشه وارتحلوا.

جاءت امرأه منكوبة بولدها تحت الخطر لتقتص لولدها وتأخذ بثأرها وتفرغ ما في قلبها من حقد زرعه مسرف في قلبها وحمّلها اياه غصة فغصة.

حتى اذا عرفت مكان القبر نبشته واذا بثعبان طوّق (رقبة مسرف) فراودته ودافعته حتى انصرف عن رقبته فماذا كان يعمل هذا الثعبان مع مسرف بن عقبة؟[٣].

هل كان يعضه عضَّةً بكل مسلم قُتل بريئاً وبكل عرض انتهك غصباً؟

وينهش من لحمه بكل حاجة سرقت من دار مسلم؟

ام ان الله تعالى دبر مجيء هذه المفجوعة لتنبش قبر هذا الشيطان بصورة انسان وترى الثعبان بأم عينها حتى تستيقن ان الله بالمرصاد وان القبر حقاً -لهؤلاء- حفرة من حفر النيران، وبعدها لتعلن للملأ وترسم صورة ما رأت لهم ولنا نحن الآن والاجيال الماضية والحاضرة والمستقبلة جزاء هؤلاء الظلمة، وان ما غاب عن الانظار اكثر مما يشاهده العيان، يذهب الثعبان وتخرج المفجوعة الجثة وتعلقها على خشبة وترمي الجثة بالاحجار وبقي لايام يرجم كالشيطان الرجيم، ثم عاد حصين بن نمير فرجع ودفنه مرة اخرى.

ان مجرد استخراج الجثة هو اهانة وتعبير عن غضب الامة وعدم رضاها على هذا

---

(١) البقرة، ٥٦.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الاثير، ج٤، ص١٢٣.

(٣) انظر: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج٥٨، ص١١٤.

العنصر الشاذ، كما انه عبرة حيث يقيّض سبحانه لهم من يدفعه غضبه ليقابل السيئة بمثلها ويشفي غليله. وهذه كانت قصة هذا الطاغية، انه مسرف بن عقبة.

ثورة المدينة وابن الزبير

ان ثورة المدينة المنورة كانت عملية انفجار غضب على السلطة الاموية لما تجمع لديهم من تراكمات ايقنوا من خلالها بانحراف حكام الشام. وقد اختلطت الدوافع في الحركة ضد السلطة الاموية، فهناك آل هاشم وابن الغسيل الذي عُرِف عنه الورع والتقوى، وهناك من خط ابن الزبير الذي يمثله منذر بن الزبير (اخو عبد الله بن الزبير) وعبد الله بن مطيع. وقد استشهد من اشترك من بني هاشم، وبطولة (الفضل) كانت نموذجا منفردا متميزاً قد حفظها التاريخ، ولو كانت ضربته حسب ما كان في ذهنه لغيرت مجرى تاريخ الاسلام. كما استشهد الغسيل هو واولاده واخوه بعد ان افنوا ما عندهم من قوة وطاقة. وكل منهم كان له قاطع يقوده في المعركة، والظاهر ان الخط الزبيري سياسي يلهث وراء السلطة اكثر منه ديني يدافع عن قيم ومقدسات، والشهادة في سبيل ذلك هي المنشودة في هكذا تطلعات.

وقد تنبأ النعمان بن البشير ان ابن المطيع سيهرب نحو مكة وقال له ذلك بكلمات حوار بينهما قصد ثني سعيد بن زيد أبى المثلم.

ان يزيد بن معاوية بعث النعمان بن بشير الانصاري فقال له: آت الناس وقومك فافثأهم عما يريدون فانهم ان لم ينهضوا في هذا الامر لم يجترئ الناس على خلافي وبها من عشيرتي من لا احب ان ينهض في هذه الفتنة فيهلك، فأقبل النعمان بن بشير فأتى قومه ودعا الناس اليه عامة وامرهم بالطاعة ولزوم الجماعة وخوّفهم الفتنة وقال لهم انه لا طاقة لكم بأهل الشام، فقال عبد الله ابن مطيع العدوي ما يحملك يا نعمان على تفريق جماعتنا وفساد ما اصلح الله من امرنا؟ فقال النعمان: اما والله لكأني بك لو قد نزلت تلك التي تدعو اليها وقامت الرجال على الكرب تضرب مفارق القوم وجباههم بالسيوف ودارت رحا الموت بين الفريقين قد هربت على بغلتك تضرب جنبيها الى مكة وقد خلفت هؤلاء المساكين يعني الانصار يُقتلون في سككهم ومساجدهم وعلى ابواب دورهم،

فعصاه الناس فانصرف[١].

والظاهر ان ابن المطيع مارس نفس الدور عند ما عينه عبد الله بن الزبير والياً على الكوفة من قبله فيما بعد، اي بعد هلاك يزيد وتخلخل الوضع السياسي في الشام. حيث دخل المختار بن أبي عبيدة الثقفي الكوفة فهرب عبد الله بن مطيع من الكوفة متوجهاً نحو مكة. وقد عبر عن موقفه هذا كذلك انه صمد في مكة المكرمة مع ابن الزبير وذكر هربه في شعره وقال ان الهرب مرة واحدة وقُتل في المعركة.

انا الذي فررت يوم الحرة والحر لايفرّ إلا مرّة
واليوم اجزى فرة بكرّة[٢]

اما المنذر فانه كان يقاتل في المدينة لأنه كان احد الوافدين على يزيد ممن اخذ من يزيد مبلغا من المال وخطب في المدينة ضد يزيد -كما بينا- وبالتالي فانه ان انتصر فيكون خط عبد الله بن الزبير في المدينة ويمكن أن يؤثر في القرار على ابن الغسيل ايجابا باتجاه عبد الله بن الزبير. ولا إشكال ان في المدينة المنورة وثورتها يداً لعبد الله بن الزبير ولكن لم تكن الثورة زبيرية اطلاقاً.

لأنه لو كانت كذلك لأظهروا الطاعة له والانقياد لزعامته والدعوة الى إسمه وهذا لم يذكره اي مورخ. كما لو كان لعبد الله بن الزبير ضلعٌ قياديٌ بالثورة لما اختار اهل المدينة (ابن الغسيل) واليا عليهم، بل كانوا يختارون من له ميل ظاهري لهم باسم ابن الزبير ولكن هذا لم يعرف في ثورة اهل المدينة، وعليه لايمكن أن نقول أن ثورة المدينة المنورة هي حركة زبيرية الدوافع والاهداف.

وانما هي حركة مستقلة تجمع بين دفتيها خليطاً من الرموز والتكتلات السياسية كما اشرنا وكل يقاتل بدافع، ولكنهم مجمعون على حرب آل امية، وقد جرت احداث ثورة المدينة المنورة في آخر ذي الحجة سنة ٦٣ للهجرة.

---

(١) تاريخ الطبري، ج٤، ص٣٦٩.
(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج٤، ص٣٥٥.

حركة التوابين بين الآلية والاندفاع

فكرة القيادة هي من ابسط الافكار واكثرها بديهية في الحياة بكافة مرافقها وقد حث الشارع الاسلامي عليها من ابسط المسائل الى اكثرها خطورة وتعقيداً في قيادة الامة. ففي الحديث الشريف (اذا كنتم ثلاثه فأمِّروا احدكم)[1]. فهي دعوة للقفز على حالة التشرذم وتعدد الآراء وانعدام الموقف الواحد الذي يؤدي غيابه الى ضياع العمر والجهد والطاقات. ولا اجدني بحاجة الى الحديث عن اهمية القيادة فكما قلت ان هذه من الافكار البديهية. ولكن تبرز على السطح مجموعة افكار يفرزها التفاعل الواقعي وتداخلاته حتى تتبلور بشكل نظرية ويحس بها الناظر أنها تقف قبالة نظرية القيادة وهي فكرة (الشورى).

والواقع أن حالة الامة هي التي تفرض طبيعة القيادة - الفردية او الشورى، فعندما يبرز شخص ويأخذ الراية بيده ويقود الامة الى النصر فليس هناك من رأي ان يكون هناك شريكٌ له في حسم الامور والقطع بها، بل ليس هناك من تطلع الى منافسة هذا الرجل في قيادة الامة لان اسمه اقترن بعملية التحرك من اول كلمة حتى النصر والامساك بزمام الامور.

والتكتلات السياسية (الاحزاب)، والاجتماعية من عشائر وجمعيات ومؤسسات تدعو لهذا الرجل وتقبل به لانه هو الذي قادها ودفعها للحركة، لذلك لا تجد بداخلها دافع المناقشة لطلب المشاركة في القرار. وهذه حالة كثيراً ما عاشتها الامم قديماً وحديثاً من القادة، والرسل، والانبياء الى القادة الوضعيين، فليس هناك من ناقش نبينا قيادته، او ناقش النبي عيسى ادارته، وليس هناك من وقف امام غاندي او ماوتسي تونغ او الامام

---

(١) الإصابة، ابن حجر، ج٦، ص٥٥.

الخميني رحمه الله. نعم عندما تطول مدة الحكم وتظهر علائم الضعف فان هذه التكتلات يصعد رشد وعيها وتتفاعل داخلياً لتطالب في المشاركة في القرار القيادي، وتنتهي اما بالتمرد او دغدغة المشاعر من خلال كلمات ترفعها في المجالس او الاعلام حول مشاركتها بالقرار وذلك بايجاد ذرائع واطر وشعارات بضرورة مطالبة المشاركة بالقرار. اما عند رحيل القائد المؤسِّس فان حالة المطالبة من قبل التكتلات السياسية والاجتماعية في القرار والمطالبة في ايجاد كيانات شخصية او جماعية والاعتراف بالحقوق لها امر جلي وواضح، بل يعتبر من مسلتزمات الاستقرار في التحالف وتحمل المسؤولية. وبهذا تكون حالة المطالبة بالتعددية امراً مألوفاً لدى الطبقة القريبة من الحكم بل حتى عامة الناس، ونجد هذه الظاهرة قد لعبت دورا كبيراً في تاريخ الاسلام، وادت الى شروخ عظيمة لاتزال آثارها السلبية الى يومنا الحاضر. فنجد ان التنافس على القيادة بعد الرسول بين المهاجرين والانصار في سقيفة بني ساعدة حيث رفعوا شعار (منا امير ومنكم امير)[1] وانتهوا الى ان المهاجرين هم الامراء، والانصار هم الوزراء، ولكنها عادت مرة ثانية في خلافة امير المؤمنين عليه السلام حيث انتفض طلحة والزبير يريدون مشاركة الامام في الامر وخاصة الامور المالية في حين انهم لم يقولوا هذا من قبل فكانت حرب الجمل وصفين. واستمرت هذه الحالة تنهش في جسم الامة وتشق عصاها عبر كل الدول الاسلامية الى يومنا هذا.

إنّ طبيعة الامة أنْ تعيش ضمن اطار واحد، ولكنها لاتنسى نفسها أنها اجتماعياً مكونة من مجموعة قوى تربطهم مجموعة من القيم هي ليست بالضرورة قيم مقدسة وحضارية. فهناك أواصر قبلية عشائرية وثقافية - من لغة وآداب - وجغرافية وعنصرية.. الى آخره من الاواصر التي تحكم الناس وتدب في عروقهم وتغذي خلايا اجسامهم وتستحوذ على عقولهم.

ففي عالمنا هذا افكار عنصرية هدامة حكمت شعوباً وقادت العالم الى حرب ضروس اكلت ملايين البشر وهدرت الطاقات البشرية هباءاً وعاشت الانسانية مكبلة الى يومنا الحاضر من جراء هذه الافكار. ان النازية والفاشية التي قادها هتلر وموسوليني

---

(١) بحار الأنوار، ج٢٨، ص٣٠٧.

في المانيا وايطاليا قد ادخلت في عقول الالمان انهم يملكون من الذاتية ما يفقدها العالم وانهم فوق كل اجناس البشر وعليه فيجب ان ينقاد العالم لهم فكانت سبباً لاندلاع الحرب العالمية الثانية وانزلت بالعالم ابشع المآسي وما يندى له الجبين.

وكل هذا يحصل في عصر الحضارة وقرن التمدن انه القرن الواحد والعشرين، ان هذه الافكار والاواصر الاجتماعية الجاهلية هي التي تحرك الناس وتألبهم في تحركاتهم. نعم هناك اواصر ايمانية تقفز على هذه الاطر وتدعو الى اسس حضارية عالمية يعيش البشر تحت ظلها بسلام. ولكن هذه الاواصر الايمانية التي تسمو بالانسان الى التفاضل بالتقوى والعمل: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[١].

او كما ورد في الحديث: «لا فضل لعربي على اعجمي إلاّ بالتقوى»[٢]، كم لهذه الاطر المقدسة من مساحة في نفوس الناس؟ وكم تملك من قوة لتمسك بقيادة الامة؟ وعليه ان هذه التكتلات التي لاتخلو منها قرية فضلاً عن البلد والدولة قابلة لأن ينمو وعيها ويتسيس الى درجة عالية بحيث يدعو الى الذاتية او الانفصال.

فعندما تكون هذه التكتلات في طورها الثقافي البدائي تكون سهلة الانقياد، ولكن عندما تشترك في عمليات التحرك فنجدها بعد فترة تتحول الى وجود سياسي له راية في الاحداث و يطالب بحقوقه. والاسلام احترم الاواصر الاجتماعية واقرها ولكنه رفض ان تكون هي الحاكمة في السلبية والضلال بل انها محترمة في الحالة الايجابية. وعندما يتحول المجتمع الى كتل سياسية فلا اشكال ان التعددية تصبح حالة عادية قائمة بداخل الامة وان لم يعترف بها رسمياً ولم يقرها قانون البلاد.

وهناك امام الحاكم تطوير الواقع بطريقة ايجاد حل لهذه التعددية من خلال الاعتراف بها كأحزاب او مشاركتها في ادارة الامة واعطائها حجمها الطبيعي في ممارسة دورها لخدمة الامة. او تجاهل هذه الحالة واخماد التحرك والمطالبة عن طريق القوة والبطش باطاحة الحكومة ولكن الايام سوف تزيد في مستوى هذه المطالبة وتضعف قوة السلطة والحكم وقد تنتهي باطاحة الحكومة ولو بعد حين. ولذلك لابد من مراقبة نمو

---

(١) الحجرات، ١٣.

(٢) كنز العمال، المتقي الهندي، ج٣، ص٦٩٩.

التكتلات السياسية وعند وصولها الى الاطمئنان بكفاءتها لابد من ايجاد طريقة الى مشاركتها في القرار القيادي بدل ان تتحول الى منافسة او معارضة. ان التعددية تخلق قاعدة واسعة لتأييد السلطة عبر مشاركتها في تحمل اعباء السلطة والسهر على مراقبة الاخطاء. ولكن الجهاز التعددي لايمكن ان يُترك له العنان فيخلق تعددية في القرار الاداري تحت طائلة التعددية في الوجود السياسي.

ان هذه فكرة بدائية تحمل في داخلها تدمير البلد والامة اذا لم يتم التوجه الى ائتلاف طاقات الامة المادية والمعنوية، بل لابد من ايجاد صيغة لبلورة رأي واحد يخرج للامة وهو الرأي الحاكم الذي يعمل به، وعندما نقول ان الامور يجب ان تدار بالشورى وهي مظهر من مظاهر التعددية، فهذا لايعني أن لايكون للشورى من رأي يديرها وتظهر مزيته للناس باعتباره القائد الذي يدير الامور.

والا فالقيادة الجماعية من دون رأس لايمكن لها أن تدير الامور بطريقة ناجحة. وان أعتى المتمسكين بالقيادة الجماعية هم اصحاب المعسكر الشيوعي حيث كانوا يغذون الناس بصحة فكرة القيادة الجماعية ومع ذلك نجد ان لهم رموزاً هي المطروحة في الاعلام والساحة وهم اكثر دكتاتورية من غيرهم امثال لينين وستالين وخروشوف وبريجنيف وتيتو وشاوشسكو، نعم ان القرار بالتشاور والاجماع حسب الآلية الموضوعة كذلك حالة مطلوبة وصحيحة ولكن لايمكن لنا أن نتجاوز فكرة القيادة الرمزية. وتعالى معي الى خمسين عاماً من حياة الامة الاسلامية والعربية منها بالذات، وكم هي الثورات التي جرت وكل منها تحمل في بيانها الاول توقيع مجلس قيادة الثورة او ما أشبه وهي حالة لقيادة جماعية ولكن بعد حين تكتشف ان الرئيس هو المتحكم والمسيطر على الامور والاسم ما هو الا تغطية لحركته. فالشورى من دون رمز يقودها تشكل عصا في مسيرة التحرك، والشورى من دون قانون يحكمها تصبح مراكز القوى هي الفاعلة فيها وهو ليس الرأي الصحيح.

وقد اختلفت اجتهادات الرأي عند المفسرين حول الطبيعة الشرعية للادارة وكيف مارس رسول الله ﷺ ادارة الامور هل برأيه ام بالشورى حيث الآيات القرآنية التي تتحدث عن الشورى والتشاور هل هي الزامية في اخذ رأي اهل الشورى ام هي

للاستيناس برايهم؟ فالآيتان تقولان:

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾[١].

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[٢].

الواضح من الايات وسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله هو:

١- أن رسول الله صلى الله عليه وآله هو الرمز الظاهري الذي كان يقود الامور ويدير امر الامة مع (القبول) بفكرة وجود دائرة للشورى، وليس رسول الله صلى الله عليه وآله واحد من باقي اعضاء الشورى، بل هو الذي كان يمارس عملية التشاور مع الآخرين وطلب رأيهم.

اذا ان شورى رسول الله صلى الله عليه وآله كان لها رأسٌ معروف في الامة واليه تتوجه الانظار.

٢- أن رسول الله صلى الله عليه وآله الذي هو نبي بعثه الله الى الناس ليخرجهم من الظلمات الى النور ويضع عنهم اصرهم والاغلال ومع كل ذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتشاور مع اصحابه، اما لحاكمية التشاور او الاستيناس في معرفة رأيهم، فعلى كلا الامرين فان هناك حالة من التشاور. ولايمكن ان ننكر هذه الحالة وأن لا نعطيها الاهتمام في ادارة امورنا وتسيير اعمالنا. اما مقدار قوة وفاعلية هذه الشورى او غيرها فهي راجعة الى حالة التعامل العملي ومقدار جدية الاحداث الواقعة وقوة او ضعف الرمز الذي تلتف حوله الشورى.

اما المشاريع المقدمة التي تطرح فان كل من نال درجة الاجتهاد فله الحق في الامر والنهي وعلى الناس ان يطيعوه كالذي يطرح الان في حالات التنافس على الوجاهة والبروز.

اعتقد ان هذه الفكرة بحاجة الى مناقشة جدية وهادئة وبتروي، فكل مفردة منها تحمل معاني ومداليل لأنها تحمل مخاطر عظيمة قد تفتت الامة وتخسرها من المشاريع الحضارية:

١- ان القيادة ليست بالفقاهة ولاعكسها بصحيح، لان المواصفات لكل واحد

(١) الشورى، ٣٨.
(٢) آل عمران، ١٥٩.

تختلف عن الآخر، فالفقه حركة فقهية ثقافية يمكن ان يملكها الانسان من خلال التوفيق للدرس والمباحثة ولذلك قد ينال المرء درجة الاجتهاد وهو في ربيع عمره الثاني، وليس من المعقول ان تسلم القيادة لمثل ذلك فليس معلوماً ان هذا الشخص يملك مواصفات قيادية وكفاءة ادارية للامور من مزاج شخصي الى ممارسة عملية، كذلك من غير المعقول ان نربط بين الاثنين، نعم يمكن ان يتصدى فقيه الى القيادة وهو يملك المواصفات لكل موقع من المواقع الفقهية والقيادية كالتي مارسها الامام الخميني رحمه الله.

٢- ان فكرة الاخذ برأي كل مجتهد تصلح في واقع يكون فيه دور الفقيه بحيث يعطي رأيه في المجالات الشخصية، وليس من صلة في واقع ادارة الناس والمسؤولية عنهم. حيث نرى ذلك في الاعمال العبادية من صلاة وصيام وحج واحوال شخصية وهي الحالة التي جرت عليها الامة.

٣- في حالة الدولة الاسلامية لابد من ايجاد صيغة وحدود ليكون (الرأي الواحد) هو الحاكم في الامة، وذلك من خلال تقاسم مساحات الآراء التي تجب ان تعطى.

وهذه فكرة يمكن ان تكون واقعية من خلال عملية تجزأة التقليد، والتي يعمل بها الكثير من الفقهاء. اما ان تعددية الآراء يجب ان تحكم فان هذه الآراء قد تؤدي الى عملية تمزيق بدل شد الناس بعضهم ببعض.

٤- أن يكون هناك مجمع للفقهاء، تختمر عندهم فكرة الحكم الواحد والرأي الواحد.

ان فكرة (مجمع الفقهاء) هي فكرة حضارية متقدمة بحاجة الى وعي وجهد كبير من اجل تشكيله، وهذا التجمع لايمكن ان يكون بحيث ان كل شخص عنده عشرة يقبلون برأيه الفقهي يطالب أن يكون واحداً من الفقهاء الذي يجب أن يحترم رأيه ويدخل في المجمع. وهذا يحدونا الى ايجاد مسطرة آلية لمعرفة من هو الفقية الذي يكون مؤهلا لهذا الموقع.

ولما كان محيطنا المتدين لم يمارس هذه الظاهرة الحضارية فلابد من الاتفاق على صيغة معينة كعدد طلاب درس الخارج او مقياس آخر. ولابد أن يملك الفقيه وعياً

قيادياً لإدارة الامة وله توجه في ساحات عملية تهم الامة. اما فقط أنه يملك قدرة علمية فان من الصعب أن تكون الاستفادة حاصلة من حضوره.

٥- أن يكون الفقيه مؤهلاً للانسجام مع الآخرين في تحمل اعباء قيادة الامة وأن يكون له رأي يؤخذ به او انه يصدع بأفكاره لوحده. فهذه حالة لايمكن أن تؤدي الى حالة واعية تقدر ان تخدم الامة ومن خلال واقع الامة الذي تعيشه. ولاجل الوصول به الى الحالة الفاعلة الصحيحة فلابد من اختيار افضل السبل للنهوض بالامة وقيادتها الدينية العلمائية وهنا لابد من:

أولاً: تطوير المؤسسة الدينية الحوزوية الى حالة تمكنها من ايجاد قانونية قادرة على التحكم في عملية الاختيار من خلال ايجاد قنوات وهيكلية واضحة يمكن للانسان أن يتبعها، ومن خلال ذلك يصل الى هدفه والموقع الذي يريد بعيداً عن كل الشعارات الواهية او اي لون آخر من الطرق التي لا ترسو على قاعدة صحيحة، والانتخابات المرشدة هي الكفيلة بذلك وهذه طريقة اصبحت مظهراً من مظاهر الحضارة والتحديث التي لايمكن لنا أن ننكرها.

نعم يمكن أن تدخل في عوامل ترشيد الانتخابات مجموعة عوامل سياسية ومالية، وتجارب الحاضر والماضي واضحة في ذلك، نعم يمكن أن تكون في ظاهرة الانتخابات مجموعة من السلبيات، ولكن الى الان لم تملك البشرية وسيلة اقرب للصحة من هذه الطريقة، وعند التوصل الى طريقة افضل يمكن لنا أن نختارها.

ثانياً: السعي للقفز بالادارة الدينية من الحالة الفردية الى الواقع المؤسساتي وان كان يديره فرد، لأن الظاهرة الفردية في ادارتنا الدينية قد ازكمت رائحتها الانوف، ولما كانت الادارة الدينية هي المسؤولة عن تنمية وترشيد الوعي الديني عند الامة فلا بد أن تعرف الامة المؤسسة التي تدير امرها، فإن ذهب شخص لسبب من الاسباب فان المؤسسة تبقى ويأتي شخص آخر يديرها، اما اذا ذهب شخص وتذهب معه الادارة وتتحول كل ادواتها ملكاً لاهل بيته فهذا امر فيه الكثير من الاشكال.

ثالثاً: لابد من ايجاد حالة قانونية لادارة الامور ومعرفة الصلاحيات لكل موقع يتمتع به اي شخص في المؤسسة الدينية بما فيها القضية المادية، فهناك سابقة مارسها

الامام الخميني رحمه الله شخصيا اذ وقّع على ورقة ذكر فيها واقعه المادي من مال وعقارات خاصة.

رابعاً: لابد من الفرز في عملية التثقيف بين الامور الدينية والامور الادارية، حيث ان الثقافة الدينية واضحة المعالم في الحلال والحرام وهناك امور حياتية ادارية بحتة ليس من رأي ديني مباشر فيها وانما لها اجتهاد عملي لادارة الامور. ففي عملية التبليغ يرى البعض أن يكتب كتاباً وآخر يصدر صحيفة وثالث ينشأ اذاعة وهناك من يعكف على ارسال المبلغين. فليس صحيحاً أن ندخل الحلال والحرام على عمل هؤلاء فالمؤسسة اذا ارسلت مبلِّغاً فهذا حلال واذا غيرك اصدر صحيفة فهذا تبذير وحرام. ولا يُعرف من اي شيء جاءت حرمته، وفي الوقت نفسه هما وسيلتان لغاية واحدة وهدف مشترك هو التوعية الدينية في الامة. إن الاجتهادات العملية والتي دائماً تخضع لإنتماءات علمائية ليس صحيحاً ادخال (الدين) طرفاً فيها وانها تبارك بالحلية والواجب وغيرها بالحرام.

كما نرى ضرورة ابعاد الدين أن يكون طرفاً في المناسبات والنزاعات العملية والتي هي دائماً قائمة وتتغير وسائلها بتغير الظروف.

وإختفاء حالة القدسية او سلب التقوى من احد بمجرد انه يناقش في العمل والتحرك والرمزية فان هذه حالة عليها الكثير من الاشكالات ولابد من تجاوزها، ونقول بصراحة ان كل واحد له عمله ومساحته ونحن نتنافس في مساحة العمل وهذا ليس له ادنى علاقة بالوضع الديني اذا مارسه متدينون او علماء، ولابد لنا أن نميز بين مادة العمل في مؤسسة وموقع بما يختلف كثيراً عن شخص المدير والعامل المتدين. فالشخص المتدين له قانون خاص به حيث يخضع كل متدين لله، واما مشروعه وعمله فهو يخضع لحسابات المشاريع والمؤسسات وليس هو دين اذا تعرض احد له بالنقد فقد نال من الدين.

فمثلاً ان المدرسة التي تُدرَّس فيها العلوم الدينية يجب أن تخضع لقانون يدير شؤونها ويسيّر امورها ويلزم على كل من يَدرس او يُدرّس فيها مادة الدرس، فهي واحدة في هكذا مدارس فاذا وجه نقد من شخصٍ معني بشؤون هكذا مدارس او من الباحثين فيها لعمل المدرسة فهذا لايعني انه ارتكب إثماً. ولماذا الاصرار على ربط هذه المؤسسة

بالدين أي بقضايا التشريع في حين أنها من الوسائل. هذا اولاً، وثانياً ان عملية النقد والبحث عن الافضل هي حالة ايجابية وليس فيها ما يسيء للدين، لذلك بقيت ابواب الاجتهاد مفتوحة على مصراعيها تبحث عن كل ما هو جديد يستطيع أن يدرك الامة وينهض بها.

إن عملية الخلط بين الدين والاخلاق والوسائل والاهداف لابد لها من تجزئة وتفكيك لئلا نقع في مجموعة من الاشكالات تسقط حالتنا الدينية.

خامساً: الثقافة في الوسط المتدين مادة حياتية لايمكن الاستغناء عنها، لذلك لابد من العمل على تطويرها لترتقي به الى مستوى خلق عالم الدين وهو يتمتع بالكفاءة التي تمكنه من مجاراة روح الحضارة والعصر ومواكبة الاحداث بايجابية، وليس الوقوف امام اي عملية تطوير حضاري او مدني بالسلب واظهار النواقص والمثالب واثاره الرأي العام ضدها.

نعم ان يكون كفوءاً بحيث يكون حارساً أمام اي كيان اجنبي يراقب ايجابياته ويشخص سلبياته وأن يعمل بالعدل والانصاف. ان الحركة الاسلامية ومؤسساتها من حوزات ومؤسسات بدأت تنهض بنفسها ووصلت الى ما نرى والبعض الاخر يطمح الى اكثر من ذلك لادارة امور البلاد وقيادة الامة.

وهذه مواقع بحاجة الى ثقافة قادرة على التعاطي معها بايجابية وليس الرفض والسلب في التعاطي مع هذه الاحداث الجديدة هو الحل الثقافي.

إن الحل يكمن في تطوير حالتنا الثقافية لخلق مجتمع اسلامي قائم على روابط وعلاقات وممارسات اسلامية.

وهذه مهمه بحاجة الى ثقافة التصدي لتحمل المسؤولية وادارة هكذا وضع، وليس ثقافة الابتعاد والتصدي السلبي.

ان تجربة حركة التوابين بحاجة الى دراسة مستفيضة ومن خلالها نتعرف على الكثير من الاوضاع الدينية.

ان الذين قادوا الثورة والاندفاع للاخذ بثار الامام الحسين عليه السلام واهل بيته، كانوا

من رجالات العراق وقادة الشيعة ومن الاتقياء العباد، ومنهم من صاحب رسول الله ﷺ وشارك امير المؤمنين عليه السلام في اكثر معاركه. وحركتهم كانت حركة ايجابية ذات اهداف صادقة ودوافعها مخلصة. ولكن الايمان بحاجة الى تنظيم، والثورة بحاجة الى ادارة، والتحرك الى قانون، ان هذه المفردات كانت بعيدة عن حركة التوابين وهذه هي عوامل تؤثر بالنتيجة في تحقيق الاهداف وليس في النية الصادقة او الاخلاص في العمل.

وهذه مشكلة رافقت الوضع الشيعي في كل مفردات تحركه حتى وصلت الى ثورة العشرين في العراق.

فالوضع الشيعي في الكوفة هو الخيار الوحيد القادر على أن يكون البديل للحكم الاموي.

حيث العشائر القاطنة في الكوفة هي شيعية ومتحمسة للحالة الشيعية.

والاجواء الجماهيرية ما كانت لتقبل بغير اهل بيت النبوة عليهم السلام مناراً مضافاً الى ردة الفعل التي حصلت بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام والتي انصهرت في بودقة واحدة لتفجر الوضع السيء ضد آل امية.

وتردي الوضع الغير مرتب واللامتفق عليه هو الذي عرقل عملية التعبئة للشيعة وبالتالي الانتصار النهائي. إن الاندفاع الديني وحده لايكفي للنصر مالم ترافقه مجموعة من المسارات الاخرى من هيلكية قيادية الى تنظيم اداري وتعبئة جماهيرية، وقد تكون معظم هذه الشروط مهيئة لحركة الفداء ولكن الاجتهادات المختلفة والتقديرات المتعددة التي لم تخضع لحالة واضحة في كيفية اتخاذ القرار في البيت الشيعي واخفاق رموز الشيعة في احتوائهم لهذه القاعدة وقيادتها بشكل موضوعي ضمن اطار يجمعهم ويوحد كلمتهم مضافاً الى فقدان آلية واضحة لقراراتهم.

فمن الواضح ان التحرك اما ان تكون قيادته عمومية بوجود شخص يقرر وليأتي بعده من ينفذ عبر الوسائل الممكنة.

او تكون هناك آلية افقية في حال وجود اكثر من شخص لهم مؤهلات قيادية وليس هناك من يملك القدرة في التنازل لغيره، فيكون الحل في وضع هذه القاعدة من

الرموز في دائرة واحدة للتشاور واتخاذ القرار.

إن هذه الظاهرة ومع الاسف لم تكن موجودة ولم يُعمل بها في حركة التوابين، حيث انقسم الرأي في اعلان الثورة والبدء في التحرك ام التروي والاعداد اكثر لكي يخرجوا. وان تعدد الآراء واختلافها ربما اضعف حالة التعبئة والحشد للتحرك. وهناك عامل آخر لم يوفق لحسمه وهو من اين تبدأ المواجهة؟ حيث أن قتلة الامام الحسين عليه السلام ورأسهم عبيد الله بن زياد في الشام والقادة الآخرون متواجدون في الكوفة امثال عمر بن سعد وشبث بن ربعي وابن الاشعث. فهناك من قال بأن نبدأ من الكوفة ونعزز قوتنا ثم نتحرك نحو عبيد الله بن زياد، وآخرون مالوا الى البدء بالرأس وهو عبيد الله بن زياد، ومن الطبيعي أن ينتج عن تعدد الآراء واختلاف وجهتها بالخروج الى اضعاف عملية التعبئة للشيعة، وكذلك قلل من عدد المشتركين في القتال، وكانت المنافسة في قيادة المنتفضين هي الاخرى مما اضعف الهمم وكبح جماح المشتركين في القتال.

كذلك أدت تلك الاجتهادات التي لاترتبط ببعضها البعض إلى تبديد اواصر القوى حيث لم ترتبط مع بعضها بقرار جماعي مما حول حركة التوابين من ثورة شيعية عارمة الى حركة فداء.

وهذه الظاهرة في حرية اتخاذ القرار وعدم الالتفات الى مصير الامة ومستقبلها السياسي والامني والعقائدي هو محل ابتلاء الشيعة والامة بصورة مستمرة ومع وجود هذه الظاهرة -الانفلات- فمن الصعب تحقيق اهداف كبيرة، وإن حصل فبتوفيق الهي والطاف ربانية، فأنه سرعان ما يتشتت الكل اذا كان كل رمز وقائد يتحرك بطريقته، وبالتالي فإن عملية الشروخ تكون واضحة في جسم الكيان السياسي.

وفي تأريخنا الكثير من هذه الامثلة ولاحل لها الا بالاطار الواحد.

مع معركة الثأر والفداء

أولاً: الدوافع

ان الكوفة هي معقل الشيعة وهي الحصن الذي نما فيه حب آل محمد ﷺ وقد اتخذها الامام علي بن أبي طالب عليه السلام عاصمة لخلافته، فتجمّع اصحابه حوله فيها.

لذلك فان حب آل محمد ﷺ ارضعته الامهات لاطفالهن، فكانت العش الدافئ الذي ترعرع فيه التشيع، فكان هوى الكوفة علوي، وعند استشهاد الامام الحسين عليه السلام وعدم مشاركتهم في نصرتة والاستشهاد بين يديه نتيجة لعدة عوامل تداخلت فيما بينها وحالت دون نصرة الامام الحسين عليه السلام، هذا الواقع بعيداً عن عوامله واسبابه اثر في نفوس الشيعة وهزّ ضمائرهم من الاعماق واوجد فيهم حالة من تأنيب الضمير عظيمة، وبدى التلاوم بينهم واضحاً. ولذلك سميت حركتهم (بالتوابين) لاحساسهم انهم ارتكبوا خطأً وذنباً لايغتفر تجاه الامام الحسين عليه السلام ولابد من تكفيره من خلال عملية استشهادية لنصرة الامام الحسين عليه السلام واخذ الثأر من قاتله، وقد تحدث بهذا التوجه الرجال الذين اجتمعوا للتداول بشأن استشهاده عليه السلام والتحرك للقيام بالعمل المناسب للأخذ بثأره. واليك ما نقله الطبري في تاريخه عن حال الشيعة بعد استشهاد الحسين عليه السلام:

«لما قُتِل الحسين بن علي ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة فدخل الكوفة تلاقت الشيعة بالتلاوم والندم ورأت أنها قد اخطأت خطأً كبيراً بدعاء الحسين الى النصرة وتركهم اجابته ومقتله الى جانبهم ولم ينصروه، ورأوا انه لايُغسل العار والاثم عنهم في مقتله الا بقتل من قتله او القتل فيه»[1]. وقد عبرّ عن هذا كلٌ من:

---

(١) تاريخ الطبري، ج٤، ص٤٢٦.

١- المسيب بن نجبة. قال: «.. حتى بلا الله اخيارنا فوجدنا كاذبين في موطنين من مواطن ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد بلغنا قبل ذلك كتبه وقدمت علينا رسله واعذر الينا يسألنا نصره عوداً وبدءاً وعلانية وسراً فبخلنا عنه بأنفسنا حتى قُتِل الى جانبنا، لا نحن نصرناه بأيدينا، ولا جادلنا عنه بألسنتنا، ولا قويناه بأموالنا، ولا طلبنا له النصرة الى عشائرنا، فما عذرنا الى ربنا وعند لقاء نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وقد قُتِل فينا ولده وحبيبه وذريته ونسله؟ لا والله لاعذر دون أن تَقتلوا قاتله والموالين عليه او تُقتلوا في طلب ذلك فعسى ربنا أن يرضى عنا عند ذلك..».

٢- رفاعة بن شداد: «.. ودعوت الى جهاد الفاسقين والى التوبة من الذنب العظيم..».

٣- عبد الله بن سعد بن نفيل: «اما انا فوالله ولو اعلم ان قتلي نفسي يخرجني من ذنبي ويرضي عني ربي لقتلتها، ولكن هذا أُمِر به قوم كانوا قبلنا ونُهينا عنه»[١].

ثانياً: رجال الثأر والفداء

ان ردة الفعل التي حدثت عند الشيعة كانت عامة تحسسها كل فرد شيعي وخاصة الشباب الذين يفضلون الاندفاع على اي حسابات اخرى، وهذه الروح العامة لاتباع اهل البيت عليهم السلام بلورت موقفاً أن يتحركوا على رجالهم الاوائل المتصدين للرئاسة وكانوا:

١- سليمان بن صرد الخزاعي
٢- المسيب بن نجبة الفزاري
٣- عبد الله بن سعد بن نفيل الازدي
٤- عبد الله بن وائل التميمي
٥- رفاعة بن شداد البجلي

وهؤلاء كانوا من اصحاب الامام علي عليه السلام، وان سليمان كانت له صحبة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) الاقوال من: تاريخ الطبري، ج٤، ص٤٢٨.

وقد اجتمعت في هؤلاء القيادة والوجاهة العشائرية، فقد عرفت عنهم هذه المكانة الاجتماعية والسياسية، والتحق بهم فيما بعد عبيد الله بن عبد الله المري[١].

وكان منفتحاً قادراً على الاقناع قوي الحجة، ونقل الطبري في تأريخه «ما رأيت من هذه الامة احداً، كان ابلغ من عبيد الله بن عبد الله بن المري في منطق ولاعظة، وكان من دعاة اهل المصر زمان سليمان بن صرد الخزاعي»[٢].

وكان يقول ان سليمان بن صرد الخزاعي امير التوابين له صحبة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانه حضر مع الامام امير المؤمنين عليه السلام ووجهه مضروب في صفين. وعندما نشب الخلاف في جيش الامام امير المؤمنين عليه السلام جاء سليمان بن صرد الخزاعي الى الامام عليه السلام ووجهه مضروب بالسيف، فلما نظر اليه الامام علي عليه السلام قال: ﴿**فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾[٣] وانت ممن ينتظر وممن لم يبدل[٤].

وكان سليمان ين صرد الخزاعي ومسيب بن نجبة ممن انفعلا عندما صالح الامام الحسن عليه السلام معاوية وقالا للامام الحسن عليه السلام: ما ينقضي تعجبنا منك، بايعت معاوية ومعك اربعون الف مقاتل من الكوفة سوى اهل البصرة والحجاز.

فقال الحسن عليه السلام: كان ذلك، فما ترى الآن؟

فقال: والله أرى أن ترجع لانه نقض (العهد).

فقال: يا مسيب، ان الغدر لاخير فيه ولو اردت لما فعلت[٥].

وقد نقل المحقق القمي في سفينة البحار شرحاً اطول في كلام سليمان بن صرد الخزاعي وهو قوله:... معك اربعون الف مقاتل من اهل الكوفة ومعهم مثلهم من اماثلهم واتباعهم سوى شيعتك من أهل البصرة والحجاز، لم تأخذ لنفسك ثقة في العقد ولا حظاً من العطية، فأعطاك معاوية شيئاً لم يف به ولم يلبث أن قال على رؤوس الاشهاد

(١) تاريخ الطبري، ج٤، ص٤٣٢.
(٢) سفينة بحار الانوار، ج١، ص٦٥٠.
(٣) الأحزاب، ٢٣.
(٤) بحار الأنوار، ج٣٢، ص٥٤٥.
(٥) المصدر، ج٤٤، ص٥٧.

اني كنت شرطت شروطاً ووعدت وعوداً اردت بها اطفاء نار الحرب فلما أن جمع الله لنا الكلام والالفة فان ذلك تحت قدمي، والله ما عنى بذلك غيرك وقد نقض فاذا شئت فأذن لي في تقديمي الى الكوفة فأخرج منها وأظهر خلعه وننبذ اليه على سواء.

فقال عليه السلام: «إن الله لا يحب الخائنين».

وتكلم مسيب بن نجبة والباقون بمثل كلامه.

فقال الحسن عليه السلام: انتم شيعتنا واهل مودتنا، فلو كنتُ بالحرام في امر الدنيا اعمل ولسلطانها اركض وانصب ما كان معاوية بأبأس مني بأساً ولا اشد شكيمة ولا أمضى عزيمة، ولكني أرى غير ما رأيتم، وما اردت بما فعلت الا حقن الدماء، فارضوا بقضاء الله وسلموا لامره والزموا بيوتكم وامسكوا[١].

وقد تفاعل الثوار مع اهدافهم بدرجة كبيرة حتى انهم في اللقاء الاول قد تبرعوا بكل ما يملكون من مال في سبيل إنجاح هذه المعركة[٢].

ولقد استشهدوا جميعاً سوى رفاعة بن شداد البجلي الذي قاد بقية الجيش وارجعه الى الكوفة.

---

(١) سفينة بحار الانوار، ج١، ص٦٥١.
(٢) الطبري، ج٤، ص٤٢٨.

الأهداف بين الثأر والطموح السياسي

لم يُعرف لحركة التوابين من مخطط سياسي وضعوه لانفسهم او اهداف قيادية تحركوا من اجلها لا في السر ولا في العلن. بل ان خططهم واحاديثهم مع بعضهم البعض تدعو للثأر والشهادة في سبيل الله ومرضاةً لأهل بيت النبوة عليهم السلام، وأن هذه الوتيرة من التوجه للتوبة ومقارعة قتلة الامام الحسين عليه السلام لم تتغير منذ بداية التحرك الى الشهادة وكل التضاريس الارضية والمناخات السياسية التي مروا بها لم تزعزعهم عن اهدافهم التي رسموها قيد انملة.

فحديث الشهادة تجده في خطبهم وفيما بينهم كما تجده في ثنايا كلماتهم عندما يحشدون اصحابهم. ويسوق لنا الطبري في تأريخه من خطبهم، فهذا سليمان بن صرد يقول: «ايها الناس من كان انما اخرجته ارادة وجه الله وثواب الآخرة فذلك منا ونحن منه فرحمة الله عليه حياً وميتاً ومن كان يريد الدنيا وحرزها فوالله ما نأتي فيئا نستفيئه، ولا غنيمة نغنمها ما خلا رضوان الله رب العالمين».

فقام صخير بن حذيفة بن هلال بن مالك المزني وقال:

انما اخرجتنا التوبة من ذنبنا والطلب بدم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[1].

وقد عرض عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد بن طلحة على سليمان أن يقيم معهما حتى يلقوا جموع أهل الشام على أن يخصّاه واصحابه بخراج جوخى، خاصة لهم دون الناس، فقال لهما سليمان: إنا ليس للدنيا خرجنا[2].

---

(١) تاريخ الطبري، ج٤، ص٤٥٣.
(٢) المصدر، ص٤٥٥.

واثناء مسيرهم مروا بقرقيسيا وبها رفد بن الحارث الكلابي قد تحصن بها ولما دخل عليه المسيب بن نجبة ساءَله ولاطفه ثم امر له بألف درهم وفرس فقال له المسيب: اما المال فلا حاجة لي فيه والله ما له خرجنا ولا اياه طلبنا واما الفرس فإني اقبله[1].

إن هؤلاء القادة لم يكونوا حديثي عهد الانتماء الى المدرسة السياسية فهم من المدرسة العلوية المجاهدة وقد مارسوا عملهم الجهادي مع الامام امير المؤمنين عليه السلام بكل قوة وبسالة.

وقد مارس بعضهم ضغطاً على الامام الحسن عليه السلام حينما هادن معاوية ورفضوا اولاً القبول بهذا الاسلوب وتكلموا بكلمات فيها غلظة مع الامام سبق وان ذكرناها في الصفحات السابقة. وهذه المواقف تعبر عن رؤية رسالية واهداف لاظهار الحق واستلام قيادة الامور من آل امية ومعاوية بالذات. كما انهم لاينقصهم شيء بالنسبة الى المواصفات التي كانت تتحكم في القيادة بذلك الزمان فهم رؤساء قبائل كما كانوا رموزاً لتيار سياسي هم الشيعة.

وقد عرف عنهم التدين والزهد والعبادة كما بينا. يضاف الى ذلك انهم رضوان الله عليهم لم يقبلوا بأداء أي لعبة سياسية او تحالف سياسي على حساب مصلحتهم الجهادية ومستقبل معركتهم مع عدوهم.

فنرى أن والي ابن الزبير على الكوفة (عبد الله بن يزيد الانصاري) قد تحدث معهم مرة وهم في النخيلة وطلب منهم الصبر من اجل جمع العدد والقتال سوية ضد الطغمة الاموية.

وينقل الطبري في تأريخه أن والي بن الزبير عبد الله بن يزيد الانصاري لما رأى من القوم عزيمة ورشد قال لهم: «اقيموا حتى نعبئ معكم جيشاً كثيفاً فتلقوا عدوكم بكثف وجمع وحد»[2].

ومرة ثانية يرسل لهم رسولاً يطلب منهم الصبر من اجل جمع المال والتجهز

(١) المصدر، ص٤٦٠.
(٢) المصدر، ص٤٥٥.

لمحاربة آل امية معاً فتجدهم يرفضون القبول بهذا العرض والاصرار على السير نحو قتال آل امية وكانوا وقتها في القيارة[١].

والذي يقرأ النص الآتي يفهم منه بوضوح أن سليمان كان يفرز الخطوط السياسية، فهو يرفض لان عبد الله بن يزيد الانصاري زبيري الولاء والنزعة وبالتالي فهم لا يلتقون في خط سياسي واحد ولان سليمان علوي الهوى والنزعة واولئك يدعون لابن الزبير.

فاللقاء بينهم تكتيكي مرحلي قد لايستمر في وسط المعركة لذلك رفض، وقد تحدث سليمان نفسه حينما طلب اصحابه رأيه من نصيحة عبد الله بن يزيد الانصاري والي الكوفة من قبل ابن الزبير:

«فلما قرئ الكتاب على ابن صرد واصحابه، قال للناس: ما ترون. قالوا: ماذا نرى، قد بينا هذا عليكم وعليهم ونحن في مصرنا وأهلنا فالآن حين خرجنا ووطّنا انفسنا على الجهاد ودنونا من ارض عدونا ما هذا برأي، ثم نادوه ان اخبرنا برأيك، قال: رأيي والله انكم لن تكونوا قط اقرب من احدى الحسنيين منكم يومكم هذا الشهادة أو الفتح، ولا أرى أن تنصرفوا عما جمعكم الله عليه من الحق وأردتم به من الفضل، إنّا وهؤلاء مختلفون، ان هؤلاء لو ظهروا دعونا الى الجهاد مع ابن الزبير ولا أرى الجهاد مع ابن الزبير إلا ضلالاً وإما إن نحن ظهرنا رددنا هذا الأمر الى اهله وان أُصبنا فعلى نياتنا تائبين من ذنوبنا. ان لنا شكلاً وان لابن الزبير شكلاً انا واياهم كما قال اخو بني كنانة:

أرى لك شكلا غير شكلي فأقصري ... عن اللوم إذ بدلت واختلف الشكل

قال فانصرف الناس معه حتى نزل هيت»[٢].

وقد عرض عليهم والي قرقيسيا (زمر بن الحارث الكلابي) نفس الطريقة في البقاء عندهم والصبر حتى يعد عدته وتكون قوته، وعند قدوم الجيش الاموي الذي يقوده ابن زياد يحاربوه ولكنهم رفضوا الطلب لانه شبيه بالطلب السابق حيث قال زمر بن الحارث: «فهل لكم في أمرٍ أعرضه عليكم لعل الله أن يجعل لنا ولكم فيه خيراً ان شئتم فتحنا لكم

(١) المصدر، ص٤٥٨.
(٢) المصدر، ص٤٥٩-٤٦٠.

مدينتنا فدخلتموها فكان امرنا وامركم واحداً وايدينا واحدة»[١].

فقال سليمان لزمر: «قد أرادنا اهل مصرنا على مثل ما اردتنا عليه- ويقصد رأي عبد الله بن يزيد- وذكروا مثل الذي ذكرت وكتبوا الينا به بعد ما فصلنا فلم يوافقنا ذلك فلسنا فاعلين»[٢].

ولو عرفنا ان زمر بن الحارث هو نفسه مطلوب من قبل السلطة الاموية لانه كان من اصحاب الضحاك بن قيس ضد مروان بن الحكم حينما كان الضحاك والياً على الشام نصبه عبد الله بن الزبير فسار مروان بن الحكم من تدمر بعد أن بايعوه بالخلافة وأخذ جيشاً وسار نحو الشام لقتال الضحاك وكان مع الضحاك زمر بن الحارث فالتقوا بمرج راهط واقتتلوا قتالاً شديداً حتى قتل الضحاك وجميع اصحابه وفر زمر بن الحارث حتى أتى قرقيسيا فاجتمعت اليه قيس[٣].

والناقد سياسياً قد يقول ان التحالفات السياسية الموفقة قد تحل لهم مشكلة في القتال حيث ازياد العدد والعدة والمعركة بحاجة الى ارقام اضافية.

وهذا يعبر عن ضعف في الرؤية السياسية وجمود في الحركة لمقارعة جيش اموي عدده اضعاف عدد جيش الثوار. وقد يكون هذا التحليل صحيحاً مقبولاً ما دام هو حديث عن التاريخ ولكن الواضح من سير الاحداث ان الذين يريدون أن يكونوا مع سليمان وحركة الثأر لايفهمون معنى الصمود و عندما يشتد اوار الحرب يهربون او قد يلجأون الى جيش العدو.

وذلك لان جماعة (عبد الله بن يزيد الانصاري) و(زمر بن الحارث الكلابي) كانوا ضعفاء يخافون من الجيش الاموي ولهم مشاكلهم الخاصة بهم مع الامويين خاصة وان احد زعمائهم وهو (زمر بن الحارث) قد فر منكسراً أمام جيش مروان بينما قتل اصحابه وقائده في تلك المعركة، وبالتالي فهي مشاكل سياسية تختلف كلياً حول الزعامة وليس لديهم مثل الحركة الرسالية لسليمان بن صرد الخزاعي وجماعته شيء يذكر، وحركة الثأر التي كان يقودها سليمان لها اهداف اخرى تختلف عن اهداف والي الكوفة وقرقيسيا.

---

(١) المصدر، ص٤٦١.
(٢) نفس المصدر.
(٣) المصدر، ص٤٨٨، بتصرف.

ويمكن أن يكون رفضهم لأي لقاء في المناورات السياسية هو تطلعهم للشهادة والرحيل الى العالم الآخر، فأين هم من عمليات التحالف السياسي؟

فيكون ذلك ربح ايماني بالثأر والفداء والشهادة، وخسران في العمل والتكتيك السياسي.

ومما يضاف الى رسالتهم الاستشهادية هو اجتيازهم طريق الثغور الى العدو والسعي اليه وعدم القبول بقتاله في منطقة يقطنونها او مدينة يستترون بها او يتميزون بها ويحاربون ان قدم عليهم وهم عاصون امر الحاكم، وعندما عرض عليهم والي الكوفة (عبد الله بن يزيد الانصاري) أو والي قرقيسيا رفضوا ذلك وتحركوا نحو العدو وقتاله كما بينا سابقاً.

وقد يكون هذا الاسلوب هو الافضل في العمل الجهادي او ان في السعي نحو العدو وقتاله والإستشهاد بعد ذلك اكثر ثواباً وأوفر حظاً عند الله سبحانه وتعالى لذلك فهم لم يفوتوا الفرصة، المهم أن منهجهم كان السعي نحو الظالم ومقارعته وليس اعلان حركة العصيان في داخل المدينة. والحوار الذي جرى بين الفريقين عندما التقوا في عين الوردة حيث طرح معسكر الثأر والفداء على جيش اهل الشام واميرهم أن يسلموا إليهم عبيد الله بن زياد ليقتلوه بقتله الحسين بن علي عليه السلام ويبايعوا اهل بيت النبوة، فرد عليهم اهل الشام الدعوة الى سلطة آل امية وآل مروان ومبايعتهم، وكلا الطرفين ليس فيه من النضج السياسي والواقعية وذلك:

١ - إن الجيش الشيعي جاء يحارب عبيد الله بن زياد ليس بدوافع سياسية سلطوية حتى يمكن التفاوض عليها ولو بحلول وسطية وانما كان دافعهم دافع ثأر وفداء، وهذه الدوافع لايمكن أن تلتقي مع هذه الاطروحات السياسية.

٢ - إن العداء بين الطرفين لايسمح اطلاقاً ان يفكر احد بذهنية الآخر، فبين شيعة العراق وآل امية جداول دم وجبال من الجثث، بدايتها كانت صفين وتجلت المأساة وبان حقدهم في كربلاء.. فليست هناك أرضية مشتركة وسطى بينهما، لأن يزيد بن معاوية (لعنه الله) بالاساس قتل الامام الحسين عليه السلام، فمن يقنع بمن؟ فهل أهل الشام يقبلون بقيادة علوية؟ أم إن أهل العراق يقبلون بقيادة اموية. ولكن لابد من حديث يقال ومطالب تعلق حتى تأخذ الحرب طريقها وهذا الذي حصل.

نعم هناك كلمات خرجت من غير افواه الخطباء الذين كانوا يعبؤون اصحابهم انهم ان ظفروا بالأمر فانهم يسلمونه الى العلويين من دون تسمية الرجل الذي يبايعونه ان انتصروا في المعركة وعادت الأمور اليهم. وكان هذا الرأي واضحاً في خطبة عبيد الله بن عبد الله المري احد قادة التوابين كما ينقله الطبري في تأريخه حيث يقول: «فان قُتِلنا فما عندالله خير للابرار وان ظهرنا رددنا هذا الامر الى اهل بيت نبينا» وقال احد اصحابه انه كان يعيد هذا الكلام علينا في كل يوم حتى حفظه عامتنا[١].

وعندما طلب اصحاب سليمان بن صرد منه رأيه في كتاب عبد الله بن يزيد الانصاري حول التريث الى ان يجتمعوا سوية ويقاتلوا في صف واحد قال سليمان: «إنّا وهؤلاء مختلفون، إنّ هؤلاء لو ظهروا دعونا الى الجهاد مع ابن الزبير ولا أرى الجهاد مع ابن الزبير الا ضلالا وأمّا ان نحن ظهرنا رددنا هذا الامر الى اهله»[٢].

ان هذه الكلمات تعبر عن توقع النصر وتحقيق الظفر وقرب استلام السلطة وهي بلا اشكال اهداف سياسية واضحة لايمكن نكرانها، ولكن ضمن منهجية ومسار حركة الثأر والفداء دون ان يكون طريقهم وتفكير القادة الذي كان يدور في خلدهم هو استلام السلطة وانما هي كلمات كانت تخرج اثناء الحديث من دون تخطيط سابق لها لأنها كلمات خرجت اثناء الخطب العامة امام الناس وفي حالة التعبئة للمقاتلين وليس اثناء المشاورات السياسية فيما بينهم.

ونعود لنقول ان حركة التوابين هي حركة ثأر وفداء وقد خُطط للحركة لتكون هكذا وليس هناك من اهداف سياسية قيلت او عُرضت من خلال الممارسة لقادة الثوار وما قيل اثناء الخطب فهو ليس الا كلام للتعبير عن الولاء لاهل البيت وعن الندم الساخن لعدم توفقهم لنصرة الامام الحسين عليه السلام وكل هذا الحديث هو توضيح لرؤية وتسجيل موقف وتعبأة الجيش وتقوية معنوياته.

---

(١) المصدر، ص٤٣٣.

(٢) المصدر، ص٤٥٩.

الأجواء السياسية: ارضية لدولة وليس لثورة

عندما نبحث في التاريخ ونغوص في أعماقه ونقلب صفحات سجلاته ونقرأ مفرداته حول العراق وبالذات منها الكوفة نجد أن شيعة الامام علي عليه السلام قد عاشوا في حالة بين المد والجزر تجاه الاحداث، فتارة يصيبهم اليأس والقنوط فيعيشوا في انزواء وعزلة خوفاً من السلطة الجائرة واخرى يلهبهم صاعق يفجر فيهم الفداء ليقتل فيهم الخوف وتنفلق نفوسهم عن بواعث الانطلاق الذاتي وأجواء الانفتاح السياسي ليحققوا بذلك ارادتهم ويتحركوا صوب اهدافهم بسهولة، فإن الفترة التي تحرك بها التوابون هي فترة تفجر الغضب الشيعي الذي ظل مكبوتاً بداخلهم ويتحرك بصدورهم ينتظر ساعة الصفر للانطلاق.

خاصة اذا عرفنا انهم عزموا على تحرك سرّي فيمابينهم لجمع شملهم وترتيب صفوفهم ومن ذلك ينقل الطبري انه «قُتِل الحسين بن علي ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة فدخل الكوفة وتلاقت الشيعة بالتلاوم والتندم ورأت أنها قد اخطأت خطأً كبيراً بدعائهم الحسين الى النصرة وتركهم اجابته ومقتله الى جانبهم لم ينصروه ورأوا أنه لايغسل عارهم والاثم عنهم في مقتله الا بقتل من قتله او القتل ففزعوا بالكوفة الى خمسة نفر من رؤوس الشيعة»[1].

وهم الذين مر ذكرهم سابقاً لان التأنيب الظاهري الذي كوى ضمائرهم وحولها الى جمر يلسعهم ليل نهار، وسبايا آل الرسول صلى الله عليه وآله بتلك الصورة المفجعة وتلك الخطب العصماء التي قالتها السيدة زينب والامام زين العابدين عليه السلام في الكوفة مما جعلهم ينحبون بالبكاء والعويل. ان احداث كربلاء تفاعلت في نفوسهم بشدة وبعدها جاءت

---

(١) تاريخ الطبري، ج٤، ص٤٢٦.

احداث المدينة المنورة وضرب الكعبة وحرقها، والجيش الشامي بعد لم يرجع الى الشام هلك يزيد بن معاوية، وبذلك ترك فراغاً قيادياً كان ينتظره الثوار، وبعد هلاك يزيد تحركت قواعد الثوار تطلب من قيادتها اعلان التمرد والخروج للثأر ولكن سليمان بن صرد استمهلهم لمواصلة الاعداد للثورة وتهيأة الامور اكثر، فينقل الطبري في تاريخه:

«فجاء الى سليمان اصحابه من الشيعة فقالوا: لقد مات هذا الطاغية والامر الآن ضعيف، لئن شئت وثبنا على عمرو بن حريث فأخرجناه من القصر ثم اظهرنا الطلب بدم الحسين وتتبعنا قتلته»... فقال لهم سليمان «.. رويداً لا تعجلوا اني قد نظرت فيما تذكرون، الى أن يقول: بثوا دعاتكم في المصر فادعوا الى امركم هذا شيعتكم وغير شيعتكم»[1].

ومع أن الثورة لم تُعلن ولكن الظاهر انه لم يبق احد في الكوفة لم يصله الخبر وأن هناك اعداد لها وان الشيعة يعدّون انفسهم للثورة. وقد تحرك الشيعة ضد والي عبيد الله بن زياد على الكوفة[2]، واخرجوه من دار الامارة وكان الوالي على الكوفة آنذاك عمرو بن حريث فوثب الناس وأخرجوه من القصر[3].

فحاول عبيد الله بن زياد ان يسد الفراغ القيادي في الكوفة اذ ارسل اليهم أن يبقوا على بيعتهم له حتى يختار من اهل الشام خليفة لهم. وعندما علم الشيعة بهذا الرأي والاختيار ثاروا وقد دخلت نساء الشيعة وملاليهن الى مسجد الكوفة وهن ينحن ويصرخن برفض عودة ايام عبيد الله بن زياد وذكرياته السيئة ورجالهن متقلدو السيوف[4].

وبذلك انتفضت الكوفة ضد ابن زياد فلم يعقد له الامر. ويمكن معرفة مقدار فقدان السلطة السياسية وانحلال الامر ان النساء أدّين دورهن بأمان وحرية وعبّرن عن رأيهن بكل سهولة ضد السلطة الاموية التي يراد لها ان تكون.

---

(١) تاريخ الطبري، ج٤، ص٤٣٣.
(٢) كان عبيد الله بن زياد في البصرة لانه كان الوالي من قبل يزيد على الكوفة والبصرة.
(٣) المصدر، ص٤٣٣.
(٤) المصدر، ص٤٠٤.

وكان هذا التحرك او التظاهرات العلنية للشيعة تعبيراً عن رأيهم السياسي بكل حرية والرافض للوالي الجديد. وطبيعي أن هذا التحرك كان له دلالة واضحة في ان المجتمع الكوفي وهم (الشيعة) يعزمون على شيء وان رأيهم ليس في صدورهم بل طوروه الى حالة ابدائه علناً.

وهذه الخطوة الشجاعة من النساء كانت بمثابة رسالة الى اعداء اهل البيت عليهم السلام والى اولئك الذين مارسوا دوراً في قتل الامام الحسين عليه السلام.

ولكن الفراغ السياسي لم يترك في الكوفة وهناك شخص طامح يتحرك لزعامة العالم الاسلامي وهو عبد الله بن الزبير لذلك كانت ارضية الكوفه مهيّأة لان تستقبل والياً من قبله وهذا ماتم بالفعل حيث وصل والي ابن الزبير الى الكوفة وهو عبد الله بن يزيد الخطمي الانصاري على الصلاة وابراهيم بن محمد بن طليحة على الخراج[1].

ولكن الوالي الجديد لم يتعرض لحركة الثوار بسوء على الرغم من التصعيد الذي حدث للثوار حيث كانوا يطوفون الشوارع بأسلحتهم وبشكل علني يحسه الجمهور. وهذه الحالة زادت من خوف الآخرين خاصة اولئك الذين كانوا يحسّون انهم مستهدفون من قبل الثوار وكانوا يتبادلون الامر فيما بينهم وهم الذين نفذوا اوامر بن زياد في قتل الامام عليه السلام امثال شبث بن ربعي وآل الاشعث.

وهذه الشريحة التي كانت في الصف العلوي ثم انتقلت الى الصف الاموي وعندما انهارت السلطة الاموية لم يكونوا قوة يعتد بها لتكوين خيار سياسي مستقل يعرض وجوده، ولم يكن بمقدورهم ان يرجعوا الى الصف العلوي لانهم غدروا بالامام الحسين عليه السلام، فلم يبق لهم خيار غير رمي انفسهم في احضان ابن الزبير، لذلك كانوا مع السلطة الزبيرية الجديدة وعندما لاحظوا «الشريحة الآنفة الذكر) طفو الحركة الشيعة على الشارع الكوفي قرروا ان يتحركوا على الوالي الزبيري ليقف امامهم وكان بطل الحديث هو يزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم الشيباني، وفي مرة ثانية كان معه عمر بن سعد وشبث بن ربعي حيث ينقل الطبري: (فلما خرج سليمان بن صرد ومضى نحو الجزيرة قال عمر بن سعد بن أبي وقاص وشبث بن ربعي ويزيد بن الحارث بن رويم لعبد الله بن يزيد الخطمي

---

(١) ابن الاثير، ج٤، ص١٤٤.

وابراهيم ابن محمد بن طلحة بن عبيد الله: ان المختار اشد عليكم من سليمان بن صرد وان سليمان انما خرج يقاتل عدوكم ويذلهم وقد خرج عن بلادكم وان المختار انما يريد ان يثب عليكم في مصركم فسيروا اليه»(١).

ولكن ولعدة اسباب ترجع الى واقع الوالي الجديد حالت دون تعرضه لهم.

ولقد عُرِف الوالي انه متزن وحكيم ولذلك فإنه لم يندفع بكلام هذه الشريحة من الناس الذين عرفوا بعدائهم للثوار.

وقد حاول مسؤول الخراج ان يدفع الوالي الى الصدام معهم ولكنه كان اعقل من ان يقدم على مغامرة مجهولة العواقب حيث قال والي الخراج لآل الزبير وهو ابراهيم بن محمد بن طلحة «ايها الناس لايغرنكم من السيف والغشم مقالة هذا المداهن الموادع، والله لئن خرج علينا خارج لنقتلنه ولئن استيقنّا ان قوما يريدون الخروج علينا لناخذن الوالد بولده والمولود بوالده ولنأخذن الحميم بالحميم والعريف بما في عرافته حتى يدينوا للحق ويذلوا للطاعة»(٢).

ان الوالي كان يعرف ان النزاع المسلح مع الثوار يعني زيادة في الضعف وبالتالي فسح المجال امام الجيش الاموي الذي بدأ التجمع في الجزيرة لدخول الكوفة واستلام السلطة من جديد ويمكن للوالي الجديد ان يشكل قوة مع الثوار ضد الجيش الاموي لأنهم يشتركون في العداء لآل امية خاصة وان قائد الجيش هو عبيد الله بن زياد الذي يطلب الثوار راسه وقد عبر عن هذه الفكرة مراراً كما بينا سابقاً.

وهناك اسباب ترجع الى واقع الثوار حالت دون قناعة الوالي الجديد للنزاع مع الثوار هي:

١ - ان الثوار قوة لايستهان بها وقد اعدوا عدتهم للخروج بالسلاح والقتال، وقد احصى ديوان سليمان بن صرد ستة عشر الف على الرغم من ان الخارجين معه الى النخيلة عشرة آلاف، وحتى الاربعة الاف سيف قوة كبيرة بداخل مدينة الكوفة يضاف الى العدد

(١) الطبري، ج٤، ص٤٥٠.
(٢) المصدر، ص٤٣٥.

فأن الوالي قد بلغ اسماعه، انهم مصممون على الموت اخذاً بثار الحسين عليه السلام وهذه الخطوط الحمراء تعطي للمجاهد قوة اضافية الى قوته لذلك كان يحسب لها حساب.

واذا لم يكن الثوار اقوياء لم يجرؤوا على الخروج الى الشوارع باسلحتهم وامام مراى الجميع.

٢- ان حركة الثوار كما بينا لم يكن لها طموح سياسي ليكونوا حكاما لذلك لم يتعرضوا الى الوالي الجديد بالرفض او السخط عليه والنيل منه دائماً بل اشتغلوا بحالهم في جمع عدتهم ومواصلة الاعداد لحركتهم، وهذه نقطة تعرّض لها الوالي الجديد حيث رد المحرضين له بالخروج، انهم لم يتعرضوا له، واكثر من هذا انه أيد اهدافهم في لعن قَتَلة الحسين عليه السلام «وسألت عن الذي دعا هم الى ذلك ما هو؟ فقيل لي زعموا انهم يطلبون بدم الحسين بن علي، حتى قال لعن الله قاتل الحسين»[1].

وبذلك انقسمت الكوفة في قواها السياسية بين الثوار والوالي الزبيري بعد ان كانوا وحدهم القوة السياسية النشطة في الكوفة والباقي شتات ليس لهم من يجمعهم، فأصبحت الكوفة في ولائها السياسي، هكذا:

١- الثوار وهم الشيعة الذين يجمعون امرهم للخروج على قتلة الامام الحسين عليه السلام.

٢- الوالي الزبيري الذي ايده شتات انصار آل امية بعد فقدهم القدرة السياسية التي كان يديرها ابن زياد بالاضافة الى الزبيريين انفسهم باعتبارهم التيار السياسي الوليد الطامح لقيادة الزعامة الاسلامية، والظاهر انه لم يكن هناك من ارضية زبيرية في الكوفة لان الاسماء التي تحركت مع الوالي الجديد وحتى ولاة ابن الزبير ليسوا من الكوفة وانما يُرسلون من الحجاز، والوالي الجديد نفسه قد أُرسل من الحجاز. ويمكن أن نقول: ان الخط المعادي لآل البيت والذي يشكل القاعدة هو الذي يشكل الخط السياسي لآل الزبير في الكوفة ورغم بروز القيادة السياسية الجديدة في الكوفة والتفاف الخط الاموي حولها لكنها لم تشكل خطراً على الثورة وكان بإمكان الثوار اخذ زمام المبادرة منهم والقفز على السلطة في الكوفة واخذها بيدهم ولكن لم تكن للثوار هذه الاهداف وانما هدفهم الثأر من قتلة الامام الحسين عليه السلام.

---

(١) المصدر، ص٤٣٤.

وقد بقي التيار السياسي الزبيري متماسكاً بقيادة الوالي الجديد في حين وقع شرخ في التيار الشيعي الثائر وذلك بدخول المختار بن أبي عبيدة الثقفي الكوفة، ودعوته الى نفسه كقائد بل وكقيادة بديلة للشيعة قادرة على تحقيق اهدافهم.

وعلى الرغم من ان الشيعة في الكوفة كان قائدهم معروفاً في الزعامة التأريخية للشيعة والقدم في الاسلام حيث كانت له صحبة مع الرسول صلى الله عليه وآله الذي هو سليمان بن صرد الخزاعي وقد التف حوله مجموعة اخرى من زعماء الشيعة كما ذكرنا اسماءَهم، وقد علم المختار ان الشيعة مع سليمان بن صرد الخزاعي، وهنا وقع خلاف في الاحداث التي وقعت في هذه الفترة ذلك:

١ - ان هناك راي يقول بأن المختار عند قدومه الكوفة وطرح نفسه قائداً مع ما قد عرف عنه في الوقوف مع الحركة الزبيرية في مكة ضد آل امية بالاضافة الى قوته الشخصية وطموحه السياسي فان ذلك اخاف الوالي الزبيري وقد خاف منه بسبب منافسته على الزعامة لان له سابقة زبيرية بما يمكنه ان يكون البديل عنه بتوسع قاعدته الشيعية والوثوب عليه واخذ زمام الامور منه لانه غير سليمان بن صرد الخزاعي الذي يدعو للثورة ضد قتلة الحسين عليه السلام والمختار يضيف اليها اخذ السلطة السياسية. لذلك قرر اعتقاله والخلاص من المشكلة، وبالفعل اعتقل المختار فقد قال عمر بن سعد بن أبي وقاص وشبث بن ربعي ويزيد بن الحارث وابراهيم بن محمد بن طلحة لعبد الله بن يزيد: «ان المختار اشد عليكم من سليمان بن صرد ان سليمان انما خرج يقاتل عدوكم ويذللهم لكم وقد خرج عن بلادكم وان المختار انما يريد ان يثب عليكم في مصركم فسيروا اليه فأوثقوه في الحديد وخلّدوه في السجن حتى يستقيم امر الناس»[١].

واذا صحت هذه الرواية فان المختار لم يكمل دوره في منافسة سليمان بن صرد على زعامة الشيعة في تحركه وخروجه لقتال بن زياد.

٢ - وآخرون ينقلون ان المختار قدم الكوفة ودعى الى زعامته والتعرض الى سليمان بن صرد وحركته وتنشيط الناس على الخروج مع الثوار وقد تمكن من جمع الفي انسان شيعي معه كانوا من قبل مع سليمان بن صرد ولم يخرج هو مع الثوار، وقد نقل الطبري ان

(١) تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٤٥٠.

الشيعة قبل مجيء المختار الى الكوفة «.. كانوا يختلفون اليه ويعظمونه وينظرون امره وعظماء الشيعة ورؤساؤهم مع سليمان بن صرد وهو شيخ الشيعة واسنّهم فليس يعدلون به أحداً، الا ان المختار قد استمال منهم طائفة»[1].

٣- يمكن لنا ان نجمع بين الفكرة الاولى والثانية فيكون المختار قد دعى الى نفسه وجمع مجموعة من الشيعة في حدود الالفين وعند ذلك تم اعتقاله من قبل السلطة الزبيرية، والوالي له نظرة حول المختار كما بينا في النقطة الاولى.

خاصة اذا عرفنا ان سليمان بن صرد عندما وصل النخيلة وقد رأى جيشه ليس بمستوى الطموح الذي يريده وعددهم أربعة آلاف وأنبأ ان المختار في الكوفة ينشط الناس.

٤- الذي يُفهم من شخصية المختار والافكار التي تدور في رأسه والاوضاع السائدة آنذاك في الكوفة يميل الى هذا التحليل:

أ- ان المختار رجل طموح ويتطلع الى القيادة السياسية للشيعة وسنتحدث عن ذلك في الفصل القادم إن شاء الله.

ب- ان حالة التنافس على قيادة الشيعة حالة طبيعية حيث ليس لهم قائد يعترفون به ويذعنون له عدا الامام زين العابدين عليه السلام، والامام في المدينة تحت القبضة الاموية والزبيرية ولأسباب أخر قد تحدثنا عنها في بداية الحديث عن موقف الامام من الحركة السياسية، وعدم تمكن الشيعة من خلق اطار قيادي لهم ينظمون اليه، وكان ذلك واضحاً بسبب فقدان القرار الواحد، فيكون طبيعياً ان يقع التنافس فيما بينهم وكل يرى نفسه انه صاحب الرأي الافضل.

ولا اعتقد انه يمكن لنا ان نضفي على المختار او سليمان بن صرد حالة من القدسية اكثر مما هي عليه حالهم، اي انهم بشر ولهم واقعهم وطموحهم الخاص. ونحن الآن نرى ما بين الزعامات الدينية للشيعة، من التنافس وتعدد النظرات حول الاحداث الى درجة كبيرة وباسم الاجتهاد الفقهي كما رأينا كيف وقف البعض موقفا سلبيا من قيادة الثورة

(١) المصدر، ص٤٤٩.

الاسلامية في ايران التي قادها مرجع ديني هو الامام الخميني رحمه الله، لذلك لانستعبد اطلاقاً حالة التنافس على الزعامة الشيعية في ذلك الوقت.

ج- ان هناك فرق بين اهداف حركة التوابين وبين حركة المختار حيث ان حركة التوابين حركة ثأر وفداء كما اسلفنا ولم تقترب من السلطة السياسية في الوقت الذي كانت منطلقات المختار ثارية سياسية. فسليمان واصحابه كانوا يقولون نريد قتل قتلة الامام الحسين عليه السلام والمختار يقول سأقتل قتلة الامام الحسين عليه السلام وافعل كذا وكذا حيث قال المختار لاصحابه: «فإن المهدي ابن الوصي محمد بن علي بعثني اليكم اميناً ووزيراً ومنتخباً واميراً وأمرني بقتال الملحدين والطلب بدماء أهل بيته، والدفع عن الضعفاء»[١].

د- ان السبب في اختلاف التطلعات يعود الى ان المختار بن أبي عبيدة الثقفي قد أخبره (ميثم التمار) وهو في المعتقل في زمن عبيد الله بن زياد- وكان ذلك في اعتقاله الاول- انه سيخرج من السجن وسينتصر ويحكم الكوفة، لذلك عندما جاء الكوفة وفي رأسه هذه المعلومات فهو مطمئن انه سيكون القائد المنتصر الذي سيأخذ بثأر الامام الحسين عليه السلام، وهو عندما كان يتحدث في الكوفة كان على ثقة من نفسه انه الزعيم الذي ستتحقق على يديه الانجازات الشيعية في قتل قتلة الامام الحسين عليه السلام وليس سليمان بن صرد الخزاعي، مع انه لم يتهجم على شخصية سليمان وحركته وانما حسب ما يملك من معلومات قد علمه اياها ميثم التمار عن الامام امير المؤمنين عليه السلام انه هو المنتصر ليس غيره. ولذلك عندما كان يتحدث عن حركة التوابين وأنها لاتصل الى النصر كان يستند الى هذه الخلفية حيث ينقل لنا الطبري في تاريخه محادثة بين المختار وابن العرق مولى لثقيف يقول المختار فيها: «...يا ابن العرق ان الفتنة قد ارعدت وابرقت وكأن قد انبعثت فوطئت في خطامها، فإذا رأيت ذلك وسمعت به بمكان قد ظهر فيه فقل: ان المختار في عصابة من المسلمين يطلب بدم المظلوم الشهيد المقتول بالطف سيد المسلمين وابن سيدها الحسين بن علي فو ربك لأقتلن بقتله عدد القتلى الذين قُتلوا على دم يحيى بن زكريا عليه السلام»[٢].

(١) تاريخ الطبري، ج٤، ص٤٥٠.
(٢) المصدر، ص٤٣٤.

اما الكلمات التي تنال من شخصية سليمان بن صرد والتي تنسب الى المختار امثال «اتدرون ما يريد هذا يعني سليمان بن صرد الخزاعي انما يريد ان يخرج فيقتل نفسه ويقتلكم ليس له بصيرة بالحروب ولا له علم بها»[١].

وفي قول آخر قال المختار عن سليمان بن صرد: «.. ان سليمان بن صرد يرحمنا الله واياه انما هو عشمة من العشم وحفش بال، ليس بذي تجربة للامور، ولا له علم بالحروب، انما يريد ان يخرجكم فيقتل نفسه ويقتلكم، واني انما اعمل على مثال قد مثّل لي»[٢].

ان هذه الاقوال انما هي من باب الانفعال في الحديث الذي لايعد موقفاً او هي كلمات من الوشاة وهي حالة طبيعية في تاريخنا.

هـ- وكان من الطبيعي ان يختلف الناس في استجابتهم لاصحاب الدعوات فهناك من يحب الشهادة ويتطلع لها وهناك من يحبها مع النصر الذي كان يعدهم به المختار، لذلك استجابوا له وقد حدد المؤرخون عددهم بألفي شخص.

و- كما لا يمكن لنا ان ننكر انه بالفعل قد وقع انشراخ في التيار الشيعي في الكوفة حيث تمكن المختار من جمع الفين من الشيعة وانه لافرق ان يكون هؤلاء من اتباع سليمان بن صرد ام من غيرهم فضلاً عن ان هذا الانشراخ اعطى ذريعة للبعض الى ان لا يخرج مع سليمان بن صرد الخزاعي ولا مع المختار. وهذا ما عبر عنه سليمان بن صرد نفسه عند ما نظر الى قلة عدد من خرج معه وهم بحدود اربعة الاف شخص وكان قد سجل في ديوانه ستة عشر الف شخص حيث اخبره البعض ان السبب هو المختار الذي حيث جمع الفي شخص منهم، فقال: ليكن جمع المختار هذا العدد ومعي اربعة الاف فأين العشرة الاف الباقية حيث قال احد اصحاب سليمان بن صرد «ان المختار والله يثبط الناس عنك واني كنت عنده اول ثلاث مؤمنين، اما يخافون الله، اما يذكرون الله ما اعطونا من انفسهم»[٣].

---

(١) المصدر، ص٤٣٤.

(٢) المصدر ، ص٤٤٩.

(٣) المصدر ، ص٤٥٢.

وهذا الخلق الاسلامي الرفيع الذي تمتع به سليمان بن صرد الخزاعي وهو في حالة ثورة ويسمع من يقول له ان هناك من يضع العصا في عجلة حركتك ولم يرد بكلمة سوء نابية عليه. لله در الخلق الاسلامي الرفيع الذي ربّاهم عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وامير المؤمنين عليه السلام أن يصونوا انفسهم من الفحش والبذائة في الحديث. واظن ان سليمان بن صرد تعلم من امامه امير المؤمنين عليه السلام في صفين وقد رأى جماعة من اصحابه وهم مجتمعون يسبون معاوية واصحابه فوقف عليهم وقال لهم: «إني اكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر»[1]. لله در هذه النفوس العالية التي تشبعت بروح الايمان وصاغتها سلوكاً عملياً في الحياة. تعال وانظر الى واقع الامة وكيف يتعامل البعض بروح واطئة مع الاسف وهو يتطلع لقيادة الامة وزعامتها الدينية وليس السياسية.

من يقول ان فلان ينال منك فيقول انه ليس من سلالة النبوة وفلان يقول له ان فلان يقول عنك كذا وكذا كان يقول أنه غير مجتهد. وهم في معترك التهم مكنوا الطاغية صدام حسين من التسلط على العراق وممارسة ابشع اساليب القهر والإضطهاد ضد الشعب العراقي عامة والشيعة بالذات منه.

ومع ذلك فان سليمان بن صرد الخزاعي فوت فرصة الدخول في القيل والقال مع المختار قبل اعتقاله لانها تصب في مصلحة الولاة الزبيريين وتفشل حركته.

وتحرك نحو هدفه وبذلك فإن مجمل حركة التوابين لم تتأثر بحركة المختار وبقي سليمان ين صرد وهو قائد التيار الشيعي في الكوفة وليس المختار بن عبيدة الثقفي[2].

وهذه الخريطة السياسية في الكوفة التي احتضنت حركة التوابين لم تشذ عنها البصرة والمدائن حيث ارسل سليمان الى زعماء الشيعة هناك ليستعدوا للثورة واجابوه بالايجاب الى ذلك وبالفعل وصل عدد منهم ولكن بعد أن انتهت المعركة وشارك آخرون منهم في المعركة حيث ارسل سليمان كتاباً الى من كان في المدائن من الشيعة فكان ردهم

(١) نهج البلاغة، قسم الخطب، رقم ٢٠٦.

(٢) عزي ان ثورة التوابين لم تستنقذ اهداف الشيعة وطموحاتهم وان اعتقال المختار كان في مصلحة الحالة الشيعية حيث تراكمت الاحزان عندهم وفجرهم المختار ثانية.

«نجيبهم ونقاتل معهم ورأينا في ذلك مثل رأيهم» وكتب ايضاً الى المثنى بن مخزبة العبدي بالبصرة فأجابه المثنى «اننا معشر الشيعة حمدنا الله على ما عزمتم عليه ونحن موافوك ان شاء الله للاجل الذي ضربت»[١].

والاجواء السياسية التي كانت تحيط بطرفي الكوفة وهي البصرة والمدينة فقد كان الفراغ السياسي فيها اشد ضعفاً واكثر اختلافاً فيها بينهم لان طرد والى ابن زياد من الكوفة وهو عمرو بن حريث ورفض توليه ابن سعد على الكوفة كما بينا قد انتقلت هذه الاحداث الى البصرة لذلك هرب ابن زياد من البصرة الى الشام بقصة مفصلة سنذكرها عند الحديث عن حركة المختار. ومن كل ذلك نرى أن الظروف السياسية في الكوفة كانت مهيّأة لقيام حكم وسلطة شيعية في الكوفة وهي اكثر من انتفاضة وثورة خارج الكوفة كانت فاجتمعت الناس على قيادة عبد الله بن الحارث الهاشمي فتولى قيادة البصرة أربعة أشهر[٢].

وهذا يعني ان ليس هناك من خطر يخاف على الكوفة من جانب البصرة. واما المدينة المنورة فإنها بعد واقعة الحرة اصبحت بيد آل امية ولكن عند موت يزيد اي بعد معركة الحرة بفترة قصيرة حيث كانت الواقعة آخر ذي الحجة عام ثلاثة وستون للهجرة وهلاك يزيد اول ربيع في عام اربع وستون للهجرة.

وعند موت يزيد تمكن عبد الله بن الزبير من بسط نفوذه عليها وبذلك اصبحت تحت الحكم الزبيري ولذلك لم يكن لهم من قوة لمحاربة التوابين في الكوفة.

وهذا يعني ان اطراف الكوفة كانت مستقلة بنفسها وليس هناك من قوة تتحرك لاسقاط الكوفة والسيطرة عليها لو ان الكوفة أُخِذَت وحُكِمت من قبل الثوار.

---

(١) الطبري، ج٤، ص٤٣٠.
(٢) المصدر، ص٤٠٨.

حركة التوابين والحركة الزبيرية

الفراغ السياسي الذي اوجده هلاك يزيد بن معاوية بن أبي سفيان مكّن اصحاب الطموح السياسي أن يستغلوا هذه الفرصة ويظهروا دعوتهم علناً. فكانت حركة التوابين من جملة الحركات التي افصحت عن ظهورها على الساحة بشكل علني وحركة ابن الزبير كذلك اعلنت عن نفسها في مكة حيث دعوا الى امارته وخلافته وجذور كلا الحركتين بدأت في الانبثاق والتخطيط لها سرا بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام وطفتا على السطح بعد هلاك يزيد بن معاوية وتفرق البيت الاموي ولم تكن حركة التوابين أقل اندفاعاً وقوة من حركة ابن الزبير في الكوفة، حيث لم يجمع ابن الزبير في ديوانه ستة عشر الف مقاتل. ولكن الفرق في الاهداف والطموح فإبن الزبير دعا الى نفسه وهو طموح ذاتي له لازمه طوال حياته وحركته لم يكن لها اهدافٌ خاصة بها وانما هي تنافس على السلطة لاغير. ولكن ينقص حركة التوابين أن أميرها (سليمان بن صرد الخزاعي) لم تكن له طموحات ولا اهداف سياسية ذاتية يناضل من اجلها، ولذلك لم تعرف الحركة باسمه وانما بقيت حركة للشيعة وعامة بعكس الحركة الزبيرية التي انطبعت باسمه. وإن اهداف حركة التوابين كانت واضحة في اطارها الخاص لأخذ الثأر من قتلة الحسين عليه السلام وأهل بيته. ولما كان على رأس حركة ابن الزبير هو نفسه عبد الله بن الزبير فإنه ارسل من يمثله او من اراد أن يمثله في الامصار. ولما لم ينته العدو الاموي من الحساب على الرغم من انصاره في الشام واطرافها وحيث كان يعبّئ الجيوش من اجل استرجاع العراق والحجاز من كل الذين اظهروا عدم الطاعة للسلطة الاموية وهذا السبب ذاته منع عبد الله بن الزبير من ان يقف امام حركة التوابين والدخول معهم في صراع مسلح. كما أن الثوار لم يكن لهم هدف سياسي سلطوي لذلك لم يختلفوا سلباً مع إبن الزبير. كما انهم لم يشكلوا سلطة سياسية واضحة وذات هيكلية على الارض وبذلك لم تشكل خطراً على السلطة

الزبيرية كما فعل المختار فيما بعد. ولكن عدم الدخول في الصراع العسكري لايعني أن هناك توافق ورضا من طرف تجاه الطراف الآخر. فسليمان بن صرد الخزاعي لم يعط السلطة الزبيرية الفرصة من اجل أن تتحالف معه وتمده بأي شيء- كما عرضنا لذلك- على الرغم من الحاح السلطة ووالي ابن الزبير عبد الله بن يزيد على سليمان في الصبر عندما كانوا في الكوفة او في النخيلة.

ونفس الشيء فعلوه مع زمر بن الحارث الذي كان في قرقيسيا بل ان سليمان بن صرد الخزاعي تحدث مع الامويين (حصين بن نمير) على أن يسلموا عبيد الله بن زياد وبدورهم يتعاونون على اخراج الزبيريين من العراق[1].

وقد اوضح سليمان بن صرد الخزاعي انه لايلتقي مع الحركة الزبيرية وتكلم بذلك[2].

١- فعليه لم تكن بين الحركتين من تماس في البواعث ولاتشاور بين قادتيهما. نعم التقت الحركتان في العداء لآل امية ولكن كل حركة لها بواعث خاصة بها في العداء لآل امية.

٢- اراد الزبيريون استغلال الحركة في التعامل معها ومشاركتها العمل ضد آل امية ولكن التوابين رفضوا هذه الاقتراحات.

٣-لم تكن الظروف مهيأة لابن الزبير لضرب حركة التوابين ولو كانت الظروف في مصلحة ابن الزبير لضرب الحركة لما عرف عنه من العداء والبغض لآل بيت الرسول ﷺ وهو ما لا يحتاج الى دليل.

٤- وبالتالي فان الحركتين تعاملتا كل في طريقه من دون تأييد ومشاركة من بعضهما الآخر كما لم يصطدما ويهدرا طاقاتهما.

---

(١) المصدر، ص٤٦٤.

(٢) المصدر، ص٤٥٩.

الامام زين العابدين وحركة التوابين

لم ينقل عن الامام زين العابدين عليه السلام اي تصريح وحديث لا من قريب او بعيد عن حركة التوابين على الرغم من حدوثها في فترة انقلاب سياسي وفراغ قيادي في الامة، وعدم الحديث عن ذلك اما ان يكون للظروف السياسية التي كانت تحيط بالامام علي بن الحسين عليه السلام حيث انه كان تحت المظلة الزبيرية في المدينة المنورة وكان موقف ابن الزبير شديداً على اهل بيت النبوة عليهم السلام، وبالتالي فإنّ أي حركة من قبل الامام قد تؤدي الى ضرب الامام عليه السلام. او ان اهداف حركة التوابين بذاتها هي حركة توبة من تقصير اقترف بحق الامام الحسين عليه السلام كما عبروا هم عنه ولذلك فليس من حاجة الى تأييد او تلميح في ذلك. بل كان لابد لهم أن يسيروا في هذا الطريق ويؤدوا هذه الدور دفاعاً عن سمعتهم وتكفيرا عن تقصيرهم في نصرة الامام الحسين عليه السلام وهذا العمل ليس بحاجة للدلالة عليه، نعم اذا قلنا ان لهم اهدافاً سياسية فلابد من نصرة هذه الاهداف والتحرك للتأييد العام لها في وسط الامة. وهذا لم يكن معروفا عن هذه الحركة كما بينا، ولعل ابرز ضعف لنيل التأييد هو عدم سيطرتهم على مكان معين يعلنون فيه دولتهم حتى ينهال التأييد لهم من جماعة اهل بيت النبوة. كما لم تجرِ اي صلة بين الثوار واهل بيت الرسالة عليهم السلام من اعمام الامام زين العابدين عليه السلام الذين كانوا احياء وقت حدوث الحركة وهم عمر بن الامام علي ومحمد بن الحنفية وعبيد الله بن الامام علي عليه السلام وكذلك اولاد عم الامام زين العابدين عليه السلام وهم زيد بن الامام الحسن والحسن المثنى بن الامام الحسن عليه السلام، ويمكن ان عدم بلوغ الثوار هدفهم لم يحرك الآخرين في الاندفاع إلى مشاركتهم حركتهم وتأييدهم. وهذه مجموعة تحليلات، اما واقع الحال فالله اعلم به، وقد تكون جرت اتصالات ولكن لم ينقلها المؤرخون او كانت من السرية بدرجة حيث لم تظهر لأحد. أما في ذات الحركة فليس من شك في اهدافها المقدسة وهي قتل قتلة الامام الحسين عليه السلام

وقتلة اهل بيته واصحابه، فهي اهداف ايمانية يعتز ويفتخر القائمون بها. يضاف اليها النجبة المؤمنة التي قادت الحركة من أولئك الذين عُرِفوا بولائهم لأهل بيت النبوة والوقوف معهم والاشتراك في معارك الامام امير المؤمنين عليه السلام. وليس هناك من يشكك في نواياهم وايمانهم او يجرح في اهدافهم. وبالتالي فهي حركة شرعية مقدسة حملت اهدافها ظاهرة زكت عمق انفسهم، وعدم صدور تأييد من الامام عليه السلام لايدل على عدم الرضا عن حركتهم.

قال ابن نما: فلقد بذل سليمان بن صرد الخزاعي من اجل الثأر مهجته واخلص لله توبته وقد قلت هذين البيتين:

قضى سليمان نحبه فغدا ... الى جنان ورحمة الباري
مضى حميدا في بذل مهجته ... وأخذه للحسين بالثأر[1]

(١) سفينة بحار الانوار، ج١، ص٦٥١.

يوميات ثورة التوابين

١ - ابتدأ التخطيط او التحرك للثورة عام احدى وستين للهجرة اي بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام مباشرة.

٢ - اعلن عن الحركة بعد هلاك يزيد بن معاوية عام اربع وستين للهجرة مباشرة حيث طلب الناس من قادتهم وعلى رأسهم سليمان بن صرد الخزاعي القيام بالثورة، ولكن القادة امروهم بالصبر.

٣- ازداد عدد المؤيدين للثورة بعد هلاك يزيد حتى احصى ديوان قائد الثورة ستة عشر الف مقاتل.

٤ - أمّر الثوار عليهم سليمان بن صرد الخزاعي وسموه (امير التوابين).

٥- خرجوا الى النخيلة لتجميع الجيش فكان عددهم اربعة آلاف مقاتل.

٦ - ارسل سليمان بن صرد الخزاعي رسلاً الى الكوفة ليحرضوا الناس على الخروج للوفاء بعهدهم فنادوا في اسواق الكوفة وازقتها (يا لثارات الحسين)[1] وكان هذا اول شعار رفع بالكوفة باسم الحسين عليه السلام والاخذ بثأره.

٧- التحق بالثوار بحدود عشرة الآف مقاتل من الكوفة بعد عملية التحريض.

٨- عندما نظر سليمان بن صرد الخزاعي الى قلة العدد فكّر بالعودة للكوفة والتريث بالحركة صوب عبيد الله بن زياد الذي كان مرابضا على حدود العراق.

ولكن (المسيب بن نجبة) حرّضه على مواصلة الدرب والمشوار على الاهداف التي تعاهدوا بها وتكلم معه بهذا الحديث، فواصل الجيش مسيرته.

(١) تاريخ الطبري، ج٤، ص٤٥٢.

٩- عندما تحرك الجيش نحو الشام تخلف عنهم بحدود عشرة الآف مقاتل.

١٠- نزل الجيش في كربلاء وبقي مدة ثلاثة ايام يزورون قبر الامام الحسين عليه السلام وقد ازدحموا على قبره اشد من ازدحام الناس على (الحجر الاسود).

وقد تكلم قادة الثورة هناك واظهروا ولاءهم لأهل البيت وقال سليمان بن صرد: «الحمد الله الذي لو شاء اكرمنا بالشهادة مع الحسين عليه السلام، اللهم اذ حرمتناها معه فلا تحرمناها فيه بعده»[1].

١١- وصل الجيش الى قرقيسيا وقد استضافهم (زمر بن الحارث) وعرض عليهم الصبر حتى يجهز نفسه ويلتحق بهم ولكنهم رفضوا وواصلوا مسيرتهم حتى قدموا على عين الوردة حيث وقعت المعركة[2].

١٢- في اول لقاء بين الثوار والجيش الاموي طلب الثوار:

الف- تسليم عبيد الله بن زياد.
باء- العمل سويا على اخراج الزبيريين من العراق.
جيم- ارجاع الامر لأهل البيت.

فرد عليهم الجيش الاموي:

أ: النزول لآل مروان ومبايعة مروان بن الحكم.
ب: قتال عبد الله بن الزبير.

فلم يتوافق الطرفان على شيء واستعدوا للقتال[3].

١٣- هزيمة الجيش الاموي: وفي بداية المعركة تمكن الثوار من توجيه ضربة مباغتة للجيش الاموي الذي كان بقيادة (ابن ذي الكلاع) تمكنوا من خلالها الانتصار عليهم والحصول على غنائم كثيرة وعادوا الى مواقعهم وكان الجيش الثائر بقيادة (المسيب ابن نجبة).

---

(١) المصدر، ص٤٥٧.
(٢) المصدر، ص٤٥٩-٤٦١.
(٣) تاريخ الطبري، ج٤، ص٤٦٤.

١٤- امدادات للجيش الاموي: بعد أن وصل خبر الهزيمة للجيش الاموي بقيادة (ابن ذي الكلاع) الى عبيد الله بن زياد ارسل امدادات لهم بقيادة (الحصين بن نمير) وكان عددها بحدود اثني عشر الف مقاتل.

١٥- هزيمة ثانية للجيش الاموي: وقد التقى الجيشان، الثوار بقيادة (سليمان بن صرد الخزاعي) والجيش الاموي بقيادة (الحصين بن نمير) وقد انهزم الجيش الاموي ورجع الى معسكره في الليل وحجزهم الثوار.

١٦- امدادات ثانية للجيش الاموي: وفي صبيحة اليوم الثاني للمعركة قدم (ابن ذي الكلاع) مرة ثانية للمعركة ومعه ثمانية الاف مقاتل امدها له عبيد الله بن زياد فيكون عدد الجيش الاموي عشرون الف مقاتل.

١٧- تنافس على قيادة الجيش الاموي: الجيش الاموي كان ثلاث فرق كل فرقة تحت امرة قائد.

أ: عبيد الله بن زياد وهو آمر الجيش.

ب: ابن ذي الكلاع

ج: حصين بن نمير.

وقد رفض (ابن ذي الكلاع) الانصياع لقيادة (حصين بن نمير) لذلك بقي في معسكره لوحده.

ولكن بعد هزيمته امام جيش (المسيب بن نجبة) ارسل اليه عبيد الله بن زياد ثمانية آلاف مقاتل وأرسل اليه رسالة يوبخه ويشتمه بها ويدعوه للانصياع لقيادة (حصين بن نمير) وجاء في الرسالة: (انما عملت عمل الاغمار تضيع عسكرك ومسالحك)[١].

١٨- الثوار ينظمون قيادتهم: بعد ان تحرك الثوار خطب سليمان بن صرد الخزاعي وقال: «اذا انا قُتِلت فأمير الناس المسيب بن نجبة، فان اصيب المسيب فأمير الناس عبد الله بن سعد ابن النفيل، فان قتل فأمير الناس عبيد الله بن وال، فان قتل فأمير الناس رفاعة بن شداد»[٢].

---

(١) المصدر، ص٤٦٤.

(٢) -المصدر، ص٤٦٢.

١٩- تواصلت المعارك لمدة ثلاثة ايام متتالية من يوم الاربعاء والخميس والجمعة الثاني والعشرون والثالث والعشرون والرابع والعشرون من جمادى الاولى عام خمس وستين (٦٥ للهجرة) وقد انتهت المعارك باستشهاد قادة الحركة الاصليين وهم:

اولاً: سليمان بن صرد الخزاعي.

ثانيا: المسيب بن نجبة.

ثالثاً: عبد الله بن نفيل.

رابعاً: عبد الله بن وال التميمي.

خامساً: عبيد الله بن عبد الله المري.

وكذلك استشهد خالد بن سعد بن نفيل اخو عبد الله، وكذلك استشهد قادة الحركه الذين قدموا من المدائن (وهم من اهل المدائن):

اولاً: كثير بن عمرو المزني.

ثانياً: طعن الحنفي.

ثالثاً: طعن الطائي وقد جدع أنفه

اما اهل البصرة فانهم لم يلحقوا بالمعركة فكان قائدهم المثنى بن مخزبة العبدي.

وقد التقى العبدي مع سعد بن حذيفة بن اليمان في قرية يقال لها (صدوداء) قرب هيت وهناك التقوا بالجيش العائد بعد المعركة بقيادة رفاعة بن شداد البجلي.

٢٠- قرار الانسحاب: وعندما نظر القوم الى كثرة قتلاهم قرّروا العودة الى مواطنهم ووقع حوار بين الثوار عن وقت العودة أهو في النهار؟ ام في الليل؟ وكان رأي (رفاعة بن شداد البجلي) العودة في النهار ولكن عبد الله بن عوف بن الاحمر نصحه بالعودة في الليل حيث العتمة، وبعد حوار قبل (رفاعة بن شداد البجلي) وأخّر المسير الى الليل.

٢١- طلاب الشهادة يرفضون العودة:

أ: بعد الاتفاق للبقاء لليل جرى حوار بين قائدهم (رفاعة بن شداد البجلي) وبين (الوليد بن غضين الكناني) حول الراية حيث كانت بيد (الكناني) فقال الكناني: (اني لا

اريد ما نريد (يعني العودة) اني اريد لقاء ربي واللحاق بإخواني والخروج من الدنيا الى الآخرة)[١].

ب: شماتة اهل الشام: رفع اهل الشام صوتهم: (إن الله قد اهلكهم فاقدموا عليهم فافرغوا منهم قبل الليل). فاقتتلوا قتالاً شديداً حيث صمد الثوار بوجه الهجمة الشامية الاموية حتى العشاء وفي هذا القتال استشهد (الوليد بن غضين الكناني).

ج: وكما تناقش الكناني واصرّ على الشهادة كذلك تناقش آخرون فيما بينهم أن (رفاعة بن شداد البجلي) عازم على العودة في الليل فتحدث (كريب بن زيد الحميدي) مع جماعة من حمير وهمدان وقال لهم: (قد بلغني ان طائفة منكم يريدون ان يرجعوا الى ما خرجوا منه، الى دنياهم، وإن هم ركنوا إلى دنياهم رجعوا الى خطاياهم، فاما أنا فو الله لا أولّي هذا العدو ظهري حتى ارد موارد اخواني).

فأجابوه وقالوا: (رأينا مثل رأيك) فاجتمع اليه بحدود (مئة) نفر ومضى برايته، عندما حلَّ المساء حتى دنا من القوم. فقال (ابن ذي الكلاع): (والله اني لأرى هذه الراية حميرية أو همدانية) فدنا منهم فسألهم فاخبروه.

فقال: (انكم آمنون) فقال له صاحبهم: (انا قد كنا آمنين في الدنيا وانما خرجنا نطلب امان الآخرة) فقاتلوا القوم حتى قُتلوا[٢].

وكذلك تناقشت جماعة اخرى فيما بينهم حول عزم (رفاعة بن شداد البجلي) على العودة في الليل وكان رأس هذه الجماعة هو (صحير بن حذيفة المزني) فقال (لاتهابوا الموت ولاتزهدوا فيما رغبتم فيه من ثواب الله فان ما عند الله خير لكم). فاجتمعوا اليه بحدود (ثلاثين) نفر وقاتلوا الجيش الشامي الاموي حتى قُتِلوا، وعند انتهاء هذه المعركة حلت العتمة ورجع اهل الشام الى معسكرهم.

٢٢- العودة الى الكوفة: عندما حلت العتمة ومد الظلام قاد (رفاعة بن شداد البجلي) باقي الجيش نحو الكوفة وقد قُسم الجرحى والمعوقون على قبائلهم فسار الليل

---

(١) المصدر، ص٤٦٨.

(٢) نفس المصدر، ص٤٦٩.

كله يقطع المسافات ويعبر الانهر.

وقد خلف (رفاعة بن شداد البجلي) سبعين فارساً بقيادة (أبي الجويرية العبدي) يسير وراء الجيش يساعد الجرحى ويلم الاسقاط التي تقع من الجيش وهو يسير مسرعاً.

٢٣- عودة الجيش الشامي الاموي: وعندما حل الصباح بحث (الحصين بن نمير) ليرى مواقع الثوار فلم يجد لهم اثراً وقرأن لايتبعهم ولم يبعث وراءَهم وانما قرر الرجوع للشام.

٢٤- الثوار في قرقيسيا: وصل الثوار في طريق عودتهم الى قرقيسيا فارسل (زمر بن الحارث) والي قرقيسيا لهم الطعام والاطباء والمساعدات فبقوا (ثلاثة ايام) حيث استراحوا وأخذوا معهم ما يحتاجونه لهم ولدوابهم.

٢٥- لقاء الاحبة: وصل الثوار الى منطقة يقال لها (صندوداء) وهناك كان ثوار البصرة والمدائن حيث كانوا في طريقهم الى المعركة ولكنهم لم يتوفقوا للوصول.

والتقوا بالبكاء والحزن على الشهداء وكذلك على عدم التوفيق للوصول للمعركة وبقوا في هذه القرية (صندوداء) يوماً وليله وبعدها رجع كل الى منطقته الاولى: الكوفة- البصرة- المدائن[١].

وبذلك انتهت جولة من حركة الثأر، ولكن لم تنته المهمة والمشوار، حيث هناك فصل آخر ولكن بقيادة جديدة وبطريقة اخرى. وقدتوصل الثوار الى اهدافهم من خلال الجولة الثانية بقيادة المختار بن أبي عبيدة الثقفي.

(١) نفس المصدر، ص ٤٧٠.

قبسات نور في حركة التوابين

في حركة الثوار التوابين قبسات نورانية تدل على صدق نواياهم واخلاصهم وذوبانهم في اهدافهم الايمانية.

والله سبحانه وتعالى اعلم بالدوافع الداخلية لكل شخص منهم ولكن حركتهم الظاهرية تؤشر على انهم صدقوا ما عاهدوا الله عليه من تلافي تقصيرهم في نصرة الامام الحسين عليه السلام او بغضهم للحالة الاموية التي عرفت بانحرافها عن الاسلام.

ونحن نجد ان اقوال الثوار وافعالهم وممارساتهم تنبئ عن تطلع للشهادة وحب الاخرة وكره للدنيا.

ليس يأساً من الحياة وافلاساً من الدنيا وانما عشق الشهادة وحب لقاء المؤمنين وأمان الاخرة. كما ليس هو التهلكة والانتحار لان دوافع هذه النماذج هو ليس من عدم القدرة على مواجهة المشاكل والضعف النفسي خاصة وأن الثوار اصحاب اندفاع نحو القتال والشهادة في سبيل اهداف ايمانية واضحة هي قتل قتلة الامام الحسين عليه السلام واهل بيته.

والذي قرأ خطبهم (حتى فيما بينهم) وسيرتهم يقف امام مدرسة الاسلام في التصدي للانحراف والظلمة، ونحن هنا نقتطع قبسات من نور مسيرتهم في خطبهم ونماذج من بطولاتهم لكي نعرف ذلك حيث ينقل لنا الطبري في تاريخه بعض القبسات النورانية التي تفوه بها قادة التوابين ورؤساؤهم.

١ - اليك ما قاله سليمان بن صرد الخزاعي:

«اما بعد ايها الناس فان الله قد علم ما تنوون وما خرجتم تطلبون وأن للدنيا تجاراً

وللاخرة تجاراً فاما تاجر الاخرة فساع اليها منتصب لطلبها لايشتري بها ثمنا ولايُرى الا قائما وقاعداً وراكعاً وساجداً لايطلب ذهباً ولافضة ولادنيا ولالذة، واما تاجر الدنيا فمكب عليها راتع فيها لايبتغي بها بدلاً، فعليكم يرحمكم الله في وجهكم هذا بطول الصلاة في الليل وبذكر الله كثيراً على كل حال وتقربوا الى الله جل ذكره بكل خير قدرتم عليه حتى تلقوا هذا العدو والمحل القاسط فتجاهدوه فإنكم لن تتوسلوا الى ربكم بشيء هو اعظم عنده ثوابا من الجهاد والصلاة فان الجهاد سنام العمل، جعلنا الله واياكم من العباد الصالحين المجاهدين الصابرين على البلاء»(١).

٢- وما قاله المثنى بن مجزية وكان صاحب احد الرؤوس والاشراف:

(إن الله جعل هؤلاء الذين ذكرتهم بمكانهم من نبيهم ﷺ افضل ممن هم دون نبيهم وقد قتلهم قوم نحن لهم اعداء ومنهم براء وقد خرجنا من الديار والاهلين والاموال ارادة استئصال من قتلهم فو الله لو أن القتال فيهم بمغرب الشمس او بمنقطع التراب يحق علينا طلبه حتى نناله فان ذلك هو الغنم وهي الشهادة التي ثوابها الجنة فقلنا له صدقت واصبت ووفقت)(٢).

٣- وابو جورية بعد أن جرح في اليوم الثاني في اول النهار فلزم الرحال وكان صحير ليلته كلها يدور ويقول: «ابشروا عباد الله بكرامة الله ورضوانه فحق والله لمن ليس بينه وبين لقاء الاحبة ودخول الجنة والراحة من إبرام الدنيا واذاها الا فراق النفس الامارة بالسوء أن يكون بفراقها سخيا وبلقاء ربه مسروراً»(٣).

٤- وقول عبد الله بن وال:

«من اراد الحياة التي ليس بعدها موت والراحة التي ليس بعدها نصب والسرور الذي ليس بعده حزن فليتقرب الى ربه بجهاد هؤلاء المحلين والرواح الى الجنة رحمكم الله»(٤).

---

(١) الطبري، ج٤، ص٤٥٥.
(٢) المصدر ص٤٦٥.
(٣) المصدر.
(٤) تاريخ الطبري، ج١، ص٤٦٧.

من قصص الابرار

رجل من بني كثير

«ان رجلاً من بني كثير من الازد يقال له عبد الله بن خادم مع امراته سهلة بنت سبرة بن عمرو من بني كثير وكانت من اجمل الناس واحبهم اليه، سمع نداء (يا لثارات الحسين)- وما هو ممن كان ياتيهم ولا استجاب لهم- فوثب الى ثيابه فلبسها ودعا بسلاحه وامر باسراج فرسه فقالت له امرأته: ويحك أجُننت؟ قال: لا والله ولكني سمعت داعي الله فأنا مجيبه، أنا طالب لدم هذا الرجل حتى اموت او يقضي الله من امري ما هو احب اليه فقالت له: الى من تدع إبنك هذا؟ قال: إلى الله وحده لا شريك له، اللهم اني استودعك اهلي وولدي اللهم احفظني فيهم (وكان ابنه ذلك يدعى عزرة فبقي حتى قتل بعد مع مصعب بن الزبير) وخرج حتى لحق بهم فقعدت إمرأته تبكيه واجتمع اليها نساؤها ومضى مع القوم»[١].

وهذا نموذج آخر من الابرار هو:

كرب بن نمران

«وكرب بن نمران كان يصلي سمع (يالثارات الحسين) فقال: اين جماعة القوم؟ قيل بالنخيلة فخرج حتى اتى اهله فأخذ سلاحه ودعا بفرسه ليركبه فجاءته ابنته الرواع وكانت تحت ثبيت بن مرثد القابضي فقالت: يا ابت مالي أراك قد تقلدت سيفك ولبست سلاحك؟ فقال لها: يا بنية ان اباك يفر من ذنبه الى ربه. فأخذت تنتحب وتبكي وجاءَه اصهاره وبنو عمه فودعهم ثم خرج فلحق بالقوم»[٢].

---

(١) الطبري، ج٤، ص٤٥٢.

(٢) المصدر.

لقاء الاعرابي والتفاؤل

يقول عبد الله بن عوف بن الاحمر يا حميد بن مسلم، أبشر بشرى ورب الكعبة فقال له: ابن عوف بن الاحمر: ممن انت يا اعرابي؟ قال: انا من بني تغلب. قال: غلبتم ورب الكعبة ان شاء الله فأنتهى الينا المسيب بن نجبة فأخبرناه بالذي سمعنا من الأعرابي واتنياه به فقال المسيب بن نجبة: اما لقد سررت بقولك ابشر وقولك يا حميد بن مسلم واني لأرجو أن تبشروا بما يسركم وانما سركم أن تحمدوا امركم وأن تسلموا من عدوكم وأن هذا الفأل هو الفأل الحسن وقد كان رسول الله ﷺ يعجبه الفأل[١].

تنافس عبد الله بن وال وعبد الله ابن خازم الكندي

«عن عبد الله بن عوف قال: بقيت الراية ليس عندها احد، قال: فنادينا عبد الله بن وال بعد قتلهم فرساننا، فاذا هو قد استلحم في عصابة معه الى جانبنا فحمل عليه رفاعة بن شداد فكشفهم عنه ثم اقبل الى رايته وقد امسكها عبد الله بن خازم الكندي، فقال لابن وال: امسك عني رايتك، قال: امسكها عني رحمك الله فأني بي مثل حالك. فقال: إمسك عني رايتك فاني اريد أن اجاهد. قال: فان هذا الذي انت فيه جهاد واجر. قال: فصحنا يا ابا عزة اطع اميرك يرحمك الله قال: فأمسكها قليلاً ثم ان ابن وال اخذها منه»[٢].

قصة ينقلها ادهم بن محرز الباهلي

«عن فروة بن لقيط قال سمعت ادهم بن محرز الباهلي في إمارة الحجاج بن يوسف وهو يحدث أناساً من اهل الشام قال: دفعت الى احد أمراء العراق رجلا منهم يقولون له عبد الله بن وال وهو يقول: ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ* فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ*يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[٣].

---

(١) المصدر، ص٤٦٣.

(٢) المصدر، ص٤٦٧.

(٣) آل عمران، ١٦٩-١٧١.

قال فغاظني فقلت في نفسي هؤلاء يعدوننا بمنزلة اهل الشرك يرون ان من قتلنا منهم فهو شهيد فحملت عليه فضربت يده اليسرى فأطننتها وتنحيت قريباً، فقلت له: اما اني اراك وددتَ انك في اهلك. فقال: بئسما رايت، اما والله ما احب انها يدك الآن الا أن يكون لي فيها من الأجر مثل ما في يدي قال فقلت له لم؟ قال لكي يجعل الله عليك وزرها ويعظم لي أجرها. فغاظني فجمعت خيلي ورجالي ثم حملنا عليه وعلى اصحابه فدفعت اليه فطعنته فقتلته وانه لمقبل الى ما يزول فزعموا بعد انه من فقهاء اهل العراق الذين كانوا يكثرون الصوم والصلاة ويفتون الناس»[1].

جهاد عبد الله بن عزيز الكندي

«خرج عبد الله بن عزيز الكندي ومعه ابنه محمد وهو غلام صغير، فقال: يا اهل الشام هل فيكم احد من كندة فخرج اليه منهم رجال فقالوا: نعم نحن هؤلاء فقال لهم: دونكم اخيكم فابعثوا به الى قومكم بالكوفة فانا عبد الله بن عزيز الكندي فقالوا له: انت ابن عمنا فانك آمن. فقال لهم: والله لا ارغب عن مصارع اخواني الذين كانوا لليل نوراً وللارض اوتاداً وبمثلهم كان الله يُذكر. قال: فاخذ ابنه يبكي في اثر ابيه. فقال: يا بني لو ان شيئاً كان آثر عندي من طاعة ربي اذاً لكنت انت وناشده قومه الشاميون لمـّـا رأوا من جزع ابنه وبكائه في أثره ورق الشاميون له ولابنه رقة شديدة حتى جزعوا وبكوا ثم اعتزل الجانب الذي خرج اليه قومه فشد على صفهم عند المساء فقاتل حتى قتل»[2].

قصة المزني عبيدة بن سفيان

كان المزني صديقاً لحميد بن مسلم فقال حميد بن مسلم للمزني لما ذهب لينصرف ناشدتك الله، فقال اما انك لم تكن لتسالني شيئاً من الدنيا الا رايت لك من الحق على ايتائه وهذا الذي تسألني اريد الله به قال: ففارقني حتى لقي القوم فقتل قال فو الله ما كان شيء بأحب إليّ من أن القى إنساناً يحدثني عنه كيف صنع حين لقي القوم قال فلقيت عبد الملك ابن جزء بن الحدرجان الأزدي بمكة فجرى حديث بيننا وجرى ذكر ذلك اليوم

(١) تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٤٦٧.
(٢) الطبري، ج ٤، ص ٤٦٩.

فقال: اعجب ما رايت يوم عين الوردة بعد هلاك القوم ان رجلاً اقبل حتى شدّ عليّ بسيفه فخرجنا نحوه قال: فانتهى الينا وهو يقول:

انــي مــن الـلــه الــى الـلــه أفـر   رضــوانــك الـلـهـم أبــدي وأســر

قال: فقلنا له: ممن انت؟ قال: من بني آدم. فقلنا: ممن؟ قال: لا احب ان اعرفكم ولا ان تعرفوني -يا مخربي البيت الحرام- قال: فنزل اليه سليمان بن عمرو بن محصن الازدي من بني الخيار قال: وهو يومئذ من اشد الناس قال فكلاهما اثخن صاحبه. قال: وشد الناس عليه من كل جانب فقتلوه قال فوالله ما رايت واحداً قط هو اشد منه قال فلما ذكرلي كنت احب أن اعلم علمه ودمعت عيناي فقال: ابينك وبينه قرابة؟ فقلت له: لا ذلك رجل من مضر كان لي وداً واخاً فقال لي: لا ارقأ الله دمعك اتبكي على رجل من مضر قُتل على ضلاله قال: لا والله ما قتل على ضلاله ولكنه قتل على بينة من ربه وهدى[1].

(١) المصدر، ص٤٧١.

حركة المختار

عاش اتباع اهل البيت حالة انكماش بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله. ثم عاد انتعاشهم عند مجيء الامام امير المؤمنين علي عليه السلام الى الخلافة. ولكنهم أصيبوا بنكسة حادة بعد استشهاد الامام امير المؤمنين عليه السلام عام ٤١ للهجرة، والانتكاسة في هذه المرة استمرت ومعها المأساة بشكل حلقات تآمر من تشويه السمعة الى المطاردة والاعتقال والتصفية الجسدية لرموزهم أمثال حجر بن عدي واصحابه وعمر بن الحمق الخزاعي و.. فكانت تتراكم الحالة المأساوية عليهم وتصاعدت بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام.

وقد تطلع الشيعة بقيادة الامام الحسين عليه السلام الى أن يكون انفراجٌ سياسيٌ لهم بعد هلاك معاوية بن أبي سفيان وأن يتحركوا بحرية ويساهموا بالحياة السياسية حيث أن معاوية اغلق كل منافذ التحرك امامهم بطريقته الحاقدة الماكرة. ونصب معاوية ابنه يزيد خليفة وطلب من الامام الحسين عليه السلام أن يبايع يزيد فرفض الامام الحسين عليه السلام ذلك فعاش الوضع الشيعي اخطر مأساة له عندما تطاول يزيد بن معاوية على تأليب الناس وتحشيد الجيوش على الامام الحسين عليه السلام حتى قتله واهل بيته بتلك الطريقة المؤلمة التي بكتها السماء قبل الارض.

وبعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام تضعضع الكيان الاموي حتى ضعف وانهار بموت يزيد بن معاوية عام ٦٤هـ ومجيء معاوية بن يزيد وبعده مروان بن الحكم وكل هؤلاء ضعفاء ولم تطل مدة حكمهم لذلك تطلع الشيعة الى أن يثأروا لكل المأساة التي مرت عليهم والنكبات التي حلت بهم بما يقارب الـ٣٥ عاماً.

وبرزت حركة التوابين التي قادها سليمان بن صرد الخزاعي ومجموعة من كبار الصحابة ولكنها لم يحالفها الحظ في الانتصار فاستشهد قادة الحركة عام ٦٦ للهجرة.

ولكن جذوة الحركة ونواة فكرتها لم تمت حيث بقيت بقية من الجيش قادها رفاعة بن شداد فأرجعها الى الكوفة[١].

كما ان بقايا الخميرة الثورية كانت في الكوفة بعد حيث ان ولاة ابن الزبير وهم عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد بن طلحة اعتقلوا المختار بن أبي عبيدة الثقفي خوفاً من اندلاع الثورة في داخل الكوفة[٢].

والاجواء السياسية كذلك بقيت غير محكمة وفيها الكثير من الفجوات حيث ابن الزبير في مكة وعبد الملك بن مروان في الشام وعبيد الله بن زياد في البصرة فهي اجواء يمكن للتحرك أن يخترقها وخاصة الكوفة التي هي حضن الشيعة الدافئ وهي بعيدة عن الحجاز والشام.

فهذه العوامل مهدت لان يكون في الكوفة تحرك شيعي يكتب له النجاح.

والوضع السياسي لاتباع اهل البيت عليهم السلام كان يبحث عن قائد كفوء يملك مؤهلات تمكنهم من تحقيق اهدافهم.

وكان الفراغ الاداري السياسي واضحاً عند اتباع اهل البيت عليهم السلام والكل يتحدث عنه.

فنجد ان حوارا جرى بين المغيرة بن شعبة والمختار بن أبي عبيدة الثقفي اوضح فيه المغيرة عن وجود فراغ قيادي سياسي للشيعة في الكوفة[٣].

وعزز ملء الفراغ القيادي للشيعة في الكوفة في نفسية المختار وان المختار نفسه

---

(١) ابن الاثير، ج٤، ص٢١١: لما قتل سليمان بن صرد قدم من بقي من اصحابه في الكوفة، وهم رفاعة بن شداد، والمثنى بن مخزبة العبدي، وسعد بن حذيفة بن اليمان، ويزيد بن انس واحمد بن شميط الاحمسي عبد الله بن شداد البجلي وعبد الله بن الكامل.

(٢) تاريخ الطبري، ج٤، ص٤٨٨.

(٣) بحار الانوار، ج٤٥، ص٣٥٢ وكذلك ص٣٥٦:

(ركب مع المغيرة يوماً فمر بالسوق، فقال المغيرة: يا لها غارة ويا له جمعا، اني لأعلم كلمة لو نعق لها ناعق ولا ناعق لها لاتبعوه، ولا سيما الاعاجم الذين اذا القي اليهم الشيء قبلوه. فقال له المختار: وما هي يا عم؟ قال: يستأدون بآل محمد فأغضى عليها المختار).

سيملأ هذا الفراغ وسيكون له شأن كبير من خلال حوار جرى بين المختار بن أبي عبيدة الثقفي وميثم التمار عندما كانا في المعتقل الذي زجهم فيه عبيد الله بن زياد[١].

ومجيء المختار للسلطة اعاد الثقة لاتباع اهل البيت عليهم السلام وخاصة عند اعلانه هويته واهدافه التي تحدث بها قبل وصوله الى الحكم.

كما ان مطاردة قتلة الامام الحسين عليه السلام على يد المختار وهم من وجوه اهل الكوفة ورؤساء قبائلها من امثال شبث بن ربعي ومحمد بن الاشعث وشمر بن ذي الجوشن وعمر بن سعد وعبيد الله بن زياد وقد القي القبض عليهم ومنهم من قتل وأسماء اخرى صفّاها ابراهيم بن الاشتر من امثال الحصين بن نمير وشرحبيل بن ذي الكلاع وابن هوشب وغالب الباهلي وأبي اشرس بن عبد الله.[٢]

ومنهم من هرب والتحق بمصعب بن الزبير واصبحوا قادة جيش بن الزبير وان هؤلاء شكّلوا ظاهرة في الوضع الكوفي ورسموا انطباعا خاصاً بها.

إن العرب وقفوا ضد حركة المختار بن أبي عبيدة الثقفي الذي اتبع الثقافة الإسلامية التي لاتفرق بين الاجناس والانتماءات العرقية وذلك لأن الانفتاح على القوى البشرية ظاهرة قيادية في حركة المختار بن أبي عبيدة الثقفي[٣].

وكان هذا الانفتاح حالة طبيعية وظاهرة لابد منها حيث ان الاسلام يدعو الى ذلك ويشجع عليه كما ان الدول الاسلامية التي قامت في زمن المختار وبعده من الدولة المروانية الاموية الى الدولة العباسية وكان للموالي الدور الاساسي فيها وفي تأسيسها مثل

---

(١) بحار الانوار، ج٤٥، ص٣٥٣:

(وكان في الحبس ميثم التمار رحمه الله، فطلب عبد الله حديدة يزيل بها شعر بدنه وقال: لا آمن ابن زياد يقتلني فاكون قد القيت ما عليَّ من الشَّعر فقال المختار: والله لايقتلك ولايقتلني ولا ياتي عليك الا قليل حتى تلي البصرة، فقال ميثم للمختار: وأنت تخرج ثائراً بدم الحسين فتقتل هذا الذي يريد قتلنا وتطأ بقدميك على وجنتيه).

(٢) بحار الانوار، ج٤٥، ص٣٨٢.

(٣) فجر المختار ثورته العملاقة التي استهدفت تحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس والاخذ بثأر الامام أبي الشهداء الحسين عليه السلام وقد تبنى المختار ذلك وجعله شعارا لثورته. (حياة الامام زين العابدين، باقر شريف القرشي).

الدولة العباسية حيث ابو مسلم الخراساني وابو سلمة الخلال فهم ليسوا عُرُباً وهم المؤسسون الحقيقيون للدولة العباسية ولكن لا احد يشين عليهم هذا السلوك ولكن المختار بن أبي عبيده الثقفي وضعت عليه الف علامة استفهام لانه انفتح على القوى البشرية غير العربية[١]، بسبب ظاهرة الانفتاح على محبي اهل البيت وتنمية قواهم الاجتماعية من خلال ارسال مساعدات للامام زين العابدين ومحمد بن الحنفية وغيرهم.

ان هذه القفزة في تبدل الخارطة السياسية في المنطقة آنذاك ووصول قائد شيعي على رأس السلطة حيث البحر المحيط بالكوفة وكله من مبغضي اهل البيت، فعبد الله الزبير في الحجاز يعلن انه يكتم البغض لاهل البيت اربعين عاما[٢].

وفي الشام آل امية وهم في غنى عن التعريف في بغضهم لآل البيت عليهم السلام.

فالجزيرة الشيعية كانت نشازاً في الوسط الغير منسجم بقيادة المختار بن أبي عبيدة الثقفي وتوجهاته المذهبية وفكره الشيعي ومطاردة وقتل قتلة الامام الحسين عليه السلام.

وهذه الظواهر طبيعية في سياسة الكثير من قادة العالم، فنجد أن الوسط العربي السني لايتعاطف مع القيادة السياسية المعارضة في العراق، لان التغيير القادم لابد أن يكون شيعيا حيث الاكثرية الشيعية عربية.

كما نلاحظ نفس الاسلوب في بروز العلماء من وسط العوائل العريقة لتشكيل حوزات علمية في غير الاماكن المعروفة للحوزات، فانهم يقفون إتجاهها بشكل سلبي خوفاً من سحب البساط من تحت اقدام المعتقين، ان هذه الاسباب مجتمعة كانت وراء وضع علامات الاستفهام على سلوك المختار بن أبي عبيدة الثقفي والصاق التهم وقذفه بنعوت غريبة.

والتطلع القيادي ظاهرة واضحة في سلوك المختار بن أبي عبيدة الثقفي الذي كان يسعى أن يكون في واجهة الاحداث وفي طليعة الصفوف التي يكون فيها، وهذه الظاهرة حق طبيعي لمن يجد في نفسه الكفاءة والقدرة ويحمل افكارا يسعى لتطبيقها وفي الوقت

---

(١) الامامة والسياسة، ج٢، ص١٤٢-١٤٣.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ج٤، ص٤٩٥ (اني لأكتم بغضكم اهل البيت منذ اربعين سنة).

نفسه ينظر الى الخارطة الجغرافية السياسية فلا يرى قادة افضل منه وقد تربعوا على كراسي الحكم وعضوا على السلطة بنواجذهم.

فالمختار بن أبي عبيدة الثقفي هو من قبيلة ثقيف التي كانت تترأس الطائف وفيها كان التطلع الى النبوة في أن تكون لرجل منهم وقد سجل الله تعالى هذا الطموح في قرآنه الكريم بقوله: ﴿وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[١].

«ويعنون بالرجل العظيم من احدى القريتين الوليد بن المغيرة من مكة وابا مسعود عروة بن مسعود الثقفي من الطائف وانما قالوا ذلك لان الرجلين كانا عظيمي قومهما وذوي الاموال الجسيمة فيهما، فدخلت الشبهة عليهم حتى اعتقدوا ان من كان كذلك كان اولى بالنبوة»[٢].

وان عمه او والده قاد الجيش الاسلامي في القادسية ضد الجيش الفارسي وضحى بنفسه من اجل أن يوقف زحف الجيش الفارسي وذلك عندما برك تحت الفيل وطعنه حتى قتله فبرك عليه الفيل ومات تحته[٣].

وعمه كان واليا للامام امير المؤمنين عليه السلام في المدائن وعنده تداوى الامام الحسن عندما طعن بفخذه.

وبذلك فان الامارة ليست غريبة عنه وانما هي منسجمة مع وضعه العائلي قبل الاسلام وفي الاسلام، كما ان بني مروان ليسوا بأفضل منه لا في سابقته في الاسلام ولا في السمعة من حيث الآباء والأجداد، والخلافة بأيديهم لانه كان شريكاً لقيادة عبد الله بن الزبير من خلال العقد الذي ابرمه مع عبد الله بن الزبير عندما عمل معه أن لا يعقد عبد الله بن الزبير أمراً من دون علم المختار وموافقته عليه. كما سنوضح ذلك.

فليس ما يمنعه من التطلع الى الامارة مانع، خاصة وانه دعى بالخلافة لاهل البيت عليهم السلام وليس لنفسه وقد خطى في هذا الاتجاه وكانت عنده علائق مع محمد بن الحنفية علنية واضحة.

(١) الزخرف، ٣١.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٥، ص٤٦.
(٣) الكامل في التاريخ، ابن الاثير، ج٢، ص٤٣٩.

وقد اشترك مع عبد الله بن الزبير في مواجهة الجيش الاموي واستبسل في المعارك وكان في صفوفها الاولى.

وكان وفياً في التزامه تجاه عبد الله بن الزبير ونلاحظ ذلك من خلال حديثه مع اخته لتتحدث مع زوجها عبد الله بن عمر ليقبل بامارة عبد الله بن الزبير، وبالفعل احترمت كلام اخيها المختار بن أبي عبيدة الثقفي وتحدثت مع زوجها عبد الله بن عمر، لكنه ردها بان عبد الله بن الزبير يقاتل من اجل الدنيا.

ولكن عبد الله بن الزبير كان يخاف من كفاءات وتطلعات المختار لذلك لم يفِ بما تعاقدوا عليه ومنعه من كثير من الفرص، لذلك ترك المختار عبد الله بن الزبير وتوجه صوب الكوفة[1].

وفي الوقت الذي كانت للمختار تطلعات قيادية، فانه كان يحمل هموم قضية اهل البيت عليهم السلام، وقد دفع ضريبة هذه القضية حيث دخل السجن مرتين، واحدة في زمن عبيد الله بن زياد عندما اراد التحرك لنصرة الامام الحسين عليه السلام، ومرة اخرى عندما تحرك سليمان بن صرد الخزاعي وقادة حركة التوابين[2].

وهذا يدل على ان المختار لم يكن انتهازيا استفاد من الفراغ القيادي عند الشيعة وتوجه لملئ هذا الفراغ من دون أن تكون له جذور في الوضع الشيعي وسوابق في هذا الطريق وصدق اعتقاد بهم، وكان شعاره يا لثارات الحسين عليه السلام وكان قد التزم به ووفى بما أعلنه على الامة من مطاردة قتلة الحسين عليه السلام، ودفع ضريبة ذلك غالياً، وذلك لان قتلة الامام الحسين عليه السلام هم من رووساء الكوفة ولهم قواعدهم العشائرية وان مطاردتهم ادت الى أن يتجمعوا في البصرة عند مصعب بن الزبير ويحرضوه على قتال المختار[3].

---

(١) ابن الاثير، ج٤، ص١٧١: فلما هلك يزيد بن معاوية واطاع اهل العراق الزبير اقام عنده خمسة اشهر فلما رآه لايستعمله جعل لايقدم عليه احد من اهل الكوفة الا سأله عن حال الناس.

(٢) ابن الأثير، ج٤، ص١٦٩: فضرب ابن زياد وجه المختار فشتر عينه وقال: لولا شهادة عمرو بن حريث لقتلتك ثم حبسه حتى قتل الحسين عليه السلام.

(٣) ابن الاثير، ج٤، ص٢٦٧: لما هرب اشراف الكوفة من وقعة السبيع اتى جماعة منهم الى مصعب، فأتاه شبث بن ربعي وهو ينادي واغوثاه، وقدم عليه محمد بن الاشعث ايضا واستحثه على المسير.

ولقد اثيرت على المختار شائعات وتهم وعلامات استفهام على سلوكه، كما ألصقوا به تهمة الانحراف حتى وصل الامر الى إتهامه بالكفر والسحر والشعوذة، فضلاً عن الكذب والتقول على محمد بن الحنفية. الا ان الرجل احيا الاسم الشيعي واعطى الثقة لنفوس اتباع اهل البيت عليهم السلام، ولم يسمح لجريمة قتل الحسين عليه السلام واهل بيته أن تمر من دون عقاب ومطاردة، حيث اخذ الثأر منهم.

فكما ان معاوية جعل من قضية قتل عثمان بن عفان راية وقف بها أمام الامام علي عليه السلام وهو يعرف نفسه أنه اول من تركه ولم ينصره ولكنه الح في تأليب اهل الشام على الامام امير المؤمنين عليه السلام باطلاً عبر اساليب وطرق فنية محفوفة بالكذب والالتواء.

ولكن المختار رفع راية يا لثارات الامام الحسين عليه السلام صادقاً ونجح في لملمة مراكز القوى الشيعية وتأليبها على الامويين لاخذ الثأر لامامهم الحسين بن علي واهل بيته عليهم السلام.

وهذه المسالة في واقعها من اكثر المسائل حساسية ودقة في تحفيز الآخرين لينالوا من المختار بن أبي عبيدة الثقفي.

كما ان طبيعة رجال التغيير في تاريخ البشرية تثار على سلوكهم سمات فيها ظلم وتهم قاسية فاذا عرفنا ان معاوية بن أبي سفيان غذى اهل الشام بثقافة منحرفة شبوا وشابوا عليها مفادها أن الامام علي عليه السلام رجل كافر ليس له علاقة بالدين.

حيث ينقل المؤرخون قصة ذلك الشامي الذي دخل الكوفة ووصل الى جامعها فرآى صلاة الجماعة قائمة فسأل عن امام الجماعة، فقيل له انه الامام امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فتعجب من هذا الامر وسأل باستغراب؟

وهل يصلي علي بن أبي طالب؟

وعندما أجابه الكوفي، نعم انه يصلي، واذا كان علي بن أبي طالب لايصلي فمن يصلي اذن؟

فقال الشامي: انه عندنا بالشام رجل كافر لايصلي[1].

(١) ابن الأثير، ج٤، ص٣٦١.

واذا كان علي بن أبي طالب تُوجَّه اليه مثل هذه التهم والافتراءات، فكيف بغيره من امثال المختار بن أبي عبيدة الثقفي؟ فعظمة الرجل وعظمة اهدافه تثير عليه الكثير من علامات الاستفهام. وتجارب عظماء البشرية وعلى رأسهم منقذ البشرية ومبلغ رسالات الله للناس سيدنا ونبينا محمد ﷺ واضحة كيف صبت عليه التهم وتراكمت عليها الافتراءات فسمي بالساحر والشاعر والمجنون. وهكذا هي مسيرة اهل الهمم العالية.

ان المختار احتل في حركته نفس مساحة الزمن الذي تحرّك فيه عبد الله بن الزبير وقد اثير الكثير على سلوك عبد الله بن الزبير واخوته واولاده من علامات استفهام قوية فابنه حمزة كان شابا صغيراً لايحسن التصرف عيّنه واليا على البصرة حيث اساء التصرف في ادارة البلد وزاد على ذلك انه سرق بيت المال وهرب الى المدينة المنورة[1].

وقد اعاب عبد الله بن الزبير عليه هذا السلوك وكان ينتظر منه ان يكون شيئاً آخر[2].

وعيب عبد الله بن الزبير انه ترك ذكر رسول الله ﷺ في الصلاة الجامعة ولم يخف الامر أنه كان يضمر بغض اهل هذا البيت منذ اربعين عاما، ومن الطبيعي أن لايظهر هذا الندم لعبد الله بن الزبير من دون أن تمس الذين تحركوا معه في نفس الوقت.

بل اكثر من هذا كان لابد من ايجاد السبب الذي يقنع الناس في همجية مصعب بن الزبير على المختار وقتله واصحابه بتلك الطريقة المفجعة. فكان من الطبيعي أن يكون تاليب الرأي العام أن بن أبي عبيدة الثقفي ساحر كذاب كافر، حتى يندفع الجيش الزبيري لقتال المختار بن أبي عبيدة الثقفي وكما مارس عبيد الله بن زياد قائد جيش الشام اسلوب تكفير الامام الحسين عليه السلام لانه خرج على امام زمانه وشق عصا المسلمين وعليه فلابد من قتاله والقضاء عليه.

تعال معي نناقش ما رواه المؤرخون حول الحملة الدعائية الزبيرية ضد المختار

---

(١) المصدر، ص٢٧٩: كتب الأحنف الى عبد الله بن الزبير وسأله ان يعزله عنهم ويعيد مصعبا، فعزله فاحتمل مالا كثيرا من مال البصرة، فعرض له مالك بن مسمع فقال له: لاندعك تخرج بعطايانا واتى المدينة فاودعه رجالا فجحدوه إلا رجلا واحدا فوفى له.

(٢) المصدر، ص٢٧٨: وبلغ ذلك اباه (عبد الله بن الزبير) فقال: ابعده الله اردت ان اباهي به بني مروان فنكص.

واتهامه بالكفر وما نقله المورخون من قول اسماء بنت أبي بكر ام عبد الله بن الزبير أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

إن في ثقيف كذابا ومبيراً، فاما الكذاب فقد رايناه، تعني المختار، اما المبير فالحجاج بن يوسف الثقفي.

ونناقش الحديث على فرض صحته: فَلِمَ يقبل عبد الله بن الزبير أن يتآلف مع المختار بن أبي عبيدة الثقفي ويجعله من اخص المقربين اليه حتى ينقل انهم اتفقوا ان لا يبرم عبد الله بن الزبير امرا قبل مشاورة المختار بن أبي عبيدة[1].

وكان المختار في الصفوف الاولى من جيش بن الزبير الذي قاتل الحصين بن نمير قائد الجيش الاموي الذي غزى المدينة واباحها ثلاثة ايام فاين كان هذا الحديث في تلك الايام. فهل كانت اسماء بنت أبي بكر لاتعرف أن المختار بن أبي عبيدة الثقفي من قادة جيش ابنها عبد الله بن الزبير او انها كانت ناسية لهذا الحديث وتذكرته عندما قابلت الحجاج بن يوسف الثقفي بعد قتل ولدها عبد الله بن الزبير.

ام أن عبد الله بن الزبير لم يكن مطلعا على هذا الحديث من امه لانها وحدها سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع العلم انها كانت تعيش تحت رعايته.

وثانيا ان الشائعات ضد المختار هي من الزبيريين وهنا سوال يطرح نفسه على آل الزبير ككل (اي من عبد الله ومصعب) الذين وجهوا تهمة الكفر الى المختار بن أبي عبيدة. والسؤال هو هل ان المختار كان مؤمنا عندما كان مع عبد الله بن الزبير وبعد ذلك انسلخ من ايمانه وكفر، وعلى ضوء ذلك تعلم السحر والشعوذة.

وعندما نناقش مادة الحديث الذي ترويه اسماء بنت أبي بكر حول اولاد ثقيف تقول: أن في ثقيف كذابا ومبيرا.

وقد كان قبل المختار والحجاج، المغيرة بن شعبة الثقفي وقد عاصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعاش مع أبي بكر وعمر وعثمان والامام علي عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان

(١) المصدر، ص١٧١: فاقام المختار عند بن الزبير وشهد معه قتال الحصين بن نمير وأبلى احسن بلاء وقاتل اشد قتال، وكان اشد الناس على اهل الشام.

وكانت له مواقف معروفة كما انه عرف بالخديعة واللف والدوران والنفاق، وعرف عنه الزنا مع ام جميل عندما كان واليا على البصرة كما انه كان من الدهاة بالشر[١].

فَلِمَ غاب عن رسول الله ﷺ ذكر المغيرة بن شعبة الثقفي المعروف بانحرافه بينما ذكر رسول الله ﷺ المختار بن أبي عبيدة الذي عرف باتباعه اهل البيت وطالب بالثار من قتلة الامام الحسين عليه السلام؟.

ان هذه الطريقة من ادخال النص الديني في معارك اعلامية من اجل كسب موقف او جولة من الصراع لهو من اتعس الحالات وأشدّها لؤماً و اكثرها بعداً عن الله ورسوله لأنها تتقول على رسول الله ﷺ كما أنها اقحام في معركة ليس النص الديني طرفاً فيها بل قد يكون النص الديني منسجماً مع الحدث وفي صفّه وليس عليه.

ولكنني أعتقد ان صح أنها قائلة هذا في حق المختار بن أبي عبيدة الثقفي فانها على مدرسة آل الزبير المعادية لاهل البيت واتباعهم والمختار بن أبي عبيدة كان مقدماً في حب اهل البيت عليهم السلام.

ومثلٌ آخر: إتهام المختار انه كان يتحدث عن جبرائيل، وأنّ الملائكة تقاتل معه، ونقل الطبري ذلك بقوله: سراقة بن مرداس يحلف بالله الذي لا اله الا هو لقد رآى الملائكة تقاتل على الخيول البلق بين السماء والارض.

فقال المختار له: فاصعد المنبر فاعلم بذلك المسلمين، فصعد فأخبرهم بذلك ثم نزل فخلا به المختار.

فقال: اني قد علمت انك لم تر الملائكة وانما اردت ما قد عرفت ان لا اقتلك فاذهب عني حيث احببت، لا تُفسد عليّ اصحابي[٢].

وقضية جبرائيل هي انه كان له غلام اسمه (جبرائيل) وكان يقول: قال لي جبرائيل

(١) شرح النهج، ج٣، ص١٦٠: «.. في سنة سبعة عشر للهجرة ولى عمر ابا موسى البصرة وامره ان يشخص اليه المغيرة بن شعبة وذلك لامر بلغه عنه. قال الطبري: حدثني محمد بن يعقوب بن عتبة. قال: حدثني أبي. قال: كان المغيرة يختلف الى ام جميل امرأة في بني هلال بن عامر وكان لها زوج من ثقيف هلك قبل ذلك يقال له الحجاج بن عبيدة..».

(٢) تاريخ الطبري، ج٤، ص٥٢٧.

وقلت لجبرائيل فيتوهم الاعراب واهل البوادي انه جبرائيل عليه السلام فاستحوذ عليهم بذلك[١].

أما قتال الملائكة فإن واقعها هو: (.. عن عامر أنه قال إن الشيعة يتهمونني ببغض علي عليه السلام ولقد رأيت في النوم بعد مقتل الحسين عليه السلام كأن رجالاً نزلوا من السماء عليهم ثياب خضر معهم حراب يتبعون قتلة الحسين فما لبث أن خرج المختار فقتلهم[٢].

وعلى الرغم من هذا الواقع فان عدم المروءة وعدم الانصاف عند الاعراب جعلهم يصدقون انه كان يقول يحدثني جبرائيل عليه السلام وأن الملائكة تقاتل معي.

نعم قد تقع حركات تكتيكية في اسلوب الدعوة او في تعبئة الناس الى القتال، فتذكر كلمات يجب أن لاتذكر ولكن هذا لا يصل الى درجة الكفر والسحر او اي اتهام آخر خارج عن الحالة الدينية.

ولم يعرف عن المختار بن أبي عبيدة انه ارتكب في حركته مجازر او اعتداءات على الابرياء او انه مارس الغدر ضد الاخرين.

ما عرف عن المختار بن أبي عبيدة الثقفي انه اوفى بعهده منذ أن بدأ في تحركه عندما رفع شعار (يا لثارات الحسين) حيث طارد قتلة الامام الحسين عليه السلام وقتلهم شر قتلة.

ومنهم من هرب الى مصعب بن الزبير ومنهم من قتل في معركة ضارية ولكن رؤوس الجيش الاموي قطفها المختار، وهم:

عبيد الله بن زياد.

عمر بن سعد

شمر بن ذي الجوشن.

حرملة بن كاهل.

الحصين بن نمير.

شرحبيل بن ذي الكلاع.

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٦٣، عن المرزباني في كتاب الشعراء.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٨٥.

خولي بن يزيد الاصبحي[١].

ولم يُعرف ان المختار قتل نساء الخصوم كما مارس عبد الله بن الزبير من قتل نساء المختار وغيره كما بينا[٢].

ولم ترتكب مفارزه العسكرية الغدر بأحد كما فعلت او امر عبد الله بن الزبير عندما ارسل جيشاً لمقابلة سرايا جيش المختار وغدروا بهم بعد أن اعطوهم الامان والاطمئنان وينقل المورخون ذلك هكذا: ونزل عباس بن سهل (احد قُوّاد إبن الزبير) وبعث الى شرحبيل بن ورس الهمداني بجزائر وغنم مسلخة وكانوا قد ماتوا جوعاً فذبحوا واشتغلوا بها واختلطوا على الماء وجمع عباس من اصحابه الف رجل من الشجعان واقبل نحو فسطاط ابن ورس فلما رآهم نادى في اصحابه فلم يجتمع اليه مائة رجل حتى انتهى اليه عباس واقتتلوا يسيراً فقتل ابن ورس في سبعين من اهل الحفاظ.[٣]

كما انه اخرج والي عبد الله بن الزبير من الكوفة وهو عبد الله بن مطيع من دون قتل او إراقة دماء، بل جهزه بالمال ليصرفه في الطريق. وقد نقل ذلك ابن الاثير بدقة فقال:

وقيل للمختار: ان ابن مطيع في دار أبي موسى فسكت فلما امسى بعث له بمائة الف درهم وقال: تجهز بهذه فقد علمت مكانك وانك لم يمنعك من الخروج الا عدم النفقة[٤].

---

(١) ابن الاثير: ج ٤، ص٢٣٧: قَتَل عبد الرحمن بن أبي الكنود شمر بن ذي الجوشن.
ابن الاثير، ج٤، ص٢٤٠: فدخل اصحاب المختار على خولي بن يزيد الاصبحي فوجدوا على راسه قوصرة، فأخرجوه وقتلوه الى جانب اهله واحرقوه بالنار.
ابن الاثير، ج٤، ص٢٤١: (.. واصبح المختار فبعث الى (عمر بن سعد) ابا عمرة فأتاه وقال اجب الامير فقام عمر فعثر في جبّة له فضربه ابو عمرة بسيفه فقتله واخذ رأسه عند المختار.
ابن الاثير، ج٤، ص٢٦٤: قال ابراهيم بن الاشتر: اني قتلت رجلاً تحت راية منفردة على شاطئ نهر الخازر فالتِمسوه، فالتمسوه فاذا هو ابن زياد..)
ابن الاثير، ج٤، ص٢٦٤: وحمل شريك بن جديد التغلبي على الحصين بن نمير فقتلوا الحصين. وقتل شرحبيل بن ذي الكلاع.

(٢) ابن الاثير، ج ٤، ص٢٧٥: قتل مصعب بن الزبير عمرة بنت بشير، قُتِلت ليلًا بين الكوفة والحيرة، قتلها بعض الشرط ضربها ثلاث ضربات بالسيف.

(٣) ابن الاثير، ج ٤، ص٢٤٨.

(٤) ابن الاثير، ج ٤، ص٢٢٦.

الامام زين العابدين والمختار بن أبي عبيدة الثقفي

١- المتتبع لمفردات الفترة السياسية التي عاشها الامام زين العابدين عليه السلام يجد أنّ المدينة المنورة كانت تحت السيطرة الزبيرية وهذا يعني عدم استقرار الوضع السياسي ولذلك ليس بمقدور الامام عليه السلام كحالة سياسية أن يعلن عن موقف مؤيد للمختار بالاسم، والنزاع بعد لم يحسم.

٢- وآل الزبير وآل امية عُرفوا بتصفية الاعداء بلا هوادة ولم يقف امام سلوكهم (القتل) اي مانع ويتذرعون بمختلف الذرائع من اجل الوصول الى اهدافهم[١].

فعبد الله بن الزبير قتل اخاه (عمرو بن الزبير) تحت التعذيب ليذقه مرارة الموت ضرباً بدون رحمة، وعبد الملك بن مروان غدر بعمرو بن سعيد الاشرق ابن عمه حيث نصب له كميناً حاقداً وأراه غصات الموت حتى لفظ انفاسه الاخيرة على يديه[٢].

وهذا واقع اصحاب القدرة في زمن الامام زين العابدين عليه السلام.

٣- إن العامل الغيبي الذي كان يتمتع به زين العابدين عليه السلام كان يؤهله لان يتصرف بطريقة حكيمة تمكنه من الاستفادة من المعطيات الايجابية لاي حركة ان كانت فيها هذه الخصلة وتدفع عنه السلبيات.

---

(١) اليعقوبي، ج٢، ص٢٦٤: وقتل عبد الله بن الزبير أخاه عمرو بن الزبير لعداوة كانت بينه وبينه ولمبايعته لمروان بن الحكم وقيل: انه كان على شرطة عمرو بن سعيد فوجه به عمرو لمحاربة اخيه فقتله.

(٢) ابن الاثير، ج٤، ص٣٠١: اخذ عبد الملك الحربة فطعن بها عمرو بن سعيد الاشرق فلم تجز، ثم ثنّى فلم تجز، فضرب بيده على عضده فرأى الدرع.. فأخذ الصمصامة وامر بعمرو فصرع وجلس على صدره فذبحه.

فكما ان هذه القدرة اهلته لان يقول كلمته حول مجيء المختار بن أبي عبيدة الثقفي وانه سينتقم من قتلة الامام الحسين عليه السلام فانه كذلك كان ينظر الى مستقبل الجزيرة الشيعية في البحر المعادي لهم أنها لاتستمر طويلاً وان الامر سيعود لآل امية وتاخذ الامور مجاريها الطبيعية.

وعلى ضوء هذا العلم والقدرة فان الامام عليه السلام لم يعلن عن موقف صريح وواضح مؤيد باسم المختار بن أبي عبيدة الثقفي لانه سيواجه صعوبات مستقبلية بعد ذهاب المختار وآل الزبير ويبقى وجهاً لوجه امام طغاة آل امية وهو في ظرف لايقدر ان يؤدي دوراً سياسياً وعسكرياً امامهم.

وهذا الذي حدث بالفعل حيث صفّى مصعب بن الزبير حركة المختار وصفى عبد الملك بن مروان حركة آل الزبير واستمر آل امية في الحكم حيث خلا لهم الجو.

والامام عليه السلام تحرك في دعم حركة المختار بن أبي عبيدة بطريقة اخرى عن طريقة البديل عنه عمه محمد بن الحنفية الذي تصدى للحشد والتاييد السياسي للحركات القائمة والتي كانت تعبر عن الموقف الرسمي لبني هاشم.

فنرى ان محمد بن الحنفية هو الذي جهد في تأييد حركة المختار بن أبي عبيدة واعلن عن هذا الموقف بشكل واضح شفاهة وكتابة.

والامام زين العابدين عليه السلام كان خلف موقف محمد بن الحنفية في هذا الكتاب التأييدي لحركة المختار وكانت خطة الامام ذكية وذلك:

١ - ان محمد بن الحنفية اكبر سناً وهو المتصدي لرمزية بني هاشم، وتلك اوراق مقدسة، لها وزنها في عملية التنافس والصراع مع الآخرين.

٢ - ان حدث امر سلبي من خلال تصدي محمد بن الحنفية، فان الخطوط الاخرى الثانية والتي من أبرزها الامام زين العابدين عليه السلام فانه يبقى في مأمن من الضربات ويستمر في تأدية واجبه الديني ومهام الامامة الربانية.. وبالفعل هذا هو الذي حدث حيث تصدى محمد بن الحنفية وتعرض الى ضغوطات ودفع ضريبة ذلك بعد قتل المختار بن ابي عبيدة من قبل عبد الله بن الزبير وخرج من مكة هرباً من ظلم وطغيان عبد الله بن

الزبير ففي احد المرات توجه الى الشام ووصل الى منتصف الطريق وسمع ان عبد الملك بن مروان غدر بابن عمه عمر بن سعيد الاشرق فخاف ان يغدر به فرجع[١].

فارتحل الى مكة ونزل شعب أبي طالب فأرسل اليه ابن الزبير وأمره بالرحيل عنه. ثم سار الى الطائف، او جبل رضوى، او الابواء، حيث لم يتفق المؤرخون على مكان معين عند خروجه من مكة ولكن الكل متفق انه خرج من مكة هرباً من بطش عبد الله بن الزبير[٢].

ولو احصينا رموز بني هاشم اثناء حركة المختار بن أبي عبيدة لوجدناهم كما يلي:

١- الامام زين العابدين بن الامام الحسين عليه السلام

٢- محمد بن الحنفية بن الامام علي بن أبي طالب عليه السلام.

٣- عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

٤- عبد الله بن العباس بن عبد المطلب.

وكل هؤلاء لهم علاقة معينة مع المختار بن أبي عبيدة وقد أهّلت الظروف السياسية طريقة هذه العلاقة فقسم منهم كانت له علاقة ومعرفة بالمختار بن أبي عبيدة قبل ان يصل الى الامارة فذهب قسم من المؤرخين الى ان الامام امير المؤمنين عليه السلام وضعه في حجره وهو صغير ومسح على رأسه وسماه (كيّس... كيّس).[٣]

ونقل آخرون ان المختار بن أبي عبيدة قدم المدينة المنورة بعد أن ولّى معاوية المغيرة بن شعبة الكوفة.[٤]

---

(١) ابن الاثير، ج٤، ص٢٥٢: وبلغ خبر ابن الحنفية عبد الملك بن مروان، فكتب اليه يعلمه انه إن قدم عليه احسن اليه وانه ينزل الى الشام ان اراد حتى يستقيم امر الناس. فخرج بن الحنفية واصحابه الى الشام، فلما وصل قرين بلغه غدر عبد الملك بعمرو بن سعيد فندم على اتيانه وخافه.

(٢) وفيات الاعيان، ص١٧٣.

(٣) بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٤٤: روي عن الاصبغ بن نباتة، انه قال: رأيت المختار على فخذ الامام امير المؤمنين عليه السلام وهو يمسح رأسه ويقول: يا كيس.. يا كيس. فسمي كيسان وإليه عُزي الكيسانية.

(٤) بحار الانوار، ج٤٥، ص٣٥٢. فلما ولى المغيرة بن شعبه الكوفة من قبل معاوية رحل المختار الى المدينة.

وكان يجالس محمد بن الحنفية ويستمع اليه وينهل من علمه ومن خلال ذلك وطد اواصر العلاقة مع محمد بن الحنفية، قال الامام الباقر عليه السلام مخاطباً إبن المختار: اخبرني والله أبي انه كان ليسمر عند فاطمة بنت علي يمهدها الفراش ويثني الوسائد لها. ومنها اصاب الحديث رحم الله اباك ما ترك حقاً عند احد الا طلبه، قتل قتلتنا وطلب بدمائنا(١).

ولكن العلاقة بعد ان تحرك المختار ليمسك بالسلطة بيده وهو يرفع شعارات الثأر من قتلة الامام الحسين عليه السلام كانت بحاجة الى وضوح الآلية التي تطمئن القلوب لها ويؤمن بها في اقل الاحوال المقربون من المختار.

وتبدأ بصمات العلاقة واضحة عندما اعلن المختار ان حركته تحت توجيهات اهل البيت ومحمد بن الحنفية بالذات. وقد شاع هذا الخبر في الكوفة مما اثار مشاعر الشيعة الذين يريدون معرفة طريقهم لذلك قرروا التحرك نحو المدينة لمعرفة الواقع عن قرب على شفاه المعنيين وهم في المدينة المنورة، لذلك سافر جماعة منهم الى المدينة لمقابلة محمد بن الحنفية وهم عبد الرحمن بن شريح، وسعد بن منقذ، وسعر بن أبي سعر الحنفي، والاسود الكندي، وقدامة بن مالك الجشمي(٢). ونلاحظ في هذه القضية:

١- ان الجو الثقافي الشيعي كان من المتانة بمكان حيث ان الانسان الشيعي يدرك اهمية الارتباط بالقيادة المعصومة، ولايقتنع بمجرد الحديث والشائعات العابرة، فنجدهم يرسلون من يقف على صحة كلام المختار وهذا ما حدث بالفعل.

٢- ان احداث المختار بن أبي عبيدة الثقفي وقعت بعد ان حسمت امامة زين العابدين عليه السلام وعمه محمد بن الحنفية الذي بدأ يجاهر بامامة الامام زين العابدين عليه السلام ويقول لهم ان الامر مرتبط بالامام زين العابدين عليه السلام وذهبوا سويا الى الامام زين العابدين عليه السلام.

٣- الامام زين العابدين عليه السلام حسم قضيتين:

الاولى: اذنه العام في التحرك ضد الظلمة والطواغيت، وتجنب في هذا المقطع من

---

(١) بحار الانوار، ج٤٥، ص٣٤٣.
(٢) انظر: بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٦٤.

ذكر اسم المختار وحركته التي لم تبتدأ بعد ولم يُعرف هل سيكتب لها النجاح ام تتعثر في الطريق والامام عليه السلام في قبضة آل الزبير والتآمر محدق به ويحيط به من كافة جوانبه. لذلك فان الامام عليه السلام احتوى القضية بطريقة ذكية واعطى الاذن الشرعي في التحرك.

الثانية: الامام زين العابدين عليه السلام اضفى الشرعية الدينية على التحرك الذي قام به محمد بن الحنفية عندما اعلن امام الوفد انه وكيل الامام زين العابدين عليه السلام ومحمد بن الحنفية قبل الامر، وتصدى لتأييد محمد بن الحنفية وهو اهل لذلك ومعروف عنه تصديه لمقارعة آل الزبير وبالتالي فانه ابرز رمز بعد الامام زين العابدين عليه السلام في بني هاشم وبذلك رجع الامام عليه السلام الى الخلف وتصدى محمد بن الحنفية وبقي الامام عليه السلام خلف الستار يدير الامور فأعطى لمحمد بن الحنفية دوراً رائداً في قيادة التحرك كما ان الامام بقي في الاحداث بصورة غير مباشرة والتحرك سار في طريقه المرسوم من دون توقف.

بعد ان تمكن المختار من الوصول الى هدفه وهو الاقتصاص من قتلة الامام الحسين عليه السلام ووفى بوعده الذي قطعه على نفسه ورفعه شعارا في حركته، ارسل رؤوس الظلمة الى الامام عليه السلام فأثنى الامام زين العابدين عليه السلام وشكر الله سبحانه ثم ذكر المختار بالاسم وجزاه خيراً[١].

وعند التامل في هذه القضية نجد ان الامام عليه السلام كان قد طلب من الله تعالى ان يحقق امله في قتلة ابيه فقال -مثلاً- حول حرملة: اللهم اذقه حر الحديد، اللهم اذقه حر الحديد، اللهم اذقه حر النار[٢].

وخرج المختار الى الكوفة وبعث برأس ابن زياد، وراس الحصين بن نمير، ورأس

---

(١) بحار الانوار، ج٤٥، ص٣٤٤: عن محمد بن مسعود عن علي بن أبي علي، عن خالد بن يزيد، عن الحسين بن يزيد عن عمر بن علي بن الحسين، أن علي بن الحسين عليه السلام لما اتى الناس برأس عبيد الله بن زياد وراس عمر بن سعد خر ساجدا. وقال: الحمد لله الذي ادرك لي ثاري في اعدائي، وجزا المختار خيراً.

(٢) بحار الانوار، ج٤٥، ص٣٣٦: المفيد.. عن المنهال بن عمرو. قال: دخلت على علي بن الحسين عليه السلام عند منصرفي من مكة فقال لي: يا منهال ما صنع حرملة بن كاهل الاسدي؟ فقلت: تركته حياً بالكوفة. قال: فرفع يديه جميعا ثم قال عليه السلام: اللهم اذقه حر الحديد، اللهم اذقه حر الحديد، اللهم اذقه حر النار.

شرحبيل بن ذي الكلاع مع عبد الرحمن بن أبي عمير الثقفي، وعبيد الله بن شداد الحشمي، والسائب بن مالك الاشعري الى محمد بن الحنفية بمكة، وعلي بن الحسين عليه السلام يومئذٍ بمكة وكتب إليه معهم: (اما بعد فاني بعثت أنصارك وشيعتك الى عدوك يطلبونه بدم اخيك المظلوم الشهيد، فخرجوا محتسبين محنقين أسفين، فلقوهم دون نصيبين، فقتلهم رب العباد والحمد لله رب العالمين الذي طلب لكم الثار، وادرك لكم رؤساء اعدائكم فقتلهم في كل فج وأغرقهم في كل بحر، فشفى بذلك صدور قوم مؤمنين، واذهب غيظ قلوبهم). وقدموا بالكتاب والرؤوس اليه فبعث براس بن زياد الى علي بن الحسين عليه السلام فأدخل عليه وهو يتغدى فقال علي بن الحسين عليه السلام: أدخلت على ابن زياد لعنه الله وهو يتغدى ورأس أبي بين يديه، فقلت: اللهم لاتمتني حتى تريني رأس بن زياد وانا اتغدى، فالحمد لله الذي اجاب دعوتي ثم امر فرمي به[1].

لما حملت رؤوس القواد (قواد آل امية) الى مكة مع عبد الرحمن بن أبي عمير الثقفي وعبد الرحمن بن شداد الجشمي، وانس بن مالك الاشعري فقدموا بالكتاب والرؤوس الى (محمد بن الحنفية) فلما رآها خر ساجدا ودعا للمختار، وقال: جزاه الله خير الجزاء، فقد ادرك لنا ثارنا، ووجب حقه على كل من ولده عبد المطلب بن هاشم، اللهم واحفظ ابراهيم الأشتر وانصره على الاعداء، ووفقه لما تحب وترضى، واغفر له في الاخرة والاولى.

فبعث رأس عبيد الله الى علي بن الحسين عليه السلام فأدخل عليه وهو يتغدى فسجد شكراً لله تعالى وقال:

الحمد لله الذي ادرك لي ثأري من عدوّي، وجزى الله المختار خيراً، أدخلت على عبيد الله بن زياد وهو يتغدى ورأس أبي بين يديه فقلت:اللهم لاتمتني حتى تريني رأس بن زياد[2].

وان الطلب من الله تعالى ان يحقق رجاءه في قتل اعدائه من المؤكد لايتم من دون آلية وشخص يؤدي هذا الدور.

وعليه فان طلب الامام عليه السلام لابد وانه يتضمن تهيئة الوسيلة التي تحقق هذا

(١) بحار الانوار، ج٤٥، ص٣٣٥.
(٢) المصدر، ص٣٨٦.

المطلب، وهذا الذي حصل حيث قيض الله تعالى المختار بن أبي عبيدة لان يكون هو الوسيلة التي تحقق آمال الامام زين العابدين عليه السلام.

والوسيلة التي قيضها الله تعالى ليست احادية الفعل، حيث ادت هذا الدور كمفردة من المفردات كما أنها ليست فاقدة للارضية التي تقف عليها، بل ان المختار كان هو الوسيلة بكل ابعادها لتحقيق هذا الهدف، والشعار الذي رفع للتحرك وباسمه التفت الجماهير حول المختار ومن المؤكد ان الامام زين العابدين عليه السلام كان له علم باسم المختار وما يقوم به من عمل وذلك ما ورثه من علم المنايا من ابيه الامام الحسين[1] عليه السلام.

وهناك علاقة اخرى كانت من جانب المختار مع الامام زين العابدين عليه السلام وهي ارسال الاموال والهدايا الى الامام عليه السلام والذي برز في واجهة تلك القضايا هو:

١ - ارساله والدة زيد بن الامام زين العابدين عليه السلام وقبل الامام منه هذه الهدية، فانه كان على موعد معها حيث كان قد رآى زواجه منها وعند الصباح وصلت اليه الجارية فتزوجها بالليل، والعملية من الشراء الى الزواج هكذا:

عن أبي حمزة الثمالي، قال: كنت ازور علي بن الحسين عليه السلام في كل سنة مرة وفي وقت الحج فأتيته سنة واذا على فخذه صبي فقام الصبي فوقع على عتبة الباب فانشج، فوثب اليه مهرولاً، فجعل ينشف دمه ويقول: اني اعيذك ان تكون المصلوب في الكناسة، قلت: بأبي انت وامي وأيّ كناسة؟ قال: كناسة الكوفة. قلت: ويكون ذلك؟ قال: اي والذي بعث محمداً

---

(١) وقال علي بن الحسين عليه السلام لاصحابه وقد قالوا: يابن رسول الله ان امير المؤمنين عليه السلام ذكر من امر المختار ولم يقل متى يكون قتله لمن يقتل، فقال علي بن الحسين عليه السلام: صدق امير المؤمنين عليه السلام، او لا اخبركم متى يكون، قالوا: بلى قال: يوم كذا الى ثلاث سنين من قولي هذا وسيؤتى برأس عبيد الله بن زياد، وشمر بن ذي الجوشن في يوم كذا وكذا وسنأكل وهما بين ايدينا ننظر اليهما، وقال: فلما كان اليوم الذي اخبرهم انه يكون فيه القتل من المختار لاصحاب بني امية كان علي بن الحسين عليه السلام مع اصحابه على مائدة اذ قال لهم: معاشر اخواننا طيبوا انفسكم فإنكم تأكلون وظلمة بني امية يحصدون، قالوا: اين؟ قال في موضع كذا يقتلهم المختار، وسيؤتى برأسين يوم كذا وكذا، فلما كان في ذلك اليوم أتي بالرأسين لما اراد ان يقعد للأكل وقد فرغ من صلاته فلما رآهما سجد وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى اراني.. فجعل يأكل وينظر اليهما. (بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٤٢).

بالحق لئن عشت بعدي لترين هذا الغلام في ناحية من نواحي الكوفة، وهو مقتول مدفون منبوش مسحوب مصلوب في الكناسة ثم ينزل فيحرق ويذرى في البرّ، فقلت جعلت فداك وما اسم هذا الغلام؟ فقال: ابني زيد ثم دمعت عيناه وقال: لأحدثنك بحديث ابني هذا.

بينما انا ليلة ساجد وراكع ذهب بي النوم، فرأيت كأني في الجنة وكأنّ جدي رسول الله وعلياً وفاطمة والحسن والحسين قد زوجوني حوراء من حور العين فواقعتها واغتسلت عند سدرة المنتهى ووليت، فهتف بي هاتف: ليهنئك زيد. فاسيتقظت وتطهرت وصليت صلاة الفجر فطرق الباب رجل. فخرجت اليه فاذا معه جارية ملفوف كُمّها على يده ومخمَّرة بخمار، قلت: ما حاجتك؟ قال: اريد علي بن الحسين، قلت: انا هو، قال: انا رسول المختار بن أبي عبيدة الثقفي يقرئك السلام، ويقول: وقعت هذه الجارية في ناحيتنا فاشتريناها بستمائة دينار، وهذه ستمائة دينار، فاستعن بها على دهرك، ودفع اليّ كتاباً كتبت جوابه. وقلت ما اسمكِ؟ قالت حوراء. فهيَّؤوها لي وبتُّ بها عروساً، فعلقت بهذا الغلام فأسميته زيدا وسترى ما قلت لك[1].

٢- ارسال الاموال التي مكنت الامام من تأدية بعض المهام وانجاز الاعمال:

عن الحسين بن زيد، عن عمر بن علي ان المختار ارسل الى علي بن الحسين بعشرين الف دينار فقبلها وبنى بها دار عقيل بن أبي طالب ودارهم التي هدمت، قال: ثم انه بعث اليه بأربعين الف دينار بعد ما اظهر الكلام الذي اظهره[2].

شبهات حول المختار

نقرأ في كتب الحديث والتاريخ بعض الروايات التي تنتقص من شخصية المختار، وتشكك في سلامة نواياه وأهدافه، نستعرض بعضاً منها ثم نناقشها بشيء من الايجاز:

١- عن أبي عبد الله قال: كان المختار يكذب على علي بن الحسين[3].

٢- عن أبي جعفر عليه السلام قال: كتب المختار بن أبي عبيدة الى علي بن الحسين عليه السلام،

---

(١) بحار الانوار، ج٤٥، ص٣٥١.
(٢) المصدر، ص٣٤٤.
(٣) المصدر، ص٣٤٣.

وبعث اليه بهدايا من العراق فلما وقفوا على باب علي دخل الآذن يستأذن لهم فخرج اليهم رسوله فقال: اميطوا عن بابي لا اقبل هدايا الكذابين ولا اقرأ كتبهم فمحوا العنوان وكتبوا للمهدي محمد بن علي، فقال: ابو جعفر والله لقد كتب اليه بكتاب، ما اعطاه فيه شيء انما كتب اليه يا ابن خير من طشى ومشى. فقال ابو بصير: فقلت لأبي جعفر عليه السلام: اما المشي فأنا أعرفه، فأي شيء الطشي؟ فقال ابو جعفر: الحياة[١].

٣- عن عمر بن علي ان المختار ارسل الى علي بن الحسين بعشرين الف دينار فقبلها وبنى بها دار عقيل بن أبي طالب ودارهم التي هدمت قال: ثم انه بعث اليه بأربعين الف دينار بعدما اظهر الكلام الذي اظهره فردّها ولم يقبلها[٢].

٤- وقال الشيخ حسن بن سليمان في كتاب المحتضر قيل: بعث المختار بن أبي عبيدة الى علي بن الحسين عليه السلام بمائة الف درهم فكره أن يقبلها منه وخاف ان يردها فتركها في البيت فلما قتل المختار كتب الى عبد الملك بن مروان يخبره بها فكتب اليه: خذها طيبة هنيئة فكان علي يلعن المختار ويقول: كذب على الله وعلينا لان المختار كان يزعم انه يوحى اليه[٣].

٥- قام الامام عليه السلام على باب الكعبة يلعن المختار، فقال له رجل: يا ابن الحسين لم تسبّه؟ وانما ذبح فيكم؟ قال الامام علي عليه السلام: انه كان كذابا يكذب على الله ورسوله[٤].

٦- تسليم المختار الامام الحسن لمعاوية[٥].

---

(١) المصدر، ص٣٤٤.

(٢) المصدر، ص٣٤٤.

(٣) المصدر، ص٣٤٦.

(٤) جهاد الامام السجاد نقلا عن مختصر تاريخ مدينة دمشق، لابن منظور، ج١٧، ص٣٤٦.

(٥) روى الصدوق (قد) مرسلا ان الحسن عليه السلام لما صار في مظلم ساباط ضربه احدهم بخنجر مسموم فعمل فيه الخنجر، فامر عليه السلام ان يعدل به الى بطن جريحي، وعليها عم المختار بن أبي عبيدة وهو مسعود بن قيله، فقال المختار لعمه:تعال حتى نأخذ الحسن ونسلمه الى معاوية فيجعل لنا العراق، فبدر بذلك الشيعة من قول المختار لعمه فهموا بقتل المختار فتلطف عمه لمسألة الشيعة بالعفو عن المختار ففعلوا. (علل الشرائع، ج١، ص٢٢١) وهذه الرواية لارسالها غير قابلة للاعتماد عليها، على انه لو صحت لامكن ان يقال ان طلب المختار هذا لم يكن طلبا جدياً وانما اراد بذلك ان يستكشف رأي عمه فان علم ان عمه يريد ذلك قام باستخلاص الحسن عليه السلام فكان قوله هذا شفقة منه على الحسن عليه السلام.

والمتتبع لهذه الاقوال يصطدم بامور:

١ - ان الاخبار التي نقلت ان الامام قبل الهدايا من المختار وعلى رأسها تلك الجارية (ام زيد) مع مقدار من المال، او الهدايا في المرات الاخرى التي نقلنا صورة منها وسننقل بعض الصور التي تتعارض مع عملية الرفض التي تنقل، والهدايا التي قبلها الامام تركت اثارا واضحة في حياة الامام عليه السلام من زواجه بالجارية ام زيد الى بناء دار عقيل.

٢ - ان التاكيدات التي ذكرت ان المختار بن أبي عبيدة قد ذُكِر بالاسم من الامام زين العابدين عليه السلام وأنه دعا له، تتعارض مع الاتهامات التي وجهت اليه بأنه كذاب وانه يكذب على الله ورسوله، وانه يدعي بأنه يأتيه الوحي.

٣-لم يذكر التاريخ ما هي الاحداث التي ذكرها المختار بن أبي عبيدة وقال فيها ان هذه من الوحي؟

او التي ينسبها الى الامام السجاد عليه السلام حتى رد عليها الامام عليه السلام وقال هذه كذبة لم اقلها او كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٤ - لم يعرف سبب عدم قدرة الامام عليه السلام على رد هدية المختار (١٠٠) الف درهم وانه احتفظ بها حتى انتهاء امر المختار في الكوفة وبعد ذلك انتهاء امر عبد الله بن الزبير في الحجاز وصفا الامر لعبد الملك بن مروان الذي حكم من ٦٥هـ الى ٨٦ وهذه فترة زمنية طويلة، وهنا نثير عدة تساولات منها:

لِمَ رفض الامام الهدية؟ واذا رفضها فلِمَ لم يردها؟ ولِمَ احتفظ بها؟ ولِمَ أخبر عبد الملك عنها؟ فهل كان عبد الملك يعلم بالهدية هذه فقط دون غيرها حتى اخبر الامام عبد الملك بها، او يريد الامام عليه السلام ان يُعلم عبد الملك بن مروان انه ليس موافقاً على سياسة المختار واعلامه بالهدية وعدم تعرفه عليها دليل على ذلك؟ في حين ان الشواهد المادية على العلاقة، من الدعاء للمختار الى قبول الجارية وبناء دار عقيل و.. كلها لاتبقي مجالا للشك على وجود علاقة حسنة؟

٥ - الامام الصادق عليه السلام له احاديث يمتدح المختار واعماله التي قام بها لحرمة اهل البيت عليهم السلام [1].

---

(١) سننقل ذلك في مدح المختار بعد استشهاده.

٦- لعن المختار بن أبي عبيدة على رؤوس الاشهاد وفي بيت الله الحرام من دون معرفة السبب الذي دعا الامام الى ممارسة هذا السلوك وبهذه الطريقة لا يُفهم مغزاه، خاصة اذا عرفنا أن عملية الفصل بين اهل البيت عليهم السلام والمختار من الصعب قبولها والاقرار بها. ثم الخلط من الائمة، فمرة مدح وثناء واخرى لعن وبرائة، بطريقة غير مفهومة يصعب تصديقها من الائمة تجاه المختار. خاصة اذا عرفنا ان الاحداث ليس فيها تاريخ يحدد حدوثها من اسماء الولاة الذين وقعت في زمان ولايتهم الاحداث.

٧- ان طرح المختار بن أبي عبيدة على عمه قتل الامام الحسن عليه السلام او تسليمه الى معاوية بن أبي سفيان، فهو اما فورة عاطفية من الغضب الآني الذي حصل لكبار صحابة الامام امير المؤمنين عليه السلام ونعتوا الامام الحسن عليه السلام بصفة مذل المؤمنين او.. من امثال سليمان بن صرد وقيس بن عبادة و...[1].

---

(١) رجال السيد الخوئي (قد) ج١٨، ص٩٦-١٠٠.

قال السيد الخوئي: ان الروايات في ذم المختار ضعيفة الاسناد جداً ولو صحت فهي لاتزيد على الروايات الصادقة الواردة في حق زرارة ومحمد بن مسلم وبريدة واضرابهم. فيما يخص تسليم الحسن لمعاوية من قبل المختار قال السيد الخوئي: وهذه الرواية لإرسالها غير قابلة للاعتماد عليها على ان لو صحت لأمكن ان يقال ان طلب المختار هذا لم يكن طلباً جدياً وانما اراد بذلك ان يستكشف رأي عمه، فان علم ان عمه يريد ذلك لقام باستخلاص الحسن عليه السلام فكان قوله هذا شفقة منه على الحسن عليه السلام. وفي ترجمة محمد بن أبي زينب رواية صحيحة في الحديث ان الرسول والائمة الاطهار عليهم السلام كان مبتلى بكذاب يكذب عليه، ولكن هذه الرواية لعل فيها تحريفا، فان المختار بن أبي عبيدة كان في الكوفة والحسين بن علي عليه السلام كان بالمدينة ولم ينقل ولابخبر ضعيف كذب من المختار بالنسبة الى الحسين عليه السلام الا ان يكون رجلاً آخر غير المختار بن أبي عبيدة. (معجم رجال الحديث، ج١٩، ص١٠٥).

يقول السيد الخوئي قدس سره في المصدر ص١٠٨: ما نسبه ابن داوود الى الكشي ولم نجده في اختيار الكشي، ولعل نسخة اصل الكشي كان عنده وكان هذا مذكوراً فيه، وقد ذكرنا انه مضافا الى ضعف اسناد الروايات الذامة، يمكن حملها على صدورها عن المعصوم تقية، ويكفي في حسن حال المختار ادخاله السرور في قلوب اهل البيت عليهم السلام بقتله قتلة الحسين عليه السلام وهذه خدمة عظيمة لاهل البيت عليهم السلام يستحق بها الجزاء من قبلهم.

ويضيف: ان خروج المختار وطلبه بثأر الحسين عليه السلام وقتله لقتلة الحسين عليه السلام لاشك في انه كان مرضيا عند الله، وعند رسول الله والائمة الطاهرين عليهم السلام.

ويقول: انه نسب بعض العامة المختار الى الكسيانية وقد استشهد لذلك بما في الكشي من

او هو من باب اختبار المختار بن أبي عبيدة لعمه سعد بن مسعود الثقفي هل له توجه في ذلك كما فعل غيره عندما انتقلوا الى معاوية مقابل حفنة من الدنانير امثال عبيد الله بن العباس[١].

خاصة وان الاجواء كانت ملبدة بالخيانة والتخاذل. فاذا عرف هذا التوجه فانه يحمل على انه حماية للامام الحسن عليه السلام من هذه المؤامرة وقد ذهب السيد الخوئي(ره) الى هذا الرأي في حديثين عن المختار، في كتابه الرجالي[٢] لذلك تبقى هذه الروايات هي ضمن مسلسل تشويه سمعة المختار بن أبي عبيدة الثقفي ومحاولة تلطيخ حركته بحيث إنْ قبل اهل البيت بها يعني إنّ مدرستهم تقبل هكذا عناصر منحرفة.

وعليه فان منهج المؤشرات السلبية على سلوك المختار غير منسجمة مع نظرة اهل البيت تجاهه في حياته وبعد استشهاده.

وقد تحدث السيد الخوئي رحمه الله حول الجانب السلبي من هذه الروايات فقال: هناك رواية تطرح صدق المختار وانه سيقتل الآلاف من بني امية حتى وصل خبرها الى الحجاج بن يوسف الثقفي فأمر الحجاج باعتقال المختار وأمر بضرب عنقه والمختار يقول له: لا تقدر على ذلك، ولم يوفق الجزار بضرب المختار حتى وصول رسالة عاجلة من عبد الملك تطلب من الحجاج إطلاق سراح المختار لانه ضئر[٣] ولده الوليد بن عبد الملك وان الوليد طلب من ابيه اطلاق سراحه[٤].

وبعيداً عن عدم الاتزان في صياغة الرواية والواقعة فإن التسلسل التاريخي لاينسجم في ترابط الرواية ورجالها، فالمختار يوم بدأ الحديث عن انه سيصل الى السلطة ويأخذ بثأر الامام الحسين عليه السلام لم يكن عبد الملك في السلطة وانما كان مروان هو الخليفة

قوله: المختار هو الذي دعا الناس الى محمد بن علي بن أبي طالب بن الحنفية، سموا الكيسانية وهم المختارية. وكان بقية كيسان الى آخر ما تقدم، وهذا القول باطل جزما، فإن محمد بن الحنفية لم يدّع الامامة لنفسه حتى يدعو المختار الناس اليه وقد قتل المختار ومحمد بن الحنفية حي.

(١) بحار الانوار، ج٤٤، ص٤٨.

(٢) رجال السيد الخوئي، ج١٨، ص٨٩-١٠١.

(٣) وهو الاسترضاع من مستأجرة او أمة واحدة.

(٤) اعرضنا عن ذكر الرواية لطولها وهي في بحار الانوار، ج٤٥، ص٣٤٠.

في الشام، ولم يكن للحجاج موقع في الدولة الاموية حيث ان الدور الذي اعطاه عبد الملك للحجاج جاء بعد قتل مصعب بن الزبير ومصعب بن الزبير، هو الذي قضى على حركة المختار بن أبي عبيدة الثقفي، فلم يكن لقاء بين الاشخاص لتباعد الفترات الزمنية بينهم. فالمختار استشهد على يد مصعب بن الزبير وقيل على يد عبد الملك بن مروان والحجاج طلب من عبد الملك ان يقود الجيوش الى الحجاز للقضاء على عبد الله بن الزبير لرؤيا رآها مفادها انه رأى في المنام انه يسلخ عبد الله بن الزبير[1] وبعد قضاء الحجاج على حركة عبد الله بن الزبير جاء الى العراق واصبح والياً على الكوفة والبصرة. لذلك فان الرواية فيها اشكال في الزمن، الا اللهم قد وقع خطأ في الأسماء وهذا علمه عند الله حيث ما هي الاسماء الصحيحة.

(١) ابن الاثير، ج٤، ص٣٤٩.

المختار ومحمد بن الحنفية

علاقة محمد بن الحنفية بالمختار كانت عند مجيء المختار الى المدينة بعد تولي المغيرة بن شعبة على الكوفة من قبل معاوية وفي المدينة كان يتردد على محمد بن الحنفية ويأخذ من علمه[١].

١- تفاعل محمد بن الحنفية مع حركة المختار من خلال التأييد الذي أبداه له، بل اخذه الى الامام زين العابدين عليه السلام وكان جواب الامام عليه السلام ايجابياً في التحرك وبذلك دعم الامام زين العابدين عليه السلام موقفه[٢].

وكان جواب الامام بمثابة البيان الاول لثورة المختار والاذن الشرعي له بالتحرك.

٢- كما ان محمد بن الحنفية كان له موقفٌ آخر في تأييد حركة المختار بن أبي عبيدة الثقفي، وذلك لما رفض ابراهيم بن الاشتر المشاركة في حركة المختار فأرسل محمد بن الحنفية رسالة خاصة الى ابراهيم الاشتر يطلب منه مساندة المختار بن أبي عبيدة والعمل معه ضد قَتَلة الامام الحسين عليه السلام وان الرسالة هي التي اقنعت ابراهيم في مبايعة المختار والعمل معه ضد قتلة الامام الحسين عليه السلام[٣].

---

(١) بحار الانوار، ج٤٥، ص٣٥٢: فلما ولي المغيرة بن شعبة الكوفة من قبل معاوية رحل المختار الى المدينة وكان يجالس محمد بن الحنفية ويأخذ منه الأحاديث.

(٢) نقلنا نص الرواية في (موقف الامام السجاد عليه السلام من حركة المختار) والرواية في: بحار الانوار، ج٤٥، ص٢٤٢.

(٣) الكامل في التاريخ، ابن الاثير، ج٤، ص٢١٥-٢١٦: من محمد المهدي الى ابراهيم بن مالك الاشتر. سلام عليكم فاني احمدالله الذي لا اله الا هو اما بعد فاني قد بعثت اليكم وزيري واميني الذي ارتضيته لنفسي وامرته بقتال عدوي والطلب بدماء اهل بيتي فانهض معهم بنفسك وعشيرتك ومن اطاعك فانك ان نصرتني واجبت دعوتي كانت لك بذلك عندي فضيلة.. الى اخر كلامه.

٣- من مؤشرات التفاعل العملي بين محمد بن الحنفية والمختار بن أبي عبيدة هو استنجاد محمد بن الحنفية بالمختار عندما حاصر عبد الله بن الزبير ابن الحنفية وعبد الله بن العباس وجماعة من بني هاشم في بئر زمزم وهددهم بالحرق ان لم يبايعوا واعطاهم فرصة. فما كان من المختار الا وارسل جيشاً لإنقاذ بني هاشم من الاعتقال[١].

واراد الجيش الشيعي ان يحتل مكة ويقضي على عبد الله بن الزبير ولكن محمد بن الحنفية رفض إراقة الدماء[٢].

٤- دعا محمد بن الحنفية للمختار بن أبي عبيدة بالخير عندما ارسل رؤوس عبيد الله بن زياد وعمر بن سعد اليه وذكره بالاسم عبر كلمات الشكر والثناء[٣].

٥- قبول محمد بن الحنفية هدايا المختار بن أبي عبيدة وتوزيعها على بني هاشم.[٤]

وقسّم محمد بن الحنفية المال في اهله وشيعته بمكة والمدينة على اولاد المهاجرين والانصار.

٦- ولا اشكال في أنّ تشكيل المختار للدولة في الكوفة شكل حماية سياسية لبني هاشم كما ان قوته كانت رادعاً لعبد الله بن الزبير من ان يقدم على تصفيتهم جسدياً وليس ذلك بعيد من عبد الله بن الزبير اذ اقدم على قتل اخيه أمام الناس[٥].

---

(١) ابن الأثير، ج٤، ص٢٥٠- ٢٥١: وجه (المختار) ابا عبد الله الجدلي في سبعين راكباً من اهل القوة ووجه ظبيان بن عمارة اخا بني تميم ومعه اربعمائة وبعث معه لابن الحنفية اربعمائة الف درهم وسيّر أبا المعمر في مائة، وهاني بن قيس في مائة، وعمير بن طارق في اربعين، ويونس بن عمران في اربعين.

(٢) ابن الاثير، ج٤، ص٢٥١: فكسر (اصحاب المختار) الباب ودخلوا على ابن الحنفية. فقالوا: خل بيننا وبين عدو الله بن الزبير. فقال لهم: اني لا استحل القتال في الحرم. وخرج محمد بن الحنفية ومن معه الى شعب علي وهم يسبون ابن الزبير ويستأذنون محمداً فيه فأبى عليهم.

(٣) بحار الانوار، ج٤٥، ص٣٧٩: وبينما محمد بن الحنفية جالس في نفر من الشيعة وهو يعتب على المختار فما تم كلامه الا والرأسان: (راس بن سعد وابنه) عنده فخرَّ ساجداً وبسط كفيه وقال: اللهم لاتنس هذا اليوم للمختار واجزه عن اهل بيت نبيك محمد خير الجزاء فوالله ما على المختار بعد هذا من عتب.

(٤) بحار الانوار، ج٤٥، ص٣٨٥.

(٥) اليعقوبي، ج٢، ص٢٦٤.

وفي حياة المختار بن أبي عبيدة لم نحصل على احاديث تتعرض له من قبل عبد الله بن جعفر او عبد الله بن العباس ولكن السياق العام لبني هاشم كان التأييد لحركته والمدح والثناء لما قام به من اعمال.

عبارات التأييد للمختار بعد استشهاده

بعد استشهاد المختار بن أبي عبيدة بدأت حملة تشويه ونعيق ضده وضد حركته ورموه بأبشع الصفات والنعوت من كذاب، وساحر، ومشعوذ، و... ولكن اهل البيت عليهم السلام وقفوا عكس هذا التيار ووضحوا لاصحابهم فضل هذا الرجل وعظمته وجلالة قدره، واهم تلك الشهادات هي:

١- الحوار الذي جرى بين ابن عباس وعبد الله بن الزبير بعد ان قَتَل مصعبُ بن الزبير المختارَ بن أبي عبيدة الثقفي وارسل خبر قتله الى مكة حيث عبد الله بن الزبير[١].

٢- الامام الباقر عليه السلام:

أ: قال الامام الباقر عليه السلام: لاتسبوا المختار فانه قتل قتلتنا وطلب بثارنا وزوج ارامِلنا وقسم فينا المال على العسرة[٢].

ب: عن عبد بن شريك قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام يوم النحر وهو متكئ وقد ارسل الى الحلاق، فجلست بين يديه اذ دخل عليه شيخ من اهل الكوفة فتناول يده ليقبلها فمنعه ثم قال: من انت؟ قال: انا ابو الحكم بن المختار بن أبي عبيدة الثقفي، وكان متباعداً من أبي جعفر عليه السلام، فمد يده اليه حتى كاد يقعده في حجره بعد منعه يده.

ثم قال: اصلحك الله ان الناس قد اكثروا في أبي وقالوا، والقول والله قولك؟

قال: اي شيء يقولون؟ قال: يقولون كذاب، ولاتأمرني بشيء الاّ قبلته.

---

(١) ابن الاثير، ج٤، ص٢٧٨: وقال ابن الزبير لعبد الله بن عباس: الم يبلغك قتل الكذاب؟ قال: ومن الكذاب؟ قال: ابن أبي عبيدة. قال: قد بلغني قتل المختار. قال: كأنك انكرت تسميته كذابا وتوجعت له؟ قال ذاك رجل قتل قتلتنا، وطلب ثارنا، وشفى غليل صدورنا، وليس جزاؤه منا الشتم والشماتة.

(٢) بحار الانوار، ج٤٥، ص٣٤٢.

فقال: سبحان الله اخبرني أبي والله ان مهر امي كان مما بعث به المختار وبنى دورنا وقتل قاتلنا وطلب بدمائنا، فرحمه الله، واخبرني والله أبي انه كان ليسمر عند فاطمة بنت علي يمهدها الفراش ويثني لها الوسائد ومنها اصاب الحديث. رحم الله اباك، رحم الله اباك، ما ترك لنا حقا عند احد الاّ طلبه، قتل قاتلنا، وطلب بدمائنا[١].

ولكن المتتبع يجد ان الامام الباقر عليه السلام كان عمره ثلاث سنوات يوم عاشوراء[٢]. اي ان الامام زين العابدين عليه السلام كان قد تزوج في حياة ابيه الامام الحسين عليه السلام [٣]. وحركة المختار كانت بعد استشهاد الامام الحسين بـ ٦-٧ سنوات، والمختار ارسل الهدايا يوم استتبت له الامور. الاّ ان يكون الامر فيه نحله.

ج: وعندما أثير على المختار انه اعطى بن سعد الامان ثم غدر به واشيعت في الاوساط الشيعية هذه المسائل فسَّر الامام الباقر عليه السلام مراد المختار من الامان الذي كان نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا امان من المختار بن أبي عبيدة الثقفي لعمر بن سعد بن أبي وقاص. انك بأمان الله على نفسك واهلك ومالك وولدك، ألاّ تؤاخذ بحدث كان منك قديما ما سمعت واطعت ولزمت منزلك الا ان تحدث حدثاً، فمن لقي عمر بن سعد من شرطة الله وشيعة آل محمد صلى الله عليه وآله فلا يعرض له الا بسبيل خير والسلام»، ثم شهد فيه جماعة.

قال الباقر عليه السلام: ان قصد المختار أن تحدث حدثاً هو ان يدخل بيت الخلاء ويحدث[٤].

٣- قال الامام الصادق عليه السلام: ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت حتى بعث المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين[٥] عليه السلام.

(١) بحار الانوار، ج٤٥، ص ٣٤٣.
(٢) المصدر، ص٣٥١.
(٣) وفيات الاعيان، ص٥٦٠.
(٤) بحار الانوار، ج٤٥، ص٣٧٨.
(٥) المصدر، ص٣٨٦.

٤- وقالت فاطمة بنت الامام علي عليه السلام: ما تحنّأت امرأة منا ولا اجالت في عينها مروداً ولا امتشطت حتى بعث المختار رأس عبيد الله بن زياد[١].

٥- وبالنسبة الى علمائنا (ره) فقد مالوا الى تنزيه المختار واعتبروه من المشكورين من قبل اهل البيت عليهم السلام لما قام به من اعمال ضد قتلة الامام الحسين عليه السلام، واليك بعض النماذج:

١- تحدث المولى المجلسي في الجزء ٤٥ ص٣٣٩ من بحار الانوار عن احوال المختار وانتهى الى القول: وان كان الأشهر بين اصحابنا انه من المشكورين.

٢- وتحدث السيد الخوئي في معجمه الرجالي عن الاخبار الواردة في حق المختار ايجابا وسلباً، وانتهى الى القول: ما نسبه ابن داود الكشي لم نجده في رجال الكشي، ولعل نسخة اصل الكشي كانت عنده وكان هذا مذكورا فيه، مضافاً الى ضعف اسناد الروايات الذامة ويمكن حملها على صدورها عن المعصوم تقية. كأمرٍ اول.

الأمر الثاني: ان خروج المختار وطلبه بثأر الحسين عليه السلام وقتله لقتلة الحسين عليه السلام لاشك في انه كان مرضياً عندالله وعند رسوله والائمة الطاهرين عليهم السلام.

الامر الثالث: ان نسبة بعض العامة الى المختار الكيسانية وقد استشهد لذلك بما في الكشي من قوله: والمختار هو الذي دعا الناس الى محمد بن علي بن ابيطالب بن الحنفية وسموا الكيسانية وهم المختارية وكانوا بقية كيسان، وهذا القول باطل جزماً فان محمد بن الحنفية لم يدَّعِ الامامه لنفسه حتى يدعو المختار الناس اليه، وقد قُتِل المختار ومحمد بن الحنفية حي، وانما حدثت الكيسانية بعد وفاة محمد بن الحنفية[٢].

ولكن المتتبع لرسالة الشيخ ابن نما وهو الشيخ الفاضل البارع جعفر بن محمد بن نما، وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد حمداً لله الذي جعل الحمد ثمناً لثوابه ونجاة يوم الوعيد من عقابه والصلاة

(١) المصدر، ص٣٨٦.

(٢) معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، ج١٩، ص١٠٨.

على محمد الذي شرفت الاماكن بذكره وعطرت المساكن برباء نشره وعلى آله واصحابه الذين عظم قدرهم بقدره وتابعوه في نهيه وأمره، فاني لما صنفت كتاب المقتل الذي سميته مثير الاحزان ومنير سبل الاشجان وجمعت فيه من طرائف الاخبار ولطائف الآثار ما يربى على الجوهر والنضار سألني جماعة من الاصحاب ان اضيف اليه عمل الثأر واشرح قضية المختار، فتارة أقدم واخرى احجم، ومرة اجنح جنوح الشامس، وآونة انفر نفور العذراء من يد اللامس، وأردّهم عن عمله فرقاً من التعرض لذكره واظهار مخفي سرّه، ثم كشفت قناع المراقبة في اجابة سؤالهم والانقياد لمرامهم واظهرت ما كان في ضميري وجعلت نشر فضيلته أنيسي وسميري، لأنه به خبت نار وجد سيد المرسلين وقرت عين زين العابدين، وما زال السلف يتباعدون عن زيارته ويتقاعدون عن اظهار فضيلته تباعد الضب عن الماء والفراقد عن الحصباء، ونسبوه الى القول بإمامة محمد بن الحنفية ورفضوا قربه، وجعلوا قربهم الى الله هجره مع قربه، وان قبته لكل من خرج من باب مسلم بن عقيل كالنجم اللامع، وعدلوا من العلم الى التقليد، ونسوا ما فعل بأعداء المقتول الشهيد وانه جاهد في الله حق الجهاد وبلغ من رضا زين العابدين غاية المراد، ورفضوا مناقبه التي رقت حواشيها وتفجرت ينابيع السعادة فيها[1].

يفهم من دافع هذه الرسالة هو الدفاع عن شخصية المختار خاصة وان البعض كان يرفض زيارته عند زيارة مسجد الكوفة حيث قبر المختار بن أبي عبيدة الثقفي في جانب المسجد والمتتبع للوضع الاجتماعي في اوطاننا يجد وبشكل واضح ان هناك تيارا في داخل الامة يتجنب اي تحرك سياسي لا من قريب ولا من بعيد. ويقفون موقفاً سلبياً تجاه اي شخص يؤدي هذا اللون من العمل ويوجهون اليه انواع التهم، وتتجمع عدة اسباب في ذاتية هذه الشريحة من الناس لاتحمل دليلا منطقياً وعلمياً بل هي ادلة من الصعب ان يسعفها الحظ لتقف على قدميها. ولكن المستوى الثقافي المتدني عند شعوبنا والظروف السلبية القاسية التي تحيط بأمتنا تجعل وعيهم محبوساً داخل ادمغة شريحة محدودة وبذلك يمهد الطريق لان تعشعش افكار الهزيمة في نفوسهم، وهذه ظاهرة قديمة جديدة في وضع امتنا وهي ظاهرة سلبية تخدم مصالح الدول الناهبة للامكانات العامة في أراضينا وتبقينا بقرة حلوب لهم، حيث يصل الامر ببعضهم انه يتخذ موقفاً

(١) بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٤٦ - ٣٤٧.

سلبياً من المختار واي عامل اسلامي آخر لانه ثار ضد السلطة الاموية والزبيرية. وفي يومنا هذا نجد ان حفنة الرجال المتصدين لطاغوت العراق صدام يواجهون مشاكل جمة في تحركهم على الرغم من وضعهم العلمائي الا انهم يواجهون تهماً قاسية على سمعتهم وتحركهم الجماهيري.

ولا اعتقد ان هذا التيار يحمل هماً لقضية في الامة وحتى ما يجرى على المقدسات بقدر ما يبدع في كيفية اتخاذ موقف سلبي ضد التحرك الهادف بدل العمل ضد الطغاة.

ولكننا نجد موقفاً آخر من الوفاء والثبات حيث قرأنا ما صرح به علماؤنا الاعلام، ويضاف الى ذلك ما تحدثت ازواجه به عندما ظفر بهن ابن الزبير وطلب منهن التبري منه باعتباره رجلاً منحرفاً عن الدين ولكنهن رفضن الطلب فاستعمل طريقة بعيدة عن الاسلام بربط التبري بديمومة الحياة ورفض التبري يعني الموت وفي هذه الحالة تراجعت احداهن عن موقفها واصرت الاخرى على موقفها وقالت: انه رجل كان قائماً ليله صائما نهاره ولاتنكر ذلك منه فقتلها وبطريقة مفجعة يقطر منها اللؤم.

والقصة كما ينقلها ابن الاثير في تاريخه:

«ثم ان مصعباً (ابن الزبير) دعا ام ثابت بنت سمرة بنت جندب امرأة المختار وعمرة بنت العثمان بن بشير الانصارية امرأته الاخرى فأحضرهما وسألهما عن المختار فقالت ام ثابت: نقول فيه بقولك انت فأطلقها، وقالت عمرة: رحمه الله كان عبداً لله صالحاً، فحبسها وكتب الى اخيه عبد الله بن الزبير: إنها تزعم انه نبي؟ فأمره بقتلها، فقتلت ليلاً بين الكوفة والحيرة قتلها بعض الشرط ضربها ثلاث ضربات بالسيف وهي تقول: يا ابتاه، يا عثرتاه. فرفع رجل يده فلطم القاتل وقال: يا ابن الزانية عذبتها ثم تشحطت فماتت، فتعلق الشرطي بالرجل وحمله الى مصعب فقال: خلوه فقد رأى امراً فظيعاً»[١].

وهذا الاسلوب يتبعه الغائرون في الطغيان والتجبر امثال معاوية بن أبي سفيان الذي سن هكذا اسلوب مع اعدائه عندما اعتقل زوجة (عمر بن الحمق الخزاعي)

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج٤، ص٢٧٥.

ووضع بين يديها رأس زوجها وهي رهينة الاعتقال.(١)

وهكذا هم الطغاة في عصرنا الحاضر وعلى رأسهم طاغية العراق صدام حسين الذي جاء الى الحكم في انقلاب عسكري عام ١٩٦٨م وعندما اصطدم بالحركة الاسلامية في العراق وهجّر مئات الالاف من الناس المؤمنين من شيعة اهل البيت مرتين الاولى عام ١٩٧٢م والثانية عام ١٩٨٠ م عند انتصار الثورة الاسلامية في ايران بزعامة الامام الخميني(ره)، فمارس صدام سياسية الارض المحروقة مع الذين خالفوه في الرأي حيث اعتقل المئات من النساء المتزوجات مع اولادهن والابكار ومارس عدة اشكال من الاعتداء على كرامتهن ذلك انه:

١- زوّج قسماً من النساء كرهاً من رجال الامن.

٢- اخذ الاطفال منهن ولايعرف مصيرهم والرأي السائد انه يربيهم على الاجرام حيث لايعرفون آباءَهم ولا اهلهم.

٣- استعمالهن كأدوات لأعمال التفجير في الدول المجاورة كما فعل عام ١٩٨٠-١٩٨١ حيث ارسل امرأة الى دمشق ومعها متفجرات لتفجيرها في معرض دمشق الدولي واعتقلت ولايعرف لها اثر.

٤- الاعتداء عليهن جنسياً بشكل متكرر حتى ولدن عدة مرات.

٥- يقوم باستدعاء زوجات الشهداء والمعتقلين الى مديريات الامن بصورة متكررة حتى يعرف ترددهن على الامن ويشاع الخبر ويترتب على ذلك ان يخاف الناس منهن باعتبارهن عميلات امن فيسقطن اجتماعياً في نظر الناس واذا ترددن على المجالس العامة فتجتنب النساء الاخريات الحديث معهن ويبتعدن عنهن.

---

(١) الاختصاص، للشيخ المفيد، ص١٧: فبعث معاوية الى عمر بن الحمق الخزاعي من قتله وجاء برأسه وبعث به الى امرأته فوضعته في حجرها، وقالت: سترتموه عني طويلا واهديتموه إليّ قتيلا فأهلا وسهلا من هدية غير قالية ولا مقلية. بلغ ايها الرسول عني معاوية ما اقول: طلب الله بدمه وعجل الويل ممن نقمه فقد اتى امرا وقُتِل بارا تقيا فأبلغ ايها الرسول معاوية ما قلت، فبلّغ الرسول ما قالت فبعث اليها فقال لها: انتِ القائلة ما قلت؟ قالت: نعم غير ناكلة منه ولامعتذرة منه، قال لها: اخرجي من بلادي، قالت: افعل فوالله ما هو لي بوطن ولا احسن فيها الى سجن ولقد طال سهري واشتد بها عبري وكثر فيها ديني من غير ما اقرت به عيني.

الحركة الزبيرية

تنتسب الحركة الزبيرية الى عبد الله بن الزبير بن العوام، والحالة الطبيعية لآل الزبير ان يكونوا بجنب بني هاشم حسب الظروف السياسية والاجتماعية السائدة في تلك الفترة الزمنية وهي هكذا كانت في بدايتها.

فالزبير بن العوام هو إبن صفية بنت عبد المطلب فهو ابن عمة رسول الله ﷺ وابن عمة علي بن أبي طالب عليه السلام.

كما ان خديجة بنت خويلد تلتقي في نسبها مع العوام في انهم من بني اسد (خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب) وهو الزبير بن العوام بن خويلد وبذلك تكون خديجة عمة الزبير[1].

ولذلك نجد ان الزبير من القلة الذين صمدوا في أُحُد عندما هرب اكثر جيش النبي ﷺ فبقي يدافع عن رسول الله حيث لم تصمد الا القلّة القليلة.

وما رواه الشيعة فإنهم يروون انه لم يثبت الاّ علي وطلحة والزبير وأبو دجانه وسهل بن حنيف وعاصم بن ثابت ومنهم من روى انه ثبت مع النبي اربعة عشر رجلاً من المهاجرين والانصار ولايعدون ابابكر وعمراً منهم)[2].

وبقي الزبير مع بني هاشم في رفضهم البيعة لابي بكر وهو الذي شهر سيفه عندما اقْتُحِم دار الامام علي عليه السلام.

«.. فخرج الزبير بن العوام بالسيف فقال عمر: عليكم بالرجل فخذوه فوثب

(١) اعلام النساء المؤمنات، ٣١٦.

(٢) شرح بن أبي الحديد، ج٣، ص٣٩٧. تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٦٢.

عليه سلمة بن اسلم فأخذ السيف من يده»[١].

ولما أُخرج علي عليه السلام من منزله اقبل الزبير مخترطاً سيفه وهو يقول: يا معشر بني هاشم أيُفعل هذا بعلي وانتم احياء؟ وشدّ على عمر ليضربه بالسيف فرماه خالد بن الوليد بصخرة فأصابت قفاه وسقط السيف من يده فأخذه عمر وضربه على الصخرة فانكسر[٢].

وبالتالي فهو اصطف مع الامام علي عليه السلام في الشورى التي عينها الخليفة الثاني لاختيار خليفة للامة حيث كان رأيه للامام علي عليه السلام.. فجعل الزبير امره الى علي[٣].

وقد عبّر الامام علي عن هذا التاريخ الايجابي للزبير بقوله «ما زال الزبير رجلاً من اهل البيت حتى نشأ ابنه المشؤوم عبد الله»[٤].

ولكن بعد ذلك تغير موقف الزبير من الامام علي عندما استلم الامام علي عليه السلام الخلافة، وقاد ضده معركة الجمل حتى قُبيل بدأ الحرب حيث انسحب الزبير من المعركة بعد حوار اجراه مع الامام علي عليه السلام.

«حيث التقى بالزبير وذكّره بأمور جرت لهما في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: «ما حملك على ما صنعت يا زبير؟ قال: حملني على ذلك الطلب بدم عثمان. فقال الامام عليه السلام: ان انصفت من نفسك انت واصحابك قتلتموه، ولكني انشدك الله يا زبير أما تذكر حيث قال لك رسول الله صلى الله عليه وآله: يا زبير اتحب علياً، فقلت: وما يمنعني من حبه وهو ابن خالي فقال لك: اما انك ستخرج عليه وانت ظالم له، فقال الزبير: بلى قد كان ذلك.

فقال الامام: انشدك الله اتذكر يوم جاء رسول الله صلى الله عليه وآله من عند بني عوف وأنت معه وهو آخذ بيدك فاستقبلته فسلمت عليه فضحك في وجهي فضحكت اليه، فقلت انت: لايدع ابن أبي طالب زهوه، فقال صلى الله عليه وآله لك: مهلاً يا زبير ليس بعلي زهوة ولتخرجن عليه يوماً وانت ظالم له.

---

(١) اليعقوبي، ج٢، ص١٦٠. الامامة والسياسية، ص١١.
(٢) سفينة بحار الانوار، ج١، ص٥٤٤.
(٣) الامامة والسياسة، ص٢٦.
(٤) شرح بن أبي الحديد، ج٤، ص٤٨٠.

فقال الزبير: اللهم بلى ولكني قد نسيت ذلك وبعد ان ذكرتنيه لأنصرفن»[١].

وقد حاول ابنه عبد الله اثارة الموقف حيث وجه تهمة الجبن والخوف لأبيه الزبير من سيوف بني هاشم ورد عليه اباه الزبير بن العوام في حركة استعراضية قام بها امام الجيش.

«فقال ابنه عبد الله: اين تذهب وتدعنا؟ فقال: يا بني اذكرني ابو الحسن بأمر كنت قد نسيته. فقال: لا والله ولكنك فررت من سيوف بني عبد المطلب فإنها طوال حداد تحملها فتية انجاد قال: لا والله ولكني ذكرت ما انسانيه الدهر فاخترت العار على النار، فقال أبالجُبن تعيرني لا أباً لك؟ ثم أمال سنانه وشد في الميمنة. فقال علي: أفرجوا له فقد هاجوه، ثم رجع فشد في الميسرة ثم رجع فشد في القلب ثم عاد الى ابنه فقال: ايفعل هذا جبان؟ ثم مضى منصرفاً»[٢].

هذا التحريك الذي حصل يعود الى عدة عوامل هي:

١- ينقل المؤرخون ان عبد الله بن الزبير وهو طفل كان يتمتع بحالة نفسية قوية طامحة ويرى نفسه مؤهلا لقيادة الامة والناس الذين حوله وعدم انصياعه للاخرين.

وقد ذكروا في ذلك عدة قصص امثال:

«قيل اول ما عُلِم من همة ابن الزبير انه كان ذات يوم يلعب مع الصبيان وهو صبي فمر به رجل فصاح عليهم ففروا، ومشى ابن الزبير القهقرى وقال: يا صبيان، اجعلوني اميركم وشدوا بنا عليه، ففعلوا.

قال هشام بن عروة: كان اول ما أفصح به عمي عبد الله بن الزبير وهو صغير: السيف»[٣]«

٢- ان عبد الله بن الزبير هو من اسماء بنت أبي بكر، وكان قد طلقها الزبير ولم يعرف سبب الطلاق «روي ان اسماء وهي ذات النطاقين تزوجها الزبير بمكة فولدت له

---

(١) سيرة رسول الله ﷺ وأهل بيته، ج١، ص٥٦٧.

(٢) مروج الذهب، ج٢، ص٣٦٣.

(٣) الكامل في التاريخ، لابن الاثير، ج٤، ص٢٦٠.

عدة اولاد، ثم طلقها فكانت مع عبد الله ابنها حتى قتل»[1].

فيكون عبد الله قد تأثر في ميوله من خالته عائشة بنت أبي بكر التي عرفت في مناهضتها لبني هاشم وفي ذلك يكون الطموح الذي يملكه عبد الله قد سخرته خالته الى مواقف قيادية ولكن قبالة الامام علي عليه السلام.

وتأثير البيت في نمو شخصية الانسان حالة معروفة ومسلّمة، وكما يقول المثل المشهور: «من عاشر قوماً اربعين يوما كان منهم» فكيف اذاً وقد نما وكبر في داخل هذا البيت؟

وبيت أبي بكر حمل التناقضات فهو من جهة اولد عبد الله بن الزبير العدو اللدود لبني هاشم فعبد الله ابن بنت أبي بكر.

وخرج من هذا البيت محمد بن أبي بكر الموالي والمؤيد لبني هاشم وللامام علي عليه السلام واحد ابرز قادته ضد معاوية. وذلك ان اسماء بنت عميس زوجة جعفر الطيار قد تزوجها ابوبكر واولدها محمد بن أبي بكر، وبعد وفاة أبي بكر تزوجها الامام علي عليه السلام وبذلك تربى محمد بن أبي بكر في بيت الامام علي عليه السلام.

«روي أن اسماء بنت عميس كانت في اول الامر زوجة جعفر بن أبي طالب عليه السلام ثم تزوجها ابوبكر فولدت له محمدا في سفر حجة الوداع، ثم تزوجها امير المؤمنين عليه السلام فتربى محمد في حجر علي عليه السلام فكان له الأب»[2].

وقد عبر عن ذلك الامام علي عليه السلام بقوله: «محمد ابني ومن صلب أبي بكر»[3] فبيت أبي بكر ربى عبد الله الذي يجب ان تكون ميوله هاشمية فخرج وهو يحمل ميولاً ضد بني هاشم.

وبيت الامام علي عليه السلام ربى محمد بن أبي بكر الذي يجب ان تكون ميوله ضد بني هاشم فخرج وهو يحمل ميولاً هاشمية.

---

(١) وفيات الاعيان، ج٣، ص٦٩.
(٢) منتهى الامال، ج١، ص٤٠٧.
(٣) بحار الأنوار، ج٤٢، ص ١٦٢.

٣- الخلافة الاسلامية التي وقف الزبير معها وعاشها مع رسول الله ﷺ ثم كانت للامام علي عليه السلام ولكنها قد خرجت الى احضان غيره بشكل غير طبيعي وعبد الله بن الزبير شهد هذه التحولات حتى وصل الامر بها الى يزيد بن معاوية.

فلذلك يرى انه اولى من يزيد بن معاوية بالخلافة فلا يزيد ولا معاوية يملكون نصيبا في الدعوة للاسلام والتضحية مع رسول الله في مواطن الشدة والامتحان بل انهم كانوا قادة في الضلال، فلا انفاق في سبيل الله او سهر في طاعة الله بل العكس من ذلك. وعليه فمن حق عبد الله بن الزبير ان يتطلع الى موقع الخلافة اذا كان يزيد هو حامل اللواء.

٤- الظروف الحياتية ومؤثراتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية قد تغيرت عما كانت عليه في زمن النبي وفي زمن أبي بكر فعندما جاء عمر بن الخطاب للخلافة وتبنى سياسة الفتوح وتوسعتها، كان لها مردود مادي هائل، فكان اول ما يصب هذا المردود في جيوب كبار القوم وقد بنوا القصور الضخمة واقتنوا الجواري والذهب حتى كان للزبير ١٠٠٠ جارية فضلا عن القصور[1].

وحتى اذا جاءت خلافة عثمان بن عفان فقد أصبح الترف والبذخ واضحا على سلوك كبار القوم وخاصة بني امية. ان هذا الجو الذي عاشه عبد الله بن الزبير كان يبدي له ان يتصدى لأن يكون هو الرأس الاول في الدولة الاسلامية.

لذلك نجد أن سلوكه عندما اختار مكة هو ملازمة البيت الحرام وكثرة الصلاة فيه حتى سمى نفسه (العائذ بالبيت)[2].

---

(١) مروج الذهب، ج٢، ص٣٣٢-٣٣٣: روي ان الزبير بن العوام بنى داره بالبصرة وهي المعروفة في هذا الوقت تنزلها التجار وارباب الاموال واصحاب الجهاز من البحرين وغيرهم وابتنى ايضاً دورا بمصر والكوفة والاسكندرية، كما بلغ مال الزبير بعد وفاته خمسين الف دينار، وخلف الزبير الف فرس والف عبد وامة.

(٢) شرح بن أبي الحديد، ص٤٨٤: قال ابن الزبير: ويلقب عبد الله بعائذ البيت لاستعاذته به، وقال: حدثني عمي مصعب بن عبد الله قال ان الذي دعى عبد الله الى التعوذ بالبيت شيء سمعه من ابيه حين سار من مكة الى البصرة فأن الزبير التفت الى الكعبة بعد ان وجه وجهه يريد الركوب فأقبل على ابنه عبد الله وقال: تالله ما رأيت مثلها لطالب رغبة او خائف رهبة.

واعتقد ان هذه العوامل هي وراء تطلع عبد الله بن الزبير لأن يكون طموحه صاحب القرار الاول في الدولة الاسلامية. فعبد الله بن الزبير كان يملك طموحاً سياسياً كما بينا من قبل، لذلك نراه كان يتحرك في هذا الاتجاه وكلما سنحت له الفرصة في ذلك وتمكن من ان يؤدي دورا في تحقيق هذا الطموح السياسي. فالقوى السياسية التي كانت طامحة في الخلافة وقت الخليفة الثالث هي:

أ- القوى الاموية والتي كانت مقاليد الامور بيدها.

ب- القوى الهاشمية وعلى رأسها الامام علي عليه السلام وكانت صاحبة الحق في هذا الموقع.

ج- مجموعة رموز تملك تاريخا في الدعوة الى الاسلام وترتبط بالقوى الاموية او الهاشمية من جهات متعددة فكانت تتحرك حسب الاجواء والمنافع المحيطة بها. فالشخصيات الستة التي عينها الخليفة الثاني كانت موزعة الولاءات إما لعثمان او الامام علي عليه السلام هكذا:

* عثمان بن عفان
* عبد الرحمن بن عوف
* سعد بن أبي وقاص
* الامام علي عليه السلام
* الزبير بن العوام
* طلحة بن عبد الله

وقد عبر الامام علي عليه السلام في إحدى خطبه عن هذه التحالفات[1].

ولما كان عبد الله بن الزبير ينتمي الى القوى السياسية المتفرقة وقد غذي بالعداء

---

(١) شرح بن أبي الحديد، ج١، ص٦٢: ان عمر لما طعن، جعل الخلافة في ستة، (علي عليه السلام) احدهم فتعجب من ذلك، فقال: متى اعترض الشك فيّ مع أبي بكر حتى اقرن بسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف، وامثالهما لكني طلبت الامر وهو موسوم بالاصاغر منهم كما طلبته اولاً وهو موسوم بأكابرهم، أي هو حقي فلا استنكف من طلبه ان كان المنازع فيه جليل القدر او صغير المنزلة.

لبني هاشم، نجده قد تحرك في تنمية هذه القوى المتفرقة ودفع أباه الزبير في هذا الاتجاه مستفيدا من قتل عثمان وجعله الطالب الاساسي في التحرك.

فنجد ان هذه الرموز تحركت بعد ان استلم الامام علي عليه السلام الخلافة مستفيدين من بني امية، الذين فقدوا راسهم عثمان ابن عفان، ومن شرعية عائشة بنت أبي بكر باعتبارها زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله فاجتمعت القوى بهذا الشكل:

* رموز من الصحابة هم طلحة والزبير بن العوام.
* بنوا امية وعلى راسهم مروان بن الحكم.
* عائشة بنت أبي بكر.

وكان عبد الله بن الزبير هو لولب هذه الحركة وصاحب الطموح والمسيِّر لأبيه في هذا الاتجاه، كما عبر الامام علي عن ذلك بقوله: (مازال الزبير منا اهل البيت حتى نشأ بنوه فصرفوه عنا)[1].

فهذا الزبير صاحب المواقف الجهادية والعطاء من اجل ترسيخ جذور الاسلام نجده يأتي بأربعين شاهد زور ليقولوا لعائشة (عندما نبحتها كلاب الحوأب وقررت الرجوع) أن هذه المنطقة ليست الحوأب وقبلت عائشة بهذه الشهادة واستمرت في طريقها للبصرة.

قيل سارت عائشة الى البصرة مخالفة لعلي ومعها طلحة والزبير في خلق عظيم، وقدم علي بن منبه بمال من مال اليمن قيل: ان مبلغه اربعمائة الف دينار، فأخذاه منه طلحة والزبير فاستعانا به وسارا نحو البصرة.

ومر القوم في الليل بماء يقال له: مرّ الحوأب، فنبحتهم كلابه، فقالت عائشة: ما هذا الماء؟

قال بعضهم: ماء الحوأب. قالت: (إِنَّا للهَّ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) ردوني ردوني، هذا الماء الذي قال لي رسول الله: لاتكوني التي تنبحكَ كلاب الحوأب. فأتاها القوم بأربعين

(١) بحار الأنوار، ج٢٨، ص٣٤٧.

رجلاً، فأقسموا بالله انه ليس بماء الحوأب[١].

ونجد عبد الله بن الزبير يتجاوز اباه وطلحة ويتقدم ليؤمّ الجيش الذي اجتمع لمحاربة الامام علي بتعيين من عائشة عندما اختلف الزبير وطلحة على من يؤم المصلين وذلك عندما قدم القوم البصرة وعامل علي هو عثمان بن حنيف، فمنعها ومن معها من الدخول، فقالا: لم نأتِ لحرب وانما جئنا لصلح، فكتبوا بينهم وبينه كتابا انهم لايحدثون حدثاً الى قدوم علي، وان كل فريق منهم آمن من صاحبه ثم افترقوا. فلما حضر وقت الصلاة، تنازع طلحة والزبير وجذب كل واحد منهما صاحبه حتى فات وقت الصلاة وصاح الناس: الصلاة الصلاة يا أصحاب محمد. فقالت عائشة: يصلي محمد بن طلحة يوما وعبد الله بن الزبير يوما فاصطلحوا على ذلك[٢].

وعندما انسحب والده الزبير بن العوام من المعركة لم ينسحب عبد الله تأييدا لابيه وانما استمر في القتال الى آخر المعركة ونهايتها، وهذا يؤكد طموحه السياسي وعمله على تحقيق هذا الطموح. لأنه في اقل التقادير كان عليه ان يرفض تقدم المصلين وفيهم ابوه.

كما كان عليه ان يعتزل المعركة تأييداً لأبيه. ولكنه كان متورطاً مع خالته عائشة بنت أبي بكر التي اخرجها من بيتها ليستفيد من شرعيتها كزوجة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. واذا لم يكن كذلك لانسحب مع ابيه.

وبعد وفاة معاوية كان عبد الله بن الزبير احد الرموز السياسية التي تتطلع الى القيادة وقد ذكره معاوية بن أبي سفيان في وصيته لابنه يزيد وحذّره من عبد الله بن الزبير اشد تحذير. قيل: اوصى معاوية يزيد ابنه لما عقد له الخلافة بعده فقال: اني لا اخاف عليك الاّ ممن اوصيك بحفظ قرابته ورعاية حق رحمه، من القلوب اليه مائلة، والاهواء نحوه جانحة والأعين اليه طامحة وهو الحسين بن علي، فأقسم له نصيباً من حلمك، واخصصه بقسط وافر من مالك، ومتعه بروح الحياة، وابلغ له كل ما احب في ايامك. فأما من عداه فثلاثة وهم عبد الله بن عمر رجل قد وقذته العبادة فليس يريد الدنيا الاّ ان تجيئه طائعة لاتراق فيها محجمة دم، وعبد الرحمن بن أبي بكر رجل هقل لايحمل ثقلا

(١) اليعقوبي، ج٢، ص١٨١.
(٢) المصدر.

ولايستطيع نهوضا وليس بذي همة ولاشرف ولا اعوان وعبد الله بن الزبير هو الذئب الماكر والثعلب الخاتر. فوجه اليه جدك وعزمك وفكرك ومكرك، واصرف اليه سطوتك ولاتثق اليه في حال، فإنه كالثعلب راغ بالختل عند الارهاق والليث صالٍ بالجرأ عند الاطلاق[١].

وبالفعل نجد ان يزيد بن معاوية طلب من واليه على المدينة ان يأخذ البيعة من الامام الحسين عليه السلام ومن عبد الله بن الزبير وعندما وصل الخبر لعبد الله هرب ليلتها الى مكة في طريق غير معروف واستقر في مكة وكان غرضه طرح شخصيته، ولما وصل الامام الحسين الى مكة كان عبد الله بن الزبير يتردد الى مجلس الامام الحسين عليه السلام ولم يتقدم عليه.

«روي ان ابن الزبير قد لزم جانب الكعبة فهو قائم يصلي عندها عامة النهار ويطوف ويأتي الحسين فيمن يأتيه ولايزال يشير عليه بالرأي، وهو اثقل خلق الله على ابن الزبير لان اهل الحجاز لايبايعونه ما دام الحسين باقيا بالبلد»[٢].

وطلب ابن الزبير من الامام الحسين عليه السلام عدم السفر الى العراق واعلن عن استعداده للتعاون مع الامام الحسين عليه السلام والقبول بقيادته.

«بلغ ابن الزبير ان الامام الحسين عليه السلام يريد الخروج الى الكوفة وهو اثقل الناس عليه، وقد غمه مقامه بمكة لان الناس ما كانوا يعدلونه بالحسين عليه السلام، فلم يكن شيء يؤتى له احب اليه من شخوص الحسين عليه السلام عن مكة. فأتاه فقال: ابا عبد الله ما عندك؟ فوالله لقد خفت الله في ترك جهاد هؤلاء القوم على ظلمهم واستذلالهم الصالحين من عباد الله، فقال الحسين عليه السلام: قد عزمت على اتيان الكوفة، فقال: وفقك الله، أما لو ان لي بها مثل انصارك ما عدلت عنها، ثم خاف ان يتهمه فقال: ولو اقمت بمكانك فدعوتنا واهل الحجاز الى بيعتك اجبناك وكنا اليك سراعا وكنت احق بذلك من يزيد وأبي يزيد»[٣].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد، ج٢٠، ص١٣٣.
(٢) ابن الاثير، ج٤، ص٢٠.
(٣) مروج الذهب، ج٣، ص٥٦.

ولكن واقع الامر كان هو الرغبة الشديدة عند عبد الله بن الزبير في سفر الامام الحسين عليه السلام حتى تفرغ الجولة ويكون بطل الساحة من دون منازع.

وقد عبر عن هذا الامام الحسين عليه السلام نفسه وافصح عنه عندما قال عبد الله بن العباس لعبد الله بن الزبير حول فرصة خروج الامام الحسين عليه السلام من مكة وسفره الى العراق.

«روي لما خرج الحسين عليه السلام من مكة الى العراق ضرب عبد الله بن عباس بيده على منكب ابن الزبير وقال:

يا لك من قبّرة بمعمر	خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقّري ما شئت ان تنقّري	هذا الحسين سائر فأبشري

خلا الجو والله لك يابن الزبير، وسار الحسين الى العراق»[1].

وهذه مناورة سياسية مارسها عبد الله بن الزبير تجاه الامام الحسين عليه السلام، فهو كان على منهج مخالف للامام والكل يعرف هذا الامر ولكن مصلحته السياسية فرضت عليه اجراء مناورة الحضور في مجلس وصلاة الامام الحسين عليه السلام ونجد ان عبد الله بن الزبير يقف ليرثي ويؤبن الامام الحسين عليه السلام بعد استشهاده بكلمات التقديس والاحترام والنيل من يزيد ومسيرته وكان استشهاد الامام الحسين عليه السلام في مصلحة عبد الله بن الزبير.

«ذكر هشام عن أبي مخنف عن عبد الملك بن نوفل قال حدثني أبي قال: لما قتل الحسين عليه السلام قال ابن الزبير في اهل مكة وعظم مقتله وعاب على اهل الكوفة خاصة، ولام أهل العراق عامة، فقال - بعد ان حمد الله واثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه وآله - ان اهل العراق غدّر فجّر الاّ قليلا وان اهل الكوفة شرار اهل العراق وانهم دعوا حسينا لينصروه ويولوه عليهم فلما قدم عليهم ثاروا عليه وقالوا له اما ان تضع يدك في ايدينا فنبعث بك الى ابن زياد بن سمية سلما فيمضي فيك حكمه واما ان تحارب، فرأى والله انه هو واصحابه قليل في كثير وان كان الله عزّ وجل لم يطلع على الغيب احداً انه مقتول

(١) شرح ابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٤٩١.

ولكنه اختار الميتة الكريمة على الحياة الذميمة فرحم الله حسيناً واخزى قاتل حسين»[١].

ولكن هذا الاحترام والتقدير لم يكن عن اعتقاد وايمان، فتجده عندما يمسك بزمام الامور يمارس ضغوطاً قاسية على بني هاشم، وينال منهم وخاصة الامام علي بن الحسين عليه السلام على رؤوس الاشهاد، حيث «تحامل عبد الله بن الزبير على بني هاشم تحاملاً شديداً واظهر لهم العداوة والبغضاء حتى بلغ ذلك منه ترك الصلاة على محمد صلى الله عليه وآله وسلم... واخذ ابن الزبير محمد بن الحنفية وعبد الله بن العباس، واربعة وعشرين رجلاً من بني هاشم فحبسهم في حجرة زمزم... ثم ان ابن الزبير قام خطيباً فنال من علي بن أبي طالب عليه السلام في المسجد الحرام»[٢].

وهذا سلوك سياسي بعيد عن القيم والمبادئ ولكنه يحقق مكاسب لعبد الله بن الزبير فهو طريق سالك ومعبّد امامه ومن هنا نعرف ان عبد الله بن الزبير كان صاحب طموح سياسي بعيد عن اي هدفية اخرى.

---

(١) تاريخ الطبري، ج٤، ص٣٦٤.
(٢) اليعقوبي، ج٢، ص٢٦١-٢٦٢.

ابن الزبير وعبادته

لا يختلف اثنان في ان عبد الله بن الزبير امتاز في مسيرته وسلوكه كما في حركته بما يلي:

١- اختياره مكة لتكون قاعدة لانطلاقه وعاصمة لحركته، ومكة المكرمة لها موقع خاص في نفوس المسلمين فالناس يقدسون بيت الله ويحترمونه وبالتالي فهي موطن الامن وعاصمة الاسلام وقد افادت مكة المكرمة حركة ابن الزبير من خلال الفرصة التي وفرتها له مواسم العمرة والحج لأن يلتقي ابن الزبير بالناس ويطرح نفسه عليهم.

وقد عرض الكثير على الامام الحسين عليه السلام ان يبقى في مكة ولا يخرج منها لأنها توفر له حزاماً امنياً يصعب ان تناله ايدي يزيد ولكن الامام الحسين عليه السلام رفض هذا التحليل واعتبر بقاءَه في مكة المكرمة اعطاء الفرصة لآل امية ان ينتهكوا حرمة البيت والتطاول عليه.

كما اخبر انه سيقتل فيه (كبش) وبقتله ستنتهك حرمة البيت وتهان قدسيته واخبر بذلك في حديث نقله عن رسول الله صلى الله عليه وآله لذلك رفض البقاء حتى لايكون هو ذلك الكبش.

ولكن عبد الله بن الزبير لايعطي اهتماماً لان يكون هو السبب في النيل من قدسية البيت الحرام وتحويله الى ساحة معركة يسفك فيها الدم الحرام بل وتهدم الكعبة على رؤوس الحجاج.

المهم عند عبد الله بن الزبير هو الوصول الى هدفه السياسي بعيدا عن هذه الاطروحات.

ونلاحظ الفرق الشاسع بين سلوك الامام الحسين عليه السلام الذي يُطلب منه البقاء ويرفض لانه يجد ان بقاءَه يسبب انتهاك لحرمة البيت الذي جعله الله امنا ولئلا يعطي عذرا لبني امية ان ينتهكوا حرمة البيت الحرام.

وبين سلوك عبد الله بن الزبير الذي عَرَّض الكعبة الى الهدم والحرق مرتين مرة في ايام يزيد واخرى في ايام عبد الملك بن مروان.

فبقاء عبد الله بن الزبير في مكة ليس من واقع تقديس مكة والاهتمام بقدسيتها بقدر ما كان للاستفادة من قدسيتها لمصلحته السياسية.

٢- عبد الله بن الزبير سلوك عبادي.

عُرِف عن عبد الله بن الزبير عبادته واقامته للطقوس الدينية وممارسته للعبادة من صلاة وصوم، حتى لقّب هو نفسه (بالعائذ بالبيت). وقد ذكروا مفردات كثيرة من سلوكه العبادي من ركوع وسجود وقيام وصوم الدهر.

ولا اشكال ان هذه العبادة قد نقلتها الكتب وتحدث عنها الناس وتناقلوها فيما بينهم وقد اضافت سمعة طيبة الى شخصية عبد الله بن الزبير ولكن عبادة عبد الله بن الزبير عُرِفت في مكة ولم ينقل عن هذه العبادة شيء يذكر في المدينة المنورة والتي هي مسقط رأسه وقضى معظم عمره فيها وفي نهاية حياته ذهب الى مكة اي من سنة اربع وستين للهجرة الى اثنين وسبعين للهجرة وهذا ما يثير ويرسم علامات استفهام، اذا صحت العبادة فَلِمَ الآن ووقت التطلعات السياسية؟

او ان هذا السلوك العبادي وضع قبالة عبادة الامام زين العابدين عليه السلام المعاصر له.

ان العبادة مفردة في سلوك عبد الله بن الزبير ولكن هذه العبادة والزهد في الدنيا يفترض ان تتمكن من اخذ زمام قياد عبد الله بن الزبير وتضيف الى زهده في الحياة زهده في السلطة السياسية والاعراض عنها بما يوفر للناس ولمكة حالة الامن الاستقرار وخاصة للحجاج.

وهذه نقطة لابد من التوقف عندها لانها حالة فيها الكثير من التساؤل لانها تري الناس العبادة والزهد والتقشف في الدنيا ولكن من جانب آخر نجد التمسك بكل

وسيلة والتشبث بكل قشة من اجل الموقع القيادي والسلطة السياسية.

فهل الزهد هو حالة عدم الاكل والشرب واللباس امام الناس حتى يقال ان فلاناً عابد زاهد ولكن الأنا حالة لايسمها الزهد والأعراض عن الدنيا؟

ان الزهد مدرسة متكاملة، فكما هي الابتعاد عن مظاهر الحياة بكل جوانبها وعدم تأثيرها في قرار الانسان فإن السلطة السياسية احد ابعادها في التطلع للحياة[١].

والمشكلة ان هذا الخط من الناس يعتقد ان اظهار التقشف في المأكل والملبس امام الناس والتكلم بلغة الزهد عن الحياة يكفي ان يحسب في قائمة اهل التقوى وليس مهما التطلع القيادي بأي ثمن كان لان هذا جانب لا يعرفه الناس ولايدركون واقعه.

ولكن واقع الزهد والتقوى تبتدئ من نفس الانسان وتنتهي في المأكل والملبس والحديث وليس العكس وان هناك شريحة من العلماء يزهدون في كل شيء في الحياة الا الجاه والتطلع للقيادة ويجرون وراءَهما مهما يكن الثمن من دون التفكير في الامة وشق عصا وحدتها.

فهو يعيش النشوة اذا ذكر اسمه في وسيلة اعلامية ويطير فرحا اذا وزعت صورته وتنتفخ اوداجه اذا سمع انه قد اشير اليه.

ان هذا النمط من الناس طلاب سلطة واصحاب اغراض خاصة يريدون تحقيقها من خلال الطرح الديني واذا كان بالفعل تقوى وورع فليكن البدء من تهذيب النفس في تطلعاته الانانية.

والا تصبح العبادة حركة آلية ليس لها مضمون روحي مقدس يتحرك بدافعه الانسان ويأخذ بزمام اموره وقد عبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هكذا نمط من العبادة بقوله:

«رُب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش»، و «رُبّ قائم حظه من قيامه السهر»[٢].

لانها اعمال ميكانيكية بعيدة عن الروح وليس لها قدرة على رفد النفس بالخير او

(١) كتاب التقوى اولًا، للمؤلف.

(٢) بحار الأنوار، ج٩٣، ص٢٨٩، عن: امالي الشيخ الطوسي، ج١، ص١٦٨.

نهيها عن فعل الشر. وهذا سلوك يمارسه الكثير من مدعي الدين والعلم. تجده يُظهر للناس حالة التخضع والتدين والزهد والتقوى ويضمر الحالة الرديئة في داخله، خاصة الانا والطموح الذاتي، وهذه شريحة تتاجر بالدين وتريد ان تنال من الدنيا باسم الدين، وصدق امير المؤمنين عليه السلام بوصفه لهذه الحالة حيث يقول: «ينصب حبالة الدين لاصطفاء الدنيا»[١].

ولعل الحوار الذي جرى بين الامام الصادق عليه السلام وسفيان الثوري يكشف واقعية طلاب الدنيا باسم الدين وكيف يحاولون اصطياد البسطاء والسذج من الناس.

فحين رآى سفيان الثوري ان على أبي عبد الله الصادق عليه السلام ثياباً مرتفعة الثمن قال له: لم يلبس مثل هذا الرسول عليه السلام فقال: كان رسول الله في زمان قتر وان الدنيا بعد ذلك ارخت عواليها واحق اهلها بها ابرارها، ثم رفع سلام الله عليه الثوب الظاهر واذا تحته ثوب غليظ، فقال يا سفيان هذا لبسته لنفسي وهذا للناس ثم رفع ما على سفيان من الثوب الظاهر وكان غليظا خشنا واذا تحته مما يلي جلده ثوب ناعم لين فقال: يا سفيان لبست هذا للناس ولبست النفيس اللين تستره عنهم ولايستر عن الله تعالى[٢].

والذي يظهر ان عبد الله بن الزبير كان يمارس الطقوس الدينية بحالة من الاعتقاد والايمان ولكن هذه العبادة التي عرفت عنه بطول زمانها وكثرتها لم تتمكن من أن تمتد الى وضعه السياسي وتقف حائلا دون طموحه القيادي لتكون مدرسة في العبادة وان تتكامل عبادته منفصلة عن عمله السياسي. بل استعاد عمله السياسي منعزلا عن عبادته حيث ينظر الناس الى سلوكه واضحا رأي العين وهو يصلي طويلا ويطوف كثيرا ويصوم الايام وعبادته لم تفده في عمله السياسي في ان تؤثر عليه وتصقله بشكل يزهد في هذه الحركة في بيت الله الحرام.

(١) نهج البلاغة، الخطبة السابعة، ص٢٤.

(٢) الامام زين العابدين عبدالرزاق، المقرم، ص٢٧٣، عن تفسير الصافي، ص١٧٣.

الحركة الزبيرية حركة سياسية وليست دينية

من الثوابت في كل حركة سياسية انها تحمل اهدافاً تسعى لتحقيقها بحيث تكون قادرة على جمع الامة حولها. فعندما نقف امام ثورة الامام الحسين عليه السلام نجد بيانه الاول الذي حدد مسيرته في رفض بيعة يزيد. فالامام الحسين عليه السلام في الوقت الذي يحدد هويته الشخصية فانه يقول انا احق بالامر منه ايضا.

ولكن عبد الله بن الزبير في الوقت الذي يتحدث حول يزيد لم يعط الحق لنفسه انه يملك خصلة تكون مدعاة لأن يكون هو احق بالامر من يزيد بن معاوية او فيما بعد عبد الملك بن مروان. فإن عبد الله بن الزبير في الوقت الذي كان يدعو لنفسه سراً كان يتحدث بينه وبين عبد الملك ومرة طلب من عبد الملك تغيير الوالي على مكة.

والذي يعتبر نفسه احق بالقيادة من الناحية المبدئية لابد من اعلان موقفه بشكل جلي وواضح ولايبقى يناور ويتكتك ولا يُعرف موقفه اهو رافض ام معترض ام مهادن؟

ومن خلال الممارسة العملية التي مارسها عبد الله بن الزبير شخصياً او عبر اوامره التي طبقها اخوه مصعب بن الزبير مع عوائل معارضيه لاتدل على الاطلاق انه رجل يملك اهدافا مبدئية مقدسة وذلك من خلال الامثله التالية:

١ - نجده يأمر اخاه مصعباً الذي انتصر على المختار بن عبيدة الثقفي ان يعرض على نساء المختار الثلاث التبري من زوجهن باعتباره كافر مشرك والاّ قدمهن للقتل، فينقل الطبري في تاريخه ان مصعباً بعث الى ام ثابت بنت سمرة بن جندب امرأة المختار والى عمرة بنت النعمان بن بشير الانصاري وهي امرأة المختار فقال لهما: ما تقولان في المختار. فقالت ام ثابت: ما علينا ان نقول فيه الا ما تقول فيه انت، فقال لها: اذهبي، واما عمرة فقالت: رحمة الله عليه انه كان عبداً من عباد الله الصالحين فرفعها مصعب الى

السجن وكتب فيها الى عبد الله بن الزبير فكتب اليه في ان اخرجها فاقتلها، فأخرجها بين الحيرة والكوفة فضُرِبت عنقها وماتت[١].

٢- اعتقال مجموعة من عوائل المعارضين له وحجزهم عنده وهي ممارسة لايقوم بها الاّ من همّه السلطة وليس تعليم الناس القيم، وفي العوائل عائلة ابو الطفيل عامر بن وائلة وكان له صحبة مع رسول الله [٢]صلى الله عليه وآله وسلم.

٣- قتل الصلحاء والاتقياء لا لشيء الا لأنهم ليسوا على مسيرته ورفضوا بيعته وقد مارس هذا السلوك مع اولاد حجر بن عدي ومولى للامام الحسين عليه السلام كان محدثاً ثقة كما نقل ابن الاثير في كتابه.

٤- كما قام عبد الله بن الزبير باعطاء التعليمات للقيام بعملية الغدر بجيش المختار بعد اعطائه الامان وكان قوله للعباس بن سهل ابن سعد «.. ان رأيت القوم على طاعتي والا فكابرهم حتى تهلكهم» حيث ان هناك فرق بين مفهومي الحرب كخدعة او غدر.

فالخدعة ان يعرف عدوك انك في حرب معه وهو مستعد لحربك وانت مستعد لحربه فتباغته بالحرب، أما ان تقول له: رأيك افضل.. كما سنجد في الحوار ثم يبعث له ما يسد رمقه من الماء والخراف وهو في حالة امان ثم يهجم عليه فهذا غدر؟ وهذا ما قصده عبد الله بن الزبير من قوله فكابِرْهم.

٥- ان سلوك عائلة الزبير من ابناء عبد الله بن الزبير الى اخوانه لم تكن في المستوى الذي تُشم منه رائحة المبدئية والثبات على الطريق ومواصلة الدرب حتى النفس الاخير لان عدوهم منحرف، ولايمكن التعامل مع المنحرفين الفسقة بل تجد سيرتهم متعرجة تميل الى حالات الاستعانة بالسلطة والمال، فهذا حمزة بن عبد الله بن الزبير في توليه امارة البصرة فإنه سرق بيت المال، كما يذكر ابن الاثير في الكامل حيث يقول: عندما عُزِل حمزة عن البصرة احتمل مالاً كثيراً من مال البصرة فقال فيه ابوه عبد الله بن الزبير: اردت ان اباهي به بني مروان فنكص[٣].

---

(١) تاريخ الطبري، ج٤، ص٥٧٤.
(٢) ابن الاثير، ج٤، ص٢٧٢.
(٣) المصدر، ص٢٧٩.

فقول عبد الله بن الزبير في حق ولده (حمزة) (اباهي به) واضحة الدلالة في ان الامر ليس فيه نية تقديم الاعمال والتقوى لله سبحانه وحده وحينها ليس مهماً قول القائلين.

ونجد مثالاً آخر وهو عروة بن الزبير الذي هو شقيق عبد الله بن الزبير حيث هرب من مكة ودم اخيه لم يجف بعد والاجساد لم تدفن في الشام ليلتقي بعبد الملك ويبايعه بالخلافة ويقبض منه الاموال. مع ان المفروض بعروة بن الزبير ان يصمد مع اخيه ويقاتل حتى النفس الاخير ويُقتل لانه يعتقد ان عبد الملك قائد غير شرعي وخرج لمحاربته والا فما معنى القتال وبعد ذلك البيعة لعبد الملك؟

الا اللهم ما نقوله انه امر شخصي وطموح سياسي فقط ليس للتقوى او الدين فيهما نصيب[١].

ويقال ان اولاد عبد الله بن الزبير قاتلوا مع ابيهم ولما رأو ان الميزان العسكري ليس في صالح ابيهم طلبوا الامان من الحجاج وساروا اليه.

او نجد ان عبد الله بن الزبير يقول لابنه الزبير خذ لنفسك اماناً كما فعل اخواك فوالله اني لأحب بقاءَكم[٢].

يا عبد الله تحب ان يبقى ابناؤك وتدفع بهم لأخذ الامان؟

وماذا عن ابناء الناس الذين قاتلوا معك؟

فهل من قائد يريد الامان لأبنائه ولايريد ذلك للناس؟

فهل هذا من العدل والانصاف؟

ثم أليس الامان يعني - ضمناً - القبول بقيادة عبد الملك ومبايعته؟ واذا كان على حق فلم يتمتع ابناؤك بهذا الحق ليسلموا ولايتمتع الناس بهذا المستوى من الحق؟ ينقل صاحب الكامل:

(١) المصدر، ص٥٧.
(٢) المصدر، ص٣٥٢.

«وكان من فارقه ابناه حمزة وحبيب اخذا لأنفسهما امانا فقال عبد الله لابنه الزبير خذ لنفسك امانا كما فعل اخواك، فوالله اني احب بقاءَكم»[١].

وانا لنرى فرقاً شاسعا بين سلوك عبد الله بن الزبير واخوته واولاده وسلوك الامام الحسين عليه السلام واخوته واولاده يوم الطف، ولو انا لانرى انصافاً في تلك المقارنة لانه وكما يقال اين الثرى من الثريا، فهناك حوار بين الحسين عليه السلام وابنه علي بن الحسين عليه السلام ينقله بن الأثير في كتابه: (سار الحسين ليلا ساعة فخفق برأسه خفقة ثم انتبه وهو يقول: انا لله وانا اليه راجعون والحمد لله رب العالمين، فأقبل اليه ابنه علي بن الحسين عليه السلام فقال: يا ابت جعلت فداك مم حمدت واسترجعت، قال: يا بني خفقت (برأسي) خفقة فأتاني فارس على فرس، فقال: القوم يسيرون والمنايا تسير معهم، فعلمت ان انفسنا نعيت الينا، قال: يا ابت لا اراك الله سوءاً، ألسنا على الحق، قال: بلى والذي يرجع اليه العباد. قال: اذن لا نبالي ان نموت محقين. فقال له: جزاك الله من ولد خيراً ما جزى ولداً عن والده[٢].

او نجد ابا الفضل العباس يُعطى له ولأخوته الامان يوم المعركة وهو يوم العاشر من محرم ولكن يرفض ويقاتل حتى يستشهد[٣].

ونرى ان الحسين عليه السلام يجمع اصحابه كما ينقل ابن الاثير ويقول لهم: «.. هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من اهل بيتي فجزاكم الله جميعاً، ثم تفرقوا في البلاد في سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله، فان القوم يطلبونني ولو اصابوني لهوا عن طلب غيري» ونسمع الرد من اخوته وابنائه وابناء اخوته وأبناء عبد الله بن جعفر: «لِمَ نفعل هذا؟ لنبقى بعدك؟ لا ارانا الله ذلك ابداً» فقال الحسين عليه السلام: يا بني عقيل حسبكم من القتل بمسلم اذهبوا فقد اذنت لكم، قالوا وما نقول للناس؟ نقول تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا، خير الاعمام ولم نرم معهم بسهم ولم نطعن معهم برمح ولم نضرب بسيف ولاندري ما صنعوا، لا والله لانفعل ولكنا نفديك

(١) المصدر، ص٣٥٢.
(٢) المصدر، ص٥١.
(٣) المصدر، ص٥٦.

بأنفسنا واموالنا واهلينا ونقاتل معك حتى نرد موردك فقبح الله العيش بعدك[١].

وقام اليه اصحابه ومنهم مسلم بن عوسجة الاسدي فقال: نحن نتخلى عنك ولم نعذر الى الله في اداء حقك، اما والله لا افارقك حتى اكسر في صدورهم رمحي[٢].

وان ابرز ما سجل على الحركة الزبيرية من سلوك يتنافى واخلاق الرجل الرسالي صاحب الدين هو قيام مصعب بن الزبير بقتل أكثر من سبعة الاف انسان صبراً، بعد ان اعطاهم الامان وكانت مجزرة تحمل في واقعها كل معاني البعد عن الحق والانصاف والمروة.

وكان ذلك بعد قتل المختار بن أبي عبيدة الثقفي في الكوفة.

ولا نعرف تفسيراً لهذا السلوك في قتل سبعة الاف انسان صبراً سوى حالة الحقد والبغض والتي هي ليست من شيم المتدينين وعاداتهم وممارساتهم وليسوا أفراداً يُعدّون بالعشرات والمئات بل سبعة الاف انسان كل واحد منهم يشهد الشهادتين.

فهل كان هذا من سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد انتهاء حروبه ان يقتل الباقين واكثر من ذلك الذين يعطيهم الامان؟

اما مصعب بن الزبير فقد نسى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأهل مكة انتم الطلقاء.

الم يسمع تعليمات الاسلام في الحروب، لاتجهزوا على جريح ولا اسير.

ام لم يشهد مصعب بن الزبير واقعة الجمل واذا لم يشهدها ألم يسمع من اخيه (عبد الله) كيف فعل الامام علي بن أبي طالب عليه السلام حيث تركهم احرارا ولم يقبض عليهم فضلا عن الاعتقال والقتل، فلا يُعرف من اين جاء مصعب بن الزبير بهذا السلوك الشائن في أن يقتل سبعة الاف انسان قد آمنهم، وبعد ذلك يريد ان يشيد صرح قيادة اخيه عبد الله بن الزبير ويطلب من الناس ان تقول له (امير المؤمنين) وقد سجل التاريخ الحوار الذي جرى بين عبد الله بن عمر بن الخطاب ومصعب بن الزبير الى مكة فالتقاه عبد الله بن عمر ودار الحديث التالي: قيل (ان مصعباً لقي ابن عمر فسلم عليه وقال له:

---

(١) ابن الاثير، ج ٤، ص٥٧-٥٨.
(٢) نفس المصدر السابق.

انا ابن اختك مصعب، فقال ابن عمر: انت القاتل سبعة آلاف من اهل القبلة في غداة واحدة غير ما بدا لك. قال مصعب: انهم كانوا كفرة فجرة. فقال: والله لو قتلت عدتهم غنماً من تراث ابيك لكان ذلك سرفاً[١].

وظاهرة اخرى غريبة عن الخُلق الطبيعي فضلاً عن الخُلق الذي دعى اليه القرآن الكريم ورسول الله ﷺ وذلك اذ قطعت كف المختار ودقت بجانب باب مسجد الكوفة.

قيل وامر مصعب بكف المختار بن أبي عبيدة الثقفي فقطعت وسمرت بمسمار الى جانب المسجد فبقيت حتى قدم الحجاج فنظر اليها وسأل عنها فقيل: هذه كف المختار، فأمر بنزعها[٢].

ولا يُعرف تفسير لهذه الظاهرة الغريبة. فقد مارس الامويون طريقة قطع الرؤوس وحملها من بلد الى بلد، ولم تكن معروفة او عمل بها في عهد الخلفاء من قبل.

نعم مارس خالد بن الوليد في زمن الخليفة الاول أبي بكر مفردة كانت محل ادانة من قبل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب وهي عملية قطع رأس مالك بن نويره ووضعه تحت القدر.

«روى جماعة من اهل السيرة وذكره الطبري في تاريخه ان مالكاً نهى قومه عن الاجتماع على منع الصدقات وفرقهم وقال: يا بني يربوع انا كنا قد عصينا امراءَنا اذ دعونا الى هذا الدين وبطأنا الناس عنه فلم نفلح ولم ننجح واني قد نظرت في هذا الامر فوجدت الامر يتأتى لهؤلاء القوم بغير سياسة واذا كان امر لا يسوسه الناس فإياكم ومعاداة قوم يصنع لهم، فتفرقوا على ذلك الى اموالهم. ورجع مالك الى منزله، فلما قدم خالد البطاح بن السرايا وامرهم بداعية الاسلام وان يأتوه بكل من لم يجب امرهم وفي السرية ابو قتادة الحارث بن ربعي فكان ممن شهد انهم اذنوا واقاموا وصلوا فلما اختلفوا فيها بينهم امر بهم خالد فحُبسوا، وكانت ليلة باردة لايقوم لها شيء فأمر خالد مناديا ينادي ادفؤوا اسراكم فظنوا انهم أمروا بقتلهم لان هذه اللفظة تستعمل في لغة كنانة

---

(١) ابن الاثير، ج ٤، ص٢٧٨.
(٢) المصدر، ص٣٥٧.

للقتل فقتل ضرار بن الازور مالك وتزوج خالد زوجته ام تميم بنت المنهال»[١].

اما قطع الاكف وتعليقها على الجدران فهي ظاهرة جديدة اضيفت الى قائمة تنوع الانحراف عن الاسلام. ان هذه طريقة تمثيل في جسد القتيل وقد نهى عنها الاسلام بشكل واضح وصريح حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور»[٢].

وامير المؤمنين عليه السلام قد استدل بهذا الحديث الشريف واوصى اولاده عند استشهاده أن يتعاملوا مع عبد الرحمن بن ملجم بطريقة عادلة وهي انه عليه السلام ان عاش أبدى رأيه فيه، وان مات فضربة بضربة ولايمثل بالرجل. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله «اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور»[٣].

لكن مصعب بن الزبير مارس التمثيل بالمختار، ولا نعرف على اي نص ديني استند او اي حديث سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله او سيرة او اي قدوة اقتدى هو بها؟ اللهم الاّ سلوك هند بنت عتبة في شقها بطن حمزة بن عبد المطلب في احد واستخراج كبده الذي لعقته ولاكته ثم بعد ذلك علقته مع بقية ما جدعت من اعضائه على صدرها.

«روي ان وحشي بعد قتله حمزة عليه السلام شق صدره واخرج كبده وجاء به الى هند زوجة أبي سفيان فأخذته ووضعته في فمها فجعله الله كالحجر، فرمته من فمها وأبى الله ان يدخل جزءاً من جسمه الشريف في جوف كافرة، ولذا سميت بآكلة الاكباد ثم جاءت الى مصرع حمزة عليه السلام فقطعت اذنيه وبعض اعضائه فشدتهما في عنقها فتأست بها نساء قريش وذهبن الى مصارع المسلمين»[٤].

ان هذه المفردات التي صدرت من عبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير في مختلف مراحل ولايتهم، تدل ومن دون اي شك على ان الدافع في التحرك والثورة على الحكم الاموي ليست هي عملية تصحيح للمسار الديني وانما هي طموح السلطة لاغير. والا

---

(١) شرح بن أبي الحديد، ج٤، ص١٨٤.
(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج٢٩، ص١٢٨.
(٣) نهج البلاغة، خطب الإمام علي، ج٣، ص٧٨، الخطبة٤٧.
(٤) منتهى الآمال، ج١، ص١٣٥.

لكانت فترة ولايتهم تنم عن عملية التصحيح بالممكن. ولكن التاريخ ذكر لنا ما سطرناه.

وعلى الرغم من ان عبد الله بن الزبير ليس نكرة في وضع الامة في مكة والمدينة فهو ابن الزبير بن العوام وامه اسماء بنت ابي بكر وخالته عائشة زوجة رسول الله ﷺ وعلى ما ينقل هشام بن عروة عن اسماء قالت: «ان اهل المدينة كبروا فرحاً بولادته»[1].

وليس من اصحاب رسول الله ﷺ من يجهله ومع ذلك لم ينقل المؤرخون ان وجهاء اصحابه والذين يعتد برأيهم قد بايعوا عبد الله بن الزبير او وقفوا معه في تطلعاته.

وهذا بنفسه دليل على معرفتهم انه لا يملك منهاجا تصحيحياً لمسيرة آل امية بقدر ما له من طموحات سياسية خاصة فعبد الله بن عمر بن الخطاب كذلك توقف عن بيعة عبد الله بن الزبير.

بل واكثر من هذا عندما كانت زوجته (اخت المختار بن أبي عبيدة)[2] تطلب التعاون مع عبد الله بن الزبير والاعتراف به خليفة وامير المؤمنين ولكنه قال لها: ويحك اما رايت البغلات الشهب التي كان يحج معاوية عليها وتقدم الينا من الشام قالت: بلى، قال والله ما يريد ابن الزبير بعبادته غيرهن[3].

وهذا التعبير لايحتاج الى تعليق لمعرفة نظرة وتحليل عبد الله بن عمر تجاه طموح عبد الله بن الزبير حيث ينقل المؤرخون ان عبد الله بن الزبير ترك الصلاة على محمد وآل محمد في خطبه أربعين يوما، وكان يبرر حرمة ذكر النبي ﷺ في ان له اهل بيت يستفيدون من اسمه، وعليه فقد قطع الطريق عليهم بان توقف عن ذكر صاحب الرسالة. ونص عبارته هي: ان له اهل بيت سوء اذا ذكرته إشرأبت نفوسهم اليه وفرحوا بذلك فلا احب ان اقر أعينهم بذلك[4]. خاصة اذا عرفنا ان الحديث حول ذكر رسول الله ﷺ في الصلاة كنهج ايماني قائم بذاته، وهو ما سنتحدث عنه، ولكن محل الحديث الان هو هل ان ترك عبد الله بن الزبير الصلاة على النبي ﷺ في خطبه كان بدافع ديني أم سياسي؟

---

(١) شرح بن أبي الحديد، ج٤، ص٤٨٢.

(٢) وذلك عندما كان المختار مؤيداً لعبد الله بن الزبير.

(٣) شرح ابن ابي الحديد، ج٤، ص٤٩٦.

(٤) سفينة بحار الانوار، ص١٣٣.

لا اشكال انه كان بدافع سياسي ولو على حساب الحالة الدينية، لان الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي (دين) وذكرها يشكل ظاهرة واضحة في السلوك الديني كما أنها من ابرز معالم الانسان الملتزم، وذكر النبي بدافع ديني يشكل ابرز حافز ودافع لتحريض الامة على السلطة.

ولكننا نجد ان عبد الله بن الزبير عندما يحس ان البعض يستفيد بذكر رسول الله فيترك الصلاة عليه حتى لاتؤثر هذه الجماعة على وضعه السياسي.

ان هذه الممارسة تكشف ومن دون اشكال ان الدوافع السياسية واستلام السلطة هي وحدها كانت المحرك لعبد الله بن الزبير في الثورة. وتركه الصلاة على النبي كان من ابرز الادلة على ذلك. والاّ فهل من المعقول ان صاحب الرسالة يحذف اسمه من الحديث بحجة ان له اهل بيت يفتخرون به؟

نعم، انهم يفتخرون به ولهم كل الحق بذلك بل ولكل مسلم ان يفتخر بان ينتسب لصاحب الرسالة العظيمة لشخصية ولقربه من الله سبحانه.

بل ان السؤال المطروح هو لِمَ يخاف عبد الله بن الزبير من التقرب الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن اهل بيته. وهل وجد أنّ حجتهم افضل من حجته في الخلافة؟

ام انهم ينافسونه في الموقع وان الامة اليهم اميل، لذلك حاول ان يضع العراقيل في طريقهم.

الواضح انه ليس هناك تفسير لعدم ذكر عبد الله بن الزبير صاحب الرسالة في خطبه الا أنه تعبير عن منهجية سياسية، وليس مهماً عنده ان يتجاوز مفردات دينية لكسب جولة سياسية.

كما ان المؤمن لا يحقد، وهناك قول ينقله المؤرخون عن عبد الله بن الزبير في حوار جرى بينه وبين عبد الله بن العباس بن عبد المطلب والذين كانوا يُعرفون في ذلك الوقت بأهل بيت الرسول ولهم وضعهم الخاص بهم والمشخص. قال عبد الله بن الزبير:

«اني لأكتم بغضي لأهل البيت منذ اربعين عاماً»[1].

---

(١) شرح بن أبي الحديد، ج ٤، ص ٤٩٥.

وان هذا الحوار (وهو من سلوك عبد الله بن الزبير مع بني هاشم الذي نعرضه فيما بعد) وهو غير مستبعد. ففيه عدة اشكالات تنافي الخلق الاسلامي:

اولاً: ان المؤمن لايعرف الحقد والضغينة:

﴿وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾[١].

بل ان سلوك المؤمن قائم على الدعوة للخير لأخيه المؤمن:

﴿ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾[٢].

المؤمن قلبه مليء بالحب، والود، والائتلاف ولايمكن ان يخالطه لون أسود يلوث نصاعة بياضه ويلوث عليه نضارته.

الحب في المدرسة الاسلامية ظاهرة وحالة متأصّلة، فلا تجد جانباً من جوانب الشريعة الاّ وللحب فيه معلم ظاهر، بما في ذلك صلاة الاسلام، فعلى الرغم من أنها تكليف الاّ انها كلمات حب بين العبد وربه يتحدث الانسان مع الله بكل تودد وعشق.

كما ان العلاقات بين افراد المجتمع الاسلامي نابعة من الايمان الذي يدعو للحب: «المؤمن اخو المؤمن عينه ودليله»[٣] ويرتاح المؤمن الى اخيه المؤمن ارتياح الطفل في حضن امه.

ومن اجل ان يعزز الاسلام عرى الحب دعا الى ممارسات ومفردات سلوكية (الهية) فقال: «تهادوا تحابوا» كما انه دعى الى ازالة اسباب التنكر، والاشواك المنغصة للاخوة، امثال (سوء الظن) الذي اعتبره إثماً محرّماً.

﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[٤].

بل وصف بالإثم كل ما يسيء الى سمعة المؤمن وما يكره القول فيه من حديث وممارسة كالغيبة والتهمة والتناجي.

---

(١) الحشر، ١٠.
(٢) الحشر، ١٠.
(٣) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص١٦٦.
(٤) الحجرات، ١٢.

ودعا الاسلام الى سحب فتيل البغضاء عندما دعا الى العفو والتجاوز عن الاخطاء والهفوات وعدم تعقيب الاخطاء.

وقد مارس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سلوكا عظيماً عندما خُيِّر بين الاقتصاص من قتلة عمه حمزة سيد الشداء او الصبر، واحتساب ذلك عندالله سبحانه فاختار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصبر.

«روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ولئن اظهرني الله على قريش لأمثلن بثلاثين من رجالهم، وفي رواية بسبعين من خيارهم، وقال المسلمون لما سمعوا ذلك لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها احد من العرب. فأنزل الله سبحانه على النبي بهذه المناسبة الآية: ﴿**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ**﴾[١].

فعفا رسول الله وصبر ونهى عن المثلة[٢].

بل ان العفو المطلوب من الانسان هو العفو عند القدرة في انزال عقوبة اخذ الحق.

«روي ان الرسول وجه حديثه الى المكيين وسألهم ماذا ترون اني فاعل بكم وما تظنون؟

قالوا: اخ كريم، وابن اخ كريم، وقد قدرت واصبح امرنا بيدك، قال: اني اقول لكم، ما قاله أخي يوسف لاخوته لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين. اذهبوا فأنتم الطلقاء، واطمأن المكيون على مصيرهم بعد هذا الاعلان العام وبعد ان اصبحوا في قبضته وتحت قدميه وحياتهم جميعاً رهن بكلمة واحدة يوجهها لتلك الالوف المدججة بالسلاح القادرة على ابادتهم جميعاً في لحظات معدودة، ولكنه بُعِث رحمة للعالمين، فعفا عنهم جميعاً وضرب بذلك للعالم كله وللاجيال في كل عصر وزمان مثلاً في الرحمة والعفو والترفع عن الحقد والانتقام»[٣].

فعندما يقرأ الانسان مدرسة الحب في الاسلام يقف كثيراً وفي اندهاش غريب

---

(١) النحل، ١٢٦.

(٢) سيرة المصطفى، ص٤٢٧.

(٣) سيرة المصطفى، ص٦٠٤.

قبالة قول عبد الله بن الزبير: اني لأكتم بغضكم اربعين عاماً.

البغض بذاته تجاه المؤمنين عليه الف علامة استفهام؟

ومكتوم ٤٠ عاماً، حالة من الصعب تصورها؟

عبد الله بن الزبير العائذ ببيت الله الحرام هذا البيت الآمن، والذي يمنع فيه الانسان المحرم من التعرض لكل صاحب حركة من نبات وحيوان وانسان.

والانسان المحرم يلتزم بكل دقائق هذه الاجراءات واشد منها بدافع ايماني وحب لله ولتشريعات الله تعالى. وهذا البيت الآمن الذي هو نقطة انطلاقة الحب والايمان والخير.

كيف احتضن قلبك- يا عبد الله بن الزبير- البغض ٤٠ عاماً واجواء الحب تحيط بك من كل جانب بل كل التضاريس الجغرافية والعبادية هي شعار حب وايمان، كيف تطوف بالكعبة وفي اقسى الظروف وانت تحمل بين اضلاعك بغضاً؟

ام ان البيت الحرام والحجر الاسود ومقام ابراهيم وحجر اسماعيل وسهر الليل بالعبادة وماء زمزم عجزوا عن غسل البغض الذي في قلبك؟

فأي قلب هذا (الذي تحمله) لايستجيب لكل هذه الدعوات الالهية والنداءات الربانية؟

اما ذكرتك كلمات الاستغفار من الله وطلب العفو منه سبحانه ان تتعلم من الله درس العفو وتنزع ما في قلبك من (غل)؟

ان علاقة قليلة بالبغض امر غريب وحالة لايمكن الا أن يقال فيها ان الايمان فشل في تأدية دوره مع قلبك.

ومن ثم تعال لنعرف الوضع الذي فيه عبد الله بن الزبير عندما قال كلمته هذه.

«بلغ ابن الزبير ان الامام الحسين عليه السلام يريد الخروج الى الكوفة فأتاه فقال: ابا عبد الله ما عندك؟ فوالله لقد خفت الله في ترك جهاد هؤلاء القوم على ظلمهم واستذلالهم للصالحين من عبادالله، فقال الحسين عليه السلام: قد عزمت على اتيان الكوفة، فقال: وفقك

الله اما لو ان لي بها مثل انصارك ما عدلت عنها، ثم خاف ان يتهمه فقال ولو اقمت بمكانك فدعوتنا واهل الحجاز الى بيعتك اجبناك وكنا اليك سراعاً وكنت احق بذلك من يزيد بن معاوية»[1].

فهل كانت كلماتك صادقة مع الحسين عليه السلام ام كانت مجاملة سياسية؟

فإن كنت صادقاً، فلم لم تبق على صدقك تجاه اهل بيت الامام الحسين عليه السلام؟ حيث ان آله وصحبه ازدادوا محنة والما بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام وها هي مشاركتك في الحزن والمواساة بعد ان أَبَّنْتَ الامام الحسين عليه السلام وامتدحته على رؤوس الاشهاد؟

فاذا كانت الكلمات مجاملة سياسية فلم فقدتها وانت (امير المؤمنين)؟

بدل ان تعمقها في شخصيتك وانت احوج اليها حيث الموقع بحاجة الى الدبلوماسية.

ام عندما كنت في المعارضة كانت افكارك شيء، ومفردات رعيتك شيء، وعندما استقرت لك الأمور اصبحت شيئا آخر وسلوكاً آخر؟

وبعد كل هذا لم الافصاح عما تعيشه في داخلك من نظرات وافكار تجاه الآخرين، وهل للأنسان ان يقول كل ما يعلم. وما يعيش من مفاهيم ان يلقيها على الناس.

نعم، الاّ اللهم ان البغض (لآل البيت) وصل الى حالة لايمكن السكوت عنها فخرجت من دون ارادة وكما قالها: ٤٠ عاماً من الصعب ان تبقى محجوزة في قلبه هذه المدة الطويلة.

قالها لعبد الله بن العباس، عندما استتب له الامر واصبح (امير المؤمنين) فهو خليفة المسلمين ويصرح ان في قلبه حقداً على رعيته وشيعته والمفروض من (امير المؤمنين) ان يكون رحيماً برعيته رؤوفاً بهم محباً لهم.

الم تشهد او تسمع يا عبد الله بن الزبير بمعاملة رسول الله صلى الله عليه وآله لاهل مكة حينما

---

(١) مروج الذهب، ج ٣، ص٥٥-٥٦.

فتحها حيث لم يتعرض لاحد منهم بسوء بل قال لهم: انتم الطلقاء؟

الم تشهد او تسمع يا عبد الله بن الزبير بسلوك رسول الله ﷺ مع وحشي- ذلك العبد الذي مَثَّل في جسد عمه حمزة بن عبد المطلب، بأمر من هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان.

عندما جاء ليسلم. قال له:

«غَيِّب وجهك عني فاني لاأحب ان أرى قاتل عمي»[١].

إنه لايقدر ان يرى قاتل عمه حمزة بن عبد المطلب يمشي في المدينة، ولذلك قال له غيب وجهك عني ولم يقل له اي شيء آخر ما يسجل ان في قلبه شيء منه.

ومن ثم يا عبد الله بن الزبير انت تتحدث بالبغض لمن؟ لآل هاشم وآل عبد المطلب.

اليس هؤلاء اخوال ابيك وعصبة الاسلام الاولى.

انهم عائلة حمزة سيد الشهداء.

انهم اهل جعفر الطيار.

انهم اولاد علي امير المؤمنين عليه السلام.

انهم آل أبي طالب.

واحفاد فاطمة الزهراء عليها السلام.

هؤلاء اهل البيت، ألم يأمركم الله في كتابه بمودتهم؟

﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[٢].

فهل اجر رسول الله ﷺ البغض لآله. ومنك انت يا عبد الله بن الزبير.

وهل هذا كان جزاء عفو امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عنك يوم الجمل.

---

(١) سيرة المصطفى، ص٦٠٠.

(٢) الشورى، ٢٣.

«روي أن الامام علي عليه السلام كان احلم الناس عن مذنب واصفحهم عن مسيء وقد ظهرت صحة القول يوم الجمل حيث ظفر بمروان بن الحكم وكان اشد الناس عداوة له، واشدهم بغضاً فصفح عنه، كذلك صفح عن عبد الله بن الزبير يوم الجمل فأخذه اسيراً فصفح عنه وقال: اذهب فلا ارينك. ولم يزده على ذلك»[١].

الست انت يا عبد الله بن الزبير القائل للامام الحسين عليه السلام عندما اراد الخروج من مكة ان: ابق بمكة ونحن معك انت اميرنا.

وحتى اندفاع عبد الله بن الزبير في معركة الجمل لم يكن دفاعاً عن عثمان بن عفان، لأنه - حسب مراكز القوة السياسية في ذلك الوقت - لم يكن عبد الله بن الزبير مصنفاً في كتلة بني امية لا هو ولا أبوه الزبير بن العوام وحتى خالته عائشة بنت أبي بكر لم تكن في صف بني امية أو مؤيدة لسياسة عثمان بن عفان وانما استغل عبد الله بن الزبير الموقف ليحقق طموحه السياسي اولاً وبغضا للامام علي عليه السلام فنجد عبد الله بن الزبير عند وصول خبر مقتل اخيه مصعب بن الزبير يذكر عثمان بلفظ امامه.

روى الزبير بن بكار قال: خطب عبد الله بن الزبير بعد ان جاءَه خبر مقتل مصعب فحمد الله واثنى عليه، ثم قال: لئن اصبتُ بمصعب فلقد اصبتُ بإمامي عثمان، فعظمت مصيبته، ثم احسن الله واجمل، ولئن اصبت بمصعب فلقد اصبت بأبي الزبير فعظمت مصيبته، فظننت اني لا اجتبرها، ثم احسن الله وسلم، واستمرت مريرتي، وهل كان مصعب الاّ فتى من فتياني). ثم غلب عليه البكاء[٢].

ولكن معاوية بن أبي سفيان في حواره مع عبد الله بن الزبير فسر له اندفاعه في معركة الجمل وأنه ليس دفاعا عن عثمان بن عفان وانما بغضا لعلي بن أبي طالب.

روي ان معاوية قدم المدينة من حجه فكثر الناس عليه في حوائجهم فقال لصاحب ابله: قدم إبلك ليلاً حتى ارتحل، ففعل ذلك وسار ولم يعلم بأمره إلاّ عبد الله بن الزبير فانه ركب فرسه وقفا اثره ومعاوية نائم في هودجه، فجعل يسير الى جانبه فانتبه معاوية وقد سمع وقع حافر الفرس فقال: مَنْ صاحب الفرس. قال: انا ابو خبيب، لو قد قتلتك

(١) شرح بن ابي الحديد، ج١، ص٧.
(٢) المصدر، ج٢٠، ص١٣٨.

منذ الليلة، يمازحه. فقال معاوية: كلا لستَ من قتلة الملوك، انما يصيد كل طائر قدره. فقال ابن الزبير: إليَّ تقول هذا وقد وقفت في الصف بازاء علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو من تعلم. فقال معاوية: لا جرم، انه قتلك واباك بيسرى يديه وبقيت يده اليمنى فارغة يطلب من يقتله بها. فقال إبن الزبير: أما والله ما كان ذاك إلا في نصر عثمان، فلم نجز به. فقال معاوية: خلّ هذا عنك فوالله لو لا شدة بغضك ابن أبي طالب لجررت برجل عثمان مع الضبع»[1].

وهذه الحركة تضاف الى سجل عبد الله بن الزبير ومفردات عمله. إنها دوافع سياسية وتلبية لطموح شخصي كان يعيشه لا غير.

---

(١) المصدر، ج٢٠، ص١٢٦.

الامام زين العابدين عليه السلام
وحركة عبد الله بن الزبير

بعد هلاك يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وانسحاب الجيش الاموي من المعركة ورجوعه الى الشام منهزما خلا لعبد الله بن الزبير الجو حيث مد سلطته على المدينة المنورة واصبحت تحت سيطرته.

وعرفنا ان سلوك آل الزبير عموماً لم يكن خاضعاً لضوابط معينة وانما الدوافع السياسية هي التي تحركه.

كما عرفنا حالة البغض التي يكنها آل الزبير الى آل هاشم وبالذات آل أبي طالب حتى غدت مدرسة واضحة العداء للعلويين يتوارثون البغض والموقف السلبي ضدهم.

فضلاً عن عبد الله بن الزبير الذي كان يلعن امير المؤمنين عليه السلام على المنبر فان احفاده تعلموا هذه الطريقة وبالذات نرى ان حفيد عبد الله بن الزبير يمارس نفس الدور في سب امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولكن أباه ينصحه بان السب لايزيد علي ابن أبي طالب الاّ رفعةً وشموخاً وقدسية.

«روي عن صالح بن كيسان قال: سمع عامر بن عبد الله بن الزبير وكان من عقلاء قريش ابناً له ينتقص علي ابن أبي طالب عليه السلام فقال: يا بني لاتنتقص علياً فإن الدين لم يبنِ شيئاً فاستطاعت الدنيا ان تهدمه وان الدنيا لم تبنِ شيئا الاّ هدمه الدين، يا بني ان بني امية لهجوا بسب علي بن أبي طالب في مجالسهم ولعنوه على منابرهم، فكأنما يأخذون والله بضبعيه الى السماء مداً، وانهم لهجوا بتقريظ ذويهم واوائلهم من قومهم فكأنما يكشفون

منهم انتن ما في بطون الجيف، فأنهاك عن سبه»[١].

ونجد في خلافة هارون الرشيد يتصدى زبيري في النفاق على علوي من اجل الايقاع به في التهلكة ولكن الله بالمرصاد حيث ينجي العلوي ويهلك الزبيري:

«روى ابوالفرج علي بن الحسين الاصبهاني في كتاب مقاتل الطالبيين ان يحيى بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام لما أمنه الرشيد بعد خروجه بالديلم وصار اليه، بالغ في اكرامه وبره فسعى به بعد مدة عبد الله بن مصعب الزبيري الى الرشيد وكان يبغضه وقال له انه قد عاد يدعو الى نفسه سراً، وحسن له نقض أمانه فأحضره وجمع بينه وبين عبد الله بن مصعب ليناظره فيما قذفه به ورفعه عليه، فجابهه ابن مصعب بحضرة الرشيد وادعى عليه الحركة في الخروج وشق العصا، فقال يحيى: يا امير المؤمنين اتصدق هذا علي وتستنصحه وهو ابن عبد الله بن الزبير الذي ادخل اباك عبد الله وولده الشعب واضرم عليهم النار حتى خلصه ابو عبد الله الجدلي صاحب علي بن أبي طالب عليه السلام منه عنوة وهو الذي ترك الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله اربعين جمعة في خطبه، فلما التاث عليه الناس قال: ان له أهيل سوء اذا صليت عليه او ذكرته اتلعوا اعناقهم واشرأبوا لذكره، فاكره ان اسرهم او اقر أعينهم، وهو الذي كان يشتم اباك ويلصق به العيوب حتى اورم كبده، ولقد ذبحت بقرة يوماً لابيك فوجد كبدها سوداء قد تفتت.

فقال علي ابنه: اما ترى كبد هذه البقرة يا أبت؟ فقال: يا بني هكذا ترك ابن الزبير كبد ابيك، ثم نفاه الى الطائف فلما حضرته الوفاة قال لابنه علي: يا بني اذا متُ فألحق بقومك من بني عبد مناف بالشام ولا تقم في بلد لابن الزبير فيه امره، فاختار له صحبة يزيد بن معاوية على صحبة عبد الله بن الزبير. ووالله ان عداوة هذا يا امير المؤمنين لنا جميعاً بمنزلة سواء ولكنه قوي علي بك وضعف عنك فتقرب بي اليك ليظفر منك بما يريد اذ لم يقدر على مثله منك، وما ينبغي لك ان تسوغه على ذلك فيَّ فان معاوية بن أبي سفيان - وهو ابعد نسباً منك الينا - ذكر الحسن بن علي عليه السلام يوما فسبّه فساعده عبد الله بن الزبير على ذلك فزجره وانتهره. فقال: انما ساعدتك يا امير المؤمنين. فقال: ان الحسن لحمي آكله ولا اوكله، ومع هذا فهو الخارج مع اخي محمد على ابيك المنصور أبي جعفر

(١) سفينة بحار الانوار، ج٢، ص١٣٣.

والقائل لأخي في قصيدة طويله اولها:

ان الحمامة يوم الشعب من وثن ... هاجت فـؤاد محب دائـم الحزن

يحرض اخي فيها على الوثوب والنهوض الى الخلافة ويمدحه ويقول له:

لا عـزّ ركنـاً نـزار عند سطوتها ... ان اسلمتك ولا ركنا ذوي يمن

الست اكرمهم عـودا اذا انتسبوا ... يوماً واطهرهم ثوباً من الـدرن

واعظم الناس عند الناس منزلة ... وابعد الناس من عيب ومن وهن

قوموا ببيعتكم ننهض بطاعتها ... ان الخلافة فيكم يـا بني حسن

انـا لـنـأمـل ان تـرتـدّ ألفتنا ... بعد التدابر والبغضاء والإحـن

حتى يثاب على الاحسان محسننا ... ويأمن الخائف المأخوذ بالدمن

وتنقضي دولـةٌ أحـكـام قادتها ... فينا كأحكام قـوم عـابـدي وثن

فطالما قد بـروا بالجور اعظمنا ... بـري الصناع قـداح النبع بالسفن

فتغير وجه الرشيد عند سماعه هذا الشعر وتغيض على ابن مصعب، فابتدأ ابن مصعب يحلف بالله الذي لا اله الا هو وبأيمان البيعة ان هذا الشعر ليس له، وانه لسُديف. فقال يحيى: والله يا امير المؤمنين ما قاله غيره وما حلفت كاذباً ولا صادقاً بالله قبل هذا، وان الله عزّ وجل اذا مجّده العبد في يمينه فقال والله الطالب الغالب الرحمن الرحيم استحيا ان يعاقبه، فدعني ان احلفه بيمين ما حلف بها احد قط كاذباً الا عوجل، قال: فحلفه. قال: قل برئت من حول الله وقوته واعتصمت بحولي وقوتي وتقلدت الحول والقوة من دون الله استكباراً على الله واستعلاءً عليه واستغناءً عنه ان كنت قلت هذا الشعر. فامتنع عبد الله من الحلف بذلك، فغضب الرشيد، وقال للفضل بن الربيع: يا عباسي ما له لا يحلف ان كان صادقاً؟ هذا طيلساني علي وهذه ثيابي ولو حلّفني بهذه اليمين أنها لي لحلفت. فوكز الفضل عبد الله برجله وكان له فيه هوى وقال له: احلف ويحك. فجعل يحلف بهذا اليمين ووجهه متغير وهو يرعد، فضرب يحيى بين كتفيه وقال: يا ابن مصعب قطعت عمرك لاتفلح بعدها ابدا. قالوا فما برح من موضعه حتى عرض له الجذام واستدارت عيناه وتفقأ وجهه وقام الى بيته فتقطع وتشقق لحمه وانتثر شعره ومات بعد ثلاثة ايام. وحضر الفضل بن الربيع جنازته فلما جعل في القبر انخسف اللحد به حتى خرجت منه غبرة شديدة فجعل الفضل يقول: التراب التراب. فطرح التراب وهو يهوي فلم يستطيعوا سده حتى سقف بخشب وطم عليه فكان الرشيد يقول بعد

ذلك للفضل أرايت يا عباسي ما اسرع ما اديل ليحيى من ابن مصعب[1].

وواقعة ثالثة حيث ينافق زبيري على علوي وينجي الله العلوي ويهلك الزبيري فهذه المواقف العامة لآل الزبير من العلويين لذلك فأن الامام زين العابدين عليه السلام كان يعيش ظروفا صعبة ويتوجس منهم خيفة حقيقية.

لذلك لم يبدِ اي تحرك سياسي وانما سار على طريقته السابقة مع الامويين في اتخاذ سلوك بناء المدرسة الثقافية والتربوية على اسس اهل البيت.

فلم يسجل التاريخ اي حالة من التصدي السياسي للامام علي بن الحسين عليه السلام وانما الذي عرف هو فقط في توجهه الروحي والثقافي والاجتماعي.

ورغم الخط الساخن الذي كان بين عبد الله بن الزبير ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن العباس، ولكنه مع ذلك فان المؤرخين ينقلون حديثا للامام زين العابدين عليه السلام مارسه وهو التعوذ بالله من شر آل الزبير وكان قلقاً من حالتهم الجائرة. وقد رآه النبي الخضر في تلك الحالة الصعبة فدار بينهما حوار واسى الخضر عليه السلام الامام زين العابدين عليه السلام والقصة:

«روى ابو حمزة الثمالي، ومنذر الثوري، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: خرجت حتى انتهيت الى هذا الحائط فاتكيت عليه، فاذا رجل عليه ثوبان ابيضان ينظر في تجاه وجهي ثم قال: يا علي بن الحسين مالي اراك كئيباً حزينا؟ اعلى الدنيا حزنك؟ فرزق الله حاضر للبَرِّ والفاجر، قلت: ما على هذا حزني وانه لَكَما تقول. قال: فعلى الآخرة؟ فهو وعد صادق يحكم فيه ملك قاهر فعلامَ حزنك؟ قال، قلت: أتخوف من فتنة ابن الزبير، قال: فضحك، ثم قال: يا علي بن الحسين هل رأيت احدا توكل على الله فلم يكفه؟ قلت: لا. قال: يا علي بن الحسين هل رايت احداً خاف الله فلم ينجه؟ قلت: لا. فقال: يا علي بن الحسين هل رأيت أحداً سأل الله فلم يعطه؟ قلت: لا، ثم نظرت فاذا ليس قدامي احد وكان الخضر عليه السلام[2].

وهناك واقعة أخرى يذهب البعض اليها وهي احتضانه لآل امية مرة ثانية بعد

---

(١) شرح ابن أبي الحديد، ج١٩، ص٩١-٩٣.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٣٧.

هزيمة آل امية بسبب موت يزيد بن معاوية حتى نقل المؤرخون تقديم العلف لدواب الجيش العائد من مكة وبالذات الى قائدهم (الضحاك).

«روي ان الحصين اقبل بأصحابه ومن معه نحو المدينة فاستقبله علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ومعه قت وشعير وهو على راحلة له فسلم على الحصين فلم يكد يلتفت اليه ومع الحصين فرس له عتيق وقد فنى قته وشعيره فهو غرض وهو يسب غلامه ويقول من اين نجد هنا لدابتنا علفاً؟ فقال له علي بن الحسين عليه السلام هذا علف عندنا فاعلف منه دابتك»[١].

وهناك رأي يقول ان آل امية كانوا في المدينة وعلموا بنبأ هلاك يزيد بن معاوية ورجوع الجيش من مكة من دون ان يحقق اي شيء فطلبوا من الحصين ان يحملهم معه لئلا يفتك بهم اهل المدينة او السلطة الزبيرية.

«روي انه عندما اجترأ اهل المدينة واهل الحجاز على اهل الشام فذلوا حتى كان لاينفرد منهم رجل الاّ اخذ بلجام دابته ثم نكس عنها فكانوا يجتمعون في معسكرهم فلا يفترقون وقالت لهم بنو امية لاتبرحوا حتى تحملونا معكم الى الشام ففعلوا ومضى ذلك الجيش، حتى دخل الشام»[٢].

وموقف الامام زين العابدين عليه السلام كان فيه دلالات واضحة تعبر عن حالة عدم التأييد لعبد الله بن الزبير فلم يذكر المؤرخون بيعة من الامام عليه السلام لعبد الله بن الزبير.

بل ينقلون خوف الامام على أهل البيت من السلطة الزبيرية وهذا تعبير ودلالة على الموقف السلبي للامام من حركة ابن الزبير ككل.

وعملية الرفض كان يمارسها بما تسمح به الظروف او بما يليق بمكانته الاجتماعية.

فالرمز عندما لايبايع ويشعر بالخوف فانه دلالة واضحة على عدم الرضا.

وهذا السلوك يصدر من الامام زين العابدين عليه السلام بما فيه دلالة لا تقبل الجدل على موقف الامام السلبي من عبد الله بن الزبير وامارته الجديدة.

---

(١) المصدر، ص٣٨٦.

(٢) المصدر.

عبد الله بن الزبير وبنو هاشم

بعد معركة الجمل وخروج الامام علي عليه السلام منتصرا من الحرب عفا الامام علي عن عبد الله بن الزبير ولم يعقبه او يضيق عليه وبعد استشهاد امير المؤمنين عليه السلام وصلح الامام الحسن عليه السلام ورجوع بني هاشم من الكوفة الى المدينة المنورة عاش الكل في اجواء واحدة تحت ظروف سياسية يديرها معاوية بن أبي سفيان وعرف الكل انهم معارضون لبني امية.

وبعد هلاك معاوية وطلب والي المدينة البيعة ليزيد من الامام الحسين عليه السلام وعبد الله بن الزبير في اجواء خاصة لسنا بصددها خرج الامام الحسين عليه السلام وعبد الله بن الزبير الى مكة.

وفي مكة كان عبد الله بن الزبير يتردد على مجلس الامام الحسين عليه السلام. «فاقبل الامام الحسين عليه السلام حتى نزل مكة واهلها مختلفون اليه ويأتونه ومن بها من المعتمرين واهل الآفاق وابن الزبير بها قد لزم جانب الكعبة فهو قائم يصلي عندها عامة النهار ويطوف ويأتي الحسين فيمن يأتيه ولايزال يشير عليه بالرأي، وهو أثقل خلق الله على ابن الزبير، لان اهل الحجاز لايبايعونه مادام الحسين عليه السلام باقيا بالبلد»[1].

وعندما اراد الامام الحسين عليه السلام الخروج الى الكوفة طلب عبد الله بن الزبير من الامام الحسين عليه السلام عدم الخروج وانه مع الامام الحسين ويعمل برأيه.

«قال عبد الله بن الزبير: اما انك لو اقمت بالحجاز ثم أردت هذا الامر ههنا لما خالفنا عليك وساعدناك وبايعناك ونصرناك»[2].

---

(١) الكامل في التاريخ، ابن الاثير، ج٤، ص٢٠.
(٢) المصدر، ص٣٨.

وطبعاً هذه كلمات كانت دبلوماسية سياسية واضحة، لان الذي في قلب عبد الله بن الزبير مخالف لما قاله للامام الحسين عليه السلام كما عبر عن ذلك الامام الحسين علي السلام بقوله: «ان هذا ويقصد ابن الزبير ليس شيء من الدنيا احب اليه من أن اخرج من الحجاز، وقد علم ان الناس لايعدلونه بي فود أني خرجت حتى يخلو له»(١).

وكما قال عبد الله بن عمر لعبد الله بن الزبير مصوراً حاله:

«مر عبد الله بن عمر على عبد الله بن الزبير وهو مصلوب، فقال: يرحمك الله، ابا خُبيب لو لا ثلاث كن فيك لقلت أنت أنت: الحادك في الحرم ومسارعتك الى الفتنة وبخل بكفك»(٢).

وكما دلت الاحداث فيما بعد على ذلك حيث اظهر عبد الله بن الزبير موقفه الواقعي تجاه اهل البيت عليهم السلام وذلك:

١- انه رفع الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله من خطبه بحجة استفادة اهل البيت من ذكر صاحب الرسالة كما بينا.

٢- قوله الصريح الواضح انه كتم بغض اهل البيت ٤٠ عاما في حواره مع ابن عباس كما مر.

٣- تعرضه للنيل من الامام امير المؤمنين علي بن ابيطالب عليه السلام بالخصوص في المسجد الحرام ووقف محمد بن الحنفية يرد على عبد الله بن الزبير.

قال محمد بن الحنفية: يا معشر قريش، شاهت الوجوه، أينتقص علي وانتم حضور؟ إن علياً كان سهماً صادقاً احد مرامي الله على اعدائه يقتلهم لكفرهم ويهوعهم مأكلهم، فثقل عليهم فرموه بصرفة الاباطيل وانا معشر له على نهج، من امره بنو الحسبة من الانصار، فان تكن لنا الايام دولة ننثر عظامهم ونحسر عن اجسادهم والابدان يومئذ بالية. ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ**﴾(٣).

---

(١) المصدر.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ص ٢٦٧.

(٣) الشعراء، ٢٢٧- عن: جمهرة العرب، لاحمد زكي صفوت، ج٢، ص٩٠.

٤ - تعرضه الى بني هاشم والنيل منهم على رؤوس الاشهاد وفي المسجد الحرام مما دفع عبد الله بن العباس الى التصدي له والرد عليه وتبيان فضل بني هاشم:

«روي ان عبد الله بن العباس خرج مغضباً ومعه ابنه حتى اتى المسجد فقصد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله ﷺ ثم قال: ايها الناس ان ابن الزبير يزعم أن لا أول لرسول الله ﷺ ولا آخر، فيا عجباً كل العجب لافترائه ولكذبه، والله ان اول من اخذ الايلاف، وحمى عيرات قريش لهاشم، وان اول من سقى بمكة عذباً وجعل باب الكعبة ذهباً لَعبد المطلب، والله لقد نشأت ناشئتنا مع ناشئة قريش وانا كنا لقالتهم اذا قالوا، وخطبائهم اذا خطبوا، وماعد مجد كمجد اولنا، ولا كان في قريش مجد لغيرنا، لأنها في كفر ماحق ودين فاسق وضلة ضلالة، في عشواء عمياء حتى اختار الله تعالى لها نوراً وبعث لها سراجاً، فانتجبه طيباً من طيبين، لايسبه بمسبة ولايبغي عليه غائلة، فكان احدنا وولدنا وعمنا وابن عمنا، ثم إنه اسبق السابقين اليه منا وابن عمنا، ثم تلاه في السبق اهلنا ولحمتنا ورحمنا، واعجباً كل العجب لابن الزبير يعيب بني هاشم وانما شُرِّف وابوه وجده بمصاهرتهم، اما والله انه لمسلوب قريش، ومتى كان العوام بن خويلد يطمع في صفية بنت عبد المطلب؟ قيل للبغل: من ابوك يا بغل؟ فقال: خالي الفرس، ثم نزل»[١].

٥ - تعرضه بالاهانة والنيل من عبد الله بن العباس ووصمه بالعمى نكاية به مما دفع عبد الله بن العباس للرد عليه في نفس المكان والموقع قائلا:

«يا ابن الزبير اما العمى فان الله تعالى يقول: ﴿**فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾[٢].

واما فتياي في القمّلة والنملة فان فيها حكمين لاتعلمها انت ولا اصحابك، واما حملي المال فانه كان مالاً جبيناه فأعطينا كل ذي حق حقه وبقيت بقية هي دون حقنا في كتاب الله فأخذناها بحقنا، واما المتعة فسل امك أسماء اذا نزلت عن بردي عوسجة، واما قتالنا ام المؤمنين فبنا سميت ام المؤمنين لا بك ولا بأبيك»[٣].

---

(١) شرح بن أبي الحديد، ج٢٠، ص١٢٨.
(٢) الحج، ٤٦.
(٣) شرح بن أبي الحديد، ج٢٠، ص١٣٠.

٦- كان التحرش مستمراً ببني هاشم والتنكيل بهم والدخول معهم في حوارات لانهم يعتقدون في انفسهم أنهم اهلٌ للخلافة وانهم احق بها منه:

«وروى عثمان بن طلحة العبدري قال شهدت مع ابن عباس رحمه الله مشهداً ما سمعته من رجل من قريش، كان يوضع الى جانب سرير مروان بن الحكم وهو يومئذ امير المدينة سرير آخر اصغر من سريره فيجلس عليه عبد الله بن عباس اذا دخل وتوضع الوسائد فيما سوى ذلك، فأذن مروان يوما للناس واذا سرير آخر قد احدث تجاه مروان فأقبل بن عباس فجلس على سريره وجاء عبد الله بن الزبير فجلس على السرير المحدث وسكت مروان والقوم فاذا يد ابن الزبير تتحرك، فعلم انه يريد ان ينطق ثم نطق فقال: ان اناساً يزعمون ان بيعة ابي بكر كانت غلطاً وفلتة، الا ان شأن أبي بكر اعظم من ان يقال فيه هذا، ويزعمون انه لو لا ما وقع لكان الامر لهم، والله ما كان من اصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم أحدٌ اثبت ايماناً ولا اعظم سابقة من أبي بكر فمن قال غير ذلك فعليه لعنة الله، فأين هم حين عقد ابوبكر لعمر فلم يكن الاّ ما قال ثم القى عمر حظهم في حظوظ، وجدهم في جدود، فقسمت تلك الحظوظ فأخر الله سهمهم وادحض جدهم وولي الامر عليهم من كان احق به منهم فخرجوا عليه خروج اللصوص على التاجر خارجاً من القرية فأصابوا منه غرة فقتلوه، ثم قتلهم الله به كل قتلة وصاروا مطرودين تحت بطون الكواكب»[1].

ونتيجة للضغوط التي كان يمارسها على بني هاشم نجد أن عبد الله بن العباس يهرِّب ابنه علي بن عبد الله بن العباس الى دمشق حتى يجعله في مأمن من تصرفات عبد الله بن الزبير:

«لما قتل المختار قوي عليهما ابن الزبير وقال: لا تجاوراني، فخرجا الى الطائف، وارسل ابن عباس ابنه علياً الى عبد الملك بالشام وقال: لئن يربني بنو عمي احب الي من أن يربني رجل من بني اسد، يعني ببني عمه بني امية لأنهم جميعهم من ولد عبد مناف، ويعني برجل من بني اسد ابن الزبير، فانه من بني اسد بن عبد العزّى بن قصي. ولما وصل علي بن عبد الله بن عباس الى عبد الملك، سأله عن اسمه وكنيته، فقال اسمي علي،

(١) المصدر، ص١٣١.

والكنيه ابو الحسن. فقال: لايجتمع هذا الاسم وهذه الكنية في عسكري، انت ابو محمد.

ولما وصل ابن عباس الى الطائف توفي فيها، وصلى عليه ابن الحنفية»(١).

٧- كما نجد أن محمد بن الحنفية هرب من مكة للخلاص من سلطة وبطش عبد الله بن الزبير وتوجه الى الشام وفي منتصف الطريق رجع لانه سمع أن عبد الملك بن مروان قد غدر بابن عمه عمرو بن سعيد الاشرق وقتله، وحلل الموقف ان عبد الملك بن مروان ليس اقل خطورة من عبد الله بن الزبير في الضغط والغدر.

«خرج ابن الحنفية واصحابه الى الشام، وخرج معه كثير عزّه وهو يقول:

هديت يا مهدينا ابن المهتدي ... انت الذي نرضى به ونرتجي
انت ابن خير الناس بعد النبي ... انت امام الحق لسنا نمتري
يا بن علي سر ومن مثل علي

فلما وصل مدين بلغه غدر عبد الملك بعمرو بن سعيد الاشرق، فندم على اتيانه وخافه فنزل ايله وتحدث الناس بفضل محمد وكثرة عبادته وزهده وحسن هديه. فلما بلغ ذلك عبد الملك ندم على اذنه له في قدومه بلده، فكتب اليه:

انه لايكون في سلطاني من لم يبايعني. فارتحل الى مكة ونزل شعب ابي طالب، فأرسل اليه ابن الزبير يأمره بالرحيل، وكتب الى اخيه مصعب بن الزبير يأمره ان يسيّر النساء مع بن الحنفية، فسير نساء منهن امراة أبي الطفيل عامر بن وائلة»(٢).

تطورت الامور في تصاعد سلبي حاد بين عبد الله بن الزبير وبني هاشم في مكة بقيادة محمد بن الحنفية وعبد الله بن العباس عندما رفضا البعية له حيث الامور بعد لم تستقر له (كما سنبين ذلك) مما حداه لان يتخذ مواقف عدائية ضدهم.

هناك رأي ان عبد الله بن الزبير أبعد عبد الله بن العباس الى الطائف حتى يخلص من وجوده وقوة حجته ولباقة لسانه حتى ارسل له محمد بن الحنفية رسالة مواساة له:

لما لم يكن بابن الزبير قوة على بني هاشم وعجز عما دبره فيهم، اخرجهم عن مكة،

(١) الكامل في التاريخ، لابن الاثير، ج٤، ص٢٥٤.
(٢) المصدر، ص٢٥٢.

واخرج محمد بن الحنفية الى ناحية رضوى، واخرج عبد الله بن العباس الى الطائف اخراجاً قبيحاً، وكتب محمد بن الحنفية الى عبد الله بن العباس: اما بعد، فقد بلغني أن عبد الله بن الزبير سيّرك الى الطائف، فرفع الله بك اجراً، واحبط عنك وزراً، يا ابن عم، انما يبتلى الصالحون، وتعد الكرامة للأخيار ولو لم تؤخر الاّ فيما تحب قلّ الاجر فاصبر فان الله قد وعد الصابرين خيراً والسلام[١].

حتى انه في مرة تعرض عبد الله بن الزبير الى متعة الحج على المنبر ونال من عبد الله بن العباس باعتباره من الداعين لها فرده عبد الله بن عباس وقال له إسأل امك اسماء تخبرك عن ذلك وبالفعل سأل عبد الله بن الزبير امه واجابته:

«ألم انهك عن ابن عباس وعن بني هاشم، فانهم كعم الجواب اذا بدهوا. فقال: بلى. فقالت: يا بني احذر هذا الاعمى الذي ما اطاقته الانس والجن واعلم ان عنده فضائح قريش ومخازيها بأسرها فاياك وإياه آخر الدهر»[٢].

عندما توقف محمد بن الحنفية وعبد الله بن العباس وهما بمكة عن مبايعة عبد الله بن الزبير فانه مارس عليهم ضغوطا تطورت الى حد التهديد بالقتل واعطاهم موعداً لذلك وحبسهم في زمزم وجمع عليهم الحطب ليحرقهم به.

«قيل إن ابن الزبير ارسل الى ابن عباس وابن الحنفية أن يبايعا، فقالا: حتى يجتمع الناس على امام ثم نبايع، فانك في فتنة. فعظم الامر بينهما وغضب من ذلك وحبس ابن الحنفية في زمزم وضيق على ابن عباس في منزله واراد احراقهما، فأرسل المختار جيشا فأزال عنهما ضرر ابن الزبير»[٣].

ورأي آخر يقول انه حضرهم في شعب عارم واحاطه بالخشب واعطاهم فرصة للبيعة والا احرقهم.

«جمع عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس في سبعة عشر رجلاً من بني هاشم منهم الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وحصرهم في شعب

(١) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٦٢.
(٢) شرح ابن أبي الحديد، ج٢، ص٤٩٠.
(٣) الكامل في التاريخ، لابن الاثير، ج٤، ص٢٥٣.

بمكة يعرف بشعب عارم وقال لاتمضي الجمعة حتى تبايعوا لي او احرق اعناقكم بالنار ثم نهض اليهم يريد حرقهم بالنار فالتزمه ابن اسور بن مخرمة الزهري وناشده الله ان يؤخرهم الى يوم الجمعة فلما كان دعا محمد بن الحنفية بغسول وثياب بيض فاغتسل وتلبس وتحنط لايشك في القتل وقد بعث المختار بن أبي عبيدة من الكوفة ابا عبد الله الجرلي في اربعة آلاف فلما نزلو ذات عرق تعجل منهم سبعون على رواحلهم حتى اوفوا مكة صبيحة الجمعة ينادون يا محمد يامحمد وقد شهروا السلاح حتى وافوا شعب عارم فاستخلصوا محمد بن الحنفية ومن كان معه»[1].

ولعبد الله بن الزبير قصة في حسد محمد بن الحنفية لشجاعة محمد بن الحنفية، وذلك لحادثة وقعت في زمن معاوية بن أبي سفيان ينقلها المؤرخون ادت الى اثارة حسد عبد الله بن الزبير لمحمد بن الحنفية، والظاهر عندما استلم السلطة بدأ في تصفية الحساب مع محمد بن الحنفية، والقصة هي: كان محمد بن الحنفية كثير العلم والورع وقد ذكره الشيخ ابو اسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء وكان شديد القوة وله في ذلك اخبار عجيبة ومنها ما حكاه المبرد في كتاب الكامل.

ان اباه علياً عليه السلام استطال درعا كانت له، فقال: ليقص منها كذا وكذا حلقة، فقبض محمد احدى يديه على ذيلها والاخرى على فضلها، ثم جذبها فقطع من الموضع الذي حده ابوه، وكان عبد الله بن الزبير اذا حدث بهذ الحديث غضب واعتراه الافكل لانه كان يحسده على قوته وكان ابن الزبير شديد القوة).[2]

وهنا لابد لنا من التدبر والتأمل في طريقة التعامل التي اختارها عبد الله بن الزبير في فرض البيعة له من قبل الناس، فالمؤرخون ينقلون طريقة تعامل الامام علي عليه السلام مع المعارضين الذين رفضوا البيعة له وكان منهم سعيد بن العاص ومروان بن الحكم والوليد بن عقبة بن أبي معيط وعبد الله بن عمر.

«خرج علي الى المسجد فصعد المنبر وعليه اوار وطاق وعمامة خز ونعلاه في يده متوكئاً على قوس، فبايعه الناس وجاؤوا بسعد فقال علي: بايع، قال: لا ابايع حتى يبايع

(١) وفيات الاعيان، ج٤، ص١٧٠.
(٢) وفيات الاعيان، ج٤، ص١٧٠.

الناس، والله ما عليك مني بأس. قال: خلوا سبيله. وجاؤوا بابن عمر، فقال: بايع. قال: لاابايع حتى يبايع الناس. قال: ائتني بحميل، قال: لا ارى حميلا. قال الاشتر: حل عني اضرب عنقه. قال علي: دعوه انا حميله انك ما علمتُ لَسيء الخلق صغيرا او كبيرا»[١].

فنلاحظ ان الامام علي عليه السلام لم يمارس عليهم ضغوطاً او يفرض عليهم القوة في البيعة له.

ونلاحظ عندما رفض عبد الله بن عمر البيعة ولم يات بضامن يضمن له ان لايخرج على الامام علي عليه السلام فانه لم يجبره على البيعة له وانما تحدث بكلمات تقيم وضعية عبد الله بن عمر.

كما نجد ان الامام علي عليه السلام بعد احداث صفين وانشقاق الخوارج وغيرهم عليه وهم في نفس المدينة معه (وهي الكوفة) لم يمارس ضغطا عسكرياً عليهم فالاشعث بن قيس كان يشنع على الامام علي عليه السلام ويقذفه بأشد الكلمات والعبارات.

«عن الحسن بن علي عليه السلام، قال: بنى اشعث بن قيس لعنه الله في داره مئذنة فكان يرقى اليها اذا سمع الاذان في اوقات الصلاة في مسجد جامع الكوفة فيصيح من على مئذنته يا رجل انك لكذاب ساحر وكان امير المؤمنين عليه السلام يسميه عنق النار، وفي رواية عرف النار فسئل عن ذلك، فقال: ان الاشعث اذا حضرته الوفاة دخل عليه عنق من النار ممدوة من السماء فتحرقة فلا يدفن الاّ وهو فحمة سوداء فصار كذلك لعنه الله»[٢].

ولكن الامام علي عليه السلام ما كان يرد على المعارضة بقوة السيف والتهديد بالقتل ان لم يبايعوا له بالخلافة.

نعم اذا حملت المعارضة السلاح في وجه الحاكم فوقتئذ يردعهم الحاكم بالقوة والنزال العسكري وطبعاً كل ذلك بعد اسداء النصيحة وتوجيه الرشد والهداية لهم. ولايبتدأهم القتال، وهكذا كانت حروب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والامام امير المؤمنين عليه السلام. وحتى الامام الحسين عليه السلام في كربلاء.

---

(١) تاريخ الطبري، ج٣، ص٤٥١.
(٢) سفينة بحار الانوار، ج١، ص٧٠٢-٧٠٣.

روي ان الامام علي عليه السلام لما دخل البصرة وارسل الى القوم وناشدهم الله فأبوا الاّ قتاله كان يقول عليه السلام: اللهم ان هؤلاء القوم قد خلعوا طاعتي، وبغوا عليّ ونكثوا بيعتي، اللهم احقن دماء المسلمين. ثم امر جماعته ان يصافوهم ولايبدأوهم بقتال ولايرموهم بسهم ولايضربوهم بسيف ولايطعنوهم برمح(١).

ووقتئذ لا يعرف اي حق كان لعبد الله بن الزبير في ان يوجه التهديد بالسلاح والقتل لبني هاشم ويضع لهم الموعد للبيعة والا القتل.

فلا توجد قاعدة شرعية او منطق مبدئي يخوله ان يمارس هذا السلوك العسكري ضد بني هاشم. وهو اعرف من غيره انهم لم يحملوا السلاح ضده وما حملوه. بل هم يعيشون حزن مأساة كربلاء، وما اسفرت من مقتل الامام الحسين عليه السلام واهل بيته بتلك الطريقة المؤلمة.

الاّ اللهم خوفه من شهرتهم وسمعتهم وتطلع الناس اليهم اكثر مما هي اليه. واذا تحرك احد منهم فانه سيجد الاعوان والانصار له اكثر مما يجد عبد الله بن الزبير بل ان قاعدته هو ستتوجه اليهم.

وهذا مبرر سياسي وليس دينياً يخول عبد الله بن الزبير ان يمارس دوره العسكري بالتهديد بالحرق، او القتل لبني هاشم.

ان الدوافع الكامنة في حركة عبد الله بن الزبير تجاه بني هاشم وسعيه لضربهم تعود الى:

أ- ما شب عليه من الحقد اللامحدود عليهم كما بينا.

ب- انهم يمثلون القوى المنافسة الحقيقية له من حيث التاريخ والكفاءَة والرمزية في داخل الامة. فعبد الله بن العباس ومحمد بن الحنفية رمزان لامعان في قدرتهما العسكرية والثقافية. وان هذه الخصلة واضحة من خلال الممارسة حيث كانت تحدث بينهم مناقشات ومشادات كلامية امام الامة، وبذلك يتضح ان القوى السياسية التي برزت على مسرح الاحداث هي:

---

(١) مروج الذهب، ج٢، ص٣٧٠، ط مصر.

١ - القوة الاموية المروانية وما استقطبت من رجال ومقرها دمشق وبيدها السلطة السياسية.

٢- قوة بني هاشم وكانت تتمركز في المدينة المنورة ومكة ولها انصارها في الكوفة وليس بيدها سلطة سياسية. ولكنها برزت على مسرح الاحداث بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام حيث اصبحت عاصمة حكمهم مكة المكرمة وصارت بيدهم سلطة سياسية.

ولما كان بنو امية وبنو مروان يهددون عبد الله بن الزبير من الخارج ولكن بني هاشم كانوا يقتحمون حكم ابن الزبير من الداخل حيث يعيشون معه في عاصمتهم مكة المكرمة والمدينة المنورة موقعهم الاصلي ومساقط رؤوسهم والحجاز قبلة العالم الاسلامي الذي تتوافر عليه الامة لأداء فريضة الحج وزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله.

ومن هذه الخطة بالذات استفاد عبد الله بن الزبير حيث يلتقي في الناس ويطرح نفسه عليهم وفي احيان كان يجبرهم على بيعته.

ولهذه المنهجية نرى ان عبد الملك بن مروان منع اهل الشام من التوجه الى حج بيت الله الحرام وعمل لهم ما ينوب عن ذلك في القدس حيث يحجّ اليه اهل الشام.

«روي ان عبد الملك منع اهل الشام من الحج، وذلك ان ابن الزبير كان يأخذهم اذا حجّوا بالبيعة، فلما رأى عبد الملك ذلك منعهم من الخروج الى مكة»[1].

وطريقة الاستفادة من موسم الحج نراها واضحة حيث كان كل تيار سياسي في الامة يقف موقفه في عرفات ومنى وله رايته الخاصة به.

فكان لمحمد بن الحنفية راية تقف تحتها جماعة.

وكان لعبد الله بن الزبير راية يقف تحتها جماعة.

وكان لبني امية راية يقفون تحتها.

وبعد وفاة يزيد كان للخوارج راية يقفون تحتها بقيادة (نجدة)[2].

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٦١.

(٢) المصدر، ص٢٦٣.

ولقد كانت موقعية بني هاشم تقلق عبد الله بن الزبير كثيرا حتى اذا كانت احداث التوابين في الكوفة وتطورت فيما بعد الى حركة المختار في الكوفة والموصل وتكوين دولته الموالية لاهل البيت عليهم السلام جعلت عبد الله بن الزبير يشدد ضغطه على بني هاشم وذلك ان المختار كان يرسل العون والمساعدة المادية لبني هاشم كما كان يعلن ولاءه لمحمد بن الحنفية بالذات على رؤوس الاشهاد:

«لما استولى المختار على الكوفة وصارت الشيعة تدعو لابن الحنفية، خاف ابن الزبير ان يتداعى الناس الى الرضا به فألح عليه وعلى اصحابه في البيعة له، فحبسهم بزمزم وتوعدهم بالقتل والاحراق وأعطى الله عهدا ان لم يبايعوا ان ينفذ فيهم ما توعدهم به، فأشار بعض من كان مع ابن الحنفية عليه ان يبعث الى المختار يعلمه حالهم، فكتب الى المختار بذلك وطلب منه النجدة. فقرأ المختار الكتاب على الناس وقال: ان هذا مهديكم وصريح اهل بيت نبيكم. قد تركوه ومن معه محصوراً عليهم كما يحصر على الغنم، ينتظرون القتل والتحريق في الليل والنهار، لست ابا اسحاق ان لم انصرهم نصرا مؤزرا، وان لم اسرب الخيل في اثر الخيل والسيل يتلوه السيل حتى يحل بابن الكاهلية الويل، يعني ابن الزبير وذلك ان ام خويلد ابن العوام زهرة بنت عمر من بني كاهل بن اسد بن خذيمة»[1].

وهذا جعل عبد الله بن الزبير يفكر في ان تنمو ظاهرة بني هاشم بشكل كبير في الحجاز والعراق بيد المختار فيكونوا قد اطبقوا من الداخل والخارج لذلك سارع في العزم على تصفيتهم. خاصة اذا عرفنا ان عبد الله بن الزبير يعرف جيدا قدرة وطموحات المختار السياسية لانه والمختار كانا يشتركان سويا في العمل ضد بني امية.

«روي انه عندما خرج مسرف من المدينة الى مكة في جيوشه مع اهل الشام ليوقع بابن الزبير واهل مكة بامر من يزيد، وذلك في سنة اربع وستين. فلما انتهى الى الموقع المعروف بقديد مات مسرف لعنه الله، واستخلف على الجيش الحصين بن نمير، فسار الحصين حتى اتى مكة واحاط بها وعاذ ابن الزبير بالبيت الحرام، ونصب الحصين فيمن معه من اهل الشام المجانيق والعرادات على مكة والمسجد من الجبال الفجاج وابن الزبير

(١) الكامل في التاريخ، ابن الاثير، ج٤، ص٢٥٠.

في المسجد ومعه المختار بن أبي عبيدة الثقفي، داخلا في جملته، منقادا الى امامته، على شرائط شرطها عليه لايخالف له رأيا ولايعصي له امراً»[١].

ولكن الامور جرت بطريقة اخرى، لذلك لم ينجح عبد الله بن الزبير في تصفية بني هاشم. والذي فهمه عبد الله بن الزبير من حادث خلاص بني هاشم والقوة التي دخلت المسجد الحرام وكان بامكانها ان تقلب الوضع على عبد الله بن الزبير وتصفيته وهي بداخل مكة. ولكن محمد بن الحنفية رفض استخدام القوة والعمل العسكري ونادى في الناس ان لايعملوا ما يهتك حرمة البيت الحرام.

«روي انه كتب المختار الى ابن الحنفية يقول: اني ارسلت اليك جيشا ليذلوا لك الاعداء ويحرزوا البلاد فلما قاربوا طيبة فعل بهم كذا وكذا، فان رأيت ان ابعث الى المدينة جيشا كثيفا وتبعث اليهم من قبلك رجلا حتى يعلموا اني في طاعتك فافعل فانك ستجدهم بحقك اعرف وبكم اهل البيت ارأف منهم بآل الزبير والسلام».

فكتب اليه ابن الحنفية: اما بعد فقد قرأت كتابك وعرفت تعظيمك لحقي وما تنوي من سروري وان احب الامور كلها الي ما اطيع الله فيه، فأطع الله ما استطعت واني لو اردت القتال لوجدت الناس الي سراعا والاعوان لي كثيراً، ولكن اعتزلكم واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين. وامره بالكف عن الدماء[٢].

وبعد خروج محمد بن الحنفية من السجن فضل الابتعاد عن الاحتكاك مع عبد الله بن الزبير، لذلك خرج هو وجماعته صوب شعب رضوى وعاش هناك الى ان انقضت فتنة الزبير.

وقد وقع هذا الموقف من عبد الله بن الزبير تجاه آل هاشم مع ما نجد انه كان قد تزوج ببنت الامام الحسن عليه السلام، هي اخت زيد ام الحسن وقد أرجعها الى المدينة اخوها زيد بن الامام الحسن بعد قتل عبد الله بن الزبير.

«روي ان اخت زيد ام الحسن كانت زوجة عبد الله بن الزبير فلما قتل ابن الزبير

---

(١) مروج الذهب، ج٣، ص٧١.
(٢) الكامل في التاريخ، ابن الاثير، ج ٤، ص٢٤٩.

اخذ اخته وجاء بها من مكة الى المدينة»[١].

وهناك رأي ان زيد بن الامام الحسن نفسه كان قد بايع عبد الله بن الزبير وهناك من يذهب الى ان عمر بن الامام علي كان قد بايع عبد الله بن الزبير وعند مقتل عبد الله بن الزبير انتقل الى بيعة عبد الملك عن طريق الحجاج.

«روي ان زيد بن الحسن عليه السلام قد بايع عبد الله بن الزبير بعد استشهاد الحسين عليه السلام»[٢].

كما ان عبد الله او عبيد الله بن الامام علي عليه السلام قد انضم الى جيش مصعب بن الزبير.

وقتل في معركة او قتل على فراشه ولم يعرف قاتله كما انبأ بذلك الامام علي عليه السلام.

«ذكر صاحب المقاتل وغيره انه صار الى المختار فسأله ان يدعو اليه ويجعل الامر له فلم يفعل فخرج ولحق بمعصب بن الزبير فقتل في الواقعة. وفي كتاب الحجري ان عبد الله بن امير المؤمنين عليه السلام كان مع أخواله بالبصرة وهم بني تميم حتى حضر وقايع المختار فأصابه جراح وهو مع مصعب فمات وقبره بالمزار من سوار البصرة يزار الى اليوم»[٣].

ولكن هؤلاء لم يكونوا يمثلوا واجهة اهل البيت او بني هاشم. لذلك فان الاحتكاك كان مع رموزهم آنذاك وهم محمد بن الحنفية وعبد الله بن العباس وكان عبد الله بن الزبير يلح على ان يبايع هؤلاء. وهؤلاء كانوا يعرفون موقعهم لذلك رفضوا البيعة لعبد الله بن الزبير.

---

(١) منتهى الآمال، ج١، ص٤٥٧.
(٢) المصدر.
(٣) سفينة بحار الانوار، ص١٤٤.

منهجية أهل البيت في الحركة لمواجهة الطغاة

ان دوافع التحرك ضد الطغاة نابعة من الايمان بانحرافهم عن الحق وسلوكهم طرق الضلال وممارستهم الظلم والبطش والاعتداء على حقوق الآخرين.

لذلك فان دافع الايمان يجعل من المؤمنين عندما يختطون هذه المنهجية ثابتي القدم بطي الجأش مطمئنين غير مبالين لما يصيبهم في خروجهم من اذى وما ينزل بهم من تضحيات. وعندما يدخلون المعركة فهدفهم اصابة احدى الحسنيين (النصر أوالشهادة) وتعبأتهم الرواح.. الرواح الى الجنة.

لذلك فان الامور عندما لاتأتي بالشكل الذي يتمنونه من نصر أو شهادة فانهم لايندمون على ما صدر منهم وهم يقفون مع الطغاة وجها لوجه. ويسطر المؤمن مناقبيته وهو يبلي في سبيل الله بلاء حسنا في حين نجد في اتباع غير هذه المدرسة سلوكاً آخر في حالة فشلها ومثولها امام الطاغية.

حيث نراها سرعان ما تتراجع وتلتمس العفو وتختلق اعذارا بعيدة عن مثل الاسلام وترضخ للطاغوت وتدخل معه في كفره.

وسنورد في معرض ذكرنا لما ذكرنا سابقاً بعد فشل حركة اهل العراق ضد الحجاج بقيادة عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث حيث طارد الحجاج ولاحق ما تبقى منهم والقى القبض على رموز الحركة فمن وقف بين يدي الحجاج هم:

* كميل بن زياد
* سعيد بن جبير
* الشعبي

وكان هؤلاء من قادة كتائب القراء الذين يربوا عددهم على مائة مقاتل[1].

وانتهى الأمر ان قتل كميل بن زياد وسعيد بن جبير وعفى الحجاج عن الشعبي في نهاية المطاف. ونظراً للخلفية المنحطة التي كان يحملها الحجاج ومع ما عرف عنه بعدائه لأهل البيت وشيعتهم فلا اشكال في قتله لكميل بن زياد وسعيد بن جبير، وبالاضافة الى تلك الخلفية كانت طريقة الحوار مع من وقفوا بين يديه والكلمات التي تحدثوا بها امامه لها الاثر الكبير في اصدار حكمه بالقتل او العفو.

وفي معرض حديثنا عن المحاورة التي جرت بين الشعبي والحجاج فاننا لا نجد أيّ توافق او تناسب بين خروج الشعبي واشتراكه في قتال الحجاج وكلامه بين يدي الحجاج مع انه عالم يرشد الناس، فبعد ان تمكن الحجاج من الذين اشتركوا في قتاله. قال الحجاج: من يذهب الى الري حيث قتيبة بن مسلم فهو آمن فلذلك نجد:

١ - الشعبي بعد انتصار الحجاج على جيش اهل العراق يذهب الى الري حيث قتيبة بن مسلم ليكون عنده آمناً كما امر الحجاج بذلك بينما نجد ان كميل بن زياد وسعيد بن جبير اختفيا عن الانظار، ولم يطمعا بأمانه وبقي عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة الهاشمي مواصلا جهاده ضد الحجاج في خراسان ولم يعبأ في امان الحجاج ولا في هدنته، حتى هرب الى السند.

٢ - يقول ابن الاثير في كتابه الكامل عن الشعبي أنه قال: حين دخلت على الحجاج فسلمت عليه بالإمارة، وقلت: ايها الامير ان الناس قد امروني ان اعتذر بغير ما يعلم الله انه الحق، وايم الله لا اقول في هذا المقام الاّ الحق، قد والله مردنا عليك وحرصنا وجهدنا فما كنا بالاقوياء الفجرة ولا بالأتقياء البررة ولقد نصرك الله علينا واظفرك بنا، فان سطوت فبذنوبنا وما جرت اليه ايدينا وان عفوت عنا فبحلمك، وبعد فالحجة لك علينا[2].

وبعدها عمل الشعبي مع الحجاج ثم ارسله الحجاج الى عبد الملك بن مروان في دمشق ليبين له الموقف واستفاد منه عبد الملك وارسله الى اخيه عبد العزيز بن مروان في

(١) تاريخ الطبري، ج٥، حركة عبد الرحمن بن الاشعث.
(٢) الكامل في التاريخ، لأبن الاثير، ج٤، ص٤٩٤.

مصر ليؤدي نفس المهمة[١].

بينما نجد ان اتباع اهل البيت عليهم السلام لهم مواقف صلبة ولايعبؤون بالحجاج او بغيره ولايهادنون من عرف عنه الكفر والنفاق بحيث لاتأخذهم في الله لومة لائم وسنسوق اليك حديث كميل بن زياد مخاطباً الحجاج بقوله:

«أيها الرجل من ثقيف لاتصرف علي انيابك ولاتكشر علي كالذئب والله ما بقى من عمري الاّ ظمأ الحمار، اقض ما انت قاض فان الموعد الله وبعد القتل الحساب»[٢].

وهناك نموذجٌ آخر من تلامذة مدرسة أهل البيت عليهم السلام الذي ضرب اروع انواع التضحية ليبقى صدى كلماته يدوي في كتب التاريخ ولا احد يجرؤ على نكرانها حيث عاش سعيد بن جبير خالداً في موقفه وكلماته مع الحجاج ليموت الحجاج وتكون كلمات سعيد نارا تحرق الحجاج الى ابد الدهر. حيث لما دخل سعيد بن جبير على الحجاج بن يوسف قال له:

انت شقي بن كسير. قال سعيد: امي كانت اعرف باسمي سمتني سعيد بن جبير[٣].

ودار نقاش انتهى بقتل سعيد بن جبير وسنتعرض لذلك في حينه.

ونلاحظ ان هناك فروقا واضحة في البواعث التي ادت الى الخروج وكذلك في النظرة الى الحجاج والحكم الاموي وانتهت بان قتل الحجاج اتباع اهل البيت وغض الطرف عن غيرهم واطلق سراحهم وتعاونوا بعدها مع الحكم الاموي.

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ج٥، ص٥٤.
(٢) الكامل في التاريخ، لابن الاثير، ج٤، ص٤٨١.
(٣) رجال السيد الخوئي، ج٨، ص١١٤.

شهادة كميل بن زياد

كميل بن زياد من اصحاب الامام امير المؤمنين عليه السلام واحد خواصه ومن المقربين اليه[١].

وهو الذي يروي عن امير المؤمنين الدعاء المشهور الذي عرف باسمه (دعاء كميل بن زياد) في ليالي الجُمَع[٢].

وخرج كميل بن زياد على الحجاج والحكم الاموي واشترك مع عبد الله بن محمد بن الاشعث في كافة مواقعه ضد الحجاج بن يوسف الثقفي وكان على رأس كتائب القرّاء واهل العبادة، وبعد ان اندحر جيش عبد الرحمن بن الاشعث في وقعة دير الجماجم وهي آخر مواجهة وقعت بين عبد الرحمن بن الاشعث والحجاج تفرق اصحابه بعد هزيمتهم وتوارى قسم منهم عن الانظار، وممن اختفى كميل بن زياد اختفى عن انظار الحجاج وتوارى عن عيونه على الرغم من قوة الاجهزة الامنية للحجاج وطغيانها.

وهذا يدل على ان اهل العراق الذين اختفى عندهم كميل بن زياد كانوا على ولائهم لأهل بيت النبوة عليهم السلام وكانوا حانقين على الحجاج والحكم الاموي.

والا فانهم وبعد كل تلك القسوة والطغيان الحجاجي الاموي خاصة وانه خرج منتصرا من معركة دير الجماجم فكان من الطبيعي ان تنجر الجماهير وراءه وتغير موقفها السياسي ولكن هذا لم يحدث لشيعة اهل البيت حيث حفظوا كميل بن زياد ولم يدلوا عليه ولم يسلموه الى اتباع الحجاج الظلمة.

---

(١) راجع كتاب مفاتيح الجنان، المحدث القمي، بداية دعاء كميل.

(٢) راجع رجال السيد الخوئي، في كميل بن زياد، ج١٤، ص١٢٩.

وعندما رأى الحجاج انه لم يظفر بكميل بن زياد او يعرف مكان تواجده، لذلك غض الطرف عنه[١].

ولكن الحجاج ومن اجل الضغط على عشيرته واهل بيته لكي يدلوا عليه او يسلموه الى سلطته نجد الحجاج يعمد الى ان يقطع عطاء عشيرته من بيت مال المسلمين. ولكن عشيرته تصبر على ذلك البلاء ولم يتفوهوا بكلمة او باشارة تدل على وجود كميل بن زياد وحين رأى كميل بن زياد من مضايقة عشيرته ومعاناتهم والضغط الاقتصادي الذي فرضه الحجاج عليهم بسببه ومن اجل ان ينهي معاناة قومه وهو رجل قد غلب عليه الكبر فاتخذ قراره متوجها الى الحجاج بنفسه.

وقال الشيخ المفيد في كتابه: «لما ولي الحجاج - لعنه الله- طلب كميل بن زياد فهرب منه فحرم قومه عطاءَهم. فلما رأى كميل ذلك قال انا شيخ كبير قد نفذ عمري ولاينبغي ان احرم قومي عطاءَهم فخرج فدفع بيده الى الحجاج»[٢].

والظاهر ان قول الشيخ المفيد - رحمه الله - لما ولي الحجاج اي بعد ان استقرت له الامور وانتصر على حركة اهل العراق حيث كميل بن زياد كان احد قادة هذه المعركة، في ولاية الحجاج للعراق.

وكانت سنة خمس وسبعون للهجرة، ولاية عبد الملك بن مروان على العراق وكان قتل كميل بن زياد سنة ثلاث وثمانين للهجرة كما يذكر المؤرخون وبعد احداث حركة اهل العراق بقيادة عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث. او يمكن القول ان كميل بن زياد ظل متواريا طيلة فترة ولاية الحجاج على العراق واشترك في الثورة على الحجاج وهو في الخفاء وبعد ذلك سلم نفسه الى الحجاج كما اوردنا سابقاً.

وكان قطع عطائهم منذ ولايته للعراق وقطع العطاء كان في حدود ثماني سنوات وهذا بعيد والخيار الاول يظهر هو الصحيح، في انه طلبه بعد حركة اهل العراق وقطع عطاء قومه بعد معركة دير الجماجم فأثر ذلك في نفس كميل بن زياد وهو رجل كبير، كما يقول هو، فسلم نفسه للسلطة، والحوار الذي دار بين كميل بن زياد والحجاج يتضمن

(١) هذه النقطة سنوضحها في الحديث عن سعيد بن جبير.
(٢) الارشاد، للشيخ المفيد، ج١، ص٣٢٧.

ثلاثة مقاطع:

١ - المقطع الاول حول اشتراك كميل بن زياد في حصار عثمان بن عفان وقتله.

قال الحجاج مخاطبا كميل: انت المقتص من امير المؤمنين عثمان؟ قد كنت احب ان اجد عليك سبيلاً. قال كميل بن زياد: على أيّنا انت اشد غضباً، حين اقاد من نفسه، ام على حين عفوت عنه؟[١].

٢- طريقة رد كميل بن زياد على الحجاج عندما رآه يوجه اليه الاتهام.

قال كميل بن زياد: «أيها الرجل في ثقيف لاتصرف عليّ انيابك ولاتكشر عليّ كالذئب والله ما بقي من عمري الاّ ظمأ الحمار، اقض ما انت قاض فان الموعد الله وبعد القتل الحساب»[٢].

ولكن الشيخ المفيد نقل الحوار ببعض المفردات الاخرى فبدل لاتكشر علي كالذئب، قال: (لاتهدم علي) وبدل عبارة (والله ما بقي من عمري الاّ ظمأ الحمار) قال (ما بقي من عمري الاّ مثل كواسر الغبار)[٣].

والظاهر ان المدلول في حديث كميل واحد وان اختلفت العبارات فهي لهجة التحدي.

٣- طريقة الحجاج بن زياد في قتل كميل بن زياد عليه السلام، ينقل الشيخ المفيد ان كميل بن زياد قال للحجاج: «.. ولقد اخبرني امير المؤمنين عليه السلام انك قاتلي، فقال الحجاج: الحجة عليك اذاً. فقال كميل بن زياد: اذا كان القضاء اليك.

فقال الحجاج: بلى قد كنت فيمن قتل عثمان بن عفان؟ اضربوا عنقه فضربت عنقه»[٤].

ولكن صاحب الكامل ينقل ذكر عثمان بن عفان اول الحديث ولم يذكر انه كان

(١) الكامل في التاريخ، لابن الاثير، ج٤، ص٤٨١.
(٢) المصدر.
(٣) الارشاد، للشيخ المفيد، ج١، فصل قتل كميل بن زياد، ص٣٢٧.
(٤) المصدر.

سببا لقتله. ولكميل بن زياد بين النجف والكوفة قبر عليه قبة وروضة يزورها الناس.

وكان قتل كميل بن زياد في خلافة عبد الملك بن مروان في الكوفة بعد واقعة دير الجماجم، والحركة ضد الحكم التي قام بها اهل العراق بقيادة عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث والتي لم تنتهِ وما زال قائد الحركة حياً حيث هرب الى البصرة مقاتلا هناك الحجاج ومنها الى رتبيل.

كما ان الحجاج كان بعد لم ينتقل الى واسط فقتله في الكوفة وكان قبره على مقربة من مكان قتله كما اشرنا اليه بينما نجد ان سعيد بن جبيرة قبره في واسط لان الحجاج انتقل اليها.

شهادة سعيد بن جبير

هو سعيد بن جبير ابو محمد تابعي من اصحاب السجاد عليه السلام مولى بني اسد، كوفي نزيل مكة. كان يسمى جبهذ العلماء ويقرأ القرآن في ركعتين، قيل: وما على الارض الا وهو محتاج الى علمه[1].

ولم يكن في زمن علي بن الحسين عليه السلام في اول امره الاّ خمسة انفس، سعيد بن جبير، سعيد بن المسيب، محمد بن جبير، يحيى ابن ام الطويل، ابو خالد الكابلي[2].

وكان سعيد بن جبير يأتم بعلي بن الحسين عليه السلام وكان عليه السلام يثني عليه[3].

بقي سعيد بن جبير مشغولاً في العلم والمعرفة عن معاشرة الحجاج بن يوسف الثقفي لعلمه بجبروته وطغيانه ولإطلاعة على احواله من خلال الامام زين العابدين عليه السلام حتى اذا سنحت الفرصة له بالمشاركة في الوثوب على الحجاج شارك في الثورة مع عبد الرحمن بن الاشعث وكان مع كميل بن زياد وغيره من العلماء على كتيبة القراء بل انه تقلد موقع المسؤول في الحركة ضد الحجاج وآل امية.

ويذكر المؤرخون انه تقلد مواقع في ولاية الحجاج منها القضاء وعطاء الجند.

وان صح هذا الرأي فان سعيد بن جبير قبل القضاء من اجل ان لايقع مزيد من الظلم والاضطهاد على الناس وكذلك امارة الصرف للجند فانها حالة تستدعي الدقة وعدم تضييع الاموال.

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج٤. حياة الامام زين العابدين، في ترجمة سعيد بن جبير.
(٢) رجال الكشي، ج١، ص٣٣٢، ترجمة سعيد بن جبير.
(٣) المصدر.

وبعد ما انتصر الحجاج وتمكن من دحر جيش اهل العراق في واقعة دير الجماجم هرب كل من عبد الرحمن بن الاشعث وسعيد بن جبير من العراق الى اصبهان وبقى هناك متنكراً لايعرفه احد، ومن مكانه هناك كان يذهب الى الحج والعمرة في كل سنة وقد يمر في الكوفة متنكرا وتلك طريقة اتخذها الذين هربوا من ظلم الحجاج فهم يتنقلون بأسماء مستعارة ولايفصحون عن اسمائهم فكان اناس يستخفون فلا يخبرون بأسمائهم.

وبعدها انتقل الى مكة وبقى فيها بجوار بيت الله الحرام. وعندما عين خالد القسري واليا على مكة، في ولاية الوليد بن عبد الملك فبدأ بطلب اهل العراق الذين فروا من ظلم الحجاج، ويرسلهم هو ووالي المدينة الى الحجاج ووالي المدينة حينئذٍ عثمان بن حيان المري.

حتى انهم اعلنوا العقوبة وبراءَة الذمة على كل من وجد في داره عراقي[(١)].

ونصح سعيد بن جبير ان يهرب من مكة لئلا يقع في قبضة الوالي خالد القسري لما عرف عنه من القسوة والظلم والطغيان ولكنه رفض هذا الرأي وقال: «.. قد والله فررت حتى استحييت من الله، سيجيئني ما كتب الله لي..»[(٢)].

فتعرف رجال أمن خالد القسري على سعيد بن جبير والقوا القبض عليه، وعندما القي القبض على سعيد بن جبير نقل عنه قوله: «وشى بي واشٍ في بلد الله الحرام، أكله الى الله تعالى يعني خالد بن عبد الله القسري»[(٣)].

وفي الطريق بين مكة والكوفة جرت احاديث بين سعيد بن جبير والحرس المكلف بايصال سعيد بن جبير الى الحجاج في واسط ننقلها للموعظة.

لما اقبل الحرسيان بسعيد بن جبير نزلا منزلاً قريباً من الربذة، فانطلق أحد الحرسيين في حاجته وبقي الآخر، فاستيقظ الذي عنده وقد رأى رؤيا، فقال: يا سعيد إني أبرأ إلى الله من دمك، إني رأيت في منامي فقيل: ويلك تبرأ من دم سعيد بن جبير، اذهب حيث شئت لا اطلبك ابداً.

فقال سعيد: ارجو العافية وارجو.. فأبى حتى جاء اي الشرطي الثاني فنزلا من

---

(١) ابن الاثير، ج٤، ص٥٢٦، والطبري، ج٥، ص٢٥٩.
(٢) تاريخ الطبري، ج٥، ص٢٦٠.
(٣) وفيات الاعيان، ج٢، ص٣٧٣.

الغد فرآى مثلها فقيل: ابرأ من دم سعيد. فقال لسعيد: اذهب حيث شئت اني ابرأ الى الله من دمك حتى جاء به الى داره التي كان فيها سعيد[١].

وعند وصول سعيد بن جبير الكوفة وهو مقيد فزاره قراء اهل الكوفة وهو يحدثهم وغير عابئ بلقاء الطاغية الحجاج او بالحديد الذي يحتضن قدميه.

وكانت طفلة له في حضنه جالسة فنظرت على حين غفلة الى القيود في رجليه فبكت. فقال: وعندما اخرجوه من دار في إتجاه قصر الامارة شيّعه القراء حتى وصلوا به الى الجسر فخاف الحرس ان يلقي سعيد بن جبير نفسه في النهر ويغرق بذلك ويخلص من لقاء الحجاج فطلب الحرس من يضمن سعيد بن جبير ان لا يلقي نفسه في النهر فاندهش القراء من حديث الحرس، وقالوا للحرس: سعيد يلقي نفسه في النهر حتى يغرق!

لكن الحرس لايعرفون مكانة سعيد فتعامل القراء معهم على قدر عقولهم فظمنوا سعيد بن جبير وعبروا به الجسر حتى اوصلوه الى واسط حيث قصر الحجاج[٢].

ونقل الطبري: لما ادخل سعيد بن جبير على الحجاج بن يوسف الثقفي قال الحجاج: «لعن الله ابن النصرانية يعني خالد القسري وهو الذي ارسله اليه من مكة، اما كنت اعرف مكانه بلى والله والبيت الذي هو فيه بمكة»[٣].

ولا اعتقد ان هذا الكلام صحيح لان الحجاج لم يعرف عنه انه يتورع عن سفك الدماء، وانه سبب مطاردة الثوار في المدينة المنورة ومكة المكرمة[٤].

كما ان حديثه مع كميل بن زياد الذي نقلناه سابقاً يدل على انه كان يبحث عن الثوار وليس غاضاً الطرف عنهم وهو الذي عرف عنه من سفك الدماء لذلك لا يمكن القبول بصحة ما يصدر عنه انه كان يغض الطرف عن معارضيه وهو الذي يقول بحق نفسه:

«والله ما اعلم اليوم رجلا على ظهر الارض هو اجرأ على سفك الدم مني»[٥].

---

(١) -الطبري، ج٥، ص٢٦١.
(٢) المصدر.
(٣) المصدر، ص٢٦٢.
(٤) الكامل في التاريخ، لابن الاثير، ج٤، سبب عزل عمر بن عبد العزيز.
(٥) طبقات ابن سعد، ج٦، ص٦٦.

حوار سعيد بن جبير مع الحجاج

اختلف المؤرخون في الحوار الذي جرى بين سعيد بن جبير والحجاج، فمنهم من فصَّل بعض المقاطع وذكر الاسماء، ومنهم من فصَّل في مقطع آخر، ومنهم من اسقط بعض الكلمات، وبعضهم اطال الحديث، وبعضهم من اختصره، وبعضهم من قال ان الحجاج عفى عنه وفي مجرى الحديث غضب الحجاج منه فأمر بقتله.

ونحن ننقل ما ذكر في ذيل ترجمة سعيد بن جبير في وفيات الاعيان وننوه في الاثناء الى الآراء الاخرى.

عندما ادخل سعيد بن جبير على الحجاج بن يوسف الثقفي.

قال الحجاج: ما اسمك؟

قال: سعيد بن جبير.

قال الحجاج: بل شقي بن كسير.

قال سعيد بن جبير: بل كانت امي اعلم باسمي منك[1].

قال الحجاج: شقيت امك وشقيت انت.

قال سعيد بن جبير: الغيب يعلمه غيرك.

قال الحجاج: لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى.

(١) كلمة (منك) لم يذكرها البعض، راجع معجم رجال الحديث، للسيد الخوئي، ترجمة سعيد بن جبير، ج٨، ص١١٤.

قال سعيد بن جبير: لو علمت ان ذلك بيدك لاتخذتك إلهاً[١].

قال الحجاج: فما قولك في محمد؟

قال سعيد بن جبير: نبي الرحمة وامام الهدى.

قال الحجاج: فما قولك في علي اهو في الجنة ام هو في النار؟

قال سعيد بن جبير: لو دخلتها عرفت من فيها وعرفت اهلها[٢].

قال الحجاج: فما قولك في الخلفاء[٣].

قال سعيد بن جبير: لست عليهم بوكيل.

قال الحجاج: فأيهم اعجب اليك؟

قال سعيد بن جبير: ارضاهم لخالقي.

قال الحجاج: فأيهم ارضى للخالق؟

قال سعيد بن جبير: علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم.

قال الحجاج: احب ان تصدقني.

قال سعيد بن جبير: ان لم اصدقك لم اكذبك.

قال الحجاج: فما بالك لم تضحك.

قال سعيد بن جبير: وكيف يضحك مخلوق خلق من طين والطين تأكله النار.

قال الحجاج: فما بالنا نضحك.

قال سعيد بن جبير: لم تستو القلوب.

ثم امر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت فجمعه بين يديه.

---

(١) هذه المقاطع لم يذكرها الطبري، ج٥، ص٢٦١.
(٢) لم يذكر هذا المقطع صاحب سفينة بحار الانوار، ج١، ص٦٢٢.
(٣) البعض ذكر ان الحجاج ذكر اسماء الخلفاء.

فقال سعيد بن جبير: ان كنت جمعت هذا لتتقي به فزع يوم القيامة فصالح، والاّ ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما ارضعت، لاخير في شيء جُمِع للدنيا الاّ ما طاب وزكى.

ثم دعى الحجاج بالعود والناي، فبكى سعيد.

فقال الحجاج: ما يبكيك؟ هو اللعب.

قال سعيد بن جبير: هو الحزن، اما النفخ فذكرني يوما عظيما، يوم ينفخ في الصور، واما العود فشجرة قطعت في غير حق، واما الاوتار فمن الشاة تبعث معها يوم القيامة.

قال الحجاج: ويلك يا سعيد.

قال سعيد بن جبير: لا ويل لمن زحزح عن النار وادخل الجنة.

قال الحجاج: اختر يا سعيد، اي قتلة اقتلك؟

قال سعيد بن جبير: اختر لنفسك يا حجاج فوالله لاتقتلني قتلة الا قتلك الله مثلها في الآخرة.

قال الحجاج: أفتريد أن اعفو عنك؟

قال سعيد بن جبير: ان كان العفو فمن الله، وأما انت فلا براءَة لك ولا عذر.

قال الحجاج: اذهبوا به فاقتلوه.

فلما خرج سعيد ضحك فأخبر الحجاج بذلك فرده، وقال الحجاج: ما الذي أضحكك؟

قال سعيد بن جبير: عجبت من جرئتك على الله وحلم الله عليك. فأمر الحجاج بالنطع فبسط.

وقال الحجاج: اقتلوه.

قال سعيد بن جبير: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾[1].

---

(١) الانعام، ٧٩.

قال الحجاج: وجهوا به لغير القبلة. قال سعيد: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾[١].

قال الحجاج: كبوه لوجهه.

قال سعيد: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾[٢].

قال الحجاج: اذبحوه.

قال سعيد بن جبير: اما اني اشهد أن لا اله الا هو وحده لا شريك له، وان محمدا عبده ورسوله. خذها مني حتى تلقاني بها يوم القيامة، ثم دعا سعيد فقال: اللهم لاتسلطه على احد يقتله بعدي.

وقد جرى حوار بين الحجاج بن يوسف الثقفي وسعيد بن جبير حول صحة نسب الامام الحسن والامام الحسين عليهما السلام الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

نقل ذلك صاحب الاحتجاج، كما نقله الشيخ القمي، ولا يُعرف متى وقع هذا الحوار أهو في نفس الموقف الذي قتل فيه الحجاج سعيد بن جبير ام قبل ذلك.

والظاهر ان الحوار كان قبل ذلك، لانه لم ينقل اي من المؤرخين- على الرغم من اختلافهم في مفردات الحديث (شيعة وسنة)- هكذا حوار في ذلك اللقاء.

وعليه فان الحوار هذا قد جرى في وقت سابق حيث كانت هناك لقاءات بين الحجاج وسعيد بن جبير وغيره من العلماء وهم في مدينة واحدة هي الكوفة، ان صحت رواية ان سعيد بن جبير قد تولى القضاء.

ولما ضرب عنقه سال منه دم كثير. فاستدعى الحجاج الاطباء وسألهم عنه وعمن كان قتله قبله، إن كان يسيل منهم دم قليل، فقالوا له: (هذا قُتِل ونفسه معه والدم تبع النفس، ومن كنت تقتله قبله، كانت نفسه تذهب من الخوف، فلذلك قلّ دمهم)[٣].

وهذا التفسير الطبي يكشف مقدار الاطمئنان عند سعيد بن جبير، فهو مقبل على

---

(١) البقرة، ١١٥.

(٢) طه، ٥٥.

(٣) وفيات الاعيان، ج٢، ص٣٧٤.

رب غفور رحيم حيث يذهب مع الشهداء والصديقين الى جنة عرضها السماوات والأرض اعدت للمتقين، لذلك لم يعبأ بالحجاج وطغيانه وجبروته.

وطريقة الحوار التي نقلناها تكشف بوضوح مدى استخفاف سعيد بن جبير بالحجاج.

وهذا هو شأن اهل الايمان وطلاب الحق الذين يشتاقون للقاء ربهم حيث النعيم الابدي.

والتاريخ يسرد لنا قصصا عن اللقاءات التي كانت تجري بين المجاهدين ومعاوية بن أبي سفيان، وزياد بن ابيه، وعبيد الله بن زياد، وكذلك مع الطغاة العباسيين. وبقيت مواقف المجاهدين الى عصرنا الحاصر ثابتة القدم والعقيدة، مع ان وسائل الاعلام لم تنقل لنا عما دار بين الطاغية صدام والشهيد السيد حسن الشيرازي عندما اعتقل عام ١٩٦٩ م والشهيد السيد محمد باقر الصدر عام ١٩٨٠م ولكن الشذرات التي نقلت تكشف صلابة هؤلاء امام الطاغية.

وبعد ان قطع رأس سعيد بن جبير هلل ثلاث مرات- اي قال لا اله الا الله- افصح في الاولى ولم يفصح في الاخريين، اي لم يكن كلامه واضحاً[١].

وهذه منقبة اخرى لهذا العالم المجاهد تكشف عن قوة روحه وصلابة تمسكه في ذكر الله حيث نجد استمراره بذكر الله ورأسه مقطوع عن جسده.

وبعد استشهاد سعيد بن جبير حدثت ثلاثة امور نقلها المؤرخون هي:

١ - ان الحجاج بن يوسف الثقفي لم يمكث طويلا وهلك بعده، فمنهم من قال: ان المدة هي شهر واحد وقيل ستة اشهر[٢].

وقيل خمسة عشر يوما وقيل ثلاثة ايام[٣].

---

(١) الطبري، ج٥، ص٢٦٢.

(٢) وفيات الاعيان، ج٢، ص٣٧٤.

(٣) مروج الذهب، ج٣، ص١٦٤.

ونقل الطبري في تاريخه: (لم يلبث بعده الا نحواً من أربعين يوماً)[١].

والظاهر أنه ثلاثة ايام بدلالة ما يلي:

٢- انه لم يمارس القتل بعد قتل سعيد بن جبير وكانت هذه مكرمة لسعيد بن جبير حيث استجاب الله تعالى له دعاءَه فلم يسلطه الله سبحانه على احد من الناس[٢].

ولما كان الحجاج مولعا في الدماء وقتل الناس ولم يصبر على ترك هذه العادة، لذلك فان عدم قتله لاحد بعد سعيد بن جبير يعني انه لم يبق مدة طويلة.

٣- بعد استشهاد سعيد بن جبير أصاب الحجاج الجنون، فكان لايعرف ما يتحدث، وتترائى له صورة سعيد بن جبير وهو يلومه ويتوعده، والحجاج عند ما حضرته الوفاة كان يغمى عليه ثم يفيق ويقول: مالي وسعيد بن جبير؟

وقيل انه في مدة مرضه كان إذا نام رآى سعيد بن جبير آخذاً بمجامع ثوبه وهو يقول له: يا عدو الله، فيم قتلتني؟ فيستيقظ مذعورا ويقول مالي وسعيد بن جبير؟

وينقل ان الحجاج حينما قتل سعيد بن جبير التبس عقله مكانه فجعل يقول قيودنا قيودنا فظنوا انه قال القيود التي على سعيد بن جبير فقطعوا رجليه من انصاف ساقيه واخذوا القيود[٣].

وكان هلاكه بطريقة ملؤها العذاب حيث اصابته الاكلة في بطنه وسلط الله عليه الزمهرير فكانت الكوانين تجعل حوله مملوءة نارا وتقرّب منه حتى تحرق جلده وهو لايشعر بها او يحس بلهيبها، واخذت الآلام منه مأخذاً فشكى ما هو فيه الى الحسن البصري فقال له:

قد كنت نهيتك أن تتعرض للصالحين فلججت فقال له: يا حسن لا أسألك ان تسأل الله ان يفرج عني ولكن أسألك ان تسأله ان يعجل قبض روحي ولايطيل عذابي[٤].

---

(١) الطبري، ج٥، ص٢٦٢.
(٢) وفيات الاعيان، ج٢، ص٣٧٤.
(٣) المصدر.
(٤) الطبري، ج٥، ص٢٦٢.

وانه رؤي الحجاج في النوم بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك؟

فقال قتلني الله بكل قتيل قتلته قتلة، وقتلني بسعيد بن جبير سبعين قتلة[1]. وكان عمر سعيد بن جبير حين استشهاده تسع واربعون سنة. وكان في شهر شعبان من سنة اربع وتسعين للهجرة النبوية في مدينة واسط حيث قبره فيها الى الآن وتزوره الناس.

وكان استشهاده في زمن الامام زين العابدين عليه السلام، وقد اثنى العلماء وكل من ذكر سيرة سعيد بن جبير عليه رغم اختلاف مذاهبهم، وسننقل بعضاً من ذلك الثناء في الدور الثقافي للامام زين العابدين عليه السلام وتأثير فكره ومدرسته على تلامذته لان سعيد بن جبير احد اولئك التلاميذ.

ان كميل بن زياد وسعيد بن جبير والكثير من امثالهم من علماء اهل البيت عليهم السلام في الوقت الذي نالوا من العلم والفقاهة والتقوى والمنزلة الرفيعة والرمزية الشامخة في الامة حيث يشار اليهم بالبنان ولهم نور ساطع في الجمهور الى يومنا هذا وسيبقى الى قيام الساعة لانهم جزء من نور الله الذي لا يطفأ ولو كره المشركون.

ومع كل ذلك نجدهم قد مارسوا دور الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ على يد الظالم وانكار انحرافه وظلمه بكل وسيلة ممكنة.

وانكر هؤلاء على الحجاج ظلمه وخرجوا عليه باشهار السلاح بوجهه حتى الاستشهاد ونيل رضا الله. وقد جرى هذا والامام زين العابدين عليه السلام حي يراقب الاحداث في المدينة المنورة، ولم يتعلل أحد منهم بالقول: لماذا لم يتحرك الامام او يقول كلمة حتى نتحرك نحن وراءَه؟

او يكون موقف الامامة والقاعدة واحد ضد الطغاة. بل انهم تحركوا وادوا الواجب الديني والمسؤولية الشرعية من دون اي تلكؤ او القاء المسؤولية على الآخرين والتعلل بموقف فلان وفلان.

---

(١) المصدر، ج٢، ص٢٦٢.

حركة ابن الاشعث

العمل في سبيل الله والدعوة الى الدين وكذلك مقاومة الطغيان والظلم والانحراف حالة تدخل ضمن دائرة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي قاعدة عامة تفرض على الانسان أن يتحرك ضمن دائرتها، وهذا الانسان هو الذي يختار المستوى العملي الذي يؤديه ضمن دائرة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر. وعملية الاختيار تتم بامور هي:

١ - اليد

٢- اللسان

٣- القلب

وتبعاً للحديث الشريف: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان»[١].

ان الاختيار تابع بالدرجة الاولى الى وعي الانسان وثقافته وادراكه للامور، فوعيه هو الذي يحدد الطريقة التي يتبعها في اداء هذه الفريضة، لان هذه الفريضة بمكانٍ حيث لاتترك منفذاً يتمكن الانسان من الهروب عبره والتخلص من اداء المسؤولية، وتحدد موقفه تجاه الانحراف السياسي والاجتماعي والاقتصادي في الامة. ان ترك هذه الفريضة يجر الويلات على افراد الامة بأكملها، حيث يعم بتركها البلاء. ومسؤولية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تبدأ من نصيحة الحاكم ومقاومته بالممكن ان كان طاغية، وتتدرج حتى الى الممارسات اليومية تجاه المنكرات الشخصية والعامة. ففي تضاريس ثقافة اهل البيت عليهم السلام تبرز هذه الحالة بشكل جلي. فنجد احاديث للاخذ على يد الظالم ومقاومته،

(١) القواعد والفوائد، للشهيد الأول،ج٢، ص٢٠٣.

فعن عقبه بن أبي الخيزران ان الحسين عليه السلام خطب اصحابه واصحاب الحرّ بالبيضة فحمد الله واثنى عليه ثم قال:

ايها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى منكم سلطاناً جائرا مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله يعمل في عباد الله بالاثم والعدون فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله ان يدخله مدخله)[1].

كما نجد ان الدعوة للامر بالمعروف والنهي عن المنكر إتجاه المنكرات الشخصية عند بعض الناس تأخذ بعداً خاصاً لمواجهة مظاهر المنكر العامة من محلات الفسق والفجور التي تشكل ظاهرة انحراف في داخل الامة واداء هذه المسؤولية قد يكون بشكل فردي وقد يكون بشكل جماعي، والحالة الفردية لأداء هذه الفريضة لا اشكال فيها لانها تشكل ظاهرة في الامة ولا يثار ضدها رأي معاكس. وقد يكون بشكل جماعي لتكون الكلمة اقوى وقعاً تجاه الانحرافات العامة ومفاصل المنكر بداخل الامة، ويدور نقاش حول الاذن الشرعي للعمل في هكذا مؤسسات جماعية لأنها تحمل صبغة سياسية بالاضافة الى الحالة الدينية، واعتقد ان هذا اللون من العمل (الاحزاب الاسلامية) بالذات ليس بحاجة الى لون من الاذن الشرعي لان عملها يقع تحت قاعدة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، اما اذا كان في الأمة قيادة اسلامية متصدية لأداء هذه الفريضة فيطرح موضوع الانسجام معها وعدم شرخ عصا الامة وتفتيت طاقاتها، وعندما نقول (قيادة اسلامية) فليس هو المتصدي للإفتاء بفرز الحلال والحرام وانما هو حمل هم الامة وطموحاتها في اقامة حكم الله في الارض وردع الظالم والاخذ على يد الفاسق. اما اذا كان للامة كيان سياسي اسلامي فتفرض هذه الحالة التنسيق معه والعمل تحت مظلة الاسلام، ذلك ان مسائل الامة كثيرة ومشاكلها متعددة لذلك من الصعوبة ان تكون وجهات نظر الحل واحدة، خاصة وأن الذي يعمل في السلطة التنفيذية يعرف مفاتيح الحل وعمق المشكلة وهو يختلف في وجهة النظر عن ذاك الذي تتبلور عنده النظرية لحل المشاكل من خلال السماع والمطالعة. وعدم تطابق وجهة النظر لايفرض ولايعني حمل رأي المعارضة والتسقيط وامتهانه كعمل يومي، وطريق الحل هو التنسيق

---

(١) تاريخ الطبري، ج٤، ص٣٠٤.

في المواقف العامة والتحرك تحت راية واحدة. وفي حالة عدم وجود:

١- القيادة الاسلامية.

٢- الكيان السياسي الاسلامي.

فليس هناك من حاجة الى اي توقف للعمل واشتراطه على اخذ الاذن، ما دام الامر يتحرك ضمن دائرة هداية الناس وارشادهم، نعم قضية الدماء بحاجة الى وضوح في الرؤية وصدق ومصداقية العمل وتوفر الشروط الموضوعية. ونحن نقف امام ظاهرة عبد الرحمن بن الأشعث الذي قاد انتفاضة عارمة ضد الحجاج بن يوسف الثقفي وكادت ان تقضي على الحجاج والحكم الاموي في العراق او بصورة عامة وكانت الحركة في زمن الامام زين العابدين عليه السلام واشترك فيها كبار الاخيار من اهل البيت عليهم السلام وقرّاء الكوفة وعبادها، حتى كانت لهم كتيبة القرّاء[1].

وهؤلاء اشتركوا في الانتفاضة تحت قيادة عرفت تأريخيا بعدائها لاهل البيت عليهم السلام ومارست ادواراً بارزة وقيادية ضد الامام امير المؤمنين والامام الحسن والامام الحسين عليهم السلام فالأشعث بن قيس رأس النفاق في خلافة امير المؤمنين وجعدة بنت الاشعث قد وضعت السم للامام الحسن عليه السلام وقيس ومحمد ابنا الاشعث قادة الجيش ضد الامام الحسن، ومحمد بن الاشعث هو الذي اعطى الامان لمسلم بن عقيل وسلمه الى عبيد الله بن زياد.

ومن القادة الذين اشتركوا مع عبد الرحمن بن الاشعث عبد المؤمن بن شبث بن ربعي، وهو احد قادة الجيش الاموي لقتال الامام الحسين ولكن الظلم الذي ساد العراق، والاجحاف في اوامر الحجاج، هو الذي دفع عبد الرحمن بن الاشعث لأن يتصدى للانتفاضة ضد الحجاج بن يوسف الثقفي وقد قبل نفس هذه الدوافع فقهاء أهل البيت عليهم السلام، وانخرطوا في صفوف الانتفاضة وثاروا على الحجاج وبعد ذلك دفعوا حياتهم ثمناً لهذه المواقف، فتوجوا رفضهم للحجاج بن يوسف الثقفي بخروجهم عليه والقتال ضده.

وقد كان الامام زين العابدين عليه السلام في المدينة المنورة يتردد على العراق لزيارة قبر

(١) ابن الاثير، ج٤، ص٤٦٢.

جده امير المؤمنين وقبر ابيه الامام الحسين عليه السلام[١].

وكبار اصحاب اهل البيت عليهم السلام، كانوا في العراق مهد الشيعة وموطنه والحجاج حكم العراق لمدة عقدين من الزمان وقاسى اهل العراق منه اشد انواع المعاناة والمطاردة والتعذيب النفسي والجسدي. وهذا ما نقله المؤرخون.

جاء في كتاب سليم بن قيس أن معاوية كتب إلى عماله: «ألا برأت الذمة ممن روى حديثاً في مناقب علي بن أبي طالب أو فضائل أهل بيته، وقد احل بنفسه العقوبة»[٢].

ولم يكتف بهذا وكتب ثانياً اليهم اوامر بقتل من اتهم بمحبة علي واهل بيته.

فلما انتشر هذا الحكم في البلدان وفشى بدأ الحكام والعمال بقتل شيعة علي عليه السلام ونهب اموالهم. والذين خرجوا من رموز الشيعة مع عبد الرحمن بن الاشعث هم، كميل بن زياد وسيعد بن جبير ومن بني هاشم عبد الرحمن بن عباس بن الحرث بن عبد المطلب، وهم ممن لايرقى اليهم الشك في علاقاتهم المتينة مع الامام زين العابدين عليه السلام، وخروجهم على الحجاج لابد ان يكون له مبرر شرعي، فهناك ثلاثه احتمالات:

١- انهم استأذنوا الامام زين العابدين عليه السلام في الخروج عن طرقهم الخاصة واذن لهم الامام بالخروج.

٢- باعتبارهم من الفقهاء المعروفين في ورعهم وتقواهم اجتهدوا في ضرورة الخروج على الطاغية الحجاج بن يوسف[٣].

٣- الأجواء العامة التي رفضت الحجاج وخرجت عليه، فكان ممن خرج على الحجاج بن يوسف الثقفي من فقهاء اهل السنة (الشعبي) الفقيه المعروف، وهذه الاجواء حركت فيهم روح الخروج والمشاركة في الانتفاضة على هذا الطاغية وهم قد اجتهدوا واستأذنوا الامام زين العابدين عليه السلام في الخروج ضد الحجاج خاصة اذا عرفنا ان الانتفاضة عرفت تأريخياً بانتفاضة اهل العراق على الحجاج بن يوسف وبني امية ودامت

---

(١) جهاد الامام السجاد، ص٦٧.

(٢) كتاب سليم بن قيس، تحقيق محمد باقر الانصاري، ص٣١٤.

(٣) ابن الاثير، ج٤، ص٤٦٥-٤٦٧.

لفترة طويلة حيث ابتدأت في منطقة سجستان في ايران، اما البصرة والكوفة فقد سقطتا بيد الثوار لفترة من الزمن وامتدت[١].

وكانت بدايتها سنة ٨١ للهجرة وانتهت بموت عبد الرحمن بن الاشعث عام ٨٥هـ[٢].

دوافع التحرك

بعد ان تربع عبد الملك، بن مروان على كرسي الحكم مارس طريقة قاسية في التعامل مع الناس واغلظ مع منافسيه وتشدد مع المعارضين، فكان له سلوك خاص مع ابناء عمه حتى وصل الامر ان غدر بعمرو بن سعيد الاشرق وهو ابن عمه لانه كان ينافسه على الخلافة[٣].

بل انه فكر في القضاء على اخيه عبد العزيز بن مروان حتى يبايع ابنه الوليد ولياً للعهد بدلاً من عبد العزيز بن مروان الذي اخذ مروان بن الحكم البيعة له. وجرت مناظرات كلامية بينهما ولكن الموت عجّل على عبد العزيز بن مروان.[٤]

وكانت طريقته في القضاء على آل الزبير في العراق والحجاز بينة القوة والحقد. وامتدت هذه القسوة وبانت اكثر وخاصة في الحجاز والعراق وادّى ادوارها الحجاج بن يوسف الثقفي. حيث ابتدأ ممارسته للسلطة في الحجاز وبعد ذلك في العراق، وقد اذاق الناس المر والعلقم وكل الوان العذاب النفسي والجسدي، كما سنذكر امثلة من ذلك، حتى تكاملت حلقات التآمر على الناس حتى واصحاب الفكر حينما تعاون والي الحجاز خالد بن عبد الله القسري مع الحجاج في مطاردة اهل العراق الذين فروا من الحجاج بن يوسف الثقفي الى مكة والمدينة والقاء القبض عليهم وارجاعهم الى الحجاج ليعتقلهم ويقتلهم. فتراكمت هذه الظلامات على الناس حتى ما بقي برٌّ ولا فاجر ولا إمرأة تأمن على نفسها ولا رمز سياسي او عشائري يأمن على حياته. وكان طبيعياً ان ينفجر الوضع في اي موقع تكون ظروفه مساعدة على قيام الانتفاضة والثورة على الحجاج بن يوسف

---

(١) ابن الاثير، ج٤، ص٤٦٥-٤٦٧.

(٢) المصدر، ص٤١٦-٥٠٢.

(٣) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٧٩.

(٤) راجع كتاب الانتفاضات الشيعية لهاشم معروف الحسني، وغيره من كتب السيرة والتاريخ.

الثقفي وآل امية قاطبة.

ونجد أن قسوة الحكم الاموي على شرائح الامة كافة جعلت الامة بأكملها تثور على الحكم الاموي بقيادة الحجاج والذي قاد الثورة هم رموز المجتمع وفقهاء الامة ورموزها ومن خلال ذكر نماذج من طريقة تعامل الحكام الامويين مع الناس تتجلى لنا دوافع الثورة والانتفاضة. حيث كان الحجاج اول من عاقب بالقتل على التخلف عن الوجه الذي يكتب اليه[1].

امر الحجاج اهل البصرة باللحاق بالمهلب، فأتاه شريك بن عمرو اليشكري، وكان به فتق وكان اعور يضع على عينيه كرسفة فلقّب ذا الكرسفة، فقال: اصلح الله الامير، ان بيّ فتقاً وقد رآه بشر بن مروان فاعذرني، وهذا عطائي مردود في بيت المال. فأمر به فضربت عنقه[2].

قتل الحجاج يوم الزاوية بعد الهزيمة احد عشر الفاً خدعهم بالأمان، وامر المنادي فنادى الامان لفلان ابن فلان، فسمى رجالاً، فقال العامة: قد أمن الناس فحضروا عنده فأمر بهم فقتلوا[3].

ان هذه الطريقة القاسية التي سحقت كل كفاءات الامة السياسية والفقهية والاجتماعية والسعي لصهرها في بوتقة واحدة هي آل امية الذين هم بطن من قريش وفي قريش وغير قريش تكتلات اجتماعية ضخمة ارادوا لها ان تموت كوجودات ولكنهم رفضوا.

والمتتبع للاحداث يجد ان ممارسات معاوية بن أبي سفيان كانت تسير ضمن هذا المخطط حيث بدأ المسير ثقافيا وعمل على موت الثقافات الاخرى خاصة مدرسة اهل البيت عليهم السلام التي طوقها وحجمها وانفتح على ثقافة آل امية من خلال صنع الاحاديث واختلاق الاقوال لمدحهم والثناء عليهم ليكونوا هم رموز الدين والايمان دون غيرهم.

وعندما جاء عبد الملك بن مروان، الذي هو المؤسس الحقيقي للدولة الاموية

(١) ابن الاثير، ج٤، ص٣٧٩.
(٢) المصدر، ص٣٨١.
(٣) المصدر، ص٤٩٦.

المروانية، استخدم ولاة قساة من امثال الحجاج الذي ولي على العراق، وبشير بن مروان، ليكملوا المشوار ضد كل الكتل السياسية والدينية والاجتماعية، وقد رفض الكل هذا السلوك، ولذلك استمرت عمليات الرفض والثورة في المشرق، واستمر الرفض بعد هلاك عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث، وحتى نجد ان ابن الاشعث بعد هزيمته في العراق وهروبه الى (رتبيل) لم يتحرك عسكريا ولكن الآخرون استمروا في الثورة، وقد واصل فلول انتفاضة اهل العراق ثورتهم في خراسان والري بالاضافة الى البصرة والكوفة. فما بين البصرة وخراسان قاد الانتفاضة عبد الرحمن بن العباس بن الحارث بن عبد المطلب.

وفي الري قاد الانتفاضة عمر بن أبي الصلت في عام ٨٣ للهجرة.

اولاً: مدرسة اهل البيت في ثورة العراق

يعتبر العراق قاعدة اهل البيت عليهم السلام وموطن اتباعهم ومهد حركتهم وفيه تكاملت مدرستهم، فمنذ ان دخل امير المؤمنين عليه السلام الكوفة واتخذها عاصمة لخلافته ومنطلقاً لتحركاته بُذِرت نبتة اهل البيت، ومحنة الامام الحسن عليه السلام مع معاوية بن أبي سفيان جذرت رجال اهل البيت على الرغم من المطاردة التي مارسها معهم معاوية، ودماء الامام الحسين عليه السلام واهل بيته واصحابه سقت هذه الشجرة واصلبت عودها، لذلك نجد العراق ثائراً بصورة مستمرة لعدم انسجامه مع الولاة الذين يقدمون عليه لانهم غرباء عنهم في الموطن والتوجه السياسي والديني. وعندما يحمل احد الراية ضد طاغية من الطغاة نجد ان اهل العراق قيادة وقاعدة يتحركون بل واكثرهم صدقا واخلاصاً في تحركهم كما سنتعرض لذلك في مواقف كميل بن زياد في التحرك. اما القادة فهم:

١- كميل بن زياد النخعي: من كبار اصحاب امير المؤمنين عليه السلام وراوي دعاء امير المؤمنين عليه السلام الذي يُقرأ في ليالي الجمعة والمسمى باسمه.

٢- سعيد بن جبير: من الفقهاء والقرّاء المعروفين في الكوفة ومن اصحاب الامام زين العابدين عليه السلام[1].

---

(١) رجال السيد الخوئي، ج٨، ص١١٣ - ترجمة ٥١١٧.

٣- عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن عبد المطلب: وكان ابوه العباس ممن يشبه الامام امير المؤمنين عليه السلام في هيكله ومشيته، ومن الذين كان يمنع الامام عليه السلام دخوله الحرب بدون اذنه مخافة أن يُستأصل بنو هاشم، وله قصص في القتال بصفين وكان الامام قد استناب عنه في مبارزة ابطال اهل الشام[١].

وقد قاد هذا الرجل القتال ضد الحجاج بن يوسف الثقفي عندما انهزم ابن الاشعث من البصرة الى الكوفة فبايعه اهل البصرة على القتال ضد الحجاج ثلاثة ايام اشد القتال ثم رحل الى الكوفة مع ابن الاشعث، وفي معركة دير الجماجم كان عبد الرحمن بن العباس على خيل الجيش، وعند قدومه من البصرة اعطى الامل لجيش العراق وبعد انهزام ابن الاشعث واصل الحرب. وتوجه عبد الرحمن بن العباس، نحو خراسان وهناك جرت معركة فاصلة لم يصمد جند عبد الرحمن بن العباس فتوجه نحو السند[٢].

٤- عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب الملقب (ببة) لم يذكر المؤرخون دورا له في هذه المعارك ولكن صاحب (اسد الغابة في معركة الصحابة) عند ذكر وفاته في عمان يقول أن سبب هروبه الى هناك انه كان مع ثورة ابن الاشعث وحين فشلت هرب الى عمان ومات هناك[٣].

واعتقد ذلك لان عبد الله كان ساكناً في البصرة ومعروف في توجهاته لبني هاشم كما عرف عنه تدينه وقد تحدثنا عنه في حركة التوابين حيث بايعه الناس في البصرة بعد هلاك يزيد بن معاوية.

٥- يذهب البعض الى ان عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث قد دعا في حركته الى امامة الحسن المثنى ابن الامام الحسن عليه السلام ضد آل امية. وقد تبنى الزيديون هذا الرأي وثبتوه في كتبهم ونقل ذلك صاحب كتاب (جهاد الامام السجاد)[٤].

كما نقل المولى المجلسي في كتاب مرآة العقول هذا الرأي في ان عبد الرحمن بن محمد

---

(١) انظر: شرح النهج، لابن ابي الحديد، ج٥، ص٢٢٠، في اخبار يوم صفين.
(٢) الطبري، ج٥، احداث سنة ٨١-٨٥.
(٣) اسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص١٤٠.
(٤) راجع كتاب جهاد الامام السجاد، للسيد الحسيني الجلالي، ص٣٩-٤١.

بن الاشعث دعا الى امامة الحسن المثنى ابن الامام الحسن [١] عليه السلام.

ولكن الواقع الاشعثي يتميّز بلونه السياسي وتاريخه السلبي من اهل البيت عليهم السلام الذي اشرنا اليه سابقاً، كما ان الظروف السياسية لها واقعها الخاص وظروفها التي تتحكم بها. ومحاولة لفهم هذه الدعوة ان صحت فان القرّاء ورموز قاعدة التحرك هي عراقية وتوجهاتها علوية، وذلك ان الخارطة السياسية كانت هكذا:

١- ان الواقع العام الذي يحكم هو التيار الاموي المرواني وعلى رأسه عبد الملك بن مروان ومجموعة من الامراء والقواد. وثقافة السلطة وشعارها هو الامتداد الطبيعي لعثمان بن عفان.

٢- كما ان التيار الزبيري كان قائماً في الحجاز والعراق ومناطق اخرى وثقافته انه افضل من بني امية وشعارهم ابن الزبير بن العوام وخالته عائشة بنت أبي بكر. ولكن هذا التيار انتهى سياسياً ولم يبق له اثر بعد أن قتل مصعب بن الزبير في العراق وعبد الله بن الزبير في مكة ولم يتصد احد من اولادهم للسلطة وليس لهم ثقافة يتحدثون بها بين الناس. وكان عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث هو وابوه مع مصعب بن الزبير في قتاله للمختار بن أبي عبيدة الثقفي. ولكن انقراض الخط الزبيري لم يبق مساحة للعمل السياسي.

٣- الخوارج وكانوا يشكلون تياراً في الامة ولكنه تيار متطرف وغير منسجم مع عامة الناس، وليس لهم رمزية سياسية واضحة وشعارهم (لا حكم الا لله) وليس للحكام القائمين، سواء كان ذلك الامام امير المؤمنين عليه السلام او معاوية بن أبي سفيان، فلا المتقي مقبول عندهم ولا غيره وبقي هؤلاء تياراً متصدياً للعمل السياسي يتغذى على اخطاء الحكام ويجمع حوله من يسمع منهم.

وكان عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث قد قاتل الخوارج في عدة مواضع، لذلك فهو ليس على صلة بهم.

٤- التيار العلوي الذي يشكل اهل البيت مادته الاساسية وكانت ثقافتهم

(١) حياة الامام زين العابدين، باقر شريف القرشي، و: عمدة الطالب، لابن عنبة، ص١٠٠.

احقيتهم في الحكم وشعارهم ارجاع السلطة الى الرضا من آل محمد. وبعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام لم يتصد احد من الائمة الى الحكم والعمل السياسي علناً وانما كانوا يؤيدون من يرونه اهلاً للتحرك السياسي، والتأييد دلاله على ان المتحرك رجل حق وايمان كما فعل الامام السجاد مع المختار بن أبي عبيدة الثقفي كما اسلفنا والامام الباقر عليه السلام مع عمه زيد بن علي بن الحسين عليه السلام وكانوا يخبرونهم فيها بنهايتهم المأساوية، ولذلك نجد ان قاعدة اهل البيت عليهم السلام كرموز واسعة من ابناء الامام الحسن وابناء الحسين عليهم السلام واذا كان الشخص الاول لايتصدى فأصحاب الخط الثاني في الزعامة يتصدون لذلك. ولهذا الخط ثقافته القوية وصحته الدافعة ورموزه الذين عرفوا بالتقوى والصلاح وقاعدتهم الشعبية واسعة خاصة في العراق.

لذلك فان الحاكم في العراق كسلطة سياسية كانت بيد الامويين ولكنها كمعارضة ثقافية وسياسية ورموز هي في خط اهل البيت عليهم السلام. وتجلى هذا بعد انسحاب الزيدية عن الساحة وتشخيص الامة (الخوارج) بالتطرف وعليه فان قاعدة حركة عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث هم اتباع اهل البيت ويمكن القول بأن عبد الرحمن فكر في المصلحة السياسية في أن يدعو الى الحسن المثنى.

خاصة اذا عرفنا أن معه من رموز اصحاب أهل البيت عليهم السلام، كميل ابن زياد وسعيد بن جبير وقائد من اهل البيت مثل عبد الرحمن بن العباس بن الحارث بن عبد المطلب.

وبالمقابل فقد تعرض الحسن المثنى بن الامام الحسن عليه السلام الى مضايقات من السلطة الاموية وذلك:

١ - عندما رجع الحجاج من قتل عبد الله بن الزبير من مكة الى المدينة طلب من الحسن المثنى أن يشارك عمه عمر بن الامام علي عليه السلام في صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرفض الحسن المثنى[1] هذه المشاركة، فهدده الحجاج بالقوة فهرب الحسن المثنى الى الشام وقابل عبد الملك الذي ارسل الى الحجاج أن يكف عن ذلك. وكانت هذه الحادثة في ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي على الحجاز وهي قبل تولية الحجاج على العراق.

---

(١) نقلنا الحوار في فصل الامام زين العابدين عليه السلام وبني هاشم.

٢- في خلافة الوليد بن عبد الملك وامارة صالح بن عبد الله المري عامله على المدينة تم اعتقال الحسن المثنى وضربه امام الناس، واراد ان يضربه (٥٠٠) سوط وكانت هذه الواقعة بعد احداث عبد الرحمن بن الاشعث.

«نقل عن مجموع بن عتيق قال: كتب الوليد بن عبد الملك الى صالح ابن عبد الله المري عامله على المدينة: أن يخرج الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وكان محبوساً في حبسه وضربه في مسجد رسول الله ﷺ خمسمائة سوط فأخرجه صالح الى المسجد واجتمع الناس وصعد صالح المنبر يقرأ عليهم الكتاب، ثم ينزل فيأمر بضرب الحسن..»[1].

وعملية المطاردة والضرب والاعتقال ان كانت مع الحجاج او عثمان المري فانها واضحة الدلالة حيث أن الحسن المثنى ابن الامام الحسن عليه السلام لم يكن مع السلطة الاموية وهو احد رموز بني هاشم وآل أبي طالب ولذلك فهو يتعرض الى هذا النوع من السلوك.

فتهديد الحجاج له بمشاركة عمه عمر بن الامام علي عليه السلام نابع من:

١- حقد الحجاج على جميع أهل البيت واتباعهم وهو ممن عرف بهذه الصفة المقيتة من اضماره للسوء والعداوة لهم ولأتباعهم.

٢- ان عمر بن الامام عليه السلام كان قد بايع الحجاج واقترب منه بعكس الحسن المثنى الذي كان موقفه مع الحجاج بن يوسف حالة روتينية فأراد الحجاج أن يدعم موقف (عمر) مقابل الحسن المثنى.

وَتَعرُّض الحسن المثنى الى الضرب في ولاية عثمان بن حيان المري، تابع الى السلوك الذي مارسه هذا الوالي مع شيعة اهل البيت ومطاردتهم في المدينة وخاصة اولئك الذين فروا من ملاحقة الحجاج لهم في العراق وخاصة بعد فشل حركة ابن الاشعث.

وكان طبيعياً أن ينال الحسن المثنى الاعتقال والضرب لانه رمز من رموز بني هاشم وهو غير منسجم مع الحالة السياسية للحكام الامويين، وأنا أستبعد أن يكون

(١) بحار الانوار، ج٤٦، ص١١٤.

للاذى والضرب الذي ناله الحسن المثنى من الحجاج صلة بأنه رمز التحرك لابن الاشعث كما ينقل الينا صاحب كتاب عمدة الطالب حيث يقول: (عبد الرحمن بن الاشعث دعا اليه (الحسن المثنى) وبايعه فلما قتل عبد الرحمن توارى الحسن حتى دس اليه من سقاه السم فمات»[١].

وهناك قضية اخرى يسردها صاحب كتاب بحار الانوار وهي: عندما حصلت مشاجرة بين الحسن المثنى والحجاج، خرج في حينها الحسن المثنى قاصداً عبد الملك بن مروان، وحين دخل الحسن المثنى على عبد الملك رحب به واحسن مساءَلته، وكان الحسن قداسرع اليه الشيب ويحيى بن أم الحكم في المجلس، فقال له عبد الملك: لقد اسرع اليك الشيب يا ابا محمد، فقال له يحيى: وما يمنعه لأبي محمد؟ شَيَّبه أمانيّ اهل العراق، تفد عليه الركب يمنونه الخلافة[٢].

وهذا الحديث يدل على وجود ارضية عن علاقة الحسن المثنى بحركة اهل العراق بقيادة عبد الرحمن بن الاشعث، ومع ذلك كله لم يتعرض المؤرخون لتلك الحوادث فعدم ذكرهم لعملية الربط بين الضرب والرمزية او حالة الرمزية لحركة بن الاشعث نفسها لا يعد دليلاً سلبيا على تلك الحركة لان منهجية المؤرخين تصب في ابعاد تأثيرات اهل البيت على الاحداث والتقليل من شأنهم في حركة الحياة السياسية وإن شاء الله نتعرض له في فصل خاص عند الكتابة عن تأثير أهل البيت عليهم السلام في الاحداث في غير هذه الدراسة.

ونقل السيد الخوئي في رجاله عن الشيخ المفيد في الارشاد أن الحسن المثنى مضى ولم يُدع له بالامامة[٣].

ثانياً: ثقافة اهل البيت في حركة ابن الاشعث

لا اشكال أن كل انسان يتحدث ويسلك سلوك من تأثَّرَ واعتقد بهم، وهي حالة طبيعية، ومن كلام المتحدث وطريقة استدلاله يعرف هواه ومذهبه الفكري والسياسي.

(١) عمدة الطالب، لابن عنبة، ص١٠٠.
(٢) بحار الأنوار، ج٤٤، ص١٦٦.
(٣) رجال السيد الخوئي، ج٤، ص٢٢٩.

فتجد أن عملية التعبئة التي كان يمارسها قراء الكوفة ضد الحجاج كانت من هدي واحاديث الامام علي عليه السلام فقد وقف جبلة بن زمر خطيباً يعبّئ الناس بقوله:

«.. سمعت علي بن أبي طالب، رفع الله درجته في الصالحين وآتاه ثواب الصادقين والشهداء يقول يوم لقينا اهل الشام: ايها المؤمنون انه من رأى عدواناً يُعمل به ومنكراً يُدعى اليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبري، ومن انكره بلسانه فقد اجر، هو افضل من صاحبه، ومن انكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين السفلى، فذلك الذي اصاب سبيل الهدى ونور في قلبه اليقين، فقاتلوا هؤلاء المحلين المحدثين المبتدعين الذين جهلوا الحق فلا يعرفونه وعملوا بالعدوان فليس ينكرونه»[١].

وهذا اللون من الحديث يدل على أن تعاليم اهل البيت ظلت باقية في نفوس اصحابهم ومن تتلمذ على ايديهم فظهرت واضحة في حياتهم وابان محنهم.

ثالثاً: التأثر بمدرسة الامام الحسين

وهناك نموذج آخر نجده عندما ارسل قادة حركة التمرد من الري وخراسان الى الحجاج وكان فيهم محمد بن سعد بن أبي وقاص، نجد ان الحجاج يوجه الكلام الى (محمد) انه يتشبه بالامام الحسين عليه السلام[٢].

وعلى الرغم من ذلك فقد نقل المؤرخون فقط هذا المقطع واكتفوا به، وفي ذلك دلالة على أن هناك سلوكاً خاصاً مارسه محمد بن سعد بن أبي وقاص.

إما الدعوة الى سلوك طريق الامام الحسين في شهادته ورفض البيعة للحجاج وعبد الملك بن مروان وكيفية تعرية الامام الحسين عليه السلام لآل امية وراس ضلالتهم يزيد بن معاوية، أو..

المهم نجد تأثر محمد بن سعد بن أبي وقاص بمدرسة الامام الحسين عليه السلام وقد عرف عنه هذا التأثر بهذه المدرسة حتى وصل الامر الى الحجاج بن يوسف الثقفي فيأخذه مأخذا ويدين به محمد بن سعد بن أبي وقاص، وهذا مؤشر آخر على أن مدرسة أهل

(١) الكامل في التاريخ، لابن الاثير، ج٤، ص٤٧٨.
(٢) تاريخ الطبري، ج٥، ص١٨١.

البيت عليهم السلام وثقافتها التي تركتها في النفوس كان لها الاثر الواضح في حركة اهل العراق ضد الحجاج وحكم آل امية، ويظهر ذلك التأثير جلياً عندما عين عثمان بن حيان المري، والياً على المدينة المنورة بأمر من الوليد بن عبد الملك وعزل عمر بن عبد العزيز عنها لما ابداه من لين وتساهل مع اهل العراق الذين فروا من العراق هرباً من سخط الحجاج ولجأوا الى مكة والمدينة فخطب المري في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونال من اهل العراق باعتبارهم من شيعة اهل البيت عليهم السلام.

وهذه دلالة على واقع التحرك حيث أن هؤلاء اتباع اهل البيت عليهم السلام وان كان على رأس تحرك اهل العراق عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث.

والملاحظ أن هذه الحركة على سعتها في القتال حيث اتسع مداها من سجستان والبصرة والكوفة ورجعت الى خراسان والري وطالت مدتها من سنة احدى وثمانين الى سنة خمسة وثمانين للهجرة هي حركة اهل العراق عامة فرموزهم رموز اهل العراق والثورة بكل قيمها هي عراقية قبل أن تكون اشعثية.

ولكن المؤرخين أصروا على هذه التسمية محاولة لابعادها عن الرموز الاخرى التي مارست ادواراً في الحركة لان نهجهم الفكري والسياسي يقترب من منهج اهل البيت عليهم السلام كما اشرنا الى ذلك سابقاً.

الفصل السادس

الرحيل الى الله

* وفاة الامام
* مشهد الجنازة
* الدفن
* سنة رحيل الفقهاء
* زوجاته

الرحيل الى الله

وفاة الامام

استقرت الحياة السياسية بعد فشل ثورة أهل العراق بزعامة عبد الرحمن بن الاشعث ومشاركة كبار رموز القراء واهل التقوى والورع والعلم أمثال كميل بن زياد وسعيد بن جبير.

كما ان هلاك الحجاج الثقفي وغيابه عن مسرح الحياة السياسية أضفى استقراراً على الوضع السياسي وان كان خالد القسري بقي على مكة ولكنه كان أهون من الحجاج.

لكن هذا لم يغير موقف الحكم السياسي الاموي من ائمة اهل البيت وشيعتهم ذلك الموقف المليء بالحقد والمطاردة والتصفية الجسدية لهم.

من هذا الواقع يذهب البعض الى أن الامام زين العابدين عليه السلام قد تعرض الى مؤامرة سياسية لتصفيته عن طريق السم وبالتالي فان السياسة الاموية في التآمر لتصفية أئمة أهل البيت عليهم السلام تأتي لتؤكد مصداقية الحديث النبوي الشريف: «ما منا الا مسموم أو مقتول»[١].

ويذهب البعض الآخر الى أن الامام عليه السلام لم يتعرض الى تآمر بقتله عن طريق السم وانما مات حيث انتهى اجله.

ونحن اذ لا ننكر التآمر المستمر على ائمة اهل البيت عليهم السلام من قبل الحكام الامويين او العباسيين لا فرق، ولكن هناك مفردات وآلية واضحة انتهت في قتل بعض الائمة بالسم، كحالة الامام الحسن المجتبى عليه السلام حيث صرّح هو بانه سقي السم مراراً ونجى

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص١٣٩.

منه ولكن هذه المرة كان السم قوياً[١]. او وفاة الامام الكاظم عليه السلام حيث لم تكن طبيعية وآثار السم كانت واضحة على جسده الشريف. او غيرهما من الائمة عليهم السلام، إضافة الى ذلك نجد أن بعض آليات التآمر ضد حياة الائمة نقلت بشكل مفصل من اصدار الامر الى اليد التي نفذت المؤامرة، فينقل لنا التاريخ آلية سم الامام الحسن من شراء السم بأمر من معاوية بن أبي سفيان الى تسلمه من قبل جعدة بنت الاشعث مقابل صفقة مالية ووعدها بالزواج من ابنه يزيد[٢].

وتتم المؤامرة في ظل ظروف سياسية ليس فيها مخرجٌ لهم.

وهكذا في سم الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام حيث امر المأمون بذلك، ولكن بعض الائمة عليهم السلام لم يعيشوا ظروفاً سياسية خانقة بها يدعو الحكام لهذا الحل، وهو تصفية الامام جسدياً، كما لم يتحدث التاريخ عن مفردة او آلية اتبعها الحكام للقيام بهذه المؤامرة.

والامام زين العابدين عليه السلام لم ينقل التاريخ عن تعرضه للسم في ليلة وفاته ولم يجر حديث مع اولاده في انه تعرض للسم من قبل الطاغية الوليد بن عبد الملك.

بل الواقع التاريخي ينقل أن الامام كان بكل احساسه وادراكه وانه عليه السلام كان على موعد للقاء الله تعالى كما هو عَبَّر عن ذلك وسيأتي الحديث عنه، وعليه فان الامام عليه السلام لبى نداء ربه بحالة بعيدة عن التآمر أو التصفية الجسدية.

فقد تحدث الامام عليه السلام عند اقتراب أجله مع إبنه الامام محمد الباقر عليه السلام عن وفاته، فقد روي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: كان فيما اوصى به اليّ علي بن الحسين انه قال: يا بني اذا أنا مت فلا يلي غسلي غيرك فإن الامام لايغسله الا امام بعده[٣].

واذا أردنا أن نتحدث عن شهادة الائمة نتيجة الالم والقهر والمطاردة لاصحابهم والمضايقة لهم نتيجة هذه العوامل المؤلمة تقصر الاعمار فهذا حديث لايشك فيه احد وفيه كل الواقعية.

(١) حياة الامام الحسن، الشيخ باقر شريف القرشي، وايضا: مقاتل الطالبيين، ص٤٨.
(٢) مقاتل الطالبيين، ص٤٨.
(٣) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٦٦، رقم ٦.

وقد يكونوا قد تعرضوا الى السم ولكن لم تصلنا مفردات هذه الاحداث وآليتها التنفيذية، عن اي طريق حدث السم؟ أكان الامام في زيارة للوالي او غيره، او شراء ضمير احدى زوجاته او خدمه او امائه فيقومون بذلك؟

ونحن نتحدث على ما في أيدينا من مصادر وبحوث، وإن حشر أسماء الكتب التي تتحدث عن اسم احد الأئمة عليهم السلام او عدم ذكر اسمه لايعطي قوةً او ضعفاً للواقع.

وعن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما حضرت علي بن الحسين عليه السلام الوفاة ضمّني الى صدره وقال: يا بني أوصيك بما اوصاني به أبي حين حضرته الوفاة. ومما ذكر أن اباه اوصاه به قال: يا بني إياك وظلم من لايجد عليك ناصراً الا الله[1].

وقد تعرض الامام عليه السلام الى الاغماء عدة مرات قبل أن يموت.

عن أبي الحسن عليه السلام انه قال: لما حضر علي بن الحسين عليه السلام الوفاة اغمي عليه ثلاث مرات[2].

والامام عليه السلام وهو في هذه الحالة قد اخبر اولاده انه سيقبض في هذه الليلة، حيث موعده مع آبائه الطاهرين.

ان الامام الباقر روى عن ابيه علي بن الحسين عليهما السلام انه اتي في الليلة التي قُبض فيها بشراب فقيل له: اشرب، فقال: «هذه الليلة وعدت أن أُقبض فيها»[3].

وكان عليه السلام كلما يفيق من اغمائه يتحدث بالقرآن والدعاء. عن أبي الحسن عليه السلام قال: سمعته يقول: ان علي بن الحسين عليه السلام لما حضرته الوفاة اغمي عليه تم فتح عينيه وقرأ سورة الواقعة وسورة انا فتحنا وقال: **﴿الحَمْدُ لله الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الجُنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾**[4].

وكان الامام عليه السلام قد طلب ماء يتوضأ به وكان في الماء فأرة ميتة فرد الماء وجيء

---

(١) الكافي، ج٢، ص٢٣١.
(٢) المصدر، ج١، ص٤٦٨.
(٣) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٤٩، رقم ٧.
(٤) حياة الامام زين العابدين، باقر شريف القرشي، ص٦٨٠.

له بماء جديد:

عن أبي عبد الله قال: لما كان الليلة التي وعدها علي بن الحسين قال لمحمد: يا بني ابغني وضوءاً. قال: فقمت فجئت بوضوء، فقال: لاينبغي هذا فان فيه شيئاً ميتاً. قال: فجئت بالمصباح فاذا فيه فأرة ميتة فجئته بوضوء غيره[1].

وفي آخر مرة افاق فيها عليه السلام امر بكيفية حفر القبر له ثم انتقل الى رضوان الله.

لما حضر علي بن الحسين عليه السلام الوفاة اغمي علي فبقي ساعة، ثم رفع عنه الثوب ثم قال:

﴿الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾.

ثم قال: احفروا لي وابلغوا الى الرَّشْح، قال: ثم مد الثوب عليه، فمات عليه السلام [2].

وعند قراءة النصوص الآنفة وجدنا إنها تلتقي على مساحة واحدة وفي حالة طلبه الماء للوضوء واغمائه وافاقته وقراءته القرآن والدعاء وتحدث ببعض الوصايا والوعظ، وان تغيير الالفاظ وعدم شمولية بعضها لكل المفردات هو من النقل، ولايلغي واقعية الحدث.

كما اوصى الامام عليه السلام ابنه بعدم الظلم لمن لا يجد عليه ناصراً كما اسلفنا، وانه اوصى باحترام ناقته، ذلك الحيوان الذي عاش معه خمساً وعشرين عاماً ونقله من المدينة الى مكة ليحج بيت الله الحرام. جاء في الحديث عن الامام الصادق عليه السلام انه لما حضرته الوفاة: «اوصى بناقته أن يحضر لها حظار وان يقام لها علف فجعلت فيه»[3]، وقال عليه السلام: قال علي بن الحسين عليه السلام لابنه محمد حين حضرته الوفاة: «اني حججت على ناقتي هذه عشرين حجة فلم اقرعها بسوط قرعة، فاذا نفقت فادفنها، لا يأكل لحمها السباع، فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ما من بعير وقف عرفة سبع حجج الا جعله الله من نعم الجنة

(١) الكافي، ج١، ص٤٦٨.
(٢) المصدر، ج٣، ص١٦٥.
(٣) المصدر، ج١، ص٤٦٨.

وبارك في نسله»[١].

وبقدر هذا الوفاء من الامام عليه السلام لهذا الحيوان فانها ردت هذا الوفاء بتسجيل موقف من الوفاء للامام عليه السلام ما زال الى الآن يقرأ ويعلّم درساً على المنابر ليعلم الناس الوفاء للمعاشرة وعدم نكران الجميل ولو كان كلمة طيبة، نعم بعد أن دفن الامام عليه السلام خرجت الناقة من رباطها الى قبر الامام وضربت رأسها في القبر حتى اعادها الامام الباقر عليه السلام الى مكانها وبعد ذلك اعادت الكرة حيث جاءت الى قبر الامام وضربت رأسها به ولم تبقَ بعدالامام الا ثلاثة ايام وهلكت واليك ما نقله الكافي:

«فلم تلبث أن خرجت حتى اتت القبر فضربت بجرانها ورغت وهملت عيناها، فأُتي محمد بن علي الباقر فقيل له: إن الناقة قد خرجت الى القبر فضربت بجرانها ورغت وهملت عيناها، فأتاها فقال: مه الان قومي بارك الله فيك. فسارت ودخلت موضعها، فلم تلبث أن خرجت حتى اتت القبر فضربت بجرانها ورغت وهملت عيناها، فاتى محمد بن علي (الباقر) فقيل له: أن الناقة قد خرجت فأتاها فقال: مه الان قومي فلم تفعل قال: دعوها فانها مودعة، فلم تلبث الا ثلاثة حتى نفقت»[٢].

وكما سجل التاريخ موقف هذه الناقة تراه سجل موقفاً آخر ولكن بلون سلبي من التعامل مع وفاة الامام السجاد وذلك هو موقف سعيد بن المسيب حين لم يحضر الصلاة على جنازة الامام السجاد عليه السلام، لنقرأ ما كتبه التاريخ:

عن سعيد بن المسيب انه لما مات علي بن الحسين عليه السلام شهد جنازته البر والفاجر واثنى عليه الصالح والطالح، ثم قال: ان ادركت الركعتين يوما من الدهر فاليوم هو. ثم خرج الناس الى الجنازة، وثبت لأصلي فجاء تكبير من السماء فأجابه تكبير من الارض وتكرر ثانياً ففزعت وسقطت على وجهي فكبّر من في السماء سبعاً ومن في الارض سبعاً وصُلّي على علي بن الحسين صلوات الله عليهما ودخل الناس المسجد فلم ادرك الركعتين ولا الصلاة على علي بن الحسين فبكى سعيد وقال ما اردت الا الخير ليتني كنت صليت

---

(١) المحاسن، ج٢، ص ٦٣٥.

(٢) الكافي، ج١، ص٤٦٨. و: بصائر الدرجات، ج١، ص٤٨٣.

عليه فانه ما رؤي مثله.[١]

وهكذا تأسف سعيد بن المسيب عن عدم حضور الصلاة على جسد الامام بحجة نيل ثواب الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله والله تعالى اعلم بها في الصدور والنيات ولكن قبول العذر بهذه الحجة يصعب، وذلك لان الجنازة هي للامام زين العابدين عليه السلام والشخص هو سعيد بن المسيب الذي يعرف الامام جيداً ويعرف موقفه ومنزلته وبالتالي فهناك حق المعاشرة وحق التلمذة وحق الاخوة و.. فكل هذه ما كانت تشفع عنده ليصلي على جنازة الامام عليه السلام ولذلك عبر هو عن واقعه حين لم يصل الركعتين ولم يصل على الجنازة وهذا هو الخسران المبين.

وعالم من امثال سعيد بن المسيب يقول هذا فهو يعرف معنى الخسران المبين.

ولكن العلم شيء والتوفيق الالهي لعمل الخير شيء آخر[٢].

مشهد الجنازة

يقول سعيد بن المسيب شهد الجنازة البرّ والفاجر وأثنى عليه الصالح والطالح[٣].

وهذا معناه انه لم يبق أحد في مدينة الرسول الا وخرج في تشييع جنازة الامام (عليه السلام).

وهذا ليس مستغربا حيث الامام بدائرته العلمية والعائلية والاجتماعية لم يقدمه احد.

فاذا عرفنا انه اعتق (المئات) فهولاء لوحدهم يملؤون المدينة وبكاؤهم عليه يهزها من الاعماق.

هذا فضلاً عن بني هاشم وامتداداتهم العائلية والامام نفسه عليه السلام حيث عرف بروابطه الاجتماعية مع الكل وفي حالة جيدة.

وما يدفع الناس اكثر للمشاركة هو النداء الملائكي الذي نقله سعيد بن المسيب والذي دوّى في المدينة المنورة لمرات عديدة بين السماء والارض.

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٥٠، بتصرف.
(٢) حياة الامام زين العابدين، باقر القرشي، ص٦٨١.
(٣) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٥٠.

وصلى الامام الباقر عليه السلام على ابيه بعد تغسيله وتكفينه، ثم اخرج للملأ حيث صلت مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله على جسده الطاهر الصلاة الرسمية بإمامة (خالد بن عبد الله القسري) الوالي، وهذا عُرف حيث يصلي الوالي الحاكم على اجساد رموز المدينة[١].

الدفن

ونقل جثمانه الطاهر الى البقيع حيث دفن بجوار عمه الامام الحسن عليه السلام وفي البقعة المعروفة بـ (قبة العباس)، وقبره الآن مع ولده محمد الباقر عليه السلام وحفيده الامام الصادق حيث يزارون عليهم السلام بعد زيارة قبر جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله في قبة العباس[٢].

وقد اختُلف في سنة ويوم وفاته فهناك من يقول انه توفي عام اربع وتسعون للهجرة وذهب الاكثر الى ان وفاته كانت عام خمسة وتسعين للهجرة.

وعلى الرغم من أن هناك شبه اجماع عند المؤرخين انه توفي في شهر محرم، ولكن اختلفوا في اليوم الذي استشهد فيه[٣].

كانت وفاة الامام عليه السلام في زمن الوليد بن عبد الملك، وكان الوالي على المدينة يومئذٍ (خالد بن عبد الله القسري).

على ان بعض المؤرخين ذهبوا الى ان الامام تعرض للسم على يد هشام بن عبد الملك الذي كان والياً من قبل الوليد بن عبد الملك على المدينة المنورة[٤].

سنة رحيل الفقهاء

وفي هذه السنة (الخامسة والتسعين للهجرة) توفي عدد من رموز الفقهاء كان اولهم الامام زين العابدين عليه السلام وتبعه مجموعة مثل سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير ولذلك سميت سنة الفقهاء[٥].

---

(١) حياة الامام زين العابدين، باقر القرشي، ص٦٨١.

(٢) القبة طبعا هدمت في بداية الموجة الوهابية ولكن آثارها باقية الى الآن.

(٣) راجع تفاصيل ذلك في: الامام زين العابدين، للمقرم، ص٤١٧.

(٤) حياة الامام زين العابدين، باقر القرشي، ص٦٧٨.

(٥) تذكرة الخواص، ص١٨٧، طبع ايران.

زوجاته

كان يُعبر عن الامام زين العابدين عليه السلام بانه آدم بني الحسين[١].

لان استمرار نسل الامام عليه السلام كان منه حيث لم يبق ولد للامام الحسين عليه السلام بعد استشهاده، فقد قتلوا جميعاً في واقعة الطف.[٢]

وقد ادرك الامام زين العابدين عليه السلام هذا الواقع لذلك وسع الامام باذن الله دائرة انجابه لتصبح قاعدة واسعة ومدرسة أهل البيت عليهم السلام.

كما أن الظروف الاجتماعية في عهد الامام عليه السلام كانت مهيّأة ومشجعة على ذلك حيث الفتوحات الواسعة التي شهدها عهد عبد الملك بن مروان والتي أعطت زخماً قوياً لسوق الاماء ووفرة المال.

ولم يذكر المؤرخون سعة في اخبار ازواج الامام زين العابدين عليه السلام فنرى اكثر اولاده من امهات اولاد من دون ذكرٍ مفصل عنهن من أي بلد كن او اي نبذة عن حياتهن.

والذي توفقنا اليه هو حالات مختصرة ومحدودة من ازواجه عليه السلام نحاول أن نذكرها وهن:

١- فاطمة بنت الامام الحسن عليه السلام

اي بنت عمه والتي تزوجها في حياة أبيه الامام الحسين عليه السلام وولدت له الامام الباقر عليه السلام وعبد الله بن علي بن الحسين عليه السلام الذي كان يلقب بـ(عبدالله الابهر).

---

(١) منتهى الآمال، الشيخ عباس القمي، ج٢، ص٦٤.
(٢) هذا ما اجمع عليه المؤرخون.

وكانت سيدة جليلة في غاية التدين والالتزام وقد ذُكِرت لها منقبة تدل على مقدار صلتها وعمق رابطتها بالله سبحانه.

قال الامام محمد الباقر عليه السلام:

«كانت امي قاعدة عند جدارٍ فتصدع الجدار وسمعنا هدّةً شديدة فقالت بيدها:

لا وحق المصطفى ما اذن الله لك في السقوط، فبقي معلقاً حتى جازته.

فتصدق عنها أبي عليه السلام بمائة دينار.

وقد تحدث عنها الامام الصادق عليه السلام بقوله:

«كانت صديقة، لم يُدرك في آل الحسن عليه السلام امرأة مثلها»[١].

٢- حورية أم زيد

وهي التي اشتراها المختار بن أبي عبيدة الثقفي وارسلها الى الامام زين العابدين عليه السلام بعد أن رآها في غاية الكمال، بل يكفي ثناءً لها ومفخرة أن الامام زين العابدين عليه السلام رآى أنها زفت اليه في الجنة والذين خطبوها وزفوها اليه هم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وامير المؤمنين عليه السلام والامام الحسن عليه السلام والامام الحسين عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام وانها ام الثوار زيد وابنائه.

اشترى المختار بن أبي عبيدة جارية بثلاثين الفاً فقال لها: أدبري. فادبرت، ثم قال لها: أقبلي. فأقبلت، ثم قال لها: ما أرى احداً احق بها من علي بن الحسين عليه السلام فبعث بها اليه[٢].

قال الامام زين العابدين عليه السلام بينما انا ليلة ساجد وراكع اذ ذهب بي النوم من بعض حالاتي فرأيت كأني في الجنة وكأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام قد زوجوني جارية من حور العين فواقعتها فاغتسلت عند سدرة المنتهى ووليت وهاتف بي يهتف ليهنئك زيد ثلاثاً فاستيقظت فأصبت جنابة فقمت فتطهرت

(١) بحار الأنوار، ج٦٤، ص٢١٥ نقلا عن: دعوات الراوندي، ص٦٨.
(٢) مقاتل الطالبيين، ص٨٦.

للصلاة وصليت صلاة الفجر، فدق الباب وقيل لي على الباب رجل يطلبك وخرجت فاذا برجل معه جارية ملفوف كمها على يده مخمرة بخمار. فقلت: ما حاجتك؟

فقال: اردت علي بن الحسين عليه السلام.

فقلت: انا علي بن الحسين.

فقال: انا رسول المختار بن أبي عبيدة الثقفي يقرؤك السلام ويقول: وقعت هذه الجارية في ناحيتنا فاشتريتها بستمائة دينار وهذه ستمائة دينار فاستعن بها على دهرك ودفع إليّ كتاباً فادخلت الرجل والجارية وكتبت له جواب كتابه وتثبّت الرجل.

ثم قلت للجارية: ما اسمك؟

قالت: حوراء.

فهيؤها لي وبتُّ بها عروساً فعلقت بهذا الغلام فسميته زيداً[1].

٣- امرأة شيبانية

وقد نقلت روايتان في طريقة زواجه منها ننقلها عن ابن رئاب عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: أن علي بن الحسين عليه السلام رأى امرأة في بعض مشاهد مكة فاعجبته فخطبها الى نفسها وتزوجها وكانت عنده وكان له صديق من الانصار فاغتم لتزويجه بتلك المرأة فسأل عنها فأخبر انها من آل ذي الجدين من بني شيبان، في بيت عليٍّ من قومها، فاقبل على علي بن الحسين، فقال: جعلني الله فداك ما زال تزويج هذه المرأة في نفسي وقلت تزوج علي بن الحسين امراة مجهولة ويقول الناس ايضاً، فلم ازل اسأل عنها حتى عرفتها ووجدتها في بيت قومها شيبانية. فقال له علي بن الحسين عليه السلام: قد كنت احسبك احسن رأياً مما أرى، ان الله أتى بالاسلام فرفع به الخسيسة، واتم به الناقصة، وكرّم به اللؤم، فلا لؤم على المسلم، انما اللؤم لؤم الجاهلية[2].

كما انها من عائلة محترمة ومن بيت زعماء بني شيبان، وروي أنه خطبها من اخيها

(١) بحار الأنوار، ج٤٦ ص١٨٣-١٨٤، نقلًا عن: فرحة الغري، ص٥١.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٦٥، عن:كتاب الزهد، للحسين بن سعيد الاهوازي، باب التواضع والكبر (مخطوط).

الذي زار الامام عليه السلام فرأى فيه صفات النجابة وسلوك الزعامة والجمال فخطب اخته منه[١].

والذي اقرب الى مكانة الامام عليه السلام والظروف الاجتماعية انذاك هو رواية خطب الامام اخت الرجل وليس مباشرة خطبها الى نفسها. والذي يظهر من كلا النقلين أن المرأة كانت محترمة وذات شخصية، اذا صح انه خطبها الى نفسها.

٤- امهات الاولاد

لم يتطرق المؤرخون الى تفاصيل في هذا المجال، وانما تطرقوا الى أن الامام عليه السلام اعتق جارية له ثم تزوجها وقد وصل الخبر عبر الجواسيس الى عبد الملك بن مروان فكاتبه في ذلك وردّ الامام عليه السلام الجواب مفصلاً الى عبد الملك مما دفع عبد الملك أن يقول:

«أن علي بن الحسين عليه السلام.. يرتفع من حيث يتضع الناس»[٢].

هذا ما عرف عن زوجات الامام عليه السلام وهن بلاشك اكثر من ذلك ولكن لم يتطرق اليهن. واللاتي عُرفن هن:

١- فاطمة بنت الامام الحسن ولدت الامام محمد الباقر وعبد الله الابهر.

٢- حورية، ولدت زيداً وعمراً وقد ذهب صاحب كتاب المناقب الى أن (زيداً وعمراً) توأمان.

٣- اما الشيبانية فلا يعرف اسمها وهل هي انجبت ام لا، والظاهر أنها لم تنجب لأن الذين ذكروا اولاد الامام عليه السلام قالوا ان اولاد الامام من امهات اولاد عدا الامام الباقر عليه السلام وعبد الله الباهر[٣].

٤- اما امهات الاولاد فلا يُعرف ان الاولاد لدى أيّ امهات حيث اكتفى المؤرخون بذكر اسم ولد او بنت الامام وانها لِأُم ولد. ومثال بسيط على هذا

---

(١) المصدر، ص١٦٤، رقم٥.

(٢) الكافي، ج٥، ص٣٤٤.

(٣) المناقب، ج٣، ص٢١١.

المنهج المنحرف المتآمر على اهل البيت عليهم السلام طَلَبُ خالد القسري - وهو الوالي على العراق والذي بنى كنيسة لأمه في دار الامارة في الكوفة لانها مسيحية- طلبه من احد الكتاب أن يكتب السيرة فقال الكاتب: فانه يمر بي الشيء من سيرة علي بن أبي طالب فأذكره؟ فقال: لا، إلاّ ان تراه في قعر الجحيم[1].

ومثال آخر على التلاعب في سمعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينقله صاحب الاغاني:

يا خال هذه اربعة آلاف درهم وأنشِد هذه الابيات الاربعة وقل سمعت حساناً يُنشدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت أعوذ بالله أن افتري على الله ورسوله ولكن إن شئت ان اقول سمعت عائشة تنشدها فعلت.

فقال: لا إلاّ أن تقول سمعت حساناً ينشدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورسول الله جالس، وابيت عليه فأقمنا لذلك لا نتكلم عدة ليال. فارسل لي فقال قل ابيات تمدح بها هشاماً، يعني ابن المغيرة وبني امية. فقلت سمهم لي فسماهم وقال اجعلها في عكاظ واجعلها لابيك. فقلت:

الا لله قومٌ ولدت أخت بني سهم هشام وابو عبد مناف مدرة الخصم

ثم جئت فقلت هذه قالها أبي، فقال له ولكن قل قالها ابن الزبعري فيه، والى الآن منسوبة في كتب الناس الى ابن الزبعري[2].

(١) الأغاني، لأبي فرج الاصفهاني، ج٢٢، ص١٥.
(٢) المصدر، ج١، ص٣٠-٣١.

المحتويات